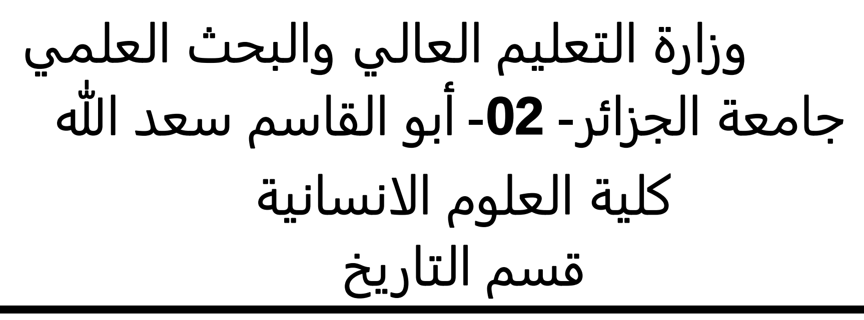


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر- **02**- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

الجيو-استراتيجية العثمانية والعمانية ودورها في انهاء الغزو البرتغالي بساحل افريقيا الشرقية والبحار الخليجية(**1497**م-**1698**م).

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر

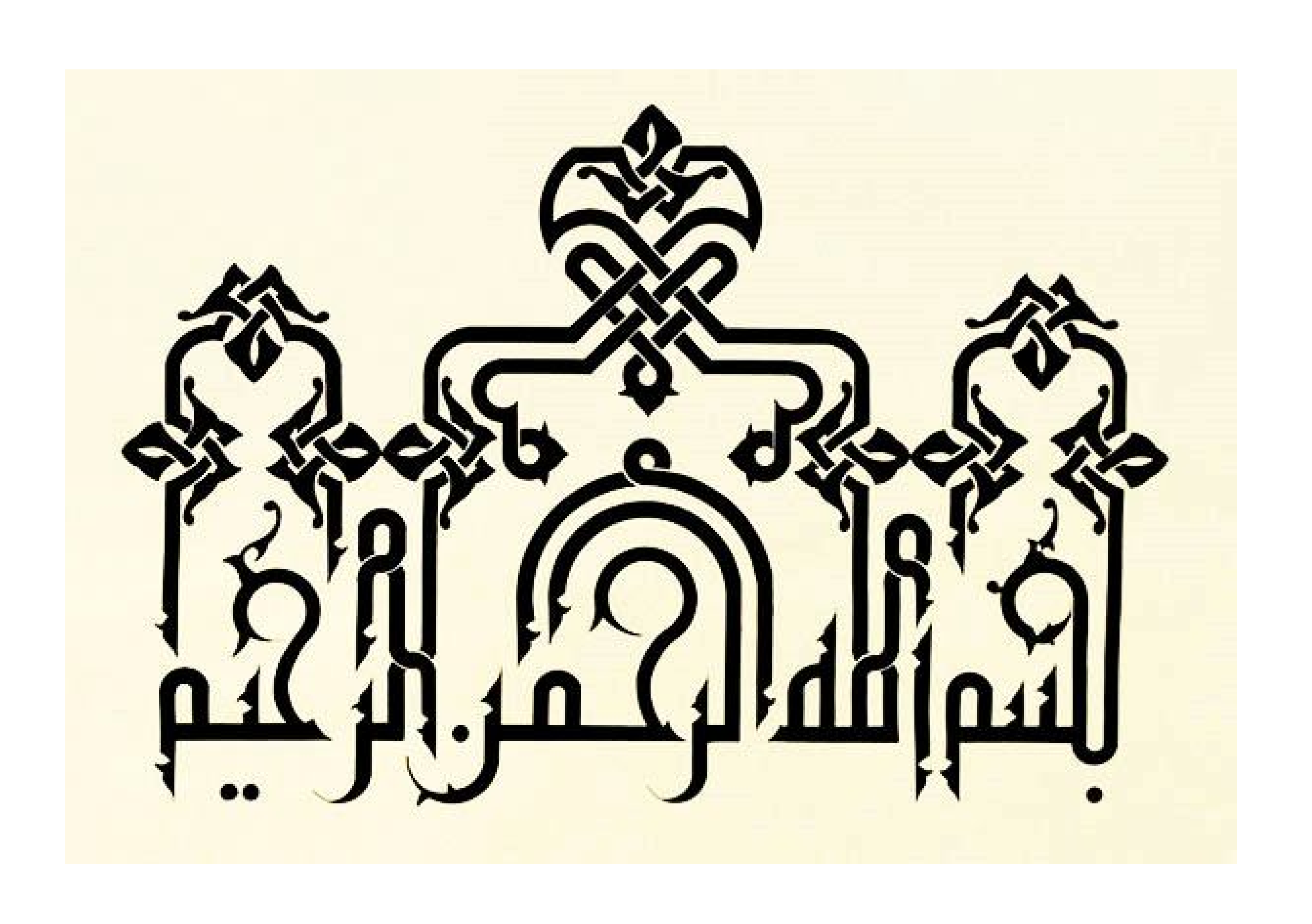
اعداد الطالب: عـــمر جبري.

تحت إشراف: أ.د/فلة موساوي القشاعي.

أعضاء لجنة المناقشة العلمية:

اللجنة	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د/بوعـــــزة بـــوضرسايـــة	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر **02**	رئيسا ومناقشا
أ.د/فـــلة مــوساوي القشاعي	أستاذة تعليم عالي	جامعة الجزائر **02**	مقررا
د/اليـــــاس نـايــت قاسي	أستاذ محاضر	المدرسة العليا لأساتذة بوزريعة	مناقشا
د/ياســـيــن بــودريـعــة	أستاذ محاضر	جامعة البـــويـــرة	مناقشا
د/نـــعيـــمـة بوحــمشـــوش	أستاذة محاضرة	جامعة الجزائر **02**	مناقشا
د/وهـــيــبـة قـــطـــوش	أستاذة محاضرة	جامعة الجزائر **02**	مناقشا

السنة الجامعية:**1439**هـ-**1440**هـ/**2018**م-**2019**م.


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

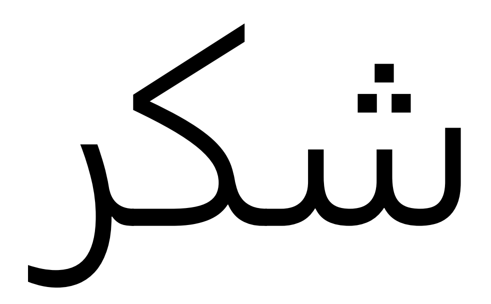
بسم الله الرحمان الرحيم:<< **ن والقلم وما يسطرون**>>

(سورة القلم، الأية01)

صدق الله العظيم.

كم هو جميل أن يرى المرء حلمه يتحقق بعد سنوات طويلة من الانتظار والترقب، يقضيها متقلبا بين الخوف من الفشل والأمل يحدوه في أن يرى بريق النجاح يلوح في الأفق ...

أما بعد: أهدي هذا البحث إلى الوالدين الكريمين شفاهما الله عز جل، إلى كل عائلة جبري، الى اخوتي الأعزاء(د/ساعد جبري-د/عبد اللطيف جبري-أ/جمال جبري)، الى عائلتي الكريمة، إلى روح قلبي ابني الغالي "غيث عبد الغفور"،إلى كل أساتذتي الكرام بقسم التاريخ بجامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر -02-ببوزريعة، على رأسهم أستاذي الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله وطيب ثراه، الى أستاذتي المشرفة علي البروفيسورة فلة موساوي القشاعي،إلى كل زملائي الأساتذة والطلبة في الدفعة إلى كل طلبتي بثانوية 18 فيفري ببرج بوعريريج،الى كل أصدقائي الأعزاء كل باسمه الخاص أهدي هذا العمل المتواضع.



جدير بي أن أسجل في هذه الصفحات الأولى من هذه الأطروحة شكري الخالص إلى الله عز وجل، الذي سهل لي طريقي لانجاز هذا البحث كما أشكر أستاذتي المشرفة علي البروفيسورة فلة موساوي-القشاعي جدا على كامل نصائحها وتوجيهاتها السديدة لي من أجل ابراز هذه الأطروحة العلمية من أولها إلى آخرها، حيث أفادتني ارشاداتها القيمة وتوجيهاتها السديدة وملاحظاتها البناءة، كثيرا في اثراء هذه الدراسة سواء ما تعلق منها بالجانب العلمي أو الأكاديمي أيضا، فكل الشكر والتقدير لكي يا أستاذتي المبجلة والمحترمة و الشكر موصول أيضا الى أستاذي البروفيسور محمد دراج أستاذ التاريخ العثماني واللغة التركية بجامعة الجزائر -02- على دعمه لي أيضا، و شكرا لكل من ساعدني من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع.

المقدمة

المــــــقدمــــــة:

تعتبر مملكة البرتغال واحدة من بين أول الممالك والدول الأوروبية التي استطاعت أن تحقق تفوقا كبيرا في خوض غمار البحار الشرقية والخليجية، هذا بوصولها إلى سواحل افريقيا الشرقية ومنها إلى بلاد الهند مستغلة بذلك تفوق أساطيلها البحرية، خلال مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي بحيث يعد الغزو البرتغالي لبحار الشرق امتدادا لمرحلة الحروب الصليبية الثانية، تعرضت خلالها الحضارة الإسلامية بساحل شرق إفريقيا والخليج العربي إلى التدمير والنهب والسلب، مما أدى إلى ظهور ردود أفعال مختلفة للدفاع عن العالم الإسلامي ومقدراته الاقتصادية، على غرار ما قام به المماليك قبل زوال دولتهم ومسلمي الهند كذلك والعثمانيين والعمانيين من بعدهم، بحيث أصبحت مياه منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر وسواحل إفريقيا الشرقية مسرحا لظهور حركات مقاومة جديدة ضد الغزو البرتغاليين، تبنتها العديد من القوى المحلية الداخلية كما ساعدها في ذلك القوى الإقليمية الخارجية في المنطقة، على رأسهاالدولة العثمانية و الدولة العمانية(دولة البوسعيديين) من بعدها.

لقد أثبتت لنا التجربة التاريخية التي خاضها مسلمو ساحل شرق إفريقيا والخليج العربي والبحر الأحمر بأن القوة البحرية هي الو حيدة القادرة على السيطرة على ضفافهم بحكم الطبيعة البحرية، فالبرتغاليون أنفسهم والهولنديون والانجليز من بعدهم كلهم تمكنوا بفضل تطور قدراتهم البحرية الاستفادة من ثروات هذه المناطق.

كما ارتبطت حركة المقاومة الإسلامية المحلية في الخليج العربي والساحل الهندي والبحر الأحمر بحركة المقاومة في ساحل شرق إفريقيا ارتباطا تاريخيا وثيقا، خلال القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد لكونها عاشت نفس الظروف والأحداث ونفس الاحتلال ألا وهو الغزو البرتغالي الذي عانت منه جميع هذه المناطق الإسلامية، خاصة وأن مملكة الحبشة(Uni d'Abyssinie) التي تأسست على الساحل الشرقي لإفريقيا، قد نصبت نفسها حامية للمسيحية والنصرانية هناك بعد تحالف الأحباش مع البرتغاليين، بذلك وقع عبء الدفاع عن المسلمين ضد البرتغاليين أولا على مسلمي شرق إفريقيا، قبل غيرهم من الدويلات الإسلامية المطلة على البحر الأحمر والخليج العربي والساحل العماني.

فكان على مسلمي شرق إفريقيا والدول المطلة على مياه البحر الأحمر التصدي لهذا التحالف البرتغالي-الحبشي، كما تصدى لهم مسلمو الإمارات الهندية والمماليك والقوى المحلية في الخليج العربي من وقواسم وعمانيين، كاتبين بذلك تاريخا مشرفا عن الدور الكفاحي للمسلمين وبطولاتهم وأمجادهم خلال القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد، ناهيك عن ظهور علاقات حضارية واقتصادية وعسكرية بين سكان ساحل شرق افريقيا وسكان الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية.

كما أن تأسيس مملكة البرتغال خلال القرن الحادي عشر الميلادي والقيام السريع لها في غرب شبه الجزيرة الأيبيرية، يعد حدثا هاما بعد استفادتها من عوامل جيو-سياسية متفاعلة فيما بينها وفي مقدمتها الوضع السياسي المتردي ببلاد الأندلس، قد ترتب عن كل هذه الأوضاع والمتغيرات السياسية توغل العديد من القادةالبرتغاليين في شبه القارة الهندية وإنشائهم لمراكز تجارية مسلحة في شرق قارة إفريقيا وغربها، على الساحل الغربي للهند وفي جزر المحيط الهندي والخليج العربي بتوجيهات من ملوكهم إلى مندوبيهم في تلك المناطق، حيث شجعوهم على محاربة الإسلام ونشر الديانة المسيحية، قطع طرق التجارة على المسلمين لإضعافهم اقتصاديا وسياسياوعسكريا ودينيا.

لقد اجتمعت العديد من العوامل الطبيعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية والعلمية التي تحكمت كلها في قيام حركة الكشف الجغرافي للبرتغال، قبل غيرها من ممالك ودول العالم بهذا توجه البرتغاليون إلى مياه البحر الأحمر والخليج العربي طمعا في ثروة مسقط بعمان ولؤلؤ البحرين ومحاولة منهم للاستحواذ على خيرات بلاد الرافدين، ثم بلاد فارس وصولا إلى بلاد الهند وجزرها الغنية بالتوابل والحرير، فكان لهم ذلك من خلال وصول القائد البرتغالي ألفونسو دي ألبوكيرك(1453م-1515م)إلى بلاد الهند بعد سيطرته على طرقها التقليدية القديمة، في مياه البحر الأحمر والخليج العربي وتأسيسه لمستعمرات برتغالية ومراكز عسكرية وتجارية في شبه القارة الهندية كجوا وملقا، وضعه لخطة عسكرية من أجل احتلال جميع الموانئ التجارية على طول الطريق البحري الرابط بين الهند ورأس الرجاء الصالح.

أمام تلك الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية الغير مستقرة في سواحل شرق إفريقيا ومياه البحر الأحمر والخليج العربي، سعت مملكة البرتغال إلى تحقيق أهدافها الدينية والاقتصادية والسياسية

من خلال كشوفاتها الجغرافية والاستعمارية، للتخلص من هيمنة دولة المماليك وجمهورية البندقية وجنوة على التجارة الأسيوية واحتكارها لها ونشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي، مع استمرار التهديد البرتغالي على البلاد الإسلامية خاصة في الأماكن المقدسة لها كالحجاز ومكة وقطع طرق التجارة على المسلمين في مياه البحر الأحمر والخليج العربي وساحل شرق افريقيا، مع عجز دولة المماليك ومسلمي الهند والقوى المحلية في اليمن عن وقف هذا الغزو البرتغالي الذي ينخر تجارتهم ويهدد الأماكن المقدسة في العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين، قامت حركة المقاومة الإسلامية في سواحل شرق إفريقيا بعد توفر جملة من الأسباب والعوامل التي ساعدتها على ذلك.

في خضم كل تلك المتغيرات قررت الدولة العثمانية التغيير من إستراتيجيتها العسكريةوالسياسية و التي كانت تقوم على التوسع في شرق أوروبا، لتتوجه إلى الدفاع عن جبهتها الجنوبية بالبحر الأحمر والخليج العربي وساحل شرق افريقيا، خصوصا بعد فشل سياسة الدعم العسكري والاقتصادي من طرف الدولة العثمانية لدولة المماليك في مصر والشام، من أجل مواجهة الخطر البرتغالي المتمركز بقوة هناك لاسيما بعد أن أخذت الأحداث في المشرق العربي تأخذ منحنا خطيرا ومتسارعا عند تحالف القوة البرتغالية مع القوة الصفوية، توقيعهم لاتفاقية عسكرية وسياسية عرفت باتفاقية هرمز عام 1515م، كما تحالف الأحباش أيضا مع البرتغاليين ضد العثمانيين والقوى المحلية في البحر الأحمر وساحل شرق إفريقيا عام 1520م.

هنا قامت الدولة العثمانية بدورها بعقد عدة تحالفات عسكرية وسياسية مع القوى المحلية بساحل شرق افريقيا، كتحالفها مع الإمام المجاهد "**نور بن الوزير**" والإمام"**أحمد بن بر اهم**"، الذي استنجد هو الأخر بالعثمانيين وتحالفها كذلك مع مسلمي الهند وقوى الساحل العماني والممثلين في سلاطين دولة اليعاربة البوسعيديين من أجل مواجهة الخطر البرتغالي المتزايد في سواحل الخليج العربي والمحيط الهندي وساحل شرق افريقيا أيضا، كما شن أحسن قادة الأسطول العثماني العديد من الحملات البحرية التي قاو ها في الخليج العربي والمحيط الهندي وشرق افريقيا، على غرار حملة بيري ريس عام 1552م وحملة سيد علي ريس عام 1553م وحملة علي ميرال بك عام 1583م، ملحقين بذلك خسائر مادية وبشرية كبيرة بالأسطول البرتغالي هناك سو اء في مياه البحر الأحمر أو الخليج العربي أو ساحل شرق افريقيا.

كذلك يعتبر توجه الدولة العثمانية ودولة العمانيين اليعاربة لحماية مسلمي ساحل إفريقيا الشرقية والخليج العربي والبحر الأحمر واحدا من بين أهم المواضيع التاريخية، التي تبين لنا محاربة ظاهرة التنصير الديني ضد المسلمين والتي انتشرت في بلاد الأندلس من قبل، خصوصا وأن العديد من الدراسات الأوروبية قد حاولت تغطية هذه الحقائق التاريخية وسعت في الوقت نفسه إلى تشويه العديد منها، محاولة بذلك التقليل من تلك الجهود المبذولة.

أ-أهمية موضوع الدراسة: من هنا تبرز لنا الأهمية العلمية والتاريخية لهذا الموضوع الذي خصصناه حول:**<<الجيو-استراتيجية العثمانية والعمانية ودورها في انهاء الغزو البرتغالي بساحل إفريقيا الشرقية و البحار الخليجية(1497م-1698م)>>**، كموضوع جديد للبحث والدراسة لما لذلك الوجود البرتغالي من تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية جد هامة على الوحدة السياسية والاقتصادية والدينية لدول ساحل شرق افريقيا والبحر الأحمر والخليج العربي أيضا، أن من بين أهم أهداف الإستراتيجية العثمانية في العالم الإسلامي هو ابعاد مملكة الحبشة النصرانية على التعاون مع مملكة البرتغال ضد مسلمي ساحل شرق إفريقيا من جهة، دعم القوى المحلية بالتحالف معها ضد الغزو البرتغالي سواء في الخليج العربي أو في شرق افريقيا سياسيا وعسكريا واقتصاديا من جهة ثانية.

قد يكون منطلق هذه الدراسة نابعا من اهتماماتي العلمية قصد التعرّف على الدّور الذي لعبته الدولة العثمانية ودولة اليعاربة بعمان من بعدها للدفاع عن العالم الإسلامي ومحاربة التنصير المسيحي في ساحل افريقيا الشرقية والبحر الأحمر والخليج العربي، صدها للغزو البرتغالي بجميع صور وأشكاله الدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.لكن هذه الرّغبة الشخصية قد توفرت لها الأسس العلمية ما جعل موضوع البحث محل تساؤل علمي ومنهجي في الوقت نفسه، خصوصا بعد مناقشتي لمذكرة الماجيستار في عام 2014م بجامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر-02- الموسومة بعنوان:

"عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية ما بين عام (1497م-1554م)"
إذ يعتبر هذا البحث بالنسبة لي قاعدة للانطلاق في مثل هذه الدراسات التي تعالج موضوع الصراع البرتغالي العثماني والعماني في هذا المجال الجغرافي الشاسع والواسع زمنيا خلال فترة العصر الحديث، كما أن زيارتي العلمية إلى جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة عام 2015م، قد أفادني كثيرا من

حيث جمع المادة العلمية والأرشيفية التي هي غير متوفرة في مكتبات جامعاتنا بالجزائر وأخص بالذكر المصادر والوثائق الأرشيفية البرتغالية والعثمانية أيضا.

أردنا أيضا من خلال هذا البحث أن نصحح بعض المفاهيم الشائعة عند العديد من الدراسات التاريخية السابقة، التياعتبر ت أن الدافع العلمي وحب المغامرة هما الأساس الأول في بداية الكشوفات الجغرافية والاستعمارية لمملكة البرتغال، متناسين بذلك الكره والحقد الصليبي على الدين الإسلامي، مع الرغبة في السيطرة على طرق التجارة البحرية.

سنبين أيضا في هذا البحث دور التحالفات المذهبية والعسكرية والسياسية التي قام بها الأحباش والبرتغاليون ضد الدولة العثمانية والعمانية من بعدها، وردود الأفعال السياسية والعسكرية التي انتهجتها الدولة العثمانية والعمانية سياسيا وعسكريا أيضا، تحالفاتهم مع القوى المحلية بساحل إفريقيا الشرقية والخليج العربي.

أردنا أن نوضح كذلك دور الدولة العثمانية في توحيد القبائل الإسلامية المتفرقة بساحل افريقيا الشرقية، مركزين بذلك على مبدأ التسامح الديني ونبذ التعصب في توحيد كل هذه القوى السياسية ضد الغزو البرتغالي و حليفتهم مملكة الحبشة النصرانية، منذ تأسيسها لايالة الحبشة بقيادة آزدمر باشا عام 1547م.

سنوضح من خلال هذه الدراسة صورة الدولة العثمانية في العالم العربي من خلال سياسة الدعم والتحالف المتواصل مع حركات المقاومة الإسلامية التي امتدت الى غاية ساحل شرق إفريقيا والخليج العربي، مع مطلع القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد محافظة بذلك على سيادتها للبحر الأحمر والخليج العربي وساحل شرق افريقيا.

كما سنبين أيضا دور دولة العمانيين اليعاربة التي اكملت ما بدأته الدولة العثمانية سياسيا وعسكريا ضد الغزو البرتغالي سواء في مياه الخليج العربي أو في سواحل افريقيا الشرقية منذ عام(1624م-1698م)، منهية بذلك هذا الوجود الاستعماري للبرتغاليين في ساحل افريقيا الشرقية والخليج العربي وسواحل الهند أيضا الذي استمر على مدار قرنين من الزمن.

فلم يكن غريبا أن لعبت الرحلات البحرية العمانية دورا هاما في معرفة الربابنة العمانيين لمختلف الطرق البحرية في المحيط الهندي والخليج العربي، فلم يكن البحارة والتجار العمانيون بغرباء عن بلاد الهند أو عن سواحل افريقيا الشرقية أيضا، هذا ما بيناه من خلال اظهارنا لعمق وتجذر العلاقات والصلات الحضارية والتجارية والعسكرية والاقتصادية، بين ممالك ساحل افريقيا الشرقية وبين دولة اليعاربة بعمان.

ب-التعريف بالرصيد الأرشيفي الموظف في معالجة موضوع الدراسة:

اعتمدنا في موضوع دراستنا هذه على عدة أنواع من المصادر والوثائق الأرشيفية بتعدد أصنافها وأنواعها ويمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام، منها المصادر البرتغالية التي كتبها سواء القادة العسكريون في تقاريرهم المرسلة إلى البلاط الملكي أو كتابات الرحالة الأوروبيين المترجمة إلى اللغة الإنجليزية ومنها الكتابات العربية للرحالة العرب أو لمؤرخي ذلك العصر، منها المراسلات السلطانية التي أرسلها السلطان سليمان القانوني إلى قادة جيوشه أو لحكام ولاياته في المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية و التي نذكر منها ما يلي:

*وثائق الأرشيف الوطني لبرج الزمن الذي أنشأ بمدينة لشبونة البرتغالية عام 1378م ويعني بالبرتغالية:

-Arquivo Naciona da Torre do Tambo.

و هو يختصر في كلمة(ANTT)، الذي يعتبر من بين المصادر البرتغالية الهامة في الدراسة، اضافة الى الرصيد الأرشيفي البرتغالي الموجود بمدينة لشبونة وأرشيف سيمانكاس باسبانيا من خلال:

-Les Archives De Simancas Espagne.

-Les Archives Nationales Du Portugal à Lisbonne.

ومن بين الكتب المهمة نذكر أيضا كتاب: -THE EAST AFRICAN COAST.

*أي وثائق عن الساحل الشرقي لإفريقيا والذي زودنا بأحداث هامة عن كيفية وصول البرتغاليين إلى سواحل شرق إفريقيا ومعاملتهم الوحشية لسكان المنطقة والمقاومة التي تلقوها من سكانها، كما يصف لنا حالة الاندهاش التي عايشها البرتغاليون حينما شاهدوا قمة الثراء والرفاهية التي وصل إليها سكان هذه

المناطق، يذكر لنا أيضا عمليات القرصنة والنهب والسلب التي قاموا بها ضد السكان المحليين والتجار القادمين إليها لشراء الذهب، مما كان سببا في تدمير تجارتها اضافة الى عمليات التنصير الكاثوليكية التي قامت بها جمعيات التنصير البرتغالية على سكان الساحل الشرقي لإفريقيا.

*استفدنا كثيرا في هذا البحث من الوثائق التي كتبها المؤرخ البرتغالي "قاسبر كوريا" (CORREA GASPAR)عن رحلته إلى سواحل إفريقيا الشرقية عام 1514م في كتابه الذي عنوانه: LENDAS DA INDAI.

أي بلاد الهند والذي ترجمه إلى اللغة الانجليزية من طرف "جون ستانلي": (E.J. STANLY) وتضمن هذا الكتاب وصفا دقيقا لرحلة فاسكوا دي غاما الثانية إلى الشرق عام 1502م.

*يعتبر كتاب المؤرخ البرتغالي JOAO DE BARRO (جوا دو باروس) الذي عنوانه:.DA ASIA أي آسيا، الذي ترجم إلى الانجليزية بواسطة G.M. THEAL(جون ميقال ثيال) مصدرا هاما في تزويدنا برحلات كل من روي لورنزو دي رافيال(1503م-1504م)، وبعثة القائد فرانسيسكوا دالميدا إلى ساحل شرق إفريقيا وتدميره لمدينتي كلوه وممباسه، اضافة الى كتاب:

-"DUCUMENTS ON THE PORTUGUESE IN MOZAMBIQUE AND CENTRAL AFRICA".

*أيوثائق عن البرتغاليين في موزمبيق وا إفريقيا الوسطى:

إذ يحتوى هذا الكتاب على وثائق تخص تاريخ البرتغاليين في منطقتي شرق ووسط إفريقيا في الفترة الممتدة مابين عام(1497م-1540م)، حيث طبع هذا الكتاب في مدينة لشبونة البرتغالية لأول مرة عام 1969م ثم ترجم إلى اللغة الإنجليزية وقد تضمن هذا الكتاب على أهم التعليمات التي صدرت من نائب ملك البرتغال في الهند (DIOGO LOPEZ DE SEQIERA) دييغو لوباز دي سكويرا إلى ملك الحبشة بواسطة سفيره هناك(RODRIGO DE LIMA)رودريجو دي ليما كما تضمنت هذه الوثائق الرسائل المتبادلة بين ملك ماليندي وملك البرتغال، هي تأكد بالفعل قيام تحالف عسكري دفاعي هجومي بين الطرفين ضد مسلمي شرق إفريقيا والعثمانيين.

*ومن بين أهم المصادر التي أفادتنا كثيرا في البحث كتاب المؤرخ البرتغالي فيريرا دي سوزا (FARIA SOUSA) الذي جاء بعنوان:

THE HISTORY OF THE DISCOVERY AND CONQUEST OF INDIA BY THE PORTOGUESE.

*أي تاريخ كشف وغزو البرتغاليين للهند وقد ترجمه إلى اللغة الانجليزية "جون ستيفنز" حيث يشرح لنا هذا الكتاب في أجزائه الثلاثة تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي والبحر الأحمر وسواحل شرق إفريقيا، يبين لنا كذلك موقف العثمانيين من هذا الغزو وحملاتهم البحرية في البحار الشرقية والخليجية وسواحل إفريقيا الشرقية ضد البرتغاليين.

لكن ما يلاحظ كثيرا على جل هذه المصادر التاريخية البرتغالية هو تعصبها الشديد للمسيحية وكرهها للمسلمين وللديانة الإسلامية، لذا وجب علينا الأخذ منها ولكن بحذر شديد ومقاربتها دائما مع المصادر العربية والإسلامية التي عاصرت هذه المرحلة التاريخية من الدراسة.

أما المصادر العربية التي استعنا بها في انجاز هذه الدراسة فهي كثيرة نذكر منها ما يلي:

*كتاب المؤرخ "سعيد بن علي المغيري" بعنوان: "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار" وهذا الكتاب مصدره المخطوطة التي يجهل صاحبها والتي تحمل عنوان: "السلوة في أخبار الكلوة" بحيث يوضح لنا هذا المصدر أحوال مدن ودويلات ساحل شرق افريقيا وبالخصوص مدينة كلوة وذكر لنا كيفية مواجهة أهالي كلوة للقادة البرتغاليين، كفاسكوا دي غاما وبيدروا ألفاريز كابرال وجواو دي نوفا.

*واعتمدنا كذلك على كتاب المؤرخ اليمني" عبد الرحمان بن علي بن الدبيع" بعنوان: "قرة العيون بأخبار اليمن الميمون"، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي بحيث يعتبر هذا المؤرخ من بين المصادر اليمنية المعاصرة لفترة الدراسة والبحث، كتابه الثاني بعنوان: "بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد" تحقيق عبد الله الحبشي وكتابه الثالث بعنوان: "الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد" تحقيق يوسف شلحدر.

*استفدنا في دراستنا كثيرا من كتب المؤرخ اليمني "يحي بن الحسين بن الإمام القاسم" الذي عنوانه:

"أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن" وكتاب "غاية الأماني في أخبار القطر اليماني"، بحيث دونت هذه المصادر اليمنية كيفية غزو البرتغاليين للبحر الأحمر ومهاجمتهم لعدن وسواحل اليمن وسواحل شرق إفريقيا ومحاولاتهم المتكررة للوصول إلى مدينة جدة، كما بينت لنا كذلك مواقف حكام دولة المماليك والدولة العثمانية من هذا الغزو، ودور الدولة العثمانيةفي حماية البحر الأحمر والخليج العربي وإنشائها لولاية الحبشة وسعيها لمد نفوذها إلى غاية ساحل شرق افريقيا.

*كما اعتمدنا في دراستنا على مصدر تاريخي هام هو للمؤرخ "الموزعي القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد" الذي عنوانه: دخول العثمانيين الأول إلى اليمن" الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان"، الذي أفادنا كثيرا في تحليل الأحداث التاريخية باليمن خلال حكم الأتراك العثمانيين.

اضافة الى مصدرين هامين في كتابة التاريخ العماني الأول للمؤرخ ابن رزيق الأول بعنوان:

*الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، الثاني بعنوان: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، اللذان استفدنا منهما كثيرا في دراسة الأوضاع السياسية والعسكرية لدولة اليعاربة بعمان، أطوار مواجهة اليعاربة للبرتغاليين.

*كما استفادتنا من كتاب المؤرخ "نور الدين السالمي" بعنوان: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، كتاب المؤرخ "عبد الله بن خلفان ابن قيصر" بعنوان: سيرة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، المؤسس الأول لدولة اليعاربة بعمان.

*كذلك استعنا في بحثنا هذا بالمصادر العثمانية الأرشيفية من خلال الوثائق الأرشيفية والمراسلات السلطانية كدفاتر الأمور المهمة ودفاتر الرؤوس، إلى حكام ولايات الدولة العثمانية سواء بالخليج العربي أو البحر الأحمر أو بلاد اليمن أو بلاد الحبشة أو المحيط الهندي، من أجل محاربة البرتغاليين وقطع الطريق عليهم للوقوف دون وصولهم إلى سواحل إفريقيا الشرقية والبحار الخليجية، التي تحصلنا عليها من كتاب "محمد محمود خليل" بعنوان: "وثائق بحرية عن قابودان السويس والدور العثماني في مواجهة البرتغاليين".

كما استعنا كذلك بكتاب المؤرخ التركي"حاجي خليفة" المعروف باسم "كاتب جلبي" وعنوانه:

*"تحفة الكبار في أسفار البحار" الذي ترجمه بنفسه الى اللغة العربية، حيث يبين لنا هذا المصدر المعارك التي خاضتها البحرية العثمانية في مواجهة الأساطيل البرتغالية بالبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي والبحر البيض المتوسط خلال القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد، بداية من حملة سليمان باشا الخادم إلى الهند ومعركة ديو عام 1538م حتى حملة القائد سيد علي ريس من عام 1553م إلى عام 1557م، قد ترجم كتاب المؤرخ كاتب جلبي إلى اللغة الانجليزية من طرف المؤرخ البريطاني جيمس ميتشل(mitchel jemes) تحت عنوان: تاريخ حروب الأتراك البحرية:

-The History of the Maritime Wars of the Turks.

ويعتبر كتاب المؤرخ المكي" قطب الدين محمد النهروالي المكي" بعنوان:

*"البرق اليماني في الفتح العثماني"، من بين المصادر الهامة التي عاصرت الحدث ووضحت لنا الحقيقة التاريخية في العديد من المواضع كذكره لأسباب ضم الدولة العثمانية لليمن ومحاولتها جعل البحر الأحمر بحرا إسلاميا خالصا وجهودها في إقامة ولاية الحبشة على يد آزدمر باشا.

كما يعد كتاب المؤرخ الميليباري "زين الدين المعبري الميلباري" الذي عنوانه:

*"تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين" مصدرا هاما في الدراسة التاريخية، اضافة الى كتاب مؤرخ مصر"ابن إياس" الذي عنوانه:"بدائع الزهور في وقائع الدهور"، الذي استفدنا من جميع أجزائه كثيرا لكونه قد عاصر فترة الدراسة التاريخية.

و اعتمدنا على المصادر العثمانية من خلال كتاب المؤرخ التركي "بجوي ابراهيم أفندي" بعنوان:

*تاريخ بجوي ابراهيم أفندي "التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول"، كتاب القائد والبحار العثماني "سيد علي ريس" بعنوان:

مرآة المماليك الذي يعد مصدرا هاما من خلال معاصرته لعديد من الأحداث المتعلقة بموضوع الدراسة.

وقد حاولت في بحتي هذا الرجوع الى الأعمال والدراسات الحديثة لمنطقة الخليج العربي وساحل شرق افريقيا وما تعلق بتاريخ الدولة العثمانية ودولة اليعاربة هناك، فهي تشكل بيبليوغرافيا غنية بعدد من المؤلفات المختصة كالمجلات التارخية مثل:

*"مجلة الوثيقة" التي استفدنا منها كثيرا في بحثنا هذا ومجلة "رسائل جغرافية" كذلك ومجلة "الخليج العربي" ومجلة "تراثنا"، غيرها من المجلات العلمية المختصة في الدراسات التاريخية بالخليج العربي أو بساحل شرق افريقيا أيضا.

أما بالنسبة للدراسات السابقة التي تناولت مواضيع مختلفة سواء عن الغزو البرتغالي في الخليج العربي أو في ساحل افريقيا الشرقية، أو عن دولة اليعاربة وظروف مواجهتها للغزو البرتغالي هناك، فهي تتقاطع كلها في نقاط وتختلف في الكثير منها، فمنها من درس الغزو البرتغالي للخليج العربي وساحل افريقيا الشرقية من زاوية دينية أو اقتصادية أو سياسية أو عسكرية فقط متناسين في الوقت نفسه الزاوية الجيو -استراتيجية، التي اتبعتها الدولة العثمانية والدولة العمانية من بعدها والتي هي محور بحثنا هذا، اضافة الى تناول كل هذه الدراسات السابقة لمقاومة الاحتلال البرتغالي في نطاقات زمنية وجغرافية محدودة وضيقة لا تساير المجال الجغرافي والتاريخي الواسع لهذه الظاهرة المدروسة،أو في حصر ها للمقاومات المحليةو الإقليمة والدولية والأوروبية منها لتلخيص أسباب فشل أو نجاح الغزو البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية، حيث أننا نسعى من خلال هذه الدراسة كذلك الى ابراز ضرورة الترابط التاريخي والمكاني والإنساني، بين شعوب مناطق مختلفة واجهة خطرا مشتركا في هذا البحث الذي نحن بصدد القيام بها.

ج-الإطار الاقتصادي والاستراتيجي للموضوع:

أولينا اهتماما كبيرا في هذا البحث لإظهار الأهمية الاقتصادية والإستراتيجية التي تزخر بها مياه البحر الأحمر وسواحل إفريقيا الشرقية والخليج العربي، قبل غزو البرتغاليين لها وتحول هذا الصراع الديني بين المسيحية والإسلام إلى صراع اقتصادي بحت خلال هذه الفترة من موضوع الدراسة رغبة من البرتغاليين في إضعاف العالم الإسلامي اقتصاديا وعسكريا ودينيا، مبينين أثر هذا الغزو البرتغالي على

منطقة ساحل شرق افريقيا والبحر الأحمر من جوانبه الاقتصادية والسياسيةو الدينية وانعكاساته المختلفة على سكان هذه المناطق.

د-الإطار الحربي و العسكري لموضوع الدراسة:

ذكرنا فيه أهم جهود البحرية العثمانيةو العمانية بمياه الخليج العربي وساحل شرق افريقيا ضد الغزو البرتغالي بداية من الحملات العسكرية التي قادها عدد هام من القادة المحليين بساحل افريقيا الشرقية كالإمام أحمد بن براهم(1528م-1543م) والإمام نور بن الوزير(1550م-1567م)، الإمام ناصر بن مر شد اليعربي(1624م-1649م) ثم مقاومة اليعاربة العمانيين للغزو البرتغالي منذ حكم الإمام سلطان بن سيف الأول(1649م-1679م) ثم الإمام سيف بن سلطان الأول(1679م-1692م) في الخليج العربي وساحل افريقيا الشرقية، هذا بالرجوع إلى المصادر العثمانية والعمانية أو البرتغالية التي عاصرت هذه الأحداث التاريخية.

هـ-الإطار الزمني لموضوع الدراسة:

باعتبار أن البحث في كامل تفاصيل هياكل المؤسسات التوسعية للدولة العثمانية يتطلب منا وقتا طويلا وجهدا كبيرا وتفصيلا دقيقا، فقد حصرنا فترة بحثنا هذا في الفترة الممتدة ما بين عام (1497م-1698م)، أي ما يعادل قرنين وعام من الزمن بحيث اخترنا بداية بحثنا منذ عام 1497م وهي الفترة التي انطلق فيها البحار والمستكشف البرتغالي فاسكو ا دي غاما من ميناء ريستلوا بلشبونة، ليعبر طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية ويصل بعدها إلى سواحل شرق إفريقيا ثم منها إلى ميناء كاليكوتا بالهند.

لكون هذا الالتفاف البحري للبرتغاليين حول العالم الإسلامي من جبهته الجنوبية والوصول إلى بلاد الهند عبر طريق بحري جديد حدث تاريخي وجغرافي جد هام غير مسار العلاقات التاريخية والاقتصادية والدينية والسياسية والعسكرية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

أما نهاية بحثنا فقد كانت عام 1698م وهو العام الذي تمكنت فيه دولة العمانيين اليعاربة تحت حكم حاكمها سيف بن سلطان الأول(1679م-1692م)، من إنهاء الغزو البرتغالي بسواحل إفريقيا الشرقية

والبحار الخليجية بعد تحرير اليعاربة لقلعة المسيح بممباسا، ثم طردهم للبرتغاليين من بقية أجزاء ساحل افريقيا الشرقية وسواحل البحر الأحمر و الخليج العربي.

و -أهمية موضوع الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى كونها تتناول موضوع جديرا بالبحث والاهتمام في باب التاريخ الحديث والمعاصر، حيث لا زالت أصداؤه تتراء إلى اليوم وانعكاساته واضحة وجلية على منطقة الخليج العربي وشرق افريقيا و العالم الإسلامي ككل، فمثل هذه الموضوعات التي لا تزال متفاعلة ومؤثرة هي بحاجة إلى المزيد من البحث الأكاديمي والمقاربة الموضوعية التي تخلص بالعبر والنتائج، إن هذه المقاربة التاريخية لها أبعادها المتعددة والمختلفة كذلك، حيث نحاول من خلالها الإجابة عن التساؤلات المطروحة في الإشكالية الرئيسية والإشكاليات الفرعية الأخرى.

وإن المتأمل في تاريخ الدولة العثمانية من خلال هذا الإطار الزماني لا يلبث أن يلاحظ ملاحظة فريدة ومتميزة من نوعها، تتمثل في القوة القاهرة التي أبدتها البحرية العثمانية بفرض سيطرتها على مناطق جدهامة وإستراتيجية من بحار العالم، لكنها لم تبد في بداية الأمر أهميتها بالبحار الشرقية والخليجية وساحل شرق إفريقيا، فكان التوسع البرتغالي على حساب البلاد الإسلامية من الناحية الدينية والاقتصادية والسياسية، سببا مباشرا في توجه العثمانيين و العمانيين من بعدهم لتحرير سواحل شرق افريقيا ومياه البحر الأحمر والخليج العربي، التي نحن بصدد الكشف عنها من خلال هذه الدراسة.

ز -الإشكالية الرئيسية للدراسة:

باعتبار أن البرتغاليين هم أول الوافدين من الأوروبيين إلى مياه البحر الأحمر وساحل إفريقيا الشرقية والمحيط الهندي والخليج العربي بأساطيلهم ومدافعهم، فهم رأس السيف في الاستعمار الأوروبي الحديث فما كانت لولاهم أن تعرف بلاد الشرق الإسلامي وبحارها هذا الصراع العسكري والسياسي والاقتصادي والديني في نفس الوقت، الإشكالية المطروحة هي: **ما هي الإستراتيجيات والسياسات المبذولة من طرف الدولة العثمانية والعمانية خلال مواجهتهما للغزو البرتغالي بسواحل إفريقيا الشرقية والبحار الخليجية، في القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد؟.**

إن هذه الإشكالية الرئيسية و الجوهرية بدورها تتمخض عنها عدة إشكاليات فرعية هي:

ح-الإشكاليات الفرعية للدراسة:

ماهي الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية للممالك الإسلامية في الساحل الشرقي من إفريقيا خلال القرن السادس عشر للميلاد؟، ما الدوافع المساهمة في غزو البرتغاليين لممالك ودول ساحل شرق افريقيا؟، ما هي العلاقة التي ربطت بين الممالك الإسلامية في شرق إفريقيا مع مملكة الحبشة النصرانية؟ وما دور مملكة الحبشة في دعم الغزو البرتغالي ضد هذه الممالك؟، ما هو موقف الدولة العثمانية من هذا الغزو البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية؟، هل دعمت الدولة العثمانية قادة حركة المقاومة هناك سياسيا وعسكريا لمواجهة البرتغال و حلفائها من ملوك الحبشة؟، هل تمكنت الدولة العثمانية مع والقوى المحلية والإقليمية في الخليج العربي وساحل افريقيا الشرقية من تحقيق هدفهم الرئيس وهو انهاء الغزو البرتغالي؟، ما هو موقف القوى السياسية الجديدة التي ظهرت في المنطقة والممثلة في دولة اليعاربة البوسعيديين، من الغزو البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر وساحل افريقيا الشرقية سياسيا وعسكريا؟.

كل هذه الإشكاليات وغيرها من التساؤلات سيتم الإجابة عنها من خلال معالجة موضوع هذه الدراسة التاريخية وفق الخطة التالية:

ط- هيكلة خطة الدراسة:

***محتوى الدراسة:**

ألحقنا محتواها بأربعة أقسام كل قسم منها يحتوي على عدد من المباحث عالجنا فيهم موضوع الدراسة، حيث عرفنا في المقدمة بالموضوع وبينا أسباب ودوافع اختياره وأسس هيكلته، قمنا بدراسة نقدية لأهم مصادره وطرحنا فيه كذلك إشكالية هذه الدراسة التاريخية، إضافة إلى ذكرنا لأهم العراقيل والصعوبات التي صادفتنا في هيكلة خطة البحث وعناصره المبحثية من إطار زماني واسع و مجال جغرافي شاسع.

***القسم الأول:**

يتطرق هذا القسم إلى دراسة اوضاع منطقة ساحل شرق افريقيا سياسيا وتاريخيا مع التعريف الشامل للدويلات والممالك الإسلامية هناك، علاقتها مع مملكة الحبشة النصرانية ثم يبين لنا النشاط الاقتصادي والتجاري في هذه المنطقة وعلاقتها مع دول أقصى جنوب شرق أسيا وبلاد الهند أيضا، كاشفين بذلك حالة اندهاش البرتغاليين من هذه الحضارة الراقية جدا، التي وصل اليها مسلمو هذه المنطقة سواء على الصعيد الاقتصادي أو التجاري أو الاجتماعي والحضاري قبل احتلال البرتغاليين لها، الى غاية بداية النزاعات السياسية والخلافات الحدوديةو التي كانت دائما ما تثور بين هذه الكيانات السياسية المتصارعة فيما بينها، بسبب عدم وجود لحمة سياسية ودينية توحدها، في ظل بقاء مملكة الحبشة النصرانية هي القوة السياسية الوحيد المسيطرة على مسلمي شرق افريقيا، اضافة الى رصدنا وتحديدنا للمحاولات البحرية العديدة للبرتغال من أجل السطير ة على سواحل البحر الأحمر، ما بين عام(1507م-1585م).

***القسم الثاني:**

يتعرض هذا القسم إلى دراسة سياسة القائد ألبوكيرك التخريبية في الساحل العماني والخليج العربي وانعكاساتها على المنطقة اقتصاديا وسياسيا، مع تحديد دور التنافس السياسيو العسكري بين مملكتي هرمز والجبور على جزيرة البحرين والقطيف ونتائجه على منطقة الخليج العربي ككل، كما بينا في هذا القسم دور التحالفات الأسرية لأسرة آل مغامس مع البرتغاليين ضد حكام البصرة والبحرين عام 1544م، الدور السياسي أيضا لحكام دولة الجبور بعد سيطرتهم على مناطق نجد والقطيف والبحرين ومواجهتهم للبرتغاليين في الخليج العربي، اضافة الى تحديدنا لدور الصراعات السياسية والمذهبية كالصراع الإباضي النبهاني على منطقة عمان وأثره منذ عام 1507م، مع الصراع الهرمزي بين أسرة الهرامزة من أجل حكم منطقة الخليج العربي، الصراع الزيدي الطاهري على اليمن وانعكاساته الداخلية والخارجية منذ عام(1507م-1538م).

***القسم الثالث:**

يتناول هذا القسم سياسة الدعم العثماني للقوى المحلية بساحل افريقيا الشرقية ضد البرتغاليين وحلفائهم من الأحباش، ظهور حركة المقاومة المحلية بتحالف الإمام أحمد بن براهم مع العثمانيين ضد الأحباش

والبرتغاليين عام(1528م-1534م)، تحالف الإمام نور بن الوزير مع العثمانيين ضد الأحباش والبرتغاليين عام(1550م-1567م)، أهداف سياسة التحالف العثماني مع هذه القوى المحلية، اضافة الى دراستنا لأسباب ظهور الثورات الخليجية ضد سياسة الغزو البرتغالي في منطقة الخليج العربي ما بين عام(1521م-1529م)، كما تطرقنا في هذا القسم الى سياسة الدولة العثمانية واستراتيجياتها العسكرية لمواجهة البرتغاليين في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر وانعكاساتها السياسية والاقتصادية ما بين عام(1526م-1559م).

***القسم الرابع:**

يتعرض هذا القسم إلى دور دولة اليعاربة بعمان في استكمال مشروع الدولة العثمانية من خلال خوضها للعديد من المعارك البحرية ضد الاحتلال البرتغالي وتحرير البحرية العمانية لسواحل عمان وقلاعها، ذلك بداية من تأسيس دولة اليعاربة على يد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي عام(1624م-1649م) ودوره في توحيد أقاليم عمان الداخل من الاضطرابات السياسية والفتن الداخلية، ثم إنشائه لأسطول بحري قوي حارب به الأرمادة البرتغالية في مياه الخليج العربي وسواحل الهند ومياه البحر الأحمر وساحل شرق افريقيا، مما كان له الدور العظيم في إثارة روح الحماس الديني وزيادة رغبة المقاومة الإسلامية ضد الغزو البرتغالي، التي كانت بدايتها بمحاولاته لتحرير قلعتي مسقطوجلفار(رأس الخيمة)عام 1632م ثم تحرير قلعة ساحل الباطنة عام 1633م، محاولة لتحريرهم قلعة صحار عام(1640م-1643م)، الى غاية تحريره الأول لقلعتي صور وقريات عام(1641م-1648م).

ثم تطرقنا الى خليفة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وهو الإمام سيف بن سلطان الأول، قيامه بتحريره قلعة مسقط وعمان الساحل من الغزو البرتغالي عام 1649م، تحريره لمملكتي زنجبار وبتة عام 1652م وحصاره لممباسا عام(1660م-1665م)، هجومه على قاعدة البرتغاليين في ميناء ديو بالهند عام 1668م، حصاره لقلعة موزنبيق عام 1669م وهجومه على بتة عام 1679م، ثم بروز خليفة في الحكم وهو الإمام سلطان بن سيف الأول عام(1679م-1692م)، ظروف صراعه السياسي على الحكم مع أخيه بالعرب بن سيف بنسلطان، تمكنه من حكم عمان وتحرير ه لقلعة ممباسا بساحل افريقيا الشرقية من الغزو البرتغالي عام (1696م-1698م).

***الخاتمة(تقييم واستنتاج):**

حاولنا فيها رصد أهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها في هذه الدراسة من خلال مقاربات تاريخية (Approches historiques)، علمية ومنهجية تبرز في موضوع الدراسة، أين يمكننا عرض أهمها في النقاط التالية:

-ان الوجود الإسلامي في ساحل شرق افريقيا كان وجودا حضاريا واقتصاديا قام على سواعد المهاجرين والتجار العرب والمسلمين، لم يقم على سياسة التوسع والغزو العسكري لذلك لم يكن لسكان هذه المنطقة القدرات العسكرية الكافية لمواجهة الأخطار الخارجية الكبرى، الأمر الذي سهل على البرتغاليين السيطرة على ساحل شرق افريقيا من جهة، أما من جهة ثانية فان عدم تدخل القوى الإسلامية الكبرى لتقديم يد المساعدة والعون لها، كدولة المماليك بمصر بسبب انشغالها بمشاكلها الداخلية ساهم بشكل غير مباشر في سقوط هذه المنطقة.

-مما تقدم ذكره نستنتج بأن البرتغاليين لم يواجهوا قوى سياسية متحدة في جبهة واحدة بل واجهوا أوضاعا سياسية متردية، ومشيخات عربية متطاحنة فيما بينها ما سهل عليهم السيطرة على منابع التجارة الشرقية، بداية من ساحل شرق افريقيا الى غاية الساحل العماني والخليج العربي.

يعتبر اعدام بيري ريس من بين الأخطاء التاريخية الكبر ى التي وقعت فيها الدولة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني، حيث أن اعدامه لهذا العالم الجغرافي والملاح وقائد الأسطول البحري العثماني، مقابل عدم منحه حتى فرصة الدفاع عن نفسه، فكان من الأجدر بالديوان العثماني هو استدعاء بيري ريس والسماع إليه حول أسباب ودوافع رفعه للحصار البحري من مضيق هرمز، لا الحكم عليه غيابيا وهو مسجون في سجن القاهرة بمصر، فليس من المعقول والمقبول تاريخيا أن تكافئ هذه الشخصية العظيمة بهذه الطريقة البشعة، هي التي أفنت حياتها كلها في خدمةالسلطان العثماني و الأسطول البحري، بمياه البحر الأبيض المتوسط وخليج عدن والخليج العربي.

-لقد قلل الكثير من الباحثين والمؤرخين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأديانهم من الدور الدولة العثمانية ضد الغزو البرتغالي خاصة في منطقة الخليج العربي سواء بقصد أو بغير قصد، لكن الحقيقة التاريخية التي أثبتتها لنا العديد من المصادر والوثائق الأرشيفية أكدت لنا بأن الدولة العثمانية قد

قامت بجهود كبيرة في اطار سياستها مع منطقة الخليج العربي، خير دليل على ذلك تلك الحملات العثمانيةبحرا و المسخرة لتحرير الخليج العربي بداية من حملة بيري ريس عام 1552م وحملة مراد ريس عام 1553م وسيد علي ريس عام 1554م كذلك، حملة علي ميرال بك عام 1581م الذي انطلق من سواحل اليمن وألحق أضرار بليغة بالبرتغاليين في ميناء مسقط، ليتجه بعدها نحو سواحل شر ق افريقيا لنجدة المسلمين هناك، كل هذه الحملات البحرية جندت من أجلها أموال ضخمة وأساطيل وأجناد كبيرة، بحيث يرجع هذا الإهتمام العثماني المتزايد بالمنطقة الى ادراك السلطان سليمان القانوني لفداحة الأضرار السياسية والإقتصادية والدينية التي خلفها الغزو البرتغالي هناك.

-من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها يمكننا القول بأن حملة العمانيين على مملكة بتة عام 1679م هي من بين أهم الحملات العسكرية في ساحل شرق افريقيا، حيث تجسدت فيها مظاهر التفاهم والتعاون العسكري والديني بين البحرية العمانية وبين مسلمي مملكة بتة، الذين اتحدوا في جبهة واحدة موحدة ضد الغزو البرتغالي هناك، لتعبر هذه المعركة في الوقت نفسه عن عمق العلاقات الموجودة بين الشعبين، عكس ما تروج له بعض الكتابات الغربية على أساس أن العلاقة الموجودة بين الشعبين هي علاقة تجارية واقتصادية بحتة فقط.

-ان تصفية الوجود البرتغالي من ساحل شرق افريقيا كان له الأثر الهام على حركة انتشار الإسلام بعد قرابة قرنين من الزمن، من تعطل انتشاره في المناطق الداخلية بإفريقيا بشكل محدود جدا، اضافة الى تدفق الهجرات الخارجية من شبه الجزيرة العربية الى منطقة ساحل شرق افريقيا لكن حلول عام 1698م، كان نقطة التحول في تاريخ انتشار الإسلام هناك، عندما استطاعت السلطة العمانية أن تهيئ له الظروف المناسبة والأرضية الخصبة لانتشاره وتركيز دعائمه.

ان انجاز أي بحث لا يخلو من جود بعض الصعوبات والعراقيل المختلفة وفي دراستنا هذه واجهتنا العديد من الصعوبات والعراقيل التي نذكر أهمها:

-ان الوصول إلى مصادر المادة العلمية الموجودة في دول الخليج العربي في هذا الموضوع المطروح يحتاج منا السفر الى مراكز البحث ودور الأرشيف هناك، اضافة الى أن أغلبها مكتوب باللغة الأجنبية ما يحتاج الى جهد مضاعف لترجمة تلك المصادر الأرشيفية بالغة الإنجليزية.

-واجهتنا صعوبة في هيكلة موضوع هذه الدراسة وتحديد أبعادهاوا إطارها العام زمنيا ومكانيا وضبط، أحداثها بتسلسل كرونولوجيا خلال فترة الدراسة الممتدة على مدار قرنين من الزمن(1497م-1698م)، لكننا تمكنا إلى حد بعيد بفضل من الله وتوفيق منه من ضبط فترة هذه الدراسة لتكون متكاملة ومتناسقة ومعمقة في نفس الوقت.

-صعوبة ضبط كل أماكن الدراسة جغرافيا مع مختلف الأحداث التاريخية لترابط هذه الأحداث وتداخلها في كثير من الفترات والمواضع بمناطق أخرى، مثل ارتباط أوضاع منطقة الخليج العربي بأوضاع منطقة ساحل إفريقيا الشرقية والبحر الأحمر والمحيط الهندي والعكس صحيح أيضا، بحيث لا يمكن التحدث عن موضوع الغزو البرتغالي ودور الدولة العثمانية والعمانية في مواجهته دون الرجوع إلى كل من منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر وساحل إفريقيا الشرقية، خلال موضوع الدراسة ما احتاج مني جهدا مضاعفا لتوزيع أقسام وفصول هذه الدراسة وجزئياتها على جميع هذا المجال الجغرافي الشاسع والواسع.

لاشك بأن كل هذه المسائل المشار إليها سابقا والتي أعتبرها عقبات وضعت في طريقي لبلوغ الأهداف المرجوة في انجاز هذه الدراسة، هي مشاكل قد تواجه أي باحث في مجال التاريخ.

ي/مناهج ادراسة: اتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع في مختلف فصوله وأجزائه على مجموعة من المناهج العلمية المعروفة في مجال الدراسات التاريخية وهي:

***المنهج الوصفي:**

استخدمنا هذا المنهج لسرد الإحداث التاريخية ووصفها وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني في غالب الأحيان، كما راعينا في ذلك كل ما له علاقة بالموضوع الموصوف وا إن هذا المنهج يمثل مجموعة الطرق التي يتبعها الباحث للوصول إلى الحقيقية التاريخية، ذلك من خلال سرده لمختلف التطورات المتلاحقة لصراع العثمانيين والعمانيين بمساعدة القوى المحلية والإقليمية هناك ضد الغزو البرتغالي وملوك الحبشة، في البحار الشرقية والخليجية وساحل شرق إفريقيا خلال القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

***المنهج التحليلي النقدي:**

استعملنا هذا المنهج في تحليل الوقائع التاريخية ومناقشتها وربطها ونقدها مع بعضها البعض، بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية لبناء استنتاجات مختلفة لأحكام جزئية أو عامة.

***المنهجين التحليليو الوصفي:**

وظفنا هذين المنهجين معا في العديد من المواضع التاريخية وذلك قصد تتبع الحقيقة التاريخية والنظر إلى ما وراء الحدث التاريخي، لفحص وتمحيص مختلف الحقائق التاريخية والوقوف عند غثها وسمينها مرجحين بعض الحقائق التاريخية على بعضها الأخر انطلاقا من الحجج القوية والعلل الدامغة، التي تحتوي عليها مختلف المصادر الأرشيفية والمراجع التاريخية العربية والمعربة المتوفرة لدينا في موضوع هذه الدراسة، عن طريق استخدام أسلوب المقابلة في أقوال وأراء المؤرخين مع بعضها البعض للوصول إلى مقاربة تاريخية منصفة الى حد ما.

قائمة المختصرات:

د ت: بدون تاريخ.

د ن: بدون دار النشر.

د ط: بدون طبعة.

د ع: بدون عدد.

ص: صفحة.

ج: الجزء.

ط: الطبعة.

م: التاريخ الميلادي.

هـ: التاريخ الهجري.

T:tome.

VOL: volume.

P: Page.

S.D: Sans Date.

S.D.L.E: Sans Date et lieu d'Edition.

N°: Numéro.

ANTT: Arquivo Naciona da Torre do Tambo.

"القسم الأول"

"الغزو البرتغالي لسواحل إفريقيا الشرقية والبحر الأحمر، دوافعه وأطواره عام(1497م-1596م)".

الفصل الأول: دراسة لأوضاع منطقة ساحل شرق افريقيا من البحر الأحمر الى المحيط الهندي (1497م-1507م):

*التحديد السياسي والجغرافي لساحل الزنج وساحل شرق افريقيا.

أ/واقع الممالك الاسلامية المطلة على مياه البحر الأحمر عام(1497م-1507م).

ب/واقع الممالك الاسلامية المطلة على مياه المحيط الهندي عام(1497م-1507م).

الفصل الثاني: التحالف الصليبي البرتغالي-الحبشي ضد مسلمي شرق افريقيا دوافعه وأبعاده:

أ/بداية الاتصالات بين الأحباش والبرتغاليين.

ب/سفارة المبعوث البرتغالي بيدرو دي كوفيلهام(Pedro de Covilham)عام(1487م-1510م).

ج/سفارة المبعوث الحبشي ماثيو(MATHIEU)عام(1510م-1515م).

د/سفارة المبعوث البرتغالي رودريجو دي ليما(Redrigo de Lima)عام(1520م-1521م).

الفصل الثالث: الدوافع المساعدة على توسع البرتغاليين في سواحل افريقيا الشرقية:

أ/الدوافع الدينية.

ب/الدوافع الاقتصادية.

ج/الدوافع الإستراتيجية والجيوسياسية.

الفصل الرابع: جرائم الغزو البرتغالي في دول وممالك ساحل شرق افريقيا عام(1497م-1596م):

أ/حملات أسطول فاسكو دي غاما(VASCO DE GAMA)على مدن ساحل شرق افريقيا عام(1497م-1502م).

ب/مراحل السيطرة البرتغالية على مدينة كلوة عام(1502م-1506م).

ج/استسلام مدينة زنجبار لأسطول القائد البرتغالي لورانزو رافاسكوا عام 1503م.

د/استسلام مدينة بمبا للبرتغاليين عام(1503م-1504م).

ه/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة مقديشو عام 1506م.

و/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة براوة عام 1506.

ز/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة لامو عام 1506م.

ح/سيطرة أسطول القائد البرتغالي بيدرو دي أنيايا على مدينة سفاله عام 1506م.

ط/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة بات عام(1506م-1507م).

ي/سيطرة أسطول القائد البرتغالي غوميز دي آبرو على مدينة موزنبيق عام 1707م.

ك/استسلام مدينة مافيا للبرتغاليين عام 1510م.

ل/مراحل السيطرة البرتغالية على مدينة ممباسه عام(1498م-1596م).

م/بناء البرتغاليين لقلعة المسيح أو اليسوع في ممباسه عام 1593م.

ن/مدينة ماليندي الحليف الاستراتيجي الثاني للبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا خلال القرن 16 م.

الفصل الخامس: العوامل المساعدة والنتائج المترتبة عن سيطرة البرتغاليين على سواحل شرق افريقيا خلال القرن 16م:

*العوامل المساعدة في سيطرة البرتغاليين على سواحل شرق افريقيا:

أ/العوامل السياسية.

ب/العوامل العسكرية.

*النتائج المترتبة على غزو البرتغاليين لسواحل شرق افريقيا:

أ/النتائج الدينية.

ب/النتائج السياسية.

ج/النتائج الاقتصادية.

الفصل السادس: خصائص السياسة الاستعمارية البرتغالية في سواحل شرق افريقيا ودوافعها خلال القرن 16م.

الفصل السابع: محاولات أساطيل البرتغال لسيطرة على سواحل البحر الأحمر عام (1507م-1541م):

أ/حملة القائد ألفونسو دي ألبوكيرك عام (1507م-1515م).

ب/حملة القائد لوبو سواريز دي أليجاريا عام 1517م.

ج/حملة القائد ديوجو لوبيز دي سيكيرا 1520م.

د/حملة القائد أنطونيو دي أميراندا عام 1528م.

هـ/حملة القائد استيفاو دي غاما عام 1541م.

الفصل الأول:

دراسة لأوضاع منطقة ساحل شرق افريقيا من البحر الأحمر الى المحيط الهندي عام(1497م-1507م):

***التحديد السياسي والجغرافي لساحل الزنج وساحل شرق افريقيا.**

أ/واقع الممالك الاسلامية المطلة على مياه البحر الأحمر عام(1497م-1507م).

ب/واقع الممالك الاسلامية المطلة على مياه المحيط الهندي عام(1497م-1507م).

***التحديد السياسي والجغرافي لساحل الزنج وساحل شرق افريقيا:**

لقد تميزت العلاقة الموجودة بين شبه الجزيرة العربية وساحل شرق افريقيا بعمق جذورها التاريخية، لكون ساحل شرق افريقيا يعد من بين أهم المنافذ الرئيسية التي تسربت وانتقلت من خلالها الحضارة العربية الإسلامية الى القارة الإفريقية بشكل عام وشرق افريقيا بشكل خاص، ظهرت أول تلك المؤثرات العربية في منطقة زنجبار(Zanzibar) وهي كلمة فارسية الأصل تعني "ساحل الزنج"(*) أو ما يعرف حاليا باسم زنجبار(*) أي المنطقة الممتدة من الساحل الشرقي لإفريقيا، انطلاقا من رأس غٌر دفوي"(Gourdafui) الى منطقة خليج "دلجارو" (Dalgaro) وتبدأ من حدود خط عرض11,50 ° شمال خط الاستواء الى غاية حدود خط عرض10°جنوب خط الاستواء، حيث يشمل هذا الاقليم السياسي حاليا الجزء الجنوبي من جمهورية الصومال ويجمع كذلك كل من أراضي جمهورتي كينيا وتنزانيا معا، المقصود هنا من منطقة ساحل شرق افريقيا جغرافيا هو ذلك الجزء الساحلي المطل من القارة الافريقية على مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي مباشرة، الذي يمتد من منطقة سواكن(*) ومصوع(*) شمالا الى غاية منطقة سفاله(*) جنوبا.

(*) ساحل الزنج: المقصود به هنا هو ساحل الزنوج أو ساحل السود في شرق افريقيا حيث ساد عند العرب المسلمين تسمية سكان هذه المنطقة بالزنوج نسبة الى لون البشرة السوداء، أنظر: الادريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج01، ط01، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص ص 58-59.

(*) زنجبار: تعني بالفارسية ساحل الزنوج عند الفرس وهو ما يشمل حاليا كل من المنطقة الممتدة من الجزء الجنوبي لجمهورية الصومال وكل من جمهورتي كينيا وتنزانيا، وأن كلمة زنجبار كلمة عربية محرفة أصلها **"بر الزنج"** وتسمى زنجبار بالغة السواحلية **"أنغوجاء"** أي الصحن الممتلئ ولقد وصفها لنا البحار العربي **" ابن ماجد"** عندما زارها في القرن العاشر الهجري بأنها :<<**بلدة ذات أشجار وفيرة وأنهار جارية ومساجد عامرة وصل عدد مساجدها الأربعين مسجدا**>>، أنظر: الادريسي، المصدر نفسه، ص ص 58-59، وأنظر كذلك: محمد محمد أمين، تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1978، د ص، وأنظر عن وصف ابن ماجد لمملكة زنجبار: ابن ماجد شهاب الدين أحمد، ثلاثة أزهار في معرفة البحار، تحقيق ثيودور شوموفسكي، ترجمة وتحقيق محمد منير مرسي، دار عالم الكتب، القاهرة، 1970، ص 299، وأنظر كذلك: سعيد بن علي المغيري، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص ص(15،16).

(*) سواكن: هي مدينة تقع بالقرب من جزيرة عيذاب تتميز بامتلائها الدائم بالتجار وسكانها يدينون بالإسلام تكثر فيها تجارة الرقيق واللؤلؤ وهي قريبة من بلاد الحبشة، أنظر: أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، باريس، 1840، ص ص 371-380.

(*) مصوع: هي مدينة تقع في اقليم سمهد وهو أحد أقاليم اريتريا المطل على البحر الأحمر وهي من أقدم المدن الاريتيرية، مينائها هو أول ميناء تجاري في البلاد، احتلها البرتغاليون بقيادة أسطول دي ليما(De lima)عام 1520م ثم حررها الأتراك العثمانيون عام 1557م، أنظر: شاكر مصطفى، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1997، د ص.

(*) سفالة: تقع سفالة في أقصى جنوب ساحل شرق افريقيا وقد استوطنها المسلمون العرب في القرن العاشر الميلادي، هي تعد مركزا لتجارة الذهب والحديد كما يتحدث أهلها اللغة العربية الى جانب اللغة السواحلية وان سفالة بلاد خصبة التربة ووفيرة المياه، أنظر: أبو الفداء، المصدر نفسه، ص 156، وأنظر كذلك:=

كما أطلق الاغريق على منطقة شرق افريقيا اسم "**أزانيا**" ثم أصبحت تسمى بعدها باسم أرض الزنج التي ينسبها الكثير من المؤرخين الى أصول فارسية كذلك[1]، قد استمدت أيضا جزيرة زنجبار اسمها من كلمة "**الزنج**" اذ ارتبطت فكرة العبودية لدى سكان أوروبا عامة بلون البشرة السوداء وكأنهما عملة واحد بوجهين مختلفين، حيث يشبه لنا الشاعر العربي "**أبو مخوف**" المتوفي في عام 774م حالة العبودية مع لون البشرة في هذا البيت الشعري فيقول:**(أقاد في دمشق وكأنني عبد ذليل من الزنج)**[2].

فلم يكن أحد ليستطيع أن يخاطر بنفسه ويسافر الى بلاد الزنج فقد شاعت القصص الرهيبة في أوروبا كلها عن أكلة لحوم البشر، عن المحاربين الأفارقة الذين لا يعرفون سوى البطش والتنكيل بالمسافرين الآمنين فمنهم من وجد جلده وقد انسلخ عن جسمه[3]، غير أن ما جعل بلاد الزنج مميزة عن غيرها من مر اكز التجارة الشرقية هو الرقيق الذي يباع فيها فان أي شخص يبحر الى أرض الزنج لا يتوقع منه إلا أن يشتري بعض الشبان السود الأصحاء، حيث وصل سعر"**الجواد الأسود**"[*] 160 دينارا من الذهب فقد كان ملوك أوروبا يفتخرون كثيرا عند اتخاذهم لحرس شخصي مؤلف من المحاربين السود.[4]

لقد كانت بلاد الحبشة أو الحبش[*] مصدرا وفيرا لهؤلاء العبيد السود حيث كان الوصول اليها يتم عن طريق الجانب الغربي من البحر الأحمر، حيث يشير لنا الادريسي في كتابه"نزهة المشتاق" الى أن بلاد

Diogo de Alcasova, Letter of Diogo de Alcasova To The King Dom Manuel Conserning Sofala , In The East African Coast(Select Documents),Tr By Theal, Edited By Freeman & Grenville,Oxford, 1962,p.p. 120-124.

(1) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب البيروتية، لبنان، 1982، ص 119.
(2) محمد بن شاكر ابن أحمد الكتبي، فوات الوفايات والذيل عنها، تحقيق احسان عباس، ط01، دار صادر، بيروت، 1973، د ص.
(3) ريتشارد هول، امبراطورية الرياح الموسمية، ترجمة كمال يوسف حسين، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 1999، ص 36.
(*) الجواد الأسود: المقصود به هنا هو العبد الإفريقي في معنى القول.
(4) لمزيد من المعلومات عن سعر العبيد في أسواق أوروبا أنظركتاب: العرب في اسبانيا والبرتغال لجي– ريد.
J.Read, The Moors in Spain and Portugal, London, 1974.
(*) بلاد الحبش: هي الكلمة العربية التي أطلقت على هذا الاقليم فقد وصف أي شخص أسود بأنه حبشي حيث أورد المقدسي وهو شاعر من بغداد في شعره وصفا لبعض السلع التي يتم استيرادها من ساحل افريقيا بقوله **"الدرق والحبش والخدم وجلود النمور"**، أنظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المصدر السابق، ص 120، وأنظر كذلك عن الشاعر المقدسي البغدادي: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، 1987، ص 92.

الزنج هي من تستقبل قوافل التجار القادمين اليها من شتى أقطار البحار الشرقية وحتى من أندونسيسا، في قوله: **(ليس للزنج مراكب يسافرون بها وا إنما تدخل المراكب من عمان وغيرها...فيبيعون متاعهم وأهل جزائر الرانج(*) يسافرون الى الزنج في زوارق ومراكب صغيرة فيجلبون منها امتعتها)**[1].

وسميت الدول الاسلامية التي تأسست على طول الشريط الساحلي الممتد من مياه البحر الأحمر وخليج عدن باسم دول"**الطراز الإسلامي**"، لأنها كانت تشبه في صورتها المتناثر شكل الطراز في الثوب وهي نفسها الدول التي عانت من ظروف الغزو البرتغالي والحبشي لها مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، أما بقية الدول الافريقية المطلة على المحيط الهندي فقد أطلق عليها اسم "**بر السومال**"[2] أو"**بر الزنج**"[3].

ومع مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عرفت دول ساحل شرق افريقيــاوا إماراتها العربية، استكمال مقوماتها الاسلامية والدينية نتيجة الهجرات التي وفدت اليها من سواحــل الخليج العربي وبالخصوص من سواحل عمان واليمن وشبه الجزيـة العربية، بسبب التقارب الجغرافـي لهذه الدول من جهة وبسبب الموقع الجغرافي المقابل جنوبا لدول الطراز الاسلامي حيث لعبت التجارة بين دول الساحل الشرقي لإفريقيا ودول الخليج العربي حلقة هامة في تبادل الثقافات وانتشار الاسلام بصورة متزايدة عن طريق التجار ة والمصاهرة بين شعوب وقبائل دول الساحل الشرقي لإفريقيا[4].

بهذا أصبح لدى العرب المسلمين دوافع جديدة من أجل الاستقرار هذه المناطق الافريقية وا إقامة كيانات سياسية عربية ذات خصائص اسلامية، مما زاد في عدد الوافدين العرب القادمين من مختلف بقاع العالــم الاسلامي مشكلين بذلك العديد من المدن والإمارات الاسلامية التي تبدأ من سواحل الصومال

(*) الرانج: المقصود بها هنا هي أندونيسيا حاليا، أنظر: ريتشارد هول، امبراطورية الرياح الموسمية، المرجع السابق، ص 59.

(1) الإدريسي، المصدر السابق، ص ص(60،61).

(2) ابن ماجد شهاب الدين أحمد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق ابراهيم خوري وعزة حسن، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971، ص ص 249-267، و أنظر أيضا: سليمان المهري أحمد بن أحمد، العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق ابراهيم خوري، ج01، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، 1970، ص ص 86-87.

(3) ابن ماجد، نفسه، ص 170، وأنظر كذلك: سليمان المهري أحمد بن أحمد، المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر، تحقيق ابراهيم خوري، ج02، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980، ص ص 54-55.

(4) شوقي عطاء الله الجمل، تاريخ كشف افريقيا و استعمارها، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971، ص 36.

شمالا حتى موزنبيق ومصب نهر الزمبري جنوبا[1]، ان هذا الانتشار العربي الاسلامي في هذه المناطق ما هو إلا مرحلة جديدة من مراحل التوسع الاسلامي الذي جاء نتيجة جهود أفراد وجماعات قدمت الى هذه المناطق قصد التجارة والاستقرار، اذ حتم عليهم عامل الجوار الذي به انتقلت التجارة والإسلام و اللغة الى هذه المناطق[2]، قد نتج عن اندماج المهاجرين العرب بالأفارقة لغويا ودينيا وثقافيا وحضاريا تشكل جنس جديد هو الجنس "**السواحلي**" الذي نتج عن زواج العرب مع الأفارقة والذي بدوره يتكلم اللغة السواحلية[*]التي تشبه اللغة العربية الى حد بعيد لكونها مستقاة من أصولها اللغوية لكن اختلاف التحدث بها يكمن في نوع القبائل التي احتكت مع المسلمين من حيث كثرة التعامل التجاري بها معهم أو قلته[3].

لقد استعمل سكان الخليج العربي سفنا شراعية تسمى باسم" **الداوات**" (Dahows)[4] في ابحارهم الى مناطق ساحل شرق إفريقيا وبلاد الهند، بحيث أكد لنا صاحب كتاب "**الدليل الملاحي للبحر الاريتري**"[5]،(The Periplus Maris Erythrean)عن كثرة السفن العربية التي كانت تبحر في

(1) جمال زكريا قاسم، الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشوفات الجغرافية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1977، ص 12.

(2) المغربي أبوا الحسن علي بن موسى بن سعيد، الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ص ص(82،81).

(*) اللغة السواحلية: هي لغة ظهرت في سواحل افريقيا الشرقية نتيجة احتكاك التجار العرب ومعاملاتهم التجارية مع القبائل الإفريقية، وهجرة العديد من سكان عرب الخليج وعمان واليمن وشبه الجزيرة العربية الى هذه المناطق وتصاهرهم مع سكان افريقيا الشرقية، ما أنتج لهجة جديدة سميت بالسواحلية لأنها وليدة من الساحل الإفريقي وهي لغة تكتب بحروف عربية أصيلة كذلك كما امتدت أيضا حتى أدغال افريقيا الوسطى والاستوائية وحوض الكونغو، أنظر: باتيبو، <<اسهام اللغة العربية في انماء الغة السواحلية وتطويرها>>، الاسلام اليوم، السنة 1984، العدد02، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الدار البيضاء، ص ص 44-45، وأنظر كذلك: سبنسر ترمنجهام، الاسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، ترجمة محمد عاطف النووي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص 40.

(3) Salim A.I, The Swahili Speaking peoples of Kenya Coast, Neirobi, 1973, p. 76.

(4) الدوات: وهي عبارة عن سفن صغيرة ذات شراع واحد استعملت قديما بين رحلات سكان منطقة الخليج العربي وساحل شرق افريقيا وبلاد الهند، هي تعتمد في ابحارها على الرياح الموسمية التي تدفعها في فصل الخريف والربيع، أنظر: جورج فاضلوا حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958، ص 24.

(5)المرجح أن صاحب كتاب **" الدليل الملاحي للبحر الاريتري"** هو من أصول اغريقية عاش في مدينة الاسكندرية بمصر ومارس مهنة تاجر أو ربان سفينة بحرية نتيجة علمه واطلاعه الكبير بخبايا البحر الإريتري خلال القرن الأول للميلاد، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الانجليزية من طرف المؤلف "سكوف":

Schoff W.H, The Perplus of The Erythrean Sea, New York, 1912.

سواحل شرق افريقيا وعن ازدهار النشاط التجاري خاصة في تجارة الذهب والعاج والرقيق حيث وفد الى شبه الجزيرة العربية أعداد كبيرة من الأفارقة للعمل هناك سواء في الحراسة أو الرعي أو الزراعة.

كما ذكر لنا معرفة عرب الخليج للغة هذه القبائل الافريقية مؤكدا بأنهم اكتفوا فقط بالتمركز في سو احل هذه المناطق ولم يتوغلوا الى داخل القارة الإفريقية، حيث أنه لم يحدث أي توغل فعلي داخل أدغال قارة افريقيا إلا في مرحلة النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد حسب ما أشار اليه العديد من الرحالة العرب و الأوربيين[1]، مع حلول مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي استكملت مدن وا ٍمارات ساحل شرق افريقيا ودويلات الطراز الاسلامي مقوماتها الاسلامية بصبغتها العربية مشكلة بذلك سلسلة مترابطة من الشمال الى الجنوب، الإشكالية المطروحة هي ما واقع هذه الممالك الإسلامية الإفريقية ؟ وما مميزاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قبل غزو البرتغاليين لها؟.

أ/واقع الممالك الاسلامية المطلة على مياه البحر الأحمر(1497م-1507م):

أ/مملكة أوفات: وهي مملكة تقع في بداية ميناء زيلع المطل على خليج عدن وكل أجزاء اقاليم هرر و امارتي مورا وعدل، حيث كانت أوفات من أقوى ممالك الطراز الاسلامي المطلة على البحر الأحمر في القرن الخامس عشر للميلاد، لكونها قد سيطرت على أهم طرق التجارة الموجودة في المنطقة والمؤدية نحو البحر الأحمر، قد وصف لنا "المقريزي" مساحتها فقال:**(بأن طول مملكة أوفات خمسة عشر يوما في عرض عشرين يوم)**[2]، الملاحظ هنا أن طول هذه الممالك في تلك الفترة كان يقاس بالأيام.

ب/مملكة دوارو:وهي المملكة الثانية بعد مملكة أوفات أهلها من قبائل السداما[*](Sidama)المسلمين وهي تقع في جنوب منطقة شوا وتمتد جنوبا حتى نهر ويبي(Webi) ودوارو مملكة صغيرة الحجم

(1) جمال زكريا قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد10، القاهرة، 1967، ص 276، وأنظر كذلك: سيد حامد حريز، <<المؤثرات العربية في شرق إفريقيا>>، مجلة البحوث والدراسات العربية، السنة1984، العدد11، القاهرة، ص 13.

(2) المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر العبيد، الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، 1895، ص 06، وأنظر: علي أحمد نور، النزاع الصومالي الإثيوبي، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1978، ص 28، وأنظر: سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 67.

(*) قبائل السداما: سميت بالقبائل الحامية وهي التي استوطنت مملكة الحبشة واعتنق بعض أهلها الاسلام والبعض الأخر منهم بقي يدين بالديانة الوثنية ويقطنون حول نهر جيبي Gibeوبحيرة أباي Abay بمملكة الحبشة، ولهذه القبائل عدة فروع منها (زنجارو- وجافات- المانشو- البوشا)، أنظر: سبنسر ترمنجهام، نفسه، ص ص 66-180.

والمساحة حيث وصف لنا المقريزي أبعادها فقال:**(تمتد مملكة دوارو بطول خمسة أيام وعرض يومين)**[1].

ج/مملكة بالي: تقع مملكة بالي الى الجنوب من مملكة دوارو وهي محصورة بين نهر ويبي (Wibi) من الشمال وجبال دوريا (Dorai) من الجنوب، معظم سكانها من قبائل السداما ويبلغ طولها حسب ما أشار اليه المقريزي**(بعشرين يوما في عرض ستة أيام)**[2]، تميزت معاملاتها التجارية بنظام المقايضة كما خضت مملكة بالي الى حكم مملكة الحبشة النصرانية، حيث كان حكامها يعينون ويعزلون من طرف الأحباش فقط، تميزت أراضي مملكة بالي بالخصوبة ماساهم في تنوع منتجاتها الزراعية بكثرة.

د/مملكة هدية: تقع مملكة هدية في أقصى غرب الممالك الاسلامية وهي محصورة بين نهري عواش وجيبي ووصفها لنا المقريزي في نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي بأنها:**(من أكثر الممالك الاسلامية عسكرا)**[3] ما يدل على قوتها العسكرية، لكن المؤرخ البرتغالي ألفاريز فرانسيسكوا(Alvarez Francisco) يقول عكس ذلك تماما حيث يؤكد لنا في العديد من مواضع كتاباته بأن مملكة هدية قد عقدت العديد من الاتفاقيات السلمية مع مملكة الحبشة، كما كانت تخضع لها مباشرة في تعيين ملوكها ويستدل ألفاريز على صحة كلامه، من خلال تعيين ملك الحبشة للقساوة وبنائه للكنائس بها وتقديم حاكم مملكة هدية للجزية السنوية لأحباش[4]، لقد اشتهرت مملكة هدية بتجارة الرقيق الذي كان يباع الى ممالك أوروبا ويبلغ طولها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام[5].

هـ/مملكة أرابيني: تقع مملكة أرابيني في الشمال الشرقي من بحيرة تانا (Tana) يبلغ طولها أربعة أيام وعرضها أربعة أيام كذلك، سكانها مسلمين ويتبعون المذهب الحنفي[6].

---

(1) المقريزي، الالمام...، المصدر السابق، ص 07.
(2) نفسه، ص 08، وأنظر كذلك: يوسف أحمد، الاسلام في الحبشة، مطبعة حجازي، القاهرة، 1935، ص 26، وللمزيد أنظر: فتحي غيث، الاسلام والحبشة عبر التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998، ص 88.
(3) المقريزي، نفسه، ص 07.
(4) Alvarez Francisco, Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia(1520-1527), translated into English by Lord Stanley, New York, 1970, p. 347.
وأنظر أيضا: سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 66.
(5) المقريزي، نفسه، ص 07.
(6) نفسه، ص 07، وأنظر أيضا: ترمنجهام، نفسه، ص 67.

و/مملكة شرخة: وتقع مملكة شرخة غرب أوفات بين هدية ودوارو ويبلغ طولها ثلاثة أيام في عرض أربعة أيام، أهلها مسلمون ويتبعون المذهب الحنفي(1).

ز/مملكة دارة: وتقع مملكة دارة في الشمال الشرقي من مملكة هدية والى الغرب من مملكة أوفات يبلغ طولها ثلاثة أيام وعرضها ثلاثة أيام وهي من أضعف الممالك الاسلامية ومن أقلها مساحة، سكانها مسلمون ويتبعون المذهب الحنفي(2).

ح/مدينة هرر: وتقع مدينة هرر في اقصى جبال أمحرة أسسها التجار العرب والمهاجرين اليها من شبه الجزيرة العربية بحيث أصبحت هرر مركزا تجاريا هاما لنشر الدعوة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا، هي منطلق لحركة الجهاد الاسلامي ضد البرتغاليين مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد في عهد الامام أحمد بن براهم(3).

ط/مدينة سواكن: وتقع مدينة سواكن بالقرب من جزيرة عيذاب وسواكن مدينة عامرة بالسكان قريبة من ساحل قبائل "**البجاه**"(*) بإفريقيا، هي قريبة من بلاد الحبشة لذلك كان سكانها يتاجرون بالرقيق المجلوب من بلاد الحبشة كما انتشر فيها تجارة بيع اللؤلؤ(4).

ي/امارة دهلك: وتقع امارة دهلك بمحاذاة الساحل الشرقي لإفريقيا وهي عبارة عن مجموعة من الجزر المقابلة للبحر الأحمر، أهلها من المسلمين الذين خضعوا الى سلطة مملكة الحبشة النصرانية ويدفعون ضرائب سنوية اليها كما قامت امارة دهلك بربط عدة علاقات تجارية وسياسية مع جيرانها في شبه

---

(1) المقريزي، المصدر السابق، ص 08، وأنظر كذلك: ترمنجهام، المرجع السابق، ص 67.

(2) نفسه، ص 08، وأنظر كذلك: ابراهيم علي طرخان، <<الاسلام والممالك الاسلامية في الحبشة>>، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، السنة 1959، العدد 08، القاهرة، ص 41.

(3) محمد المعتصم سيد، <<دول اسلامية في شرق إفريقيا>>، مجلة دراسات في الإسلام، السنة 1964، العدد 36، القاهرة، ص ص(29،28)، وأنظر كذلك: حسن أحمد محمود، الاسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 451.

(*) قبائل البجاه: هم القبائل الرحل الذين نزحوا من شبه جزيرة العرب الى ساحل السودان ثم استقروا بين نهر النيل وساحل البحر الأحمر، ساهمت قبائل البجاه في انتشار الاسلام بشرق افريقيا وينقسم قبائل البجاه الى ثلاثة قبائل هم: البشاريين و الهدندوه و بني عامر، للمزيد حول قبائل البجاه أنظر:

MAC MICHAEL H.A, A history of The Arabs in The Sudan, Volume 01, Cambridge, 1922, p. 35.

(4) أبو الفداء، المصدر السابق، ص 371، وأنظر كذلك: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 323.

الجزيرة العربية خصوصا بلاد اليمن(1)، حيث يذكر لنا المؤرخ اليمني" ابن الدبيع" عن هذه العلاقات في أحداث شهر جانفي عام 1430م فيقول:(...**أن صاحب دهلك قد أرسل الى ملك اليمن الظاهر(*) هدايا من جملتها فيل وأسد وزرافة وجوار وعبيد وزباد ... وغير ذلك)**(2).

في هذا السياق تجدر بنا الاشارة الى أن هذه العلاقة تبين لنا مدى الأهمية التاريخية والاقتصادية التي تحتلها منطقة شبه الجزيرة العربية مع دول الساحل الشرقي لإفريقيا، خلال مطلع القرن السادس عشر للميلاد وهذا ما سوف نتتبعه في دراستنا لحركة المقاومة ضد الغزو البرتغالي والحبشي والتي قادها الامام أحمد بن براهم ضد بلاد الحبشة المسيحية المتعاونة مع البرتغاليين ضد مسلمي شرق افريقيا.

لقد كانت هذه الدول والممالك الاسلامية المطلة على ساحل البحر الأحمر قبل غزو البرتغاليين لها أسواقا عامرة بالسلع المتنوعة يقصدها الداني والقاصي، سواء بهدف الشراء أو البيع أو العمل حيث ساهم ذلك في الانتشار السريع للإسلام وازدهار هذه الدويلات تجاريا وحضاريا لكن التفكك السياسي وعدم توحدها عسكريا لمحاربة العدو النصراني الممثل في مملكة الحبشة، جعل هذه الأخيرة تفرض ضرائب سنوية على جميع هذه الممالك الاسلامية في ساحل شرق افريقيا(3)، لعل المؤرخ ترمنجهام سبنسر(Trimingham) يتفق مع هذا الطرح حينما يؤكد لنا ذلك في قوله:**(لو قدر لهذه السلطنات أن تتحد فيما بينها لكانت خطرا على وجود مملكة الحبشة المسيحية القاطنة في المرتفعات)**(4).

كما ساهم البعد الجغرافي وصعوبة التواصل بينها برا بسبب المسالك الوعرة في تفكك هذه الدويلات سياسيا وعسكريا، بالإضافة الى عدم وجود قوة عسكرية نظامية تمثلها ما عدا بعض الفلاحين والصناع الذين يستدعون في حالة الخطر فقط، مع العلم أن التعبئة العسكريـــة تستغرق وقتــا طويلا كذلك وتضعف في نفس الوقت المردود الاقتصادي لهذه الممالك الاسلامية في حالة شنها لحرب ضد مملكة

---

(1) أبو الفداء، المصدر السابق، ص 370.

(*)الملك الظاهر(1429م-1442م): هو الملك يحي بن ناصر بن اسماعيل الملقب بالظاهر من أخر سلاطين دولة بني رسول في اليمن، أنظر: أمنة حسين جلال، علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز، رسالة ماجيستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1980، ص ص 141-232.

(2) ابن الدبيع عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عمر، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989، ص 108.

(3) ابراهيم طرخان، <<الاسلام والممالك الاسلامية في الحبشة>>، المرجع السابق، ص ص 34-35، وأنظر كذلك: يوسف أحمد، الاسلام في الحبشة، المرجع السابق، ص ص(27،28).

(4) سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 66.

الحبشة النصرانية[1]أما بالنسبة الى الممالك الاسلامية في شرق افريقيا والمطلة على المحيط الهندي فقد نقل المسلمون المهاجرون اليها العديد من الصناعات فازدهرت التجارةو الفلاحة حيث شهدت المنطقة تطورا حضاريا وثقافيا واقتصاديا لم يكن معروفا قبل دخول المسلمين اليها[2].

الجدير بالذكر هنا أنه رغم الاختلافات السياسية والمذهبية بين هذه الممالك الاسلامية في شرق افريقيا إلا أن وحدة الدين واللغة قد جمعت بينهم، كما أعطت في الوقت نفسه ملمحا متشابها في مظاهر حضارتها وثقافتها وهو الأمر الذي لاحظه الغزاة البرتغاليون بأعينهم عند وصولهم الى سواحل شرق افريقيا مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد.

ب/واقع الممالك الاسلامية المطلة على مياه المحيط الهندي(1497م-1507م):

أ/مملكة مقديشو: تأسست مقديشو في القرن العاشر الميلادي بعد هجرة أسرة من قبيلة الحارث الواقعة في منطقة الاحساء بشبه الجزيرة العربية إليها، لقد اشتهرت مقديشو بصناعة المنسوجات القطنية الرقيقة التي تصدر الى بلاد مصر حيث زارها الرحالة "ابن بطوطة" في القرن الرابع عشر للميلاد ووصف لنا مشهدا من مشاهدها الحضارية حينما شاهد موكب السلطان والوزراء والجنود والخدم ومختلف المعزوفات الموسيقية التي أقيمت في هذا الموكب البهيج المار في وسط المدينة[3].

ولقد وصف لنا البحار والمستكشف البرتغالي"فاسكو دي غاما" (Vasco de Gama) مدينة موزنبيق كذلك عندما زارها في رحلته الأولى بين عامي(1497م-1499م)فقال:(..**وجدتها مدينة بيضاء كبير ة متعددة الأدوار في وسطها القصور... ذات تحصين قوي وأبراج عالية وتجارتها مزدهرة وتكثر السفن**

(1) الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972، ص 190.

(2) نفسه، ص 190، وأنظر كذلك:
Alpers Edward, Ivory and slaves in East central Africa, London, 1975, p.p. 38-40.

(3) ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهم اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط01، تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص ص 254-257.

في مينائها خاصة سفن الهند المحملة بالأنسجة والتوابل، وسفن عدن التي تحمل الذهب والعاج والشمع لذلك فهي من المدن الواسعة الثراء...)[1].

ب/مدينة براوة تقع مدينة براوة في شمال نهر جوبا الى غاية جنوب مدينة مقديشو تتميز براوة بطابعها العمراني الكثير وخاصة المساجد الضخمة، ما يدل على اسلام أهلها يحكمها كبار الشيوخ من التجار وذلك حسب ما أشار اليه المؤرخ البرتغالي "جواو دي باروس" في كتابه: "آسيا"[2].

ج/جزيرة بات:هي من الجزر الواسعة في أرخبيل لامو تحتوى على عدة مدن وتولى سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، أحد سلاطين مسقط حكم جزيرة بات في القرن الثالث عشر للميلاد مؤسسا بذلك حكم الأسرة النبهانية الأولى بشرق افريقيا[3]، اشتهرت جزيرة بات من الناحية التجارية خصوصا صناعة الأقمشة الحريرية الثمينة، كما انتشرت فيها المزارع الكبيرة من مختلف الأصناف والأشكال حيث وصفها لنا "جواو دي باروس" فقال:**(بات مدينة جميلة قوية التحصين وبيوتها من الحجر والملاط وأهلها في جهاد مستمر ضد الوثنيين في داخل القارة)**[4].

د/مدينة لامو: تقع مدينة لامو شمال مدينة ماليندي وهي من أقدم الامارات الاسلامية التي ظهرت في ساحل شرق إفريقيا، حيث وفدت اليها الهجرات العربية منذ مطلع القرن السابع للميلاد وتمكن العمانيون من تأسيس حكم عربي في مدينة لامو في القرن الثامن للميلاد على يد جماعة من شيوخ قبيلة الأزد

---

(1) Vasco de Gama, Journal of The Firest Voyage of Vasco de Gama(1497-1499), Tr. By Ravenstein, The East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville , Oxford, 1962, p.57, and Look: Barbosa Duarte, The Book of Duarte Barbosa, Trans To English by M.L. Dames, Volume 01, London, 1918, p. 31.

وأنظر كذلك: جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية، ط02، ترجمة يوسف كمال، تحقيق أشرف الوحش، دار الفظيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ص 322.

(2) Joao De Barros, Da Asai, Tr. By Theal, The East African Coast(Select Ducuments), edited by Freeman & Grenville, Oxford, 1962, p. 84.

وأنظر كذلك: السيد رجب حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1968، ص 44.

(3) المغيري، المصدر السابق، ص89، وأنظر كذلك: جيان، نفسه، ص 341.

(4) Joao De Barros, op.cit.p.29.

وأنظر كذلك: سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص ص 45-46.

العمانية، يصفها لنا البرتغالي"دي باروس" بأنها:**(مدينة مزدهرة لها أسوار حصينة...وموانئها يزدحم بالقوارب التجارية من جميع الجهات...وأهلها مسلمون في جهاد مستمر ضد وثنيي البر الرئيسي)**[1].

ه/مدينة ماليندي: تقع مدينة ماليندي[*]شمال مدينة ممباسا وهي اليوم ميناء تجاري في خليج الساحل الكيني، أسسها بعض المهاجرين من منطقة شيرازو هم أتباع السلطان حسن بن علي الذي أسس مدينة كلوة وذلك حسب ما يشير اليه المؤرخ اليمني "المغيري" في كتابة: "**جهينة الأخبار في تاريخ زنجبـــار**" حيث قام هذا الأخير بنقل مخطوطة "**السلوة في أخبار كلوة**" كاملة في هذا الكتاب[2]، كما وصف لنا المؤرخ اليمني "الحميري" مدينة ماليندي، فقال:**(هي مدينة كبيرة وحرفة أهلها الصيد برا وبحرا، وصناعة الحديد والاتجار به)**[3].

ولقد اندهش البرتغاليون كثيرا عند وصولهم مع أسطول الحملة الأولى للمستكشف البرتغالي"فاسكو دي غاما" الى مدينة ماليندي عام 1498م حيث قال "دي غاما" على مالنيدي:

(...أثارت دهشتي فخامة المدينة وشوارعها ومنازلها وألبسة سكانها الفاخرة من عمامات وعباءات وأقمشة نفيسة...فأهلها من التجار الذين يتاجرون في الذهب والعاج والشمع ومختلف البهارات... لقد كان حاكم ماليندي يرتدي عباءة ملكية من الدمقس الموشى بالحرير الأخضر... ويجلس على كرسي من البرونز...)[4].

و/مدينة ممباسا: لقد وصف لنا الرحالة العربي المغربي ابن بطوطة مدينة ممباسا[*]عندما زارها في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد، بقوله:**(هي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في**

---

(1) Joao De Barros, op.cit.p. 29.

وأنظر أيضا: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 436.

(*)ماليندي(Malindi): هي جزيرة في أرخبيل لاموا شرق إفريقيا وقد تميزت ماليندي بتجارتها الغنية والكثيرة مع شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وبلاد الهند والصين، وكان أهلها من الأفارقة المسلمين، أنظر: محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للخليج العربي وجنوبه 1507م-1525م، مركز الشيخ زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص 42.

(2) المغيري، المصدر السابق، ص 37.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص 544.

(4) Vasco de Gama, op.cit. p.p.p.53-54-56.

(*)ممباسا:تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا أسسها الحسن بن علي الشيرازي بنفسه مع مطلع القرن العاشر الميلادي، ووصفها لنا الرحالة ابن بطوطة في عام 1331م بشكل دقيق عندما زارها، خربها البرتغاليون خلال نزولهم فيها=

البحر أشجارها من الموز والليمون، والأترج وأكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح)[1].

أما الحميري فقد أشار الى نشاط سكان ممباسا في كتابه "الروض المعطار" فقال:**(أن حرفة أهلها هي استخراج الحديد وصيد النمور والتجارة)**[2] ، كما عرفت العلاقات السياسية بين مملكة ممباسا وماليندي صراعا كبيرا استغله البرتغاليون مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد لتثبيت أقدامهم في المنطقة، أين لقي "فاسكو دي غاما" ترحيبا كبيرا من أهلها وأمده حاكمها بمرشد بحري يقال أنه الهندي "دافانا" أو الكجراتي "ماليمو كانا"، الذي قاد أسطول دي غاما من ميناء ماليندي بكينيا في 24أفريل1498م إلى غاية ميناء كاليكوتا بالهند لتصل الحملة بتاريخ 20 ماي 1498م [3]، لقد ساعد حاكم مدينة "ماليندي" البرتغاليين شريطة أن يخلصوه من خصمه حاكم مدينة "ممباسا" فكان له ذلك من خلال قصف الأسطول البرتغالي للمدينة وتدميرها[4]ومنذ ذلك الوقت صارت مدينة ماليندي هي الحليف الاستراتيجي الثاني لمملكة البرتغال في منطقة شرق إفريقيا بعد مملكة الحبشة النصرانية[5].

ز/مدينة بمبا: تقع بمبا في جزيرة شمال مدينة زنجبار وهي تشتهر بصناعة السفن والقوارب الصغيرة ويعيش أهل جزيرة بمبا في رخاء واسع وهم على دين الإسلام[6]، حيث تنتشر فيها المساجد بكثرة كما يمارس أغلب سكانها النشاط الزراعي من زراعة الحمضيات خاصة البرتقال والليمون.

ح/مدينة زنجبار: تقع مدينة زنجبار جنوب مدينة ممباسا وبمبا ولقد زارها العالم الجغرافي والبحار العربي ابن ماجد[*]مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد فقال عنها:**(هي ذات أشجار وأنهار وفيها**

بسبب رفض سكانها تقديم يد المساعدة لهم وهي تابعة حاليا لدولة كينيا، أنظر: شوقي الجمل،<<المراكز العربية على ساحل إفريقيا الشرقي والجزر القريبة منه>>، الوثيقة، السنة 1996، العدد 29، سلسلة 15، ص ص 109-113.

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 257.

(2)الحميري، المصدر السابق، ص 552.

(3) فاروق عثمان أباظة، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2003، ص 131.

(4) صلاح قاسم العقاد وجمال زكرياء، زنجبار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959، ص 19.

(5) جمال زكرياء قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 64.

(6) Joao De Barros, op.cit.p. 51. وأنظر كذلك: ترمنجهام، المرجع السابق، ص 51.

(*)ابن ماجد: هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل الدويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق السعدي بن أبي الركاب النجدي، ولد في حوالي عام 1423م عاش في جلفار(رأس الخيمة حاليا)وتوفي في حوالي عام 1501م، لقب ابن ماجد بعدة ألقاب منها أسد البحر والمعلم والسائح فقد كان من كبار ربابنة العرب و=

أربعون مسجدا تقام فيها صلاة الجماعة وان أهلها يجاهدون وثني البر الرئيسي)[1]، أما البرتغالي "جواو دي باروس" فقد حدد لنا مظاهر الرفاهية التي يعيش فيها سكانها بقوله:**(يعيش أهلها في رفاهية وتتزين نسائها بالحلي الذهبية والفضة والملابس الفاخرة ويتاجر أهلها بالعنبر والعاج والشمع والعسل والأرز وميناءها يزدحم بالسفن والقوارب القادمة اليه...)**[2].

ط/جزيرة مافيا: تقع جزيرة مافيا بين جزيرة مدغشقر والساحل الشرقي لإفريقيا سكانها مسلمون وهي تتميز بغناها الكبير من حيث انتاج الفواكه وخاصة الحمضيات منها، يعيش أهلها في رفاهية تامة وذلك كان واضحا من خلال ملابسهم الفاخرة من قطن وحرير وحلي وذهب، اذ كانت كل هذه السلع تأتيهم من تجار سفالةو هذا حسب ما أشار اليه المؤرخ المغيري في كتابه "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار"[3].

ي/مدينة كلوة: أسستها أسرة السلطان حسن بن علي وأولاده من منطقةشيراز و هي أسرة رحلت من بلاد فارس الى ساحل شرق إفريقيا، حيث يروي سجل حولي لتاريخ مدينة كلوة[*]أن هذا السلطان و أولاده الستة قد اشتروا هذه الجزيرة من صاحبها وهو زعيم إفريقي بقدر من القماش يكفيه لينشره عبر كامل هذه الجزيرة[4].

ثم انتقل بعدها حكم مدينة كلوة الى أسرة حسن بن طالوت وهو الشخص نفسه الذي استضاف الرحالة ابن بطوطة لدى زيارته لمدينة كلوة في القرن الرابع عشر للميلاد حيث وصف لنا ابن بطوطة مدينة كلوة، فقال:**(ان كلوة تعد واحدة من بين أحسن مدن ساحل شرق إفريقيا، بل ومن أتقنها عمارة فأبنيتها من الخشب وأهلها شافعية المذهب وهم أهل جهاد ويغلب عليهم الدين والصلاح)**[5].

لقد بلغت مدينة كلوة أوج ازدهارها في القرن الخامس عشر للميلاد حيث شمل سلطانها كل من ساحل ماليندي شمالا وسفالة جنوبا، كما وصف لنا البرتغالي "دي باروس" النهضة الحضارية لمدينة كلوة في

عالما من علوم الملاحة خصوصا بالبحر الأحمر وخليج عمان والبنغال بالهند والمحيط الهندي وبحر الصين والعرب، أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج01، ط09، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص ص(200،201).

(1) ابن ماجد، المصدر السابق، ص 299.

(2) Joao De Barros, op.cit.p. 26.

(3) المغيري، المصدر السابق، ص 93، وأنظر كذلك: جيان، المرجع السابق، ص 216.

(*) كلوة: يعني اسم كلوة عند العرب الأفارقة مكان صيد السمك، أنظر: ريتشارد هول، المرجع السابق، ص 65.

(4) نفسه، ص 65.

(5) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 257-258، وأنظر كذلك: المغيري، نفسه، ص ص 37-38.

القرن السادس عشر للميلاد، بقوله:**(بأنها تشبه مدن البرتغال وأهلها يتحدثون بالغة العربية وأحد مساجدها يشبه مسجدا في مدينة قرطبة)**[1].

ك/مدينة موزنبيق: تقع مدينة موزنبيق جنوب كلوة وهي تتميز بمظهرها الحضاري الاسلامي الرائع من بيوت ومساجد وطرقات حيث يغلب على سكانها اللباس الحريري وحمل الخناجر الصغيرة، مينائها يعمر بالسفن القادمة اليه من سفاله ومافيا كما يوجد فيه مركز لإصلاح السفن بسبب توفر الأخشاب به ويكثر في مدينة موزنبيق الوثنيون من أهل البر الرئيسي[*][2].

ل/مدينة سفالة: تقع مدينة سفالة في أقصى جنوب ساحل شرق افريقيا وقد استوطنها المسلمون منذ القرن العاشر الميلادي، حيث خضعت في وقتها الى سلطة مقديشوا وتعتبر سفالة مركزا لتجارة الذهب والحديد[3]، من بين أهم الوثائق البرتغالية التي أعطت وصفا دقيقا لطريقة التعامل التجاري في مدينة سفالة الرسالة التي رسلها دييغو دي ألكاسوفا[*](Doigo De Alcasova) الى ملك البرتغال امانويل الأول(Dom EMMANUEL I) والملقب بالملك السعيد والمحضوض، بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في فترة حكمه من طرف البحار والمستكشف البرتغالي بارثلميو دياز، حيث بينت هذه الرسالة أن حاكم مدينة سفالة مسلم وسكانها مسلمين وأنها كانت خاضعة الى حاكم مدينة كلوة، تجارها يدفعون الضرائب على بضائعهم في ممباسا وكلوة وتجارتهم شملت الأقمشة والذهب والعاج وأن التجار كانوا يفدون اليها من ممباسا وماليندي وكلوة في مراكب صغيرة تسمى "سـنابك"[*]،

---

(1) Joao De Barros, op.cit.p. 85.

(*) أهل البر الرئيسي: المقصود بهم هنا هم سكان موزنبيق(Mozanbique)الأصليين والقاطنين داخل أرضها وفي قلب أدغالها، هم لا يستعملون البحر سواء في التجارة أو التنقل حيث هم من يأتي اليهم التجار بأنفسهم، لذلك لقبوا بسكان البر خلافا لسكان البحر من التجار والمسلمين القادمين الى موزنبيق.

(2) ابراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 43، وأنظر كذلك: السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 05.

(3) أبو الفداء، تقويم البلدان، المصدر السابق، ص 156، وأنظر: المقريزي، الإلمام، المصدر السابق، ص 33.

(*) دييغو دي ألكاسوفا: هو كاتب برتغالي مكلف بمراقبة جميع المعاملات التجارية للبرتغال في محطة كوشين البحرية بسواحل الهند وذلك في عهد الملك البرتغالي امانويل الأول، أنظر: نوال حمزة يوسف الصيرفي، الجهاد الاسلامي في شرق افريقية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1987، ص 45.

(*) سنابك: هي زوارق صغير الحجم ذات أشرعة ظهرت في مياه الخليج العربي وبالتحديد في دولة الكويت حاليا، كانت تستخدم لحرفة الغوص وصيد اللؤلؤ يتراوح طول السنبوك الواحد مابين 40 الى 60 قدم وله عدد كبير منالمجاديف، للمزيد حول السنابك أنظر: يعقوب يوسف الحجي، صناعة السفن الشراعية في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 1998، د ص، وأنظر كذلك: أحمد البشير الرومي، معجم المصطلحات البحرية في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 1996، د ص.

ويتحدث مسلمو سفاله اللغة العربية معاللغة السو احلية في بيعهم وتجارتهم مع مختلف قبائـل افريقـيا الشرقية[1].

الجدير بالملاحظة والذكر أن دول وممالك افريقيا الشرقية المطلة على المحيط الهندي دول ذات أغلبية مسلمة من السكان الأفارقة والعرب، هي توجد في جزر صغيرة ومتفرقة قريبة من مناطق البر الرئيسي لسكان شرق إفريقيا، لكن ما يعاب عنها أنها تنقصها جميعا التشكيلات الحربية للدفاع عن نفسها من الأخطار الخارجية، فقد انشغل سكان هذه المناطق وسلاطينها بالتجارة والصناعة والزراعة و أهملوا النواحي الحربية والعسكرية، لذلك لم يجد البرتغاليون صعوبة تذكر في اخضاعهم لهذه القبائل والدويلات الاسلامية بشرق افريقيا، عند وصولهم اليها مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد.

كما يعاب كذلك على هذه الدويلات الاسلامية هو عدم وجود لحمة سياسية تجمع بين هذه الدول ما سبب العديد من النزاعات السياسية والحدودية التي استغلها القادة البرتغاليون لتثبيت أقدامهم في منطقة شرق افريقيا مثل ما حدث بين حاكم مدينة ماليندي وممباسا، لكن هذا لا ينفي قوة هذه الممالك في مراحل تاريخية مختلفة مثل سيطرة مدينة كلوة ومقديشو وبات على ساحل شرق افريقيا كاملا رغم اختلاف مذاهبها وتعدد قبائلها التي استوطنت على طول الساحل الشرقي لإفريقيا[2].

أما المؤرخ البرتغالي "سارجنت" فيصف لنا حالة الاندهاش الذي عاشه البرتغاليون حين مشاهدتهم لهذا الرقي الحضاري في شرق افريقيا، بقوله:(**...لقد دهش البرتغاليون أنفسهم عندما اكتشفوا مثل هذا المستوى المتقدم من الحضارة هناك والذي يصفونه بكلمات رائعة جدا...)**[3].
أما الرحالة البرتغالي"باربوسا" فقد عبر عن حالة الاندهاش للبرتغاليين عند وصول مراكب فاسكو دي غاما الى سواحل مدينة سفاله بقوله:

---

(1) Diogo De Alcasova, Letter Of Diogo De Alcasova to The King Dom Maneul Concerning Sofala, Tr.By Theal, East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville, Oxford, 1962, p.p. 120-124.

(2) جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، المرجع السابق، ص 73، وأنظر كذلك: جيان، المرجع السابق، ص 322.

(3) Serjeant R.B, The Portuguese of the South Arabian Coast, Librairie de Liban, Beirut, 1963, p. 11.

(عندما وصلت مراكب فاسكو دي غاما الى مدينة سفاله فوجئت مفاجئة كبيرة حيث وجدوا موانئ تطن كخلايا النحل، ومدنا ساحلية عامرة بالسكان لا تقل نشاطا عن مدنهم في البرتغال ورأو تجارة بحرية نافعة في الذهب والحديد والعاج والخرز والأقمشة والجلود، حتى السفن التجارية التي وجدها البرتغاليون كانت أكبر وأضخم حجما من سفنهم)[1].

من خلال هذه المقاربة التاريخية والدراسة السياسية والإجتماعية والإقتصادية لظروف دويلات ساحل شرق افريقيا من البحر الأحمر الى المحيط الهندي قبل غزو البرتغاليين لها، نلمس اعتراف واجماع كل القادة العسكريين والمؤرخين والتجار البرتغاليين الذين قدموا الى هذه المنطقةعلى در جة الرقي الحضاري والتمدن الذي وصلت اليه هذه الدويلات الإفريقية، حيث كان للمسلمين الإسهام الكبير في رقي تلك المنطقةذلك من خلال تأسيسهم لأغلب هذه المدن وا دخالهم لتقنيات البناء والعمارة الإسلامية عليها، اذ يعترف لنا المؤرخ البريطاني "جيمس دي في" بقيمة هذا التطور الحضاري فيمنطقة شر ق افريقيا بقوله: **(كانت حضارة هذه الإمارات تفوق حضارة البرتغال ذاتها في بداية القرن السادس عشر للميلاد)**[2].

(1) Barbosa Duarte, op.cit.p.p. 04-07.

(2) جيمس دفي، الإستعمار البرتغالي في افريقية، ترجمة الدسوقي حسنين المراكبي، القاهرة، د ن، 1964، ص 79.

الفصل الثاني:

التحالف الصليبي البرتغالي- الحبشي ضد مسلمي شرق افريقيا مع مطلع القرن 16 م دوافعه وأبعاده:

أ/بداية الاتصالات بين الأحباش والبرتغاليين.

ب/سفارة المبعوث البرتغالي بيدرو دي كوفيلهام(Pedro de Covilham)عام(1487م-1510م).

ج/سفارة المبعوث الحبشي ماثيو(MATHIEU)عام(1510م-1515م).

د/سفارة المبعوث البرتغالي رودريجو دي ليما(Redrigo de Lima)عام(1520م-1521م).

ترجع العلاقات بين الأحباش والبرتغاليين الى عقود طويلة من الزمن سعى من خلالها الأحباش والبرتغاليون الى تطويق العالم الاسلامي من جنوبه، حيث أبدى ملوك الحبشة رغبتهم الكبيرة في العديد من المرات للمشاركة ضد المسلمين في الحروب الصليبية بالمشرق العربي، لكن لم يتح لهم ذلك بسب موقع بلاد الحبشة البعيد نسبيا عن بلاد المشرق العربي، لكن موقع امارت شرق افريقيا المسلمة والواقعة جنوب بلاد الحبشة كان هدفا مناسبا للأحباش لتعويض ما فاتهم في الحروب الصليبية الأولى(1096م-1099م) والثانية(1147م-1192م)، خصوصا بعد تحالفهم مع البرتغاليين ضد مسلمي شرق افريقيا، والإشكالية المطروحة هي كيف سارت العلاقات بين الأحباش والبرتغاليين لتتطور فيما بعد الى تحالف صليبي ضد مسلمي منطقة البحر الأحمر وساحل شرق افريقيا؟ وما هي دوافع هذا التحالف وأبعاده؟.

أ/بداية الاتصالات بين الأحباش والبرتغاليين:

تعتبر سفارة الملك اسحاق الى ملك أراغونة ألفونس الخامس(1416م-1458م) في عام 1428م من أول السفار ات الحبشية البرتغالية ان لم نقل من أقدمها، حيث عرض عليه الملك اسحاق اعداد حملة برية يهاجم فيها دولة المماليك من الشمال بينما يهاجمها الأحباش من الجنوب، سبب ذلك هو فتح المماليك لجزيرة قبرص وأسرهم لملكها "جانوس" في عام 1426م، لكن سلطان المماليك "بارسباي" قد علم بهذا المخطط عندما كشف أمر هذا السفير الحبشي في ميناء الاسكندرية بمصر، هو تاجر فارسي الأصل يسمى "نور الدين علي التبريزي العجمي"[1].

وقد ذكر لنا المؤرخ المقريزي عن وجود هذه الاتصالات بين ملك الحبشة اسحاق وملك أراغونة ألفونس الخامس، في قوله:**(ثم كتب الى ملوك الفرنج يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة الاسلام وواعدهم على ذلك)**[2]، ويلقب ملك الحبشة "**بالنجاشي أو بملك الملوك**"[*] حيث يرجع أصل هذه التسمية الى كون

---

(1) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق عبد القادر عطا، ج04، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1974، ص ص 895-896، وأنظر كذلك: الشاطر بصيلي عبد الجليل، المرجع السابق، ص 127.
(2) المقريزي، الالمام ...، المصدر السابق، ص 05.
(*) النجاشي ملك الملوك(Nagusa Nagast): أي نجوسا نجاست وهو لقب يطلق على ملوك بلاد الحبشة النصرانيين، يتم تتويج ملك الحبشة في العاصمة القديمة أكسوم(Axum) حيث لم يكن لمك الحبشة عاصمة ثابتة للإقامة فيها بل كان دائم التنقل والترحال بين أرجاء بلاده في معسكر مصنوع من الخيام الكبيرة، أنظر: نوال حمزة يوسف الصيرفي، المرجع السابق، ص ص 56-57.

ملك الحبشة يحكم أقاليم كثيرة وشاسعة في منطقة شرق افريقيا، فمنها الممالك الاسلامية والنصرانية وحتى الوثنية التي بلغ عددها حسب رواية مؤرخ مصر "ابن اياس": بستين مملكة[1].

أما المقريزي فقد أخبرنا بأن عدد هذه الممالك قد يصل الى تسع وتسعين مملكة [2] ، حيث ظلت الاتصالات بين ملوك الأحباش والبرتغاليين قائمة كذلك حول مخطط جديد يهدف الى مهاجمة الحبشة لمصر من الجنوب بينما يهاجم الملك البرتغالي ألفونس الخامس بيت المقدس بفلسطين من الشمال، أن تقوم الحبشة بتحويل مجرى نهر النيل عن مصر لتجويع سكانها كذلك، حيث وصل بعض الحرفيين والفنيين فعلا الى بلاد الحبشة من أجل تنفيذ هذا المشروع عام 1450م[3].

كما لم تكن سفارة "النجاشي زرع يعقوب" هي الأخيرة الى ملوك أوروبا بل أرسلت بعدها سفارة ثانية الى ملك فرنسا "شارل السابع"(1422م-1461م)، حيث طلب منه النجاشي مساعدته في احتلال بلاد المماليك بمصر لكن ملك فرنسا كان مشغولا بحروب بلاده ضد انجلترا خلال حرب المائة سنة(1337م-1453م)، رغم ذلك إلا أن هذا الأخير كان قد رحب بالمشروع وأبدى استعداده للمساعدة[4]، فقد حرص النجاشي على استمرار علاقاته مع دول أوروبا عامة غير أن البرتغاليين كانوا من أكثر الأوروبيين بحثا عن مملكة "البرسترجون"[*] أو مملكة القديس يوحنا الضائعةو التي شاع خبر

---

(1) ابن اياس محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة، ج05، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1960، ص 12.
(2) المقريزي، المصدر السابق، ص 03.
(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، <<بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى>>، مقال منشور في كتاب المؤلف بعنوان: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، لبنان، 1977، ص ص 312-315.
(4) نفسه، ص ص 312-315، وأنظر كذلك: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ص 444-445.
(*) مملكة البرستجون: وهي مملكة مسيحية تقع في شرق إفريقيا وتطل على ساحل البحر الأحمر تأسست مع مطلع القرن الأول للميلاد لقبها الأوروبيين بمملكة القديس يوحنا حيث انتشر مع مطلع القرن الثاني عشر للميلاد أسطورة مملكة القديس يوحنا، وهي أسطورة أدبية أحاطها الرحالة الانجليزي **جون مانديفيل**(Sir John Mandeville) بحكايات شبه واقعية في منتصف القرن الرابع عشر للميلاد حيث جرى الاعتقاد أن ملك هذه الامبراطورية النصرانية الكبرى يحكم بلاد الهند والصين والحبشة ويلقب بصاحب **"مملكة التوابل"**، لعل سبب انتشار كل هذه القصص والرويات الأسطورية هو فشل الأوروبيين في الحروب الصليبية الأولى و الثانية ضد المسلمين، للمزيد من التفاصيل حول مملكة البرسترجون أنظر: محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج(1507م-1525م)، مركز الشيخ زايد للتراث والتاريخ، العين، الامارات العربية المتحدة، 2000، ص 25، وأنظر كذلك: مصطفى محمد رمضان، العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، ج01، ط01، دن، القاهرة، 1985، ص 18.

وجودها عند الأوروبيين خاصة عند البرتغاليين منهم منذ بداية حركة الكشوفات البرتغالية خارج قارة أوروبا، حيث كان البرتغاليون يعتقدون بأن "القديس جون"(Prester John) هو حاكم هذه المملكة[1].

ب/سفارة المبعوث البرتغالي بيدرو دي كوفيلهام(Pedro de Covilham) عام(1487م-1510م):

تعتبر هذهالسفاراة من بين أول السفارات التي أرسلها ملوك البرتغال الى بلاد الحبشة و يعتبر كوفيلهام أحد عمال "الدوم ألفونسو"(Dom Alfonso) (1437م-1481م)، حيث اشتعل هذا الأخير في تربية خيول الملك والعناية بها وبعد وفاة الملك ألفونسو الخامس خلفه ابنه الدوم جواو الثاني[2](Dom Joao II)(1481م-1495م)، خلالها قام الملك بترقية بيدرو دي كوفيلهام الى رتبة رئيس للحرس الشخصي له كمقابل للعرافان والطاعة والإخلاص التي قدمهم هذا الأخير في خدمة والده، لكن الملك جواو الثاني قام بعدها بتكليف كوفيلهام بمهمة تجسسية واستطلاعية في نفس الوقت تهدف للبحث عن مملكة القديس جون(مملكة البرسترجون)، معرفة مصدر البهارات والتوابل القادمة من بلاد الهند عبر دولة المماليك[*]، ذلك مع شخص أخر يرافقه من مدينة قشتالة(Castille) وهو ألفونسو دي بايفا (Alfonso De Payva)، حيث وصف الملك جواو الثاني هذه المهمة "**بالخدمة الجليلة**"[3]التي يقدمها بيدرو دي كوفيلهام له ولبلاده.

بعد قبول بيدرو دي كوفيلهام هذه المهمة توجه مع مرافقه ألفونسو دي بايفا في يوم 07 ماي 1487م، أين قدم لهما الملك جواو الثاني مبلغا ماليا يقدر بحوالي أربعمائة جنيه ذهبي حيث سافر المبعوثان الى مدينة برشلونة ومنها الى مدينة نابولي الايطالية ثم بعدها الى جزيرة رودس التي يسيطر

---

(1) Encyclopedai Britanica, Prester John, William Benton Publisher, Vol18, London, 1962, p.p. 458-460.

(2) تجدر بنا الاشارة الى أنه قد يرد اسم الملك جواو الثاني(1481م-1495م) في العديد من المواضع التاريخية باسم الملك "يوحنا الثاني" وهو نفس الاسم الذي تداولته العديد من المصادر والمراجع التاريخية محل الدراسة.

(*)المماليك(Les Mamlouks): هم عبارة عن عبيد ورقيق جلبهم ولاة مصر السابقين من فاطميين وأيوبيين لخدمتهم، لكن بعد اعتلائهم لمراكز ومراتب عليا في الجيش والسلطة والحكم والإدارة لقبوا أنفسهم بالمماليك وهم نوعان البحرية (1250م1382م) والبرجية (1382م-1517م)، ظهر أمرهم في مصر وبلاد الشام بعد عجز الدولة الأيوبية عن التصدي للحملات الصليبية المتكررة على المنطقة، أنظر: الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288م-1916م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 54.

(3) نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص 88.

عليها فرسان القديس يوحنا(*) ومنها توجها الى مدينة الاسكندرية بمصر، حيث قاما بالتنكر على شكل تجار قدموا لشراء مادة العسل وفي طريق ذهابهم الى مدينة القاهرة بمصر صادفا العديد من التجار المسلمين من منطقة بلاد المغرب العربي، قاصدين مدينة عدن باليمن فتوجه المبعوثان مع هؤلاء التجار المغاربة وفي مدينة عدن افترق الاثنين ليذهب بعدها بيدرو دي كوفيلهام الى بلاد الهند ويذهب ألفونسو دي بايفا الى بلاد الحبشة[1] ، حيث اتفق المبعوثان على الإلتقاء في مدينة القاهرة بمصر خلال موعد محدد، من أجلأن يقدم كل واحد منهما تقرير ا خاصا ومفصلا عن رحلته في نهاية الأمر الى ملكهم جواو الثاني.

بعدما وصل بيدرو دي كوفيلهام الى مدينة كنانور الواقعة على الساحل الغربي للهند توجه الى مدينة كاليكوت(*) وجوا أيضا، ثم الى جزيرة هرمز بالخليج العربي ومنها اتجه نحو ساحل البحر الأحمر قاصدا بذلك مدينة القاهرة بمصر، أين اتفق مع مرافقه دي بايفا على الإلتقاء هناك لكن بيدرو دي كوفيلهام علم بعد ذلك بأن مرافقه دي بايفا قد توفي[2] ليقرر بعدها العودة الى مدينة لشبونة بالبرتغال لكن خلال فترة تواجده في مدينة القاهرة بمصر، تلقى أخبارا تفيد بأن هنالك مبعوثان آخران من البرتغال من أصول يهودية يبحثان عنه، عند التقائه معهم سلم له المبعوثان رسالة من ملكه جواو الثاني اليه تنص على عدم عودته قبل أن يجد مملكة القديس جون، مع مراسلة ملكه بكل ما تمت ملاحظته ومشاهدته خلال رحلته الى جزر التوابل والحرير بالهند وساحل شرق إفريقيا، هو ما قام به بيدروا

(*) فرسان القديس يوحنا(CHEVALIERS DE SAINT JEAN): يعرفون عند العرب باسم الاسبتارية وهم طائفة دينية وعسكرية ظهرت أثناء فترة الحروب الصليبية في بيت المقدس خلال القرن الحادي عشر الميلادي، قاموا بالاستيلاء على جزيرة رودس عام 1309م ليتخذوها قاعدة عسكرية لعملياتهم الحربية ضد السفن الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، تمكنت الدولة العثمانية من طردهم من جزيرة رودس في عام 1522م ليفروا بعدها إلى جزيرة مالطة، أنظر: عبد الرحيم العباسي، <<منح رب البرية في فتح رودس الأبية>>، تحقيق فيصل عبد الله الكندري، مجلة الرسالة، السنة 1997، د ع، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ص 122.

(1) Alvarez. F, Narrative of The Portuguese Embassay in Abyssinia during the years (1520-1527), trans by F. stanly, London, 1881, p. 268.

(*) مدينة كاليكوت: تقع جنوب الهند وبالتحديد في سواحل ميلبار وهي تطل على بحر العرب كذلك ويعتبر مينائها التجاري من أهم الموانئ الهندية، أنظر: أحمد عبد الحميد الشامي، العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العربي والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1996، ص ص(107، 108).

(2) Alvarez. F, op.cit. p. 265.

كوفيلهام من خلال كتابته لتقرير مفصل يشرح فيه طريق رحلته من لشبونة الى بلاد الهند مرورا بساحل شرق افريقية[1].

كانت وجهة كوفيلهام الجديدة هيمكة المكرمة و المدينة المنورة بشبه الجزيرة العربية حيث أبحر الى مدينة عدن باليمن ومنها توجه الى مدينة جدة مرورا بالبحر الأحمر، بعد أن أنهى مهمته بها ثم قصد مضيق هرمز بالخليج العربي[*] أين عاين بعدها في طريق عودته قوة دولة المماليك عسكريا واقتصاديا وأحوال المسلمين داخليا ومدى استعداداتهم الحربية برا وبحرا، حسب التعليمات التي كان قد تلقاها من ملكه جواو الثاني فقد انتحل كوفيلهام في مسار رحلته كلها صفة تاجر متنقل، بعد أن أنهى مهمته هناك قفل راجعا عن طريق الساحل ليسلك طريق سيناء ومنها الى مدينة زيلع[*] باليمن ثم أبحر مباشرة الى بلاد الحبشة، هنالك تقابل بيدرو دي كوفيلهام مع ملك الحبشة ألكسندر(Alexander)(1478م-1494م) ليسلمه هذا الأخير رسائلا من ملكه تنص أغلبها على تحريض الأحباش للتحالف مع البرتغاليين ضد مسلمي منطقةشرق افريقيا وساحل البحر الأحمر[2].

الجدير بالذكر هنا أن كوفيلهام قد بقي في بلاد الحبشة حوالي ثلاثين سنة تقريبا لكون الملك الحبشي ناعود(1494م-1508م) قد منعه من العودة الى البرتغال الى أن توفي هناك[3]، بهذا يكون كوفيلهام قد ساهم كثيرا في ربط العلاقات العسكرية والدينية والسياسية بين الأحباش والبرتغاليين من أجل التحالف ضد مسلمي شرق افريقيا، هو ما حدث فعلا في عهد الملكة "هيلينا"(Hilana)التي أصبحت وصية على

---

(1) Alvarez. F, op.cit. p. 270.

(*) الخليج العربي: تستخدم هذه التسمية بناء على أن الدول العربية المطلة على سواحل الخليج هي الأكثر مساحة بداية من جنوب العراق في رأس الخليج العربي إلى سلطنة عمان بعد رأس ماسندم جنوبا، وقد لقب الخليج العربي سابقا بالخليج الفارسي عند الإيرانيين نسبة إلى التسمية التي أطلقها اسكندر المقدوني، أثناء حروبه ضد الإمبراطورية الفارسية عام 325 ق.م، أنظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، م3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص ص 68-71، وأنظر أيضا: حسين المسري، تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي، دن، بيروت، 1982، ص 46.

(*) مدينة زيلع: تقع زيلع على الساحل الغربي لمضيق باب المندب ويعتبر مينائها من بين المراكز الاسلامية المزدهرة بالتجارة في البحر الأحمر، حيث تعرض هذا الميناء للهجوم والإحراق من طرف البرتغاليين بقيادة نائب ملك البرتغال في الهند لوبو سواريز(Lopo Soirz) عام 1517م، أنظر: محمد عبد اللطيف البحراوي، فتح العثمانيين لعدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر، ط 1، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ص 80.

(2) شوقي الجمل، تاريخ كشف...، المرجع السابق، ص ص 164-169، وأنظر أيضا: جيان، المرجع السابق، ص 207.

(3) Alvarez. F, IDEM.p. 270.

الملك الطفل "لبنادجل" حين بعثت بسفيرها الحبشي الملقب بأبراهام أو ماثيو (Mathieu) الى نائب ملك البرتغال في الهند "ألفونسو دي ألبوكيرك" [*](Alfonso De Albuquerque).

من خلال سردنا لظروف و أطوار بعثة بيدرو دي كوفيلهام الى بلاد الحبشة نستخلص أن هذه السفارة قد تمكنت من تحديد طبيعة تجارة الشرق الاسلامي وحجم هذه التجارة في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر، اضافة الى حصول كوفيلهام على خرائط عربية عن المحيط الهندي والخليج العربي ومعلومات مفصلة عن طرق التجارة والملاحة والرياح الموسمية، هذا ما يؤكده لنا المبعوث البرتغالي للحبشة "فرناندو ألفاريز" (F.Alvarez) الذي التقى بكوفيلهام هناك ما بين عامي 1520م و 1526م وسأله عن فضل الخرائط العربية التي أرسلها مع مبعوثه اليهودي "يوسف لاميجو" قبل ثمانية عشر سنة مضت ودورها في ما حققه البرتغاليون من مكاسب تجارية في بحار الشرق[1].

تجدر بنا الاشارة الى أن فرناندو ألفاريز قد أرسل في سفارة من ملك البرتغال الى بلاط الحبشة عام 1520م، لبث فيها ستة سنوات كاملة تقابل خلالها مع كوفيلهام الذي زوده بالعديد من المعلومات و هي أول سفارة من أوروبا الى بلاد الحبشة تذهب وتعود بسلام، لكون مثل هذه السفارات لم يكن يسمح لها في غالب الأحيان بالعودة الى بلادها مرة أخرى، كما حدث لسفارة بيدرو دي كوفيلهام الذي بقي محجوزا في بلاد الحبشة حتى وفاته.

(*) ألفونسو دي ألبوكيرك(1453م-1515م): هو ألبوكيرك أو ألبوكيركو كما كان يطلق عليه ينتسب إلى عائلة جد مرموقة من البلاط البرتغالي، فجده كان سكرتيرا للملك جون الأول وللملك دورات أيضا ووالده قونزالوا ألبوكيرك كان من المقربين كذلك إلى البلاط البرتغالي، شارك ألفونسو في حروب البرتغال الأولى للاسترداد ضد مسلمي المغرب الأقصى مما أكسبه حقدا كبيرا على الإسلام، خصوصا بعد مقتل أخيه على يد المسلمين بالمغرب الأقصى كلف ألفونسو بعدها بتولي حملات البرتغال في الهند وعين بعدها نائبا لملك البرتغال بالهند وهو المؤسس الحقيقي لإمبراطورية البرتغال في بحار الشرق، كما أطلق المؤرخون البرتغاليون على ألبوكيرك اسم **"ملك القلاع والحصون"**، بسبب كثرة تشييده لها في سواحل المحيط الهندي وشرق إفريقيا، أنظر:
Alfonso Albuquerque, The Commentaires of The Great Alfonso D'Albuquerque, Transe By Walter De gray Briche, Vol1, London, 1774, p. 11.
نقلا عن: آرلوند ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط 02، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1988، ص ص 46-65، وأنظر كذلك: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص ص(146،145)، أنظر حول تسمية ملك القلاع والحصون :
Serjeant R.B, The Portugese of the South Arabian Coast, op.cit, p. 15.
(1) Alvarez. F, op.cit. p. 96.

تعتبر سفارة بيدرو كوفيلهام الى بلاد الحبشة بمثابة الطلائع الأولي لبداية الغزو البرتغالي للبحار الشرقية والخليجية، من خلال ما قدمه هذا الأخير للمستكشفين والمغامرين البرتغاليين من وصف وتوضيح لطريق بحار الشرق الجديدة، فلولا ذلك لما توجه كل هذا العدد الكبير من البرتغاليين بسفنهم التجارة و أساطيلهم الحربية بغية السيطرة على تجارة الشرق الإسلامي، لعلمهم المسبق بخلو هذه البحار الشرقية من أية تحصينات عسكرية أو قوى بحرية، كما تعد رسائل كوفيلهام الى ملكه بمثابة الدفعة التي شحنة الهمم والعزائم لإختراق هذه البحار المجهولة.

فقد تكونت أول حملة بحرية رسمية للبرتغال الى بلاد الهند من أربعة سفن بحرية رفع عليها شارة الصليب ورسم على ملابس الجنود المشاركين فيها رسم الصليب مع إطلاق اسم جنود المسيح(Soldats Du Christ)عليهم تنفيذا لأوامر البابا ألكسندر السادس(Le PAPE Alexandre VI)[1] والتي قادها المستكشف فاسكو دي غاما من ميناء لشبونة بالبرتغال الى غاية ميناء كاليكوتا(Calicut)بالهند.

ولقد كشف لنا ملك البرتغال امانويل الأول(1495م-1521م)عن الدوافع الحقيقية لهذه الكشوفات الجغرافية، أو كما نسميها نحن المسلمين "**بالكشوفات الاستعمارية**"و عن وجهه الصليبي الحاقد ضد الاسلام والمسلمين من خلال خطبته الطويلة والعريضة التي ألقاها أثناء عملية توديعه لجنود المسيح أو جنود الرب كما لقبهم، حين صرح بقوله:(**...ان الغرض من اكتشاف الطريق البحري الجديد الى الهند هو نشر المسيحية والسيطرة على تجارة الشرق وثرو اته وحرمان المسلمين منها...**)[2]، ويؤكد لنا هذا الطرح المؤرخ البريطاني "جيان" الذي حدد لنا أسباب رحلة فاسكو دي غاما الأولى الى بحار الشرق بقوله:

(ان الغرض من قدوم فاسكو دي غاما الى بحار الهند هو أن يحارب الصليب الهلال في أقصى بقاع المعمورة، أو أن تحارب روما مكة في مكان يبعد بأكثر من ألف وخمسمائة فرسخ عن الميادين

(1) عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، ج02، بحوث مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، الدوحة، 1976، ص 618.
(2) جيان، المرجع السابق، ص 209.

المألوفة لاقتتالهما)[1]، هذا ان دل على شيء فإنما يدل على أن النزعة الدينية والصليبية هي المحرك الأساسي لحركة الكشوفات الاستعمارية البرتغالية.

ج/سفارة المبعوث الحبشي ماثيو (MATHIOU) عام(1510م-1515م):

ترجع أسباب هذه السفارة بعد قيام بيدرو دي كوفيلهام بحث الملكة هيلينا(HELENA)على ضرورة ارسال سفارة الى مملكة البرتغال لتساعد مملكة الحبشة التي تعرضت حينها لهجوم بري قوي من طرف دول الطراز الإسلامي، خصوصا بعد تغلغل القوات البرتغالية في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي وفرض سيطرتهم البحرية على هذه المياه وهزيمتهم للمماليك كذلك في معركة ديو البحرية عام 1509م.

حيث قامت الملكة هيلينا بعدها بإرسال مبعوث لها من مملكة الحبشة الى ملك البرتغال امانويل الأول ووقع اختيارها على شخص يدعى " ماثيو" كان يمارس مهنة التجارة في بلاد الحبشة وقد قام هذا الأخير بتغير اسمه من" ابراهام" (Abraham) الى ماثيو متعمدا، لكي لا يتم التعرف عليه منتحلا بذلك صفة تاجر عربي من أجل القيام بهذه المهمة التي أوكلت اليه من طرف ملكته هيلينا، ذلك حسب نص الرسالة التي أرسلها الملك الحبشي لبنادجل الى الدوم امانويل الأول[2] .

لقد سافر ماثيو بعدها من بلاد الحبشة مع زوجته وخدمه حتى وصل الى منطقة دابول[*] ومنها اتجه الى ميناء مدينة جوا بالهند وهنالك تم القاء القبض عليه من طرف المسلمين الهنود، مما دفع به الى ارسال رسالة خطية الى نائب ملك البرتغال بالهند ألفونسو دي ألبوكيرك يطلب فيها نجدته منهم، فكان له ذلك من خلال مهاجمة ألبوكيرك لسجن جوا بالهند وتخليصه منه.

كما سهل ألبوكيرك نقل ماثيو من مدينة جوا لركوب أحدى السفن البرتغالية المتجهة الى العاصمة البرتغالية بلشبونة وبعد وصول ماثيو مباشرة ذهب لمقابلة ملكه امانويل الأول، الذي استقبله بالترحاب

---

(1) جيان، المرجع السابق، ص 250.
(2) يرجع اسم ابراهام الى أصول يهودية ما دفع به الى تغيير اسمه الى النصرانية فسمى نفسه بماثيو، أنظر:
Alvarez. F, op.cit. p. 391.
(*) منطقة دابول: هي منطقة ساحلية تطل على المحيط الهندي وتقع في الساحل الغربي للهند شمال مدينة جوا.

وهو يذرف الدموع حين سلمه ماثيو قطعة من الصليب المقدس[1]، حيث أحدث خبر وصول ماثيو الى البرتغال عام 1513م ضجة كبيرة في الأوساط الشعبية من خلال ما سوف تحققه البرتغال شعبا وحكومة بعد وصولها الى مملكة القديس جون وتحويلها نصارى الحبشة الى المذهب الكاثوليكي أولا، لما سوف يتم جنيه من أرباح تجارية واقتصادية ومالية جد ضخمة مع تجارة بلاد الحبشة، فقد ارتبط الدافع الديني دائما مع الدافع الاقتصادي في كل مراحل الكشوفات البرتغالية وانتهت سفارة ماثيو في الأخير بموافقة الملك امانويل الأول على تقديم يد المساعدة والعون للملكة هيلينا خلال محاربتها لمسلمي شرق افريقيا والبحر الأحمر[2]، لقد انتهت سفارة المبعوث الحبشي ماثيو في عام 1515م بعدما سمح له ملك البرتغال امانويل الأول بالعودة الى بلاد الحبشة.

ان تسليم المبعوث الحبشي ماثيو للملك امانويل الأول رسالة الملكة هيلينا التي تأكد له فيها على دعمها الدائم له وللبرتغال دينيا وعسكريا ضد المسلمين في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي، التي جاء فيها باختصار:**(السلام على عمانويل سيد البحار وقاهر المسلمين الكفرة...وصلتنا رسالة من قائد أسطولكم(*)في بحر الهند يطلب تزويده بالعمال والجند ونحن على استعداد لتزويده بما يشاء حيث انه يحارب في الهند ليدافع عن عقيدة المسيح كذلك بلغنا أن سلطان مصر(*) قد جهز جيشا كبيرا لمحاربة قواتكم ونحن على استعداد لمنازلة أولئك الكفرةوا ٍرسال أعداد كبيرة من جنودنا الى البحر الأحمر ومكة وجدة والطور لنقضي قضاء تاما على الكفار...ونبعث لكم مع رسولنا صليبا مصنوعا من قطعة حقيقية من صليب الصلبوت الذي صلب عليه يسوع الرب...)**[3].

---

(1) Alvarez. F, op.cit ,p.p. 390-391.

وأنظر كذلك: غسان علي رمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، ط01، جامعة أم القرى، جدة، 1985، ص ص 91-92.

(2) غسان علي رمال، المرجع نفسه، ص ص 83-90، وأنظر كذلك: محمد عبد الطيف البحراوي، فتح العثمانيين لعدن، ط01، دار التراث، القاهرة، 1979، ص ص(66،67).

(*) قائد أسطولكم: المقصود به هنا هو ألفونسو دي ألبوكيرك نائب ملك البرتغال في الهند.

(*) سلطان مصر: المقصود به هنا هو قانصوه الغوري حاكم مماليك مصر خلال هذه الفترة التاريخية بالذات.

(3) Jones and Monroe, A History of Ethiopia, London, 1978, p. 62.

وأنظر كذلك: سعيد عبد الفتاح عاشور، <<بعض أضواء... >>، المرجع السابق، ص ص 320-321، وللمزيد أنظر كذلك: الشاطر بصيلي، <<الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال>> ، المجلة التاريخية المصرية، السنة 1965، العدد12، ص 132.

د/سفارة المبعوث البرتغالي رودريجو دي ليما(Redrigo de Lima) عام(1520م-1527م):

يعد رودريجو دي ليما أحد قباطنة أسطول البرتغال في المحيط الهندي وهذا تحت رئاسة ملك البرتغال في الهند دييجو لوبيز دي سيكيرا(Doigo Lopez de Sequeyra) الذي اختاره لكي يكون سفيرا لدى مملكة البرتغال في بلاد الحبشة، وذلك رفقة الراهب البرتغالي فرانسيسكو ألفاريز(Francisco Alvarez) الذي قام بتدوين أحداث هذه السفارة كاملة في كتابه الذي عنوانه:

Narrative of The Portuguese Embassay in Abyssinia during the years (1520-1527).

لقد استمرت هذه السفارة قرابة الستة أعوام كاملة تمكن خلالها نائب ملك البرتغال في الهند دييجو لوبيز دي سيكيرا من احتلال مدينة مصوع،ثم ار سال بعثة الى ملك الحبشة تحمل العديد من التعليمات في مضمون الرسالة التي سلمت له من طرف هذه البعثة، حيث وضحت لنا هذه الرسالة الأهداف الحقيقية من وراء قيام هذا التحالف البرتغالي الحبشي بين الطرفين[1].

ومما يمكننا أن نستنتجه من خلال نص الرسالة الموجهة من ملك البرتغال الدوم جواو الثالث(Dom Joao III) الى ملك الحبشة لبنادجل، هي رغبة البرتغاليين الشديدة في محاربة المسلمين بسواحل البحر الأحمر وشرق إفريقيا، محاصرة العثمانيين في المحيط الهندي وذلك من خلال الإستعانة بالأحباش من أجل إنشاء العديد من المراكز العسكرية والتجارية على طول الشريط الساحلي المطل على المحيط الهندي لتسهيل عملية التدخل العسكري بسرعة، دون طلب النجدة والسند من الأسطول البرتغالي المتواجد في مدينة ديو البحرية بالهند.

كما طلب ملك الحبشة لبنادجل أيضا من ملك البرتغال الدوم جواو الثالث بناء عدة قواعد عسكرية برتغالية في كل من مدينة سواكن ومصوع وزيلع، من أجل الاستناد عليها في عملية ايقاف الأتراك العثمانيين بعد تغلبهم على مماليك الشام في معركتي مرج دابق عام 1516م ومصر في معركة

---

(1) Alvarez. F, op.cit, p.p. 352-353.

الريدانية عام 1517م وتوسعهم بعد ذلك في بلاد الحجاز واليمن وظمهم للعراق عام 1534م حيث أصبح ميناء البصرة بالخليج العربي قاعدة بحرية ثانية للعثمانيين بعد ميناء السويس بمصر[1].

بعد انتهاء سفارة المبعوث البرتغالي من مهمتها ببلاد الحبشة عام 1527م سافرت بعدها البعثة البرتغالية من الحبشة الى بلاد الهند ثم الى البرتغال، عند وصولها قام السفير البرتغالي فرانسيسكو ألفاريز بتسليم عدة رسائل من بلاد الحبشة الى ملكه الدوم جواو الثالث تحمل العديد من التوصيات الدينيةو السياسية والعسكرية، بين الطرفين كما تركت مملكة البرتغال الراهب برموديز (Bermudez) كسفير دائم لها هناك لدى مملكة الحبشة المسيحية[2].

لقد لعبت سفارة رودريجو دي ليما في بلاد الحبشة دورا كبيرا في مساعدة الأحباش عسكريا ضد مسلمي شرق افريقيا، خصوصا بعد حصولهم على الإمدادات العسكرية المطلوبة من طرف البرتغاليين خلال قيام حركة المقاومة المحلية هناك التي قادها آنذاك الإمام أحمد بن براهم(1528م-1534م)ضد مملكة الحبشة المسيحية، دون أن ننسى وجود دعم عثماني مضاد للدعم البرتغالي هناك لمسلمي بلاد الحبشة.

(1) نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516م-1574م)، ترجمة يوسف عطا الله، ط01، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1988، ص 91.
(2) محمد عبد الطيف البحراوي، المرجع السابق، ص ص 68-69.

الفصل الثالث:

الدوافع المساعدة على توسع البرتغاليين في سواحل افريقيا الشـــــــرقيــــــــــة:

أ/الدوافع الدينية.

ب/الدوافع الإقتصادية.

ج/الدوافع الإستراتيجية والجيوسياسية.

منذ أن تمكن الرحالة البرتغالي فاسكو دي غاما(*) (Vasco De Gama)من اجتياز طريق رأس الرجاء الصالح عام 1497م، والبرتغال تسعى شعبا وحكومة الى السيطرة على ثروات الشرق بداية من سواحل افريقيا الشرقية الى غاية بلاد الهند، حيث عمل البرتغاليون على تنفيذ مشروعهم الاستعماري في شكل كشوفات جغرافية مبيتين بذلك نيتهم الدفينة وحقدهم الكبير على الدين الاسلامي والمسلمين، أين ساهمت النزعة الدينية والعامل الاقتصادي كثيرا في شق البرتغاليين لمياه البحار المجهولة وبداية حروب التوابل بين الشرق والغرب[1]، والإشكالية المطروحة هي ماهي الدوافع التي ساهمت في تحريك ملوك البرتغال وشعبها لخوض غمار هذه البحار الشرقية في افريقيا ثم في آسيا مع مطلع القرن 16م؟.

أ-الدوفع الدينية:

تمثلت الدوافع الدينية للبرتغاليين في القضاء على الاسلام والمسلمين بمنطقة شرق افريقيا حيث يمكننا اعتبار أن مسرح الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين قد انتقلت من الحوض الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط الى سواحل افريقيا الشرقية[2]، بسبب الروح الصليبية الانتقامية التي تشبث بها البرتغاليون من أجل السيطرة على مصادر التجارة والذهب ونشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي، فقد أكد لنا العديد من المؤرخين البرتغاليين على أن الغزو البرتغالي هو انتقام من الفتوحات الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية بشكل مغاير فقط، لما قام به المسلمون الأوائل خلال القرنين السابع والثامن للميلاد وهذا ما يبينه لنا المؤرخ البرتغالي أنطونيو بوكارو(BOKARO.A) في قوله:(...**لقد كان البرتغاليون ينظرون لإنجازاتهم على أنها عكس للفتوحات الإسلامية... فالعرب في انطلاقهم نحو**

(*) فاسكو دي غاما(1469م-1524م): هو بحار ومغامر برتغالي قاد الحملة البحرية التي عبرت طريق رأس الرجاء الصالح (1497م-1499م) من مدينة لشبونة الى مدينة كالكوت بالهند، تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة ايفورا الداخلية من فلك ورياضيات وعلوم ملاحية، حيث عينه الملك جون الثاني في مكان أبيه استفاو من أجل الانطلاق الى بلاد الهند في رحلة بحرية مكونة من أربعة سفن عام 1497م، وبعد نجاح مهمته عاد الى مدينة لشبونة في 09 سبتمبر عام 1499م توفي فاسكو دي غاما بعد مرضه في مدينة كوشين بالهند في 24 ديسمبر 1524م، لقد تم تمجيد فاسكو دي غاما كثيرا بالبرتغال من خلال القصائد التي كتبها له الشاعر البرتغالي المشهور كموينز (Camoens)والتي تسمى باللوسيديات (Lusiades) وهي عشرة قصائد من أورع ما يزخر به التراث البرتغالي تمجد صفات الأبطال وأعمالهم العظيمة للبرتغال، أنظر: ريتشارد هول، المرجع السابق، ص ص(685،686)، وأنظر عن قصائد اللوسيديات كذلك: سونيا ي هاد، الألف كتاب في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، نشر وطباعة مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957، ص 08.

(1) نفسه، ص 08.

(2) صلاح محمود العقاد و جمال زكريا، المرجع السابق، ص 16.

الغرب وتوسعهم سيطروا على شبه جزيرة ايبيريا وهاهم البرتغاليون الآن يهاجمون شواطئ جزيرة العرب... ويخضعون الأمراء المسلمين لهم...)[1].

يتجلى لنا كذلك الدافع الديني بوضوح من خلال عمل الكنيسة البابوية بروما على جعل الحرب البرتغالية ضد المسلمين حربا صليبية ثانية، في حثها للعديد من المرات على القتال في سبيل روح المسيح ناهيك عن تقديمها للمغريات المالية الى ملوك البرتغال، فقد طلب ملك البرتغال ادوارد(EDOUARD)(1433م-1438م)من البابا اعتبار الحروب الدينية ضد المسلمين حروبا مشروعة[2] كما بارك البابا أجينوس الرابع(1431م-1447م) كذلك قرارا مؤرخا في يوم 19 ديسمبر 1442م ضمن فيه الغفران والعفو ودخول الجنة، لكل شخص يحارب مع البرتغاليين ضد المسلمين أو يتصدق بجزء من ماله لتغطية مصاريف هذه الحملات العسكرية من أجل تحويل المساجد الى كنائس و استبدال الديـــــن الاسلامي بالديانة النصرانية[3].

كما مكنت الكنيسة البابوبة ملوك البرتغال دائما من التصرف في حق الواردات العسكرية للجماعات الأربعة[*] التي لم يكن لهم الحق فيها من قبل، ذلك راجع الى النزعة الصليبية التي غلفت هذه الحملات العسكرية في البحار الشرقية، كذلك مكن البابا للبرتغال التصرف في عشرة واردات من كنائسها وتنازل لها كذلك عن خمسة واردات من كنائسه بروما في عام 1443م، هذا ان دل على شيء فإنما يدل على رغبة البابا في محاربة الاسلام والمسلمين ماديا وروحيا[4]، تجدر الاشارة بنا كذلك الى أن مصالح

---

(1) بكنجهام س، بعض الملاحظات عن البرتغاليين في عمان، ج06، حصاد ندوة الدراسات العمانية، عمان، 1980، ص 186.
(2) أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص 151.
(3) نفسه، 150.
(*) الجماعات العسكرية الأربعة: تكونت هذه الجماعات العسكرية في فترات مختلفة من أجل الدفاع عن مملكة البرتغال ضد أي هجومي إسلامي، وتتمتع هذه الجماعات الأربعة بامتيازات اقطاعية كما تعفى من تسديد الضرائب السنوية كذلك وهي:
1-جماعة المسيح (Ordre Christ)هي أقدم الجماعات تأسست في عام 1318م ترأسها الأمير هنري الملاح مع بداية حركة الكشوفات البرتغالية.
2-جماعة أسرة أفيز(Aviz) قادتها أسرة أفيز بعد وصولها الى الحكم في عام 1385م.
3-جماعة (Stjac gue Lepee).
4-جماعة (ST jean de L'Hopital).
للمزيد من التفاصيل حول الجماعات الأربعة أنظر: أحمد بوشرب، نفسه، ص 166.
(4) نفسه، ص 150.

البابوية والمسيحية التقت مع مصالح البرتغال السياسية و الإقتصادية والدينية في نفس الوقت مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد.

حيث ان لجوء ملوك البرتغال الى البابوات وفر لهم الكثير من الحماية والدعم المادي والروحي وذلك بفضل الغطاء الديني الذي استعمل في هذه الحركة الاستعمارية من جهة، كما أن قانون "**منح البراءة**" من طرف البابوية للقادة والملوك البرتغاليين الذين نذرو أنفسهم في سبيل محاربة الاسلام مثل الأمير هنري الملاح(*)(1394م-1460م)، قد ساهم كثيرا في امتلاك ملوك البرتغال للعديد من الأراضي التي يتم اكتشافها نظير تخليص الشعوب المكتشفة في افريقيا وآسيا حسب قولهم من "**خطيئة الإسلام**"، حيث يعتبر البابا نيقولا الخامس (Le PAPE Nicolas V)(1427م-1455م) أول من أقر هذه البراءة واتبعه في تطبيقها بعد ذلك العديد من البابوات في أوروبا.

لقد أشار الى هذه النقطة بالذات المؤرخ البرتغالي باروس وهو كاتب سيرة الأمير هنري الملاحو أول من أطلق عليه كذلك اسم "**الأمير المقدس**"، عندما علق على البراءة البابوية التي تمنح لملوك البرتغال بقوله:**(أن البابوات أرباب كونيون مفوضون بتوزيع البلدان التي لا تخضع لطاعتهم على المخلصين للكنيسة الكاثوليكية)**[1] ، كما أرسل البابا نيقولا الخامس كذلك الى الأمير هنري الملاح رسالة شكر وعرفان وتقدير نظرا للمجهودات التي قام بها هذا الأخير في محاربته لأعداء الرب والمسيح ببلاد العرب الكفرة على حسب قوله[2].

ان كل هذا الدعم الكنسي ماديا وروحيا لا يصنع لنا إلا المزيد من الكره الصليبي على الدين الإسلامي وهو الأمر الذي نلمسه في العديد من الجرائم العسكرية التي قام بها القادة البرتغاليون، عند غزوهم للعديد من الدول الإسلامية المطلة على الساحل الشرقي لإفريقيا حيث أشار الى هذه النقطة بالذات مؤرخون معاصرون لهذه الأحداث مثل مؤرخ مليبار "زين الدين الميلباري" الذي يقول:**(ان بغيتهم**

(*) هنري الملاح(HENRY LE NAVIGATEUR): هو الابن الثالث للملك جون الأول(يوحنا الأول) قام والده بإرساله على رأس حملة بحرية لاحتلال مدينة سبتة بالمغرب الأقصى عام 1415م ليتم تعينه بعدها كحاكم عليها، للمزيد من التفاصيل أنظر: عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 689.

(1) علي غنام، <<البرتغاليون والدين في غزوهم للشرق>>، مجلة الخليج العربي، السنة 1988، العدد 03، م 20، البصرة، ص 14.

(2) أنظر عن مضمون هذه الرسالة: عبد العزيز محمد الشناوي، أوروبا مع مطلع العصور الحديثة، ج01، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969، ص ص(90،91).

العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا هو تغيير دين المسلمين، وا إدخالهم في النصرانية وفعلوا فعائل قبيحة شنيعة لا تحصى من ضربهم للمسلمين والإستهزاء بهم وا إحراق بلادهم ومساجدهم ووطي المصاحف والكتب بأرجلهم وا إحراقها بالنار، وهتك حرمات المساجد وا إجبار المسلمين على السجود لصليبهم كما عطلوا أسفار الحج...)[1].

لقد غرست الكنيسة البابوية حقيقة مزيفة في ذهن الفرد البرتغالي تجعل منه أداة لمحاربة المسلمين من أجل تحقيق مآربها المختلفة، هذا ما دفع بأحد الباحثين الهنود و المهتمين بتاريخ التوسع الأوروبي في آسيا وهو المستشرق بانيكار (Pannikar)الى التساؤل عن السبب الحقيقي وراء تصرفات البرتغاليين الوحشية جدا مع المسلمين في آسيا بقوله:**(سيظل الشيئ الكثير من تصرفات البرتغاليين في آسيا غامضا لا سبيل الى تفسيره؟ ما لم نتذكر هذه الحقيقة على الدوام)**[2]، بل ان فكرة انشاء امبراطورية برتغالية لا تغيب عنها الشمس جعلت الكثير من البرتغاليين يؤمنون بتدخل الآلهة لمساعدتهم، حيث كانت قناعتهم كبيرة بكونهم "**شعب الله المختار**" (Povo Eleito) وهي واحدة من بين أكثر المسائل التي اقتنع بها العديد من رجال الدين والكنيسة و عموم الشعب أيضا، يؤكد لنا حقيقية ذلك المؤرخ البرتغالي جواو دي باروس حين قال:**(ان القدرة اللاهية هي التي كلفت البرتغاليين بالانتقام للمسيحية من الإهانات التي تعرضت لها على يد الإسلام والمسلمين)**[3].

<u>ب-الدوافع الاقتصادية:</u>

لم تكن منطقة ساحل شرق افريقيا هدفا اقتصاديا رئيسيا للبرتغاليين قبل بلاد الهند بل كانت مجرد هدف ديني في بداية الأمر، من خلال تنصير سكان هذه المنطقة وتحويلهم عن عقيدتهم الأصلية سواء كانوا وثنيين أم مسلمين لكن نظرة البرتغاليين الى هذه المنطقة قد تغيرت تدريجيا بعد وصولهم إليها، حيث انبهر البرتغاليون كثيرا بثراء هذه المنطقة وغناها وتعدد مواردها الاقتصادية والتجارية الجد ضخمة، لهذا شرع البرتغاليون منذ وصولهم الى بناء العديد من المراكز التجارية والحربية هناك على

---

(1) أحمد زين الدين بن عبد العزيز المعبري الميلباري، تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، تحقيق وتعليق محمد سعيد الطريحي، ط01، مؤسسة الوفاء للنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص 262.
(2) بانيكار.ك.م، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد الرزاق توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص 27.
(3) أحمد بوشرب، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، ط01، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 177.

طول الشريط الساحلي الشرقي لإفريقيا، كما قاموا بمحاربة التجار المسلمين وسرقة ونهب السفن التجارية وا إغراقها وقتل من فيها[1].

لقد عمل البرتغاليون على اغلاق منافذ البحر الأحمر والمحيط الهندي ثم الخليج العربي فيما بعد من أجل تحويل خطوط التجارة الإسلامية، عن المماليك ثم العثمانيين من بعدهم الى مراكزهم بلشبونة كما دفعوا بالتجار المسلمين نحو البحار الداخلية وقاموا بإغلاقها عليهم[2]، لسيطروا بذلك على سواحل افريقيا الشرقيةوبلاد الهند و الساحل العماني ومضيق هرمز، على الرغم من أهمية الدوافع الاقتصادية في الحركة الاستعمارية البرتغالية إلا أن الأمر لم ينحصر فقط على سلب التجارة الاسلامية في شرق افريقيا والمحيط الهندي، بل تعداه الى درجة تدمير معالم الحضارة العربية والإفريقية عن طريق احتكار التجارة واستغلال موارد المنطقة وطمس هويتها الدينية منتهجين بذلك سياسة القسوة والعنف ضد كل من يدين بالإسلام[3]حتى أنهم قاموا ببناء الكنائس جنبا الى جنب المراكز التجارية والقلاع الحربية.

كما انبهر البرتغاليون كثيرا عندما شاهدوا ضخامة الأرباح التي يمكنهم تحقيقها من خلال الاشتغال بالتجارة الشرقية، خصوصا عند عرضهم لسلعهم بأسواق مدينةلشبونة و التي جلبوها من أسواق مدينة الإسكندرية وسواحل بلاد الهند بأسعار رخيصة جدا ما جعل العديد من التجار الأوروبيين يتوافدون عليها[4]، حيث بدأت الأسواق الأوروبية تزخر ببضائع الهند الرخيصة الثمن عن طريق أسواق لشبونة فقد وصل قنطار الفلفل مثلا والذي كان يباع في الاسكندرية بثمانين دوكا[*]الى أربعين دوكا في أسواق البرتغال، بسبب ذلك أصيبت التجارة الإسلامية بالركود كما لحق الضرر أيضا كل الجمهوريات

(1) ابن الدبيع أبي الضياء عبد الرحمان بن علي، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج02، القاهرة، 1976، ص 206.

(2) السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 14، وأنظر كذلك: يوسف بن علي الثقفي، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور، ط01، د ن، مكة، 1979، ص ص 61-62.

(3) غي دي بوشير، تشريح جثة الاستعمار، ترجمة ادوارد الخراط، دار الآداب، بيروت، 1968، ص ص 44-45.

(4) أحمد دراج، وثائق دير صهيون بالقدس، مكتبة النهضة المصرية، ط01، القاهرة، 1980، ص 146.

(*) الدوك(DUCAS): وجمعها دوكات وهي عبارة عن عملات ذهبية كانت تابعة لجمهورية البندقية حيث ساد التعامل التجاري بها في أسواق الاسكندرية بمصر وبلاد الشام بسبب العلاقة التجارية التي كانت تجمع بين هذه الدول، كما تم التعامل بها في أسواق أوروبا بسبب النشاط التجاري لجمهورية البندقية، أنظر: شارل ديل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة وتحقيق أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص 146.

الايطالية التي كانت تتعامل معهم[1]، لقد تميزت التجارة البرتغالية ومنذ بداياتها بطابع القرصنة والسلب والنهب ويبدوا واضحا لنا هذا الطابع المتسلط منذ البدايات الأولى للكشوفات البرتغالية[2]، فعند اكتشاف البرتغاليين لطريق بحري جديد عن طريق البحر الأبيض المتوسط وهو طريق رأس الرجاء الصالح[*]، لقب ملك البرتغال امانويل الأول نفسه بلقب طويل وعريض هو:"**سيد الفتوحات والملاحة والتجارة مع بلاد العرب والحبشة والهند وفارس**"[3] ، هذا اللقب قد أطلقه ملك البرتغال على نفسه قبل أن يحقق البرتغاليون أي تفوق سياسي أو عسكري أو تجاري يذكر في مياه البحار الشرقية والخليجية.

كذلك وجد البرتغاليون في ساحل شرق افريقيا تجارة راقية واقتصادا منتعشا من مختلف السلع فقاموا بإجبار تجارها وسكانها على عدم التعامل التجاري مع غيرهم من التجار، كما استغلوا العنصر البشري من أفارقة ليقوموا ببيعهم كرقيق في أسواق أوروبا[4]، حيث تعتبر تجارة الرقيق من بين أهم العوائد المالية التي كان البرتغاليون يحققونها من وراء هذه التجارة، كما تعد البرتغال الدولة الوحيدة في أوروبا التي استطاعت أن تتحصل على أكبر قدر ممكن من عائدات التجارة البحرية للمسلمين في المحيط الهندي وبحر العرب والخليج الفارسي[5].

---

(1) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الغرب والشرق أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 67.

(2) لقد كانت دوافع البرتغاليين من أجل الوصول إلى الشرق ممزوجة بالأهداف الاقتصادية لا كن الهدف الديني والسياسي كان لابد من تحقيقهم، من خلال الوصول إلى المقدسات الإسلامية بالحجاز وتدميرها وإنهاء وساطة المماليك التجارية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي، هذا ما ساهم في وجود استقرار سياسي للبرتغاليين واستقلالا لحدودهم الجغرافية، مما دعاهم إلى توجيه اهتماماتهم للبحث عن طريق بحري بديل عن طريق البحر الأبيض المتوسط، أنظر: يسرى الجوهري، الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 128.

(*) رأس الرجاء الصالح: أطلق البحار بارتلميو دياز على هذا الممر المائي اسم رأس العواصف البحرية عندما اكتشفه، لوجود العديد من الدوامات المائية التي تحول دون عبور السفن البحرية(cabo Tormetoso) ، لكن الملك البرتغالي جون الثاني الملقب بالسعيد والمحضوض سماه باسم رأس الرجاء الصالح تفاؤلا منه على أن يكون هذا الطريق البحري ناجحا وصالحا على التجارة البرتغالية خاصة والأوروبية عامة، هو الأمر الذي يعتبر من بين أهم الانجازات الجغرافية للبرتغال عالميا.

(3) عبد الأمير أمين، <<الانجازات السياسية والعسكرية والتجارية للبرتغال>>، مجلة الوثيقة، السنة 1988، العدد 13، البحرين، ص 108.

(4) زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة كمال الدسوقي وفاروق بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، 1964، ص 419.

(5) نفسه، ص 419.

ج-الدوافع الإستراتيجية والجيوسياسية:

اضافة الى كل هذه الدوافع السابقة هناك دوافع استراتيجية وجيوسياسية ساهمت في حدوث هذا الغزو البرتغالي على الساحل الشرقي لإفريقيا والتي نذكر منها ما يلي:

-حاجة البرتغاليين الى ايجاد محطات تمويل لسفنهم القادمة من البرتغال نحو بلاد الهند، ذلك بسبب بعد المسافة بين مدينة لشبونة ومدينة كاليكوت ويعد ساحل شرق افريقيا بمثابة محطة استراتيجية هامة لتوقف السفن البرتغالية من أجل التزود بما يلزم الجنودوا إصلاح ما تعطل منها ثم اكمال المسيرة نحو سواحل الهند.

-محاولة البرتغاليين استغلال ساحل شرق افريقيا من أجل الاتصال مع مملكة الحبشة من خلال طريق بري يصل بين ماليندي وبلاد الحبشة، بسبب سيطرة العثمانيين على مياه البحر الأحمر وموانئه بداية من ميناء عدن الى ميناء السويس بمصر، يؤكد لنا ذلك ما ورد في نص الرسالة التي أرسلها ملك البرتغال الدوم جواو الثالث الى ملك الحبشة جلاديوس عام 1546م، حيث يحث فيها هذا الأخير قائلا: **(...عليكم البحث على طريق يمتد من بلادكم وممتلكاتكم الى ساحل ماليندي، أو الى أي مكان أخر على ساحل البحر وذلك ليكون الإتصال بيننا أسرع...)**[1].

مما تجدر بنا الإشارة اليه هو أن دوافع الاستعمار البرتغالي لسواحل شرق افريقيا قد امتزجت بين الدافع الديني والاقتصادي والإستراتيجي، حيث لا يمكننا أن نفصل بين هذه الدوافع عن بعضها البعض لترابطها الكبير، ولا أدل على ذلك من جواب فاسكو دي غاما لحاكم مدينة كاليكوت بالهند والملقب بالزامورايين(Al Zamorain) واسمه الحقيقي هو "**راجا هندوكي**"[*]عندما سأله عن سبب قدومه الى هذه المنطقة البعيدة جدا عن لشبونة فكان جواب دي غاما مختصرا بقوله:**(المسيحية والتوابل)**[2].

---

(1) Castanhoso Miguel, The Portuguese Expedition to Abyssinia, R.S. whiteway, London, 1967, p.p. 110-112.

(*) راجا هندوكي: أو السامري أو الزامورايين كلها أسماء كانت تطلق على ملك واحد في مدينة كاليكوت الواقعة على ساحل مليبار بالهند، حيث كان هذا الحاكم يتحكم في ستة ولايات مستقلة سياسيا لكنها تابعة له من حيث الولاء اسميا فقط، للمزيد من التفاصيل أنظر: أحمد الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضاراتهم، ج01، مكتبة الأداب، القاهرة، د ت، ص 225.

(2) عبد الأمير أمين، المرجع السابق، ص 108.

من خلال عرضنا لكل هذه العوامل المساهمة في غزو البرتغاليين لساحل شرق افريقيا فاننا نلاحظ محاولة العديد من المؤرخين، التقليل من العامل الديني وجعل العامل الإقتصادي هو الأكثر دفعا للبرتغاليين من أجل احتلال سواحل افريقيا الشرقية، أو بلاد الهند أو حتى سواحل الخليج العربي فيما بعد، لكن الدافع الديني قد شكل بالنسبة للبرتغاليين الإطار العام للسياسة الإستعمارية البرتغالية في بحار الشرق ويندرج تحته كل من العاملين الاقتصادي والإستراتيجي والجيو-سياسي، وهذا ما عمد اليه القادة البرتغاليون أنفسهمن خلال تدمير هم للمساجد أو تحويلها الى كنائس أو قيامهم كذلك بسياسة تنصيرية واسعة باستخدام أسلوب القوة والعنف، مع محاولاتهم المتكررة للوصول الى الأماكن المقدسة بالحرمين الشريفين(مكة والقدس) لتدميرها، اضافة الى جهودهم الكبيرة كذلك من أجل التحالف مع مملكة القديس جون ببلاد الحبشة المسيحية.

الفصل الرابع:

جرائم الغزو البرتغالي في دول وممالك ساحل شرق افريقيا عام (1497م-1596م):

أ/حملة أسطول فاسكو دي غاما(VASCO DE GAMA)على مدن ساحل شرق افريقيا عام(1497م-1502م).

ب/مراحل السيطرة البرتغالية على مدينة كلوة عام(1502م-1506م).

ج/استسلام مدينة زنجبار لأسطول القائد البرتغالي لورانزو رافاسكوا عام 1503م.

د/استسلام مدينة بمبا للبرتغاليين عام(1503م-1504م).

هـ/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة مقديشو عام 1506م.

و/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة براوة عام 1506.

ز/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة لامو عام 1506م.

ح/حملة أسطول القائد البرتغالي بيدرو دي أنيايا على مدينة سفاله عام 1506م.

ط/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك و تريستاو دا كونها على مدينة بات عام(1506م-1507م).

ي/حملة أسطول القائد البرتغالي غوميز دي آبرو على مدينة موزنبيق عام 1707م.

ك/استسلام مدينة مافيا للبرتغاليين عام 1510م.

ل/مراحل السيطرة البرتغالية على مدينة ممباسه عام(1498م-1596م).

م/بناء البرتغاليين لقلعة المسيح أو اليسوع في ممباسه عام 1593م.

ن/مدينة ماليندي الحليف الإستراتيجي الثاني للبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا خلال القرن 16 م.

لقد اكتفى البرتغاليون بعد غزوهم لسواحل افريقيا الغربية بإنشاء القلاع الحربية والمراكز التجارية بداية من ساحل أرجن بغينيا الى غاية ساحل أنغولا[1]، مع وضعهم للعديد من الشواهد عليها غير أنهم ما ان اقتربوا من الساحل الشرقي لإفريقيا حتى عاينوا عالما جديدا لم يروه من قبل، فسكان هذه المنطقة مسلمون وعلى مستوى حضاري راقي ومتقدم جدا، اذ كانت مظاهر الغنى واضحة عليهم من خلال ملبسهم وطريقة بناء مساكنهم وقصورهم، كما لاحظ البرتغاليون كذلك كثرة الوافدين على ساحل شرق افريقيا من تجار شبه الجزيرة العربية والشرق الأقصى، لذا كان موقفهم مخالفا لما وقفوه على منطقة غرب افريقيا الوثنية[2].

ونظرا لإرتباط منطقة شرق افريقيا بتجارة الشرق الأقصى فان مخططات غزو البرتغاليين شملت المنطقتين معا، بالرغم من البعد الجغرافي بين بلاد الهند وشرق افريقيا الى أن المسؤولين بالحكومة البرتغالية كانوا ينظرون اليهما ككتلة واحدة لا تتجزأ، ففي عام 1500م أرسل الملك امانويل الأول أسطولا مكونا من ثلاثة عشر سفينة بحرية بقيادة الدوم "بيدرو ألفاريش كابرال"(Kaberal.P)الذي لم يستطع رغم كل المحاولات التي قام بها الحصول على التوابل وعلى التحالفات التي كان ينوي القيام بها لتعزيز التجارة البرتغالية، حيث أعطت عودة هذا الأسطول البرتغالي فارغا الى لشبونة الدليل القاطع للمسئولين البرتغاليين على صعوبة المهمة التي تنتظرهم طالما لم يتعلق الأمر حسبهم بأناس مسالمين كوثنيي غينيا وأثيوبيا والذين كانوا مقابل أشياء تافهة يسلمون البرتغاليين تبرا كثيرا وسلعا نفيسة[3].

فلقد وجد البرتغاليون في شرق افريقيا مجتمعات بشرية لا تخضع لهم بسهولة تامة خصوصا بعد تحكمهم في شريان التجارة مع بلاد الهند، هذا حسب ما ذكر لنا القائد البرتغالي "كابرال" عنهم

---

(1) عندما تمكن البرتغاليون من التوسع في غرب قارة إفريقيا سهل لهم ذلك عملية التوجه نحو الشرق بعدما أقاموا قواعدهم العسكرية الخلفية في سواحلها، فأنشئوا بذلك مركز أرجن التجاري عام 1445م وقاعدة سانتياجوا(Santiago)في خليج غينيا عام 1440م وقاعدة كاشو عام 1450م ولامينا عام 1482م، ثم تمكنوا بعدها من الإتصال مباشرة بمصادر الذهب السوداني وتجارة العبيد ليتجهوا بعدها نحو سواحل أنغولا ثم إلى موزنبيق وسفالة وكلوة، أنظر:

Ricard. R, Les Portugais et le Sahara Atlantique, Tome 10, Paris, 1930. p.343, et FERNAND BRAUDEL, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'Epoque de Phillipe 02, Tome01, vol02, Paris, 1966, p. 424.

(2) أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص 184.

(3) D. Lopes, Os Poretugueses en Marrocos in Historai de Portugal, IV, direct D. Pires barcelos, Portucalense Editora, 1931, p.p. 26-27.

بقوله:(**أنهم تحكموا في تجارة التوابل حتى أن البعض منهم كانوا من الأثرياء الى حد أنه كان بإمكانهم اعلان الحروب وتحمل مصاريفها أطول مما يستطيع تحمله ملوك بادس أو تلمسان أو وهران أو الجزائر أو عنابة أو تونس و الذين كانوا يمثلون نخبة أمراء الساحل الإفريقي الذي نجاوره**)[1]، والإشكالية المطروحة هي كيف سارت عمليات الغزو البرتغالي بساحل شرق افريقيا ومن قادها أيضا؟ ما هي ردود أفعال سكان الساحل الشرقي لإفريقيا على هذا المستعمر الجديد؟.

أ/حملات أسطول فاسكو دي غاما على مدن ساحل شرق افريقيا عام(1497م-1502م):

منذ أن نزل البرتغاليون في سواحل بلاد المغرب الأقصى محتلين بذلك مدينة سبتة عام 1415م ثم بعدها مدينة أسفي وأزمور ودوكالة والقصر وطنجة، فان العديد من المؤرخين والباحثين يعتبرون ذلك بداية لأول غزو أوروبي في قارة افريقيا بحيث تواصلت جهود البرتغاليين في احتلال سواحل القارة الافريقية من خلال انطلاق عملية الكشوفات الجغرافية أو الاستعمارية في حقيقة الأمر، يعد المستكشف البرتغالي "فاسكو دي غاما" واحدا من بين أبرز المساهمين في كتابة تاريخ هذه الكشوفات الجغرافية وفتح الطريق أمام مملكة البرتغال، لتوجه نحو سواحل شرق افريقيا ثم بلاد الهند و منها الى الشرق الأقصى من خلال اجتيازه لطريق العواصف البحرية جنوب القارة الإفريقية[2].

لقد سارع البرتغاليون بعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح لفرض سيطرتهم العسكرية والاقتصادية والسياسية والدينية على مدن ساحل شرق افريقيا، فبعد وصول حملة دي غاما الى سواحل مدينة سفاله المطلة على الساحل الشرقي لإفريقيا ومكوثه فيها شهرا كاملا للراحة والتوين واصل ابحاره مع أسطوله المكون من أربعة سفن حربية الى أن وصل ساحل مدينة موزنبيق[*]حيث لقي هو وجنوده ترحيبا طيبا من حاكم المدينة وسكانها ظنا منهم أنهم من المسلمين الأتراك أو المغاربة، فطلب فاسكوا دي غاما من

---

(1) D. Lopes, op.cit, p. 27.

(2) يسرى الجوهري، المرجع السابق، ص 85.

(*) موزنبيق: تقع موزنبيق جنوب رأس دلجاروا وتطل على ساحل شرق افريقيا بحيث كانت تابعة سياسيا خلال القرن 16م لسلطان مدينة كلوة وتعتبر موزنبيق من بين الحلفاء الاستراتيجيين للبرتغال في منطقة شرق افريقيا، كما كان لها حاكم خاص بها من مملكة البرتغال يشرف على العديد من المستعمرات البرتغالية في الساحل الجنوبي لإفريقيا وتتميز موزنبيق بكثرة مناجم الذهب فيها، وهي تعتبر كذلك مركزا لتجارة الرقيق ولم تنل استقلالها عن التاج البرتغالي إلا في عام 1974م، للمزيد من التفاصيل أنظر: راشد البراوي، الرق الحديث في افريقيا البرتغالية، ط01، القاهرة، 1926، ص ص(72،73).

حاكم موزنبيق أن يمده بمرشدين بحريين من أجل الوصول الى بلاد الهند، لكن بعد تعرف سكان المدينة وحاكمها على هوية هؤلاء البرتغاليين امتنعوا عن تقديم يد المساعدة لهم وهو موقف يعكس لنا نظرة بعض المسلمين الى الشعوب المسيحية، بسبب الحروب الصليبيةبالمشرق العربي و التي أثرت على نظرتهم من جهة وحروب الاسترداد في بلاد الأندلس وشمال المغرب العربي من جهة أخرى[1].

واصل فاسكو دي غاما رحلته الى مدينة ماليندي أين استقبله حاكمها وزوده بالمؤن والمرشدين لمواصلة رحلته الى بلاد الهند، وطلب منه حاكم مدينة ماليندي التوقف بها عند طريق العودة الى مدينة لشبونة[2] ، كما تجدر بنا الاشارة الى أن حكام الساحل الشرقي لإفريقيا قد اختلفت مواقفهم حول مساعدة البرتغاليين أو الإمتناع عن تقديم يد المساعدة لهم، مما يدل على عدم وجود تفاهم أو اتفاق بين هؤلاء الحكام الأفارقة أنفسهم عكس ما حدث بين الأحباش والبرتغاليين من اتفاق سياسي وديني وعسكري.

وبعد عودة حملة فاسكو دي غاما من ساحل مليبار بالهند الى ساحل شرق افريقيا رست الحملة في مدينة ماليندي مرة ثانية، وهناك تبادل حاكمها مع دي غاما الهدايا حيث يظهر لنا جليا أن دي غاما كان حريصا جدا على اقامة مثل هذه العلاقات السلمية، من أجل الاستعانة بعناصر محلية توفر له الجهد الكبير وتدافع عن البرتغاليين في تلك المنطقة [3] .

حيث كانت الأوامر الملكية في أول الأمر تنص على انتهاج القادة البرتغاليين لسياسة اللين بعقد صداقات مؤقتة مع حكام الساحل الشرقي لإفريقيا، من أجل استقطابهم وتوضيفهم لأغراظهم الشخصية وحتى يتيح لهم ذلك فرصة الوقوف عن أحوال الأوضاع الاقتصادية، ريثما يجد هؤلاء القادة موطن قدم له هناك، لقد ضربت لنا المؤرخة البريطانية "سونيا ي هاو" مثالا حيا عن هذه السياسة البرتغالية المنتهجة من طرف القادة البرتغاليين حين ذكرت لنا: **(بأن حاكم مدينة كاليكوت بالهند باع لفاسكو دي**

---

(1) دونالد وايدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي فخري وشوقي الجمل، مؤسسة سجل العرب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1976، ص 106.
(2) مؤلف مجهول، السلوة في أخبار الكلوة، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1985، ص 51، وأنظر كذلك: جيان، وثائق جغرافية، المرجع السابق، ص 210.
(3) سونيا هاو، المرجع السابق، ص ص 201-203.

غاما أنواعا رديئة من التوابل والبهارات بأسعار غالية جدا، فقبلها دي غاما منه ليظهر له عن حسن نوايا البرتغاليين في التجارة معهم...)[1].

ويؤكد لنا كذلك المؤرخ المصري "عبد العزيز الشناوي" بأن دي غاما قام بعد هذه الصفقة مباشرة بمهاجمة سفينة تجارية للمسلمين في ساحل مليبار أثناء طريق عودته الى لشبونة، فسرق جميع البضائع التي كانت تحملها ثم قام بإغراقها هي وكل من فيها[2]، كما تبين لنا العديد من المراجع التاريخية بأن سياسة البرتغاليين قد تميزت بالقسوة مع سكان ساحل شرق إفريقيا، فالمؤرخ البريطاني "دونالد وايدنر" يطرح لنا هذه النقطة بالذات، بقوله:**(بأن دي غاما اتخذ موقفا معاديا من مسلمي شرق افريقيا منذ الوهلة الأولى بسبب التعصب الديني الذي يحمله ضد الاسلام والمسلمين)**[3].

فحقيقة يمكنا القول بأن ما جسده بيدرو دي كوفيلهام من تخطيط ووصف لساحل افريقيا الشرقية وبلاد الهند، قد نفذه فاسكو دي غاما على أرض الواقع بربط بلاد الهند بمدينة لشبونة بواسطة طريق رأس الرجاء الصالح[4]، فكل ما ذكره دي غاما للملك امانويل الأول عن ساحل افريقيا الشرقية وبلاد الهند ولد فيه دافعا حقيقيا لتركيز البرتغاليين لجهودهم باحتلال هذه المنطقة والسيطرة على تجارتها من جهة وجعلها قاعدة امداد لتموين السفن البرتغالية القادمة من والى الهند من جهة أخرى، مع توفير الحماية لخط التجارة البحري[5]الى غاية مدينة لشبونة بالإعتماد على تفوقهم الحربي بحرا.

حيث بعد عودت حملة فاسكو دي غاما الى مدينة لشبونة في شهر سبتمبر من عام 1499م تزودت سفنه بالمئونة الكافية من مدينة ماليندي مع مختلف أنواع التوابل الزكية كفلفل مليبار[*]، حينها استقبل

---

(1) سونيا هاو، المرجع السابق، ص 103.
(2) عبد العزيز الشناوي، المراحل الأولى...، المرجع السابق، ص 621.
(3) دونالد وايدنر، المرجع السابق، ص 106.
(4) حراز، المرجع السابق، ص 12.
(5) جمال زكريا قاسم، الاستعمار...، المرجع السابق، ص 68.
(*) مليبار(Malibar): تتكون هذه الكلمة من مقطعين هما "ملي" ومعناها أرض الجبل و"بار" ومعناها الساحل أي سواحل الأراضي الجبلية أو بلد كثير الجبال وتطلق هي التسمية على سواحل غرب الهند حتى ساحل جوجيرات (كجرات) شمالا، وتسمى اليوم بكيرالا(Kerala) وهي احدى ولايات الهند الاثنين وعشرين، وتعرف أيضا باسم بلاد الفلفل نظرا لشهرتها في انتاجه ولقد سماها الملاحون العرب والفرس الذين زاروها في القرن الخامس هجري باسم ملابار" أنظر: الميليباري، المصدر السابق، ص ص(32،31)، وراجع كذلك: أحمد عبد الحميد الشامي، العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العربي والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1996، ص 107.

دي غاما من طرف ملكه امانويل الأول(EMANUEL I) استقبال الفاتحين، كما أقام ملك البرتغال على شرفه احتفالات رسمية لكونه تمكن من فتح طريق جديد أمام مملكة البرتغال وشعبها للتخلص من احتكار التجار المسلمين والبنادقة لمختلف السلع الأسيوية وعلى رأسها فلفل مليبار، كما عبر دي غاما خلال لقائه مع ملكه عن دهشته الكبيرة، على اثر ما شاهده من مدن تزخر بالخيرات ومليئة بالعمران والأنشطة التجارية المختلفة في ساحل شرق افريقيا[1].

بهذا كانت رحلة فاسكوا دي غاما الأولى إلى بلاد الهند رحلة استطلاعية ناجحة بامتياز اكتشف وعبر من خلالها طريق رأس الرجاء الصالح عام 1498م، أطلع على أحوال المدن والموانئ التجارية الموجودة في ساحل شرق افريقيا، بعدما قضى ستة وعشرون شهرا كاملا ليعود بعدها إلى مدينة لشبونة بالبرتغال.

ان مملكة البرتغال قد أحدثت ثورة كاملة في أوروبا كلها والتي تساءلت خلال تلك الفترة عن هذا الإنجاز الجغرافي الفريد من نوعه، ليجهز بعدها الملك امانويل الأول أسطولا بحريا بقيادة دي غاما في عام 1502م من أجل التوجه من ميناء لشبونة إلى ميناء كاليكوتا بالهند، لكن دي غاما لم يخرج في هذه المرة مستكشفا بل خرج غازيا ومحتلا لسواحل إفريقيا الشرقية، من خلال احتلاله لموانئ كل من أنغولا وموزنبيق ثم كلوة وسفالة وجزيرة زنجبار[2]، ليتجه بعدها إلى موانئ الهند الغربية أين قام بإحراق بعض السفن الراسية هناك للتجار المسلمين، لتبدأ البرتغال بعدها في تطبيق مشاريعها الاقتصادية والعسكرية والدينية هناك من خلال إنشائها لمراكز تجارية وعسكرية على طول الساحل الشرقي لإفريقيا.

---

(1) Sousa. F, The Portuguese Asia or the History of the Discovery and conquest of Indai by the Portuguese (1695-1894), translated into English by Cap John Stevens, vol I, London, p. 64.

وأنظر كذلك: محمد الغول، <<الصراع بين العرب والبرتغال في شرق افريقية>>، مجلة العربي، السنة 1962، العدد 44، الكويت، ص 100.

(2) شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 168.

ب/مراحل السيطرة البرتغالية على مدينة كلوة عام(1502م- 1506م):

ان أول وصول برتغالي الى مدينة كلوة كان في 26 من شهر جويلية عام 1500م بقيادة القائد البرتغالي "بيدرو ألفاريز كابرال" مع أسطوله البحري المكون من ستة سفن حربية، من أجل طلب التزود بالمئونة من ملكها السلطان "فضل ابن السلطان سليمان"[(1)] ، الذي وافق بدوره على تقديم يد المساعدة للبرتغاليين لكن قائدهم "بيدرو ألفاريز كابرال" أرسل بعدها وفدا بقيادة "ألفونسو فيرتادوا" (Alfonso Furtado)الى الملك فضل يطلب منه اخضاع مدينة كلوة تحت سلطة ملكه امانويل الأول، ربط علاقة تعاون تجاري واقتصادي معهم لكن هذا الطلب قوبل بالرفض من طرف السلطان فضل، الذي أخبرهم مع وزيره ابراهيم بأنه ليس في حاجة الى ربط مثل هذه العلاقات التجارية معهم أو للخضوع لهم أصلا.

ووصل الى مدينة كلوة في عام 1502م القائد البرتغالي فاسكو دي غاما لكي يخضعها تحت سيطرته، حيث أذهلته الخيرات التي تزخر بها المدينة ما أثار أطماع كل القادة البرتغاليين عليها حيث أرسل دي غاما بأحد مبعوثيه للتفاوض مع ملكها، الذي رفض التحدث مع هذا المبعوث البرتغالي وأرسل وزيره ابراهيمبدلا منه و على أساس أنه هو السلطان فضل، لكن جواسيس دي غاما كشفوا له هذا الأمر خصوصا بعد خيانةالوزير محمد بن ركن الدين لملكه الفضل بسبب رغبته في الإستيلاء على العرش والسلطة، يذكر لنا مؤلف كتاب "السلوة في أخبار الكلوة" أطوار هذه الأحداث، بقوله: (**...وفي السنة الثامنة بعد التسعمائة من الهجرة يوم الجمعة وصل نوخذ المرتي[(*)]... ولما وصل طلع اليهم ذلك النصراني وأخبرهم بجميع الأخبار وعن أحوال البلاد وذكر لهم أنه لا يصلح للولاية على كلوة سوى الحاج محمد بن ركن الدين[(*)]... فأرسل النصراني في طلب الأمير فأرادوا أن يشخصوا له شخصا أخر كما تقدم فنبههم ذلك النصراني فلم يجدوا منه بدا...)**[(2)].

---

(1) تؤكد لنا المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ مدينة كلوة أن اسم الملك الذي كان يحكم المدينة عند مرور حملة دي غاما عليها وعند وصول حملة بيدروا كابرال اليها هو السلطان الفضل ابن سليمان، والذي تولى الحكم عام 901 هجرية والمقابلة لعام 1495م، وليس السلطان ابراهيم لأنه اسم الوزير الذي أرسله الملك الفضل ابن سليمان لمقابلة بيدروا ألفاريز كابرال عند محاصرته للمدينة عام 1500م، للمزيد حول تلك المصادر أنظر: المجهول، المصدر السابق، ص ص 50-55.

(*) نواخذ المرتي: المقصود به هنا هو قائد الأسطول البرتغالي فاسكو دي غاما.

(*) محمد بن ركن الدين: ورد اسمه في بعض المصادر البرتغالية "محمد أركون" للمزيد أنظر:

Correa, op.cit, p.68.

(2) المجهول، نفسه، ص ص 56-68.

بعد هذا قام ملك مدينة كلوة السلطان فضل بمقابلة القائد دي غاما الذي فرض عليه دفع الجزية السنوية والمقدر ة بألف وخمسمائة مثقال من ذهب الى حكومة ملك البرتغال[1]، كما تجدر الإشارة كذلك أن مدينة كلوة لم تعرف سلاما دائما مع البرتغاليين الذين نكثوا بوعودهم لسلطانها من خلال استمرارهم في عمليات القرصنة البحرية ضد سفنه التجارية، اضافة الى ما قام به القائد البرتغالي "فرانسيسكو دا لميدا" عام 1505م عند مهاجمته للمدينة رغبة منه في تعيين حليف جديد للبرتغاليين على مدينة كلوة وهو الشيخ محمد بن ركن الدين المناوئ والمعادي للملك فضل بن السلطان سليمان.

تمكن بعدها البرتغاليون أخيرا من تنصيب محمد بن ركن الدين كحاكم على مدينة كلوة بدلا من الفضل بن السلطان سليمان، حيث شيدت البرتغال قلعتها الجديدة على ميناء كلوة والتي أطلق عليها اسم "قلعة سانتياجوا" (Castel of Santiago) مع تعين القائد "فرانسيسكو كوتينهوا" من أجل حمايتها من أي تمرد داخلي يقوم به سكان مدينة كلوة، لكن الأوضاع السياسية لم تستقر تماما في مدينة كلوة بسبب روح الجهاد والمقاومة التي برزت ضد حليف البرتغاليين الجديد عليهم وهو الملك محمد بن ركن الدين، ما دفع بنائب ملك البرتغال في الهند ألفونسو دي ألبوكيرك الى عزله، تعيين حاكمها الأول فضل بن السلطان سليمان عليها مرة أخرى عام 1506م[2] تعرف الأوضاع استقرارا نسبيا في المدينة بعد ذلك.

ج/استسلام مدينة زنجبار لأسطول القائد البرتغالي لورانزو رافاسكوا عام 1503م:

لقد عرفت مدينة زنجبار أول وصول برتغالي اليها منذ رحلة فاسكو دي غاما الأولى أين رسى أسطول دي غاما بمدينة زنجبار في طريق عودته من بلاد الهند الى البرتغال عام 1499م[3]، حيث زوده ملكها بالمؤن اللازمة ليبحر بعدها الى لشبونة ومنذ ذلك الوقت لم تعد السفن البرتغالية الى زنجبار نهائيا الى غاية عام 1503م، عندما قدم أسطول القائد البرتغالي "لورانزو رافاسكوا" الذي كان يقوم بعمليات القرصنة والسطو ضد سفن التجار المسلمين قرب سواحل زنجبار، حيث طلب منه ملك مدينة زنجبار أن يرجع له ما أخذته سفنه من عمليات القرصنة البحرية، لكن رافاسكوا رفض ذلك ليشتبك

(1) جيان، المرجع السابق، ص 214.

(2) Barros, op.cit, p.p. 114-117.

وأنظر أيضا: جيان، نفسه، ص ص 238-243.

(3) نفسه، ص 210، وأنظر أيضا: شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 165.

الطرفان في معركة حربية عند ساحل المدينة، التي مالت فيها الكفة للمدفعية البرتغالية بسبب تفوقهاعلى الأسلحة اليدوية والتقليدية لسكان مدينة زنجبار، مما دفع بملك زنجبار الى ارسال وفدا يتكون من أربعة أشخاص يعرضون الإستسلام على القائد رافاسكوا الذي قبل هذا العرض، مقابل دفعهم لجزية سنوية لخزينة البرتغال تقدر بمئة مثقال من ذهب مع العديد من المواشي والمؤن الغذائية الأخرى(1).

تجدر بنا الاشارة الى أن استسلام حاكم مدينة زنجبار للبرتغاليين لا يعني بالضرورة خضوع واستسلام سكانها لهم، رغم استمرار ملكها بدفع الضر ائب السنوية المفروضة عليه فان ذلك لا يعد إلا حفاظا على المدينة من التدمير والتخريب فقط، الدليل على ذلك هو قيام سكان مدينة زنجبار في العديد من المرات بشن حملات عسكرية مباغتة ضد القوات البرتغالية المتواجدة عند ساحل المدينة، حيث تعرضت أحدى سفن الأسطول البرتغالي الراسية بساحل المدينة عام 1528م تحت قيادة "تونو دا كونها" الى الحرق من طرف سكان جزيرة زنجبار (2).

د/استسلام مدينة بمبا للبرتغاليين عام(1503م-1504م):

استسلمت مدينة بمبا للبرتغاليين بين عامي 1503م و 1504م معلنة بذلك ولائها الكلي لحكومة البرتغال في سواحل شرق إفريقيا وذلك مقابل دفع جزية سنوية لها، لكن رغم ذلك الى أن سكان مدينة بمبا شاركوا بعدها في تمرد ضد البرتغاليين بمساعدة الأتراك العثمانيين عام 1587م، لكنهم فشلوا في انهاء السيطرة البرتغالية عليهم ما جعلهم يعودون من جديد تحت سيطرة حكومة البرتغال في شرق افريقيا(3).

هـ/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستاو دا كونها على مدينة مقديشو عام 1506م:

يعتبر فاسكو دي غاما أول من وصل من القادة البرتغاليين الى مدينة مقديشو وهذا في طريق عودته من بلاد الهند عام 1497م، وعند اقترابه من المدينة أمر رجاله بإطلاق النار عليها بمدافعهم لإخافة

---

(1) Coupland R, op.cit, p.p. 76-78.

وأنظر أيضا: أحمد محمود المعمري، عمان وشرق افريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط 02، وزارة الثقافة والتراث، عمان، 2016، ص 50.

(2) Sousa. F, op.cit, vol 01, p.p. 157-158.

وأنظر كذلك: المعمري، نفسه، ص 51.

(3) المغيري، المصدر السابق، ص ص(100،99).

سكانها وإشاعة الذعر والخوف فيهم، مع استعراضه لقوة البحرية البرتغالية واصل بعدها طريقه الى مدينة ماليندي[1]، كانت عودت القوات البرتغالية من أجل الاستيلاء على مدينة مقديشو بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستاو دا كونها في عام 1506م، بالرغم من كون مدينة مقديشو جد محصنة بفضل موقعها الممتاز حيث لا يكمن للسفن الكبيرة الحجم الاقتراب من المدينة بسبب مياهها الضحلة، لذلك يجب استعمال الزوارق الصغيرة فقط من أجل النزول بها، بسبب هذه العوامل كلها انسحب الأسطول البرتغالي من مدينة مقديشو خصوصا بعد هبوب رياح غربية جنوبية جد قوية، مما شكل خطرا حقيقيا على السفن البرتغالية المتواجدة بالقرب من مدينة مقديشو[2].

و/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستاو دا كونها على مدينة براوة عام 1506م:

عرفت مدينة براوة الخضوع للبرتغاليين بين عامي 1503م و 1504م وذلك بعد قرصنة البرتغاليين لسفينتين مع ثلاثة قوارب بحرية تحمل عددا كبيرا من شيوخ المدينة في يد القائد روي لورنسو رافاسكو (Ruy Lorenzo Ravasco)، الذي كان بدوره يمارس عمليات القرصنة البحرية ضد سفن المسلمين في الساحل الشرقي لإفريقيا، حيث قامت مدينة براوة بمقايضة شيوخها والخضوع سلميا لحكم البرتغاليين مقابل دفع جزية سنوية لهم، مع تعهد البرتغاليين بحمايتهم من خطر القرصنة البحرية التي تمس بممتلكاتهم وثرواتهم[3]، كما وصل في عام 1506م الى مدينة براوة أسطول برتغالي مكون من أربعين سفينة حربية بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستاو دا كونها، لمحاصرة المدينةو الإستيلاء عليها بالقوة لأن خضوعها سلميا لم يكن ليقنع الطبيعة الإستعمارية والقمعية للقادة البرتغاليين.

حيث وبعد مواجهات غير متكافئة بين المدفعية البرتغالية والسيوف والرماح والحراب الإفريقية التي لم تجدي نفعا أمام قوة المدفعية البرتغالية، حسم البرتغاليون المعركة لصالحهم من خلال تدميرهم للمدينة

---

(1) جيان، المرجع السابق، ص 248، وأنظر كذلك:
Coupland R, East Africa and Its Invaders, London, 1938, p. 46.

(2) تقوم الرياح الموسمية بدفع السفن التجارية في ساحل شرق افريقيا من جهة الشمال الشرقي جنوبا في بداية شهر ديسمبر، أما في شهر مارس فتدفعها رياح الجهة الجنوبية الغربية لتعود الى ساحل جنوب افريقيا، للمزيد أنظر:
Marsh and kings North, An Introduction to the History of the East Africa, London, 1961, p. 01.

(3) Joao De Barros, op.cit, p.p. 78-79.

وقتلهم للآلاف من سكانها مع هروب البقية منهم خوفا من الموت، ان هذه المذبحة الإنسانية الكبيرة منحت لكل من ألبوكيركودا كونها و ابنه نونو دا كونها(Nuno Da Cunha) لقب فارس[1].

ز/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستاو دا كونها على مدينة لامو عام 1506م:

بعدما حاصر الأسطول البرتغالي بقيادة ألبوكيرك و تريستاو دا كونها مدينة لامو عام 1506م أعلن شيخها الإستسلام مباشرة ، حيث خرج بنفسه لمقابلة دا كونها معبرا له في الوقت نفسه عن استعداده التام للدخول في خدمة ملك البرتغال، مقابل دفعه لجزية سنوية مقدارها ستمائة مثقال من الذهب[2]حيث عبرت أحد المؤرخات الغربيات واسمها "**غانستا هاملتون**"(Genesta Hamilton) في كتابها الذي عنوانه: "**عند صحوة دي غاما**"، عن هذه الاتفاقية المبرمة مع شيخ لامو بتسميتها بالصفقة الرابحة بالنسبة لسكان مدينة لامو بقولها:**(ان مدينة لامو قد رحبت بالرجال البيض تغمرها الفرحة وأن الجزية ضئيلة اذا ما قورنت بما سيعود عليها من حماية وصداقة مع ملك البرتغال العظيم)**[3].

ح/سيطرة أسطول القائد بيدرو دي أنيايا على مدينة سفاله عام 1506م:

تعتبر مدينة سفاله بالنسبة للملك الدوم "امانويل الأول" مدينة مناجم الذهب في شرق افريقيا، ذلك من خلال ما كتبه هذا الأخير في رسالة كان قد أرسلها بتاريخ 29 جويلية 1501م الى الملك فرديناند الأول والى زوجته الملكة ازابيلا ملكي قشتالة وأراغون ثم ملكي مملكة اسبانيا الموحدة فيما بعد (Royaume D'espagne)عام 1469م[4]، يشرح لهما فيها نتائج رحلة القائد "كابرال" الى مدينة سفاله فيقول:**(ياصاحبي الجلالة الأب والأم العظيمين ... لقد كان بيدرو قد أرسل أحدى هاتين السفينتين الى**

---

(1) جيان، المرجع السابق، ص 248، وأنظر: شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 167.
(2) أحمد محمود المعمري، المرجع السابق، ص 51، وأنظر: جيان، نفسه، ص 247.
(3) Hamilton Genesta, In the Wake of Da Gama, London, 1955, p. 57.
(4) بعد زواج الملك فرديناند ملك قشتالة بالملكة إيزابيلا(La reine isabelle) ملكة أراغون (Aragon) عام1469م، شكل هذا الزواج السياسي ظهورا لمملكة اسبانيا(Royaume D'espagne)وإنهاء للوجود الإسلامي في بلاد الأندلس والذي كان قد انحصر في عاصمة بني الأحمر بغرناطة، أخر معاقل المسلمين بعد سقوطها على يد الجيوش الإيبيرية عام 1492م، للمزيد أنظر: عبد الملك عودة، السياسة والحكم في إفريقيا، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1959، ص 60، وعن توحد مملكتي قشتالة و أراغون أنظر: شكيب أرسلان، تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983، ص ص 160-162.

سفاله وهي منجم ذهب كبير أكتشف مؤخرا[1]، كل هذا جعل الدوم "امانويل الأول" يرسل أسطولا بحريا بقيادة "بيدرو دي أنيايا" (PEDRO DE ANAYA) عام 1505م من أجل انشاء مراكز للتموين التجاري وقلعة حربية في مدينة سفاله.

باعتبار أن مدينة سفاله كانت تابعة سياسيا وعسكريا تحت حكم مدينة كلوة التي سقطت قبلها في يد البرتغاليين عام 1506م، فان حاكم مدينة سفاله الشيخ "يوسف" قد خضع بدوره الى سلطة البرتغاليين من خلال ابدائه لمظاهر الطاعة والترحيب بالقائد "بيدرو دي أنيايا"، كما بدأ في التفاوض معه أيضا من أجل انشاء قلعة حربية أطلق عليها اسم (Feitoria)[2]ومراكز للتموين التجاري لحكومة البرتغال في سفاله والتي سيشارك في بنائها أهالي سفاله مع الجنود البرتغاليين أيضا، لكن بعد سيطرة البرتغاليين على سفاله اكتشفوا بأنها ليست منجما للذهب الإفريقي، بل هي عبارة عن وسيط تجاري بين مناطق القارة الداخلية وبين بلاد الهند وأقصى شرق آسيا والبلدان الإسلامية الأخرى[3]، حيث كانت قبائل "البانتوا" المحاربة هي القبائل المسيطرة على تجارة الذهب في الساحل الإفريقي، لذلك قام البرتغاليون بمهاجمتها للإستيلاء على مناجم الذهب في قلب القارة الإفريقية[4].

ط/حملة أسطول ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستاو دا كونها على مدينة بات عام(1506م-1507م):

لقد خضعت مدينة بات الى حكم البرتغاليين على يد ألبوكيرك و تريستاو دا كونها حيث أجبرتها سيطرة البرتغاليين على جيرانها في مقديشو و براوة على الإستسلام لهم، خوفا من مهاجمتهم للمدينة وتدميرها كما فعلوا مع مدينتي براوة ومقديشو سابقا، بعدها أقام البرتغاليون ببات مركزا للجمارك وأصبحت بات عبارة عن محطة تجارية(BASTION)للسفن القادمة من و الى بلاد الهند، يتقاضى فيها البرتغاليون مكوسا كبيرة على جميع السلع التجارية التي تمر منها[5]، حيث يشير لنا اليسوعي

---

(1) The Voyage of Pedro Alvarez Cabral to brazil and Indai 1500, trd by Greenlee, East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville, p. 64.

أنظر أيضا: الصيرفي، المرجع السابق، ص 130.

(2) نفسه، ص 130.

(3) The Voyage ..., op.cit, p. 59.

(4) جيان، المرجع السابق، ص ص 225-226، وأنظر أيضا: جيمس دي في، المرجع السابق، ص ص 84-86.

(5) Vasco de Gama, op.cit, p. 57.

مونكلارو(Monclaro) بأن مسلمي مدينة بات كانوا من بين أشد السكان في ساحل شرق افريقيا كرها للبرتغاليين، لكثرة عصيانهم وتمردهم المتكرر ضد التجار البرتغاليين و القوات البرتغالية[1].

ي/سيطرة أسطول القائد غوميز دي آبروا على مدينة موزنبيق عام 1507م:

تعتبر مدينة موزنبيق من بين أهم المراكز التجارية للبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا فقد خضعت المدينة قبل غيرها من مدن وا مارات الساحل الشرقي لإفريقيا، بسبب أهميتها اللوجيستيكية من حيث اعتبارها مركزا لتوقف السفن للتزود ولإصلاح أعطابها من جهة، اضافة الى كونها نقطة ربط بين شرق افريقيا وبلاد الهند ومملكة البرتغال أيضا من جهة ثانية، يعتبر فاسكو دي غاما من بين أوائل القادة البرتغاليين الذين وصلوا الى مدينة موزنبيق عام 1497م في أثناء رحلته الأولى الى بلاد الهند، أما الزيارة الثانية لها من طرف البرتغاليين فكانت عام 1500م بقيادة "بيدروا ألفاريز كابرال" الذي ظل يمارس نشاط القرصنة البحرية في مياه المحيط الهندي الى غاية سواحل افريقيا الشرقية[2].

حيث تمكن البرتغاليون بقيادة "غوميز دي آبروا"(Gomez De Abro) من بناء أول قلعة برتغالية لهم في موزنبيق عام 1507م، كما زودت هذه القلعة بمختلف الأسلحة الحربية والمدافع لحمايتها من أي خطر خارجي يهددها وأطلق عليها البرتغاليون اسم قلعة "ساو سباستياو"(Sao Sabastiao)، اذ شكل منصب قائد هذه القلعة محل جدل كبير للعديد من القادة البرتغاليين الذين جمعوا المال الكثير عن طريق السرقة والسطو والنهب على سفن التجار المسلمين، أثناء تسييرهم لشؤون التجارة بقلعة ساو سباستياو[3] طيلة القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، اضافة الى استغلال هؤلاء القادة لقلعة ساو سباستياو في احتكار هم لتجارة الذهب والعاج داخل قارة افريقيا[4].

---

(1) Father Monclaro, A Journey from Kilwa to pate in 1569, Tr.By Theal, East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville, Oxford, 1962, p. 142. نقلا عن: الصيرفي، المرجع السابق، ص 106.

(2) Hamilton, op.cit, p.p. 26-28.

وأنظر أيضا: جيان، المرجع السابق، ص ص 207-209.

(3) جيمس دي في، المرجع السابق، ص ص 86-87.

(4) Coupland R, op.cit, p.p. 46-47.

الجدير بالملاحظة هو أن معظم دول الساحل الشرقي لإفريقيا قد خضعت كلها للسيطرة البرتغالية سواء بالقوة أو بالإستسلام المباشر خوفا منها على الخسائر المادية والبشرية التي ستلحق بها، أما الدويلات والممالك التي قاومت البرتغاليين فهي لم تنجوا من الدمار والخراب الذي أصابها بسبب تفوق المدفعية الحربية للأسطول البرتغالي على الرماح والسيوف والبنادق اليدوية.

ك/استسلام مدينة مافيا للبرتغاليين عام 1510م:

عرفت مدينة مافيا استسلامها للبرتغاليين بعدما لاحظت استسلام كل من مدينة زنجبار وبمبا لهم من جهة، من جهة أخرى لخوفها الشديد كذلك من سياسة التدمير والنهب والقتل الذي سيطالها مع القائد البرتغالي "دوارتي دي ليموس" (Dwarety De Limos) ضد كل من يعارضه في التبعية الى حكومة ملك البرتغال بسواحل شرق إفريقيا، ذلك ما وقع فعلا بعد قبول ملكها دفع الجزية السنوية المفروضة عليه عام 1510م حتى أنه لم يبدي أي مقاومة تذكر ضد القوات البرتغالية المتواجدة هناك[1].

ل/مراحل السيطرة البرتغالية على مدينة ممباسه عام(1498م-1596م):

لقد أطلق البرتغاليون على مدينة ممباسه اسم "**جزيرة الحرب**" (Island Of War)[2]ومدينة الفرسان أيضا نتيجة لصمودها الشديد ضد البرتغاليين منذ الحملات الأولى ضدها بقيادة فاسكو دي غاما عام 1498م، كما قام القائد بيدرو ألفاريز كابرال(Alvarez Cabral)بشن حملة عسكرية عليها عام 1500م، بعد أن باغتها فجأة ليقوم بقصفها بالمدافع متمكنا أيضا من تدمير قلعتها المقابلة للميناء البحري كذلك[3]، كما أرسل ملك مدينة ماليندي أسطولا بحريا بقيادة القائد لورانزوا رافاسكوا (Loranzo Rafasco)[*]من أجل ضرب حصار بحري على مدينة ممباسه انتقاما من ملكها المعادي له، نظرا

---

(1) Sousa. F, op.cit, vol 01, p.p. 157-158, and look: Serjeant R.B, op.cit, p. 14.
وأنظر كذلك: جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق، ص 96.

(2) Hamilton, op.cit, p.p. 29-53.

(3) IDEM, p. 43.

(*) يعتبر أسطول القائد البرتغالي لورانزوا رافاسكوا من بين الأساطيل البحرية التي هي في الأصل جزء من الأسطول البحري الكبير الذي أرسلته مملكة البرتغال في عام 1503م الى مياه المحيط الهندي، ثم قسم بعدها الى عدة أساطيل صغيرة أوكلت لكل منها مهمة خاصة حيث اختص أسطول رافاسكوا بساحل شرق افريقيا وأختص أسطول ألبوكيرك بحماية المراكز البرتغالية التجارية والعسكرية في كنانور وكوشين، كما أوكلت اليه مهاجمة السفن الاسلامية في البحر الأحمر ومضيق عدن، للمزيد أنظر:

Sousa. F, IDEM, p. 72.

للخسائر الإقتصادية والتجارية التي لحقت بالمدينة أضطر حاكمها الى عقد صلح مع البرتغاليين من أجل انهاء ذلك الحصار البحري المفروض عليها[1].

كما عرفت مدينة ممباسه تدميرا ونهبا وتخريبا كبيرا من طرف القائد البرتغالي فرانسيسكو دالميدا عام 1505م، بعد أن رفض سكانها وملكها الإستسلام للبرتغاليين حيث كتب ملك ممباسه عن جرائم السفاح البرتغالي دالميدا المتمثلة في قتل الرجال والنساء والأطفال وتدمير المدينة الى عدوه ملك مدينة ماليندي في مضمون هذه الرسالة، التي نقف فيها على حجم المأساة والخيانة التي تعرضت لها المدينة و سكانها من طرفه، التي يقول فيها:

(بارك الله فيك يا سيد علي اني أبعث اليك بهذه الرسالة لكي أخبرك أن قائدا جبارا قد دخل هذه المدينة فأحرقها ودمرها... حتى لم يبقى فيها لا رجلا ولا امرأة ولا شيخا ولا شابا ولا حتى طفلا... بل انه قتل الطيور في السماء وان رائحة الجثث المتعفنة شديدة جدا...)[2].

يمكننا القول أنه وبالرغم من كل المحاولات البرتغالية لإخضاع مدينة ممباسه نهائيا لتبعية البرتغاليين إلا أن سكان هذه المدينة ظلوا يقاتلون بشراسة دائمة كل حلفاء البرتغال وخصوصا سكان مدينة ماليندي طوال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، رغم كل الخسائر المادية والبشرية التي كانت تلحق بهم جراء الغزوات البرتغالية المتكرر ة ضدهم، لكنهم لم يستسلموا كليا للغزاة البرتغاليين من خلال تحالفهم مع العثمانيين أيضا لتدعيم مقاومتهم ضد البرتغاليين عام 1586م، منذ هذا العام والعثمانيون يدعمون المقاومة المحلية في مدينة ممباسه إلى غاية سقوطها نهائيا تحت سيطرة البرتغاليين عام 1596م، عندها أصبحت مدينة ممباسه هي المقر الأول والرئيسي للبرتغال في تسيير شؤون مستعمراتها بساحل شرق إفريقيا، الغريب في الأمر أن البرتغاليين نصبوا عليها حاكما من مدينة ماليندي جارتها العدو وقاموا ببناء حصنهم المشهور والذي سموه "**بقلعة اليسوع**" (Fort Jesus)[*]عام 1593م.

---

(1) Hamilton, op.cit, p. 50.
(2) IDEM, p.p. 53-55.
وأنظر أيضا: شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 127، وأنظر: فليبس وندال، تاريخ عمان، ط02، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1983، ص 36.
(*) قلعة المسيح أو اليسوع: تقع القلعة في الساحل الشمالي الشرقي لميناء مدينة ممباسة وهي تعتبر من بين أكبر القلاع البرتغالية في ساحل شرق افريقيا والمحيط الهندي، اتخذت قلعة ممباسة بالنسبة للبرتغاليين كمركز لإدارة=

م/بناء البرتغاليين لقلعة اليسوع أو المسيح في ممباسه عام 1593م:

بعدما تمكن البرتغاليون من القضاء على الجهود العسكرية الداعمة للمقاومة المحلية بممباسه والتي قدمها العثمانيون لهم بقيادة الريس علي ميرال بك[*]، حيث أجج هذا التدخل العثماني لديهم روح الثورة والتمرد على المستعمر البرتغالي، إلا أن الحركات التمردية كانت تقف من جديد في وجه البرتغاليين وهذا ما حدث فعلا عام 1592م وذلك عندما قاد حاكم مدينة ممباسه حملة عسكرية ضد سكان مدينة ماليندي، الداعمة للغزو البرتغالي في الساحل الشرقي لإفريقيا عموما وضد سكان مدينة ممباسه خصوصا[1]، كما أن خضوع سكان مدينة ممباسه للغزو البرتغالي لم يكن مستمرا دائما فقد كانوا يستسلمون تارة بدفع الضرائب وقبول تواجد الحاميات العسكرية البحرية البرتغالية في مينائهم، أما تارة أخرى فقد كانوا يثورون ضد القوات البرتغالية نفسها وضد كل من يدعمها أيضا[2].

لقد أصبح مؤكدا لدى البرتغاليين بأن بنائهم لقلعة عسكرية في ممباسه أصبح أمرا في غاية الأهمية بمكان لما له من مؤهلات عديدة بحيث تطل قلعة ممباسه على الساحل الشمالي لإفريقيا، هو موقع جيو استراتيجي جد هام وحيوي أيضا كما أدرك البرتغاليون أن بقاء قلعة موزنبيق لوحدها غير كاف للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية والإستراتيجية والعسكرية بدرجة أخرى في سواحل شرق إفريقيا، لذلك قرروا اتخاذ مدينة ممباسه كعاصمة لممتلكاتهم بالبحار الشرقية الإفريقية[3]، حيث شرع البرتغاليون في بناء هذه القلعة عند مدخل ميناء المدينة عام 1593م، ليتم الإنتهاء من أشغال البناء بعد نحو عامين من

الشؤون البرتغالية في شرق افريقيا وان بناء هذه القلعة ذات الموقع الإستراتيجي الممتاز كانت بالنسبة للبرتغاليين حلما يراودهم خصوصا بعد ظهور البحرية العثمانية في سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي بقيادة "سيد على ريس"، ما أحدثه ذلك من اثارة لروح الجهاد الاسلامي والثورة في أوساط الشعوب السواحلية، دون أن ننسى بأن مدينة ممباسة هي أكبر معقل للثورات وللحروب الإستقلالية ضد حكومة البرتغال في سواحل شرق إفريقيا، للمزيد أنظر: مبارك بن علي الهنائي، <<العمانيون وقلعة ممباسة>>، ترجمة عبد المنعم عامر، مجلة تراثنا، السنة 1980، العدد 09، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، ص ص 12-13، وأنظر كذلك: السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 20.

(*) الريس علي ميرال بك: أو علي أمير بك هو قائد برتبة قابودان باشا عمل تحت لواء البحرية العثمانية المتمركزة بسواحل الحبشة والبحر الأحمر، أرسله السلطان العثماني مراد الثالث(1574م-1595م) ابن السلطان سليم الثاني من أجل مساعدة مسلمي ساحل شرق افريقيا وتطهيرها من الغزو البرتغالي حيث كان الريس علي تحت امرة الوالي العثماني باليمن، للمزيد أنظر: مبارك بن علي الهنائي، المرجع نفسه، ص 13.

(1) نفسه، ص ص 12-13، وأنظر أيضا:

Cook M.A, A History of The Ottoman Empire, London, 1976, p.p. 99-100.

(2) السيد رجب حراز، المرجع نفسه، ص 20.

(3) نفسه، ص 20.

ذلك أي عام 1595م، ليطلق عليها اسم "**قلعة المسيح**" والتي تعتبر في حقيقة الأمر من بين أعظم الحصون والقلاع المشيدة من طرف البرتغاليين في ساحل شرق افريقيا[1] لتترسخ بذلك أقدام البرتغاليين في مدينة ممباسه نهائيا، تتأكد سيطرتهم على المقاومة المحلية في القسم الشمالي الشرقي من ساحل افريقيا.

تجدر بنا الاشارة الى أن جلب البرتغاليين للعديد من المستوطنين سواء من البرتغال ومن قارة أوروبا ككل من أجل الإستيطان في مملكة ممباسه وانتهاجهم أيضا لسياسة تنصيرية واسعة على سكان المنطقة، بداية ببناء العديد من الكنائس والمراكز التنصيرية التي يشرف عليها طوائف الآباء الكاثوليك وطوائف القديس سان أوغسطين(Saint-Augustin)، كما أن جلبهم أيضا لطوائف الآباء الدمينكان والجزويت[*](PERES DOMINICAINS ET JESUITES)التنصيريتان اليها يعتبر في حقيقة الأمر بداية لتنفيذ مشروعهم التنصيري في منطقة شرق إفريقيا[2]، بحيث يمكننا القول أن الاستعمار البرتغالي قد بدأ يتخذ خلال هذه المرحلة بالذات شكلا استيطانيا غير مسبوق من قبل، كونه يعتمد أساسا على التوسع والسيطرة بحرا أكثر من التوسع والإستقرار برا مثل ما يحدث في ساحل شرق افريقيا.

اضافة الى قيام البرتغاليين بجعل مدينة ممباسه مقرا مركزيا للجمارك والضرائب المفروضة على جميع السفن التجارية القادمة من بلاد الهند، حيث أرغموا جميع السفن المحملة بالسلع والبضائع الشرقية على دفع الرسوم الجمركية الى حكومة البرتغال في ممباسه[3]، بهذا يكون البرتغاليون قد عززوا من مداخيلهم المالية الى جانب فرض قوتهم البحرية والعسكرية في مدينة ممباسه وسواحل افريقيا الشمالية والشرقية أيضا، خصوصا في فترة حكم القائد البرتغالي فرانسسكو كابريرا[*] لقلعة اليسوع بممباسه.

---

(1) المغيري، المصدر السابق، ص 186.
(*) الدمينكان والجزويت: هما طائفتان دينيتان تنتسبان الى القديس دومينيك(Dominique) عرفوا بحماستهم الشديدة في نشر المذهب الكاثوليكي داخل وخارج قارة أوروبا، بدئوا نشاطها التنصيري في إسبانيا ثم مددوه الى مملكة البرتغال أيضا كما وصل نشاطهم التنصيري الى غاية بلاد الصين واليابان والهند وسواحل شرق افريقيا كذلك، للمزيد أنظر: شوقي عطا الله الجمل، الصراع العربي البرتغالي في المحيط الهندي والتحرر الإفريقي، أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، ج01، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات العربية المتحدة، رأس الخيمة، 1978، ص 195.
(2) أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص 266.
(3) السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 21.
(*) فرانسسكو كابريرا: هو من بين القادة البرتغاليين الذين كافأهم ملك البرتغال بعد المجهودات الكبيرة التي قام بها في ممباسه، حيث رسخ هذا الأخير الوجود البرتغالي من خلال قمعه وإخماده لتمرد الأهالي في ساحل شرق افريقيا حيث منحه الملك البرتغالي أوسمة عديدة أبرزها وسام "**السيد المسيح**"، اضافة الى منحة مالية كمكافئة له قدرها=

ن/مدينة ماليندي الحليف الاستراتيجي الثاني للبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا خلال القرن 16م:

لقد بقيت مدينة ماليندي منذ زيارة فاسكو دي غاما في رحلته الأولى اليها الحليف الاستراتيجي الثاني للبرتغاليين بعد مملكة الحبشة المسيحية، المطلة على ساحل البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي مستغلة بذلك تحالفها السياسي والعسكري مع مملكة البرتغال من أجل القضاء على جارتها ممباسا، متجاهلة في الوقت نفسه الضرر الكبير سواء اقتصاديا أوسياسيا أو دينيا، الذي سيعود بدوره على جميع مدن ساحل شرق افريقيا نتيجة هذا التحالف البراغماتي بين المملكتين.

حيث يمكننا أن نستنتج جليا مدى عمق هذه العلاقات التي ربطت بين الطرفين من خلال الرسالة التي أرسلها ملك ماليندي المدعو "**عائل**" الى ملك البرتغال امانويل الأول عام 1521م، التي يقول فيها:(**...وهذا ميناء ماليندي هو لكم دون ريب كما أن ماليندي كلها دون منازع هي لكم، وأمل أن تكون ماليندي محط سرور عظمتكم وا إننا اذ نرى رجالكم نضعهم على رؤوسنا...**)[1].

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها مع كل هذه الأحداث تطرح علينا العديد من التساؤلات حول الأسباب التي ساهمت في سقوط ممالك ودويلات الساحل الشرقي لإفريقيا تحت سيطرة البرتغاليين بعد قرابة تسع وتسعون سنة كاملة (1497م-1596م)،رغم كثر تها عدداو عدة وتنوع امكانياتها الحربية برا وبحرا؟.

و الإشكالية المطروحة هي هل أن التفككالسياسي و الضعف العسكري لدول ساحل شرق افريقياو عدم توحدها في مواجهة الخطر البرتغالي المشترك كان هو السبب الرئيس في استعمارها؟ أم أن هنالك أسباب أخرى ساهمت في اضعافها داخليا وخارجيا و سهلت سيطرة البرتغاليين عليها على مدار قرنين من الزمن؟.

خمسين ألف روبية كما سجل اسمه في لوحة شرف صاحب الجلالة، كما أصبح هذا القائد البرتغالي يتقاضى ايرادات مالية للعديد من الأراضي الزراعية طيلة حياته، للمزيد أنظر: الهناني، المرجع السابق، ص 14، وأنظر كذلك: المغيري، المصدر السابق، ص 187.

(1) “Letters from Ale King of Malindi to the king (1500-1521) In Documents on the Poretuguese”, Vol VI, Doc No 06, p. 46.

نقلا عن: الصيرفي، المرجع السابق، ص 111.

الفصل الخامس:

العوامل المساعدة والنتائج المترتبة عن سيطرة البرتغاليين على سواحل شرق افريقيا خلال القرن 16م:

***العوامل المساعدة في سيطرة البرتغاليين على سواحل شرق افريقيا:**

أ/العوامل السياسية.

ب/العوامل العسكرية.

***النتائج المترتبة عن سيطرة البرتغاليين على سواحل شرق افريقيا:**

أ/النتائج الدينية.

ب/النتائج السياسية.

ج/النتائج الإقتصادية.

***العوامل المساعدة في سيطرة البرتغاليين على سواحل شرق افريقيا:**

أ/العوامل السياسية:

-كثرة التفكك السياسي بين حكام دول وممالك ساحل شرق افريقيا مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد من خلال النزاع المتواصل والمستمر على الحكم والسلطة بينهم، من بين أمثلة ذلك نذكر النزاع بين مملكة مقديشو وبين ماليندي وممباسه وكلوة من أجل فرض سيطرتهم على دول الساحل الشرقي لإفريقيا و هذا ما جعلهم يتصادمون مع بعظهم البعض في العديد من المعارك والحروب، التي أضعفتهم داخليا وسهلت في الوقت نفسه تعرضهم لأي خطر خارجي، هذا ما استغله البرتغاليون من خلالنشر هم لسياسة فرق تسد من أجل ادارة مستعمراتهم في هذه المنطقة.

-تحالف ملك ماليندي ضد دول ساحل شرق افريقيا من خلال ترحيبه بالبرتغاليين وتقديمه ليد المساعدة والعون طيلة القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، اضافة الى تحريضه للبرتغاليين على مهاجمة مدينة ممباسه في العديد من المرات حيث شاركت ماليندي في الكثير من الحروب التي خاضها البرتغاليون ضد دول ساحل شرق افريقيا بتقديمها للمئونة وتصليحها للسفن البرتغالية المعطلة، رغم أن ملك ممباسه كان قد عرض على ملك ماليندي التحالف معه ضد البرتغاليين لكنه رفض ذلك العرض مفضلا التحالف مع البرتغاليين ضد ممباسه.

-استغلال البرتغاليين للعديد من القبائل الافريقية الغير متحضرة والمتعاونة معهم في اخماد الحركات التمردية التي تثور ضدهم في ساحل شرق افريقيا، من بين هذه القبائل نذكر قبيلة الوانيكا(Wa-Nyika) وقبيلة السججوا التي قضت على ثورة سكان ممباسه ودحرتها في عام 1592م[1].

ب/العوامل العسكرية:

-تفوق الأسلحة البرتغالية المتطورة والفتاكة من مدفعية حربية وبنادق نارية وبارود على الأسلحة البسيطةو البدائية كالسيوف والحراب والسهام والدروع التي امتلكتها ممالك ساحل شرق إفريقيا، لكون أن هذه الممالك الإفريقية كان يغلب عليها الطابع التجاري و الفلاحي، لم يكن يغلب عليها الطابع الحربي

---

(1) Coupland R, op.cit, p. 61.

و العسكري خلال تلك الفترة الزمنية، رغم أنها كانت تمتلك أسلحة قديمة لكنها كانت للدفاع عنها من خطر منافسيها من الامارات المجاورة لها والقبائل الوثنية الأخرى.

تجدر بنا الإشارة الى أن الوجود الإسلامي في ساحل شرق افريقيا كان وجودا حضاريا واقتصاديا قام على سواعد المهاجرين والتجار العربو المسلمين، لم يقم على سياسة التوسع والغزو العسكري لذلك لم يكن لسكان هذه المنطقة القدرات العسكرية الكافية لمواجهة الأخطار الخارجية الكبرى، الأمر الذي سهل على البرتغاليين السيطرة عليهم من جهة أما من جهة ثانية فان عدم تدخل القوى الإسلامية الكبرى لتقديم يد المساعدة والعون لهم، مثل دولة المماليك بمصر بسبب انشغالها بمشاكلها الداخلية ساهم بشكل غير مباشر في سقوط هذه المنطقة أيضا تحت سيطرة البرتغاليين.

والإشكالية المطروحة هي ما النتائجو التداعيات المترتبة عن هذا الغزو البرتغالي لسواحل افريقيا الشرقية دينيا وسياسيا واقتصاديا، خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي؟.

***النتائج المترتبة عن سيطرة البرتغاليين على سواحل شرق افريقيا:**

لقد خلف الغزو البرتغالي بسواحل افريقيا الشرقية نتائج مختلفة سواء كانت دينية أوسياسية أواقتصادية، ترى ماهي هذه النتائج المترتبة عنه في ساحل شرق افريقيا؟.

أ/النتائج الدينية:

قيام البرتغاليين باضطهاد مسلمي شرق افريقيا وتدمير مساجدهم واحراقها مع إجبارهم على اعتناق المذهب الكاثوليكي بدل الدين الإسلامي، مع تدمير جميع مقومات الحضارة العربية الاسلامية هناك.

-تحقيق البرتغاليين لحلمهم من خلال الوصول الى مملكة الحبشة النصرانية من أجل العمل سويا على انهاء الوجود الاسلامي بساحل شرق افريقيا، مع محاولاتهم المتكررة من أجل الوصول الى الأماكن المقدسة بمكة والمدينة ومطاردتهم لسفن الحجاج العابرين في مياه البحر الأحمر(1) أو بحر العرب لنهبهلوا إحراقها وقتل من فيها.

-انشاء القادة البرتغاليين بجنب كل القلاع الحربية لكنائس كاثوليكية على امتداد طول الساحل الشرقي لإفريقيا وهي تعتبر بمثابة مراكز للتنصير المسيحي.

ب/النتائج السياسية:

-تكوين البرتغال لمستعمرات جديدة في قارة افريقيا ثم آسيا ما يعني سيطرتها على طرق التجارة البحرية القديمة والجديدة بالهند والشرق الأقصى ارتكازا على مستعمراتها في شرق افريقيا.

---

(1) البحر الأحمر: وسمي بالعديد من الأسماء منها البحر الفرعوني والحبشي وبحر القلزم لكن اليونانيين هم من أطلقوا عليه تسمية البحر الأحمر، هي التسمية التي ظلت ملتصقة به إلى غاية اليوم ويبلغ طوله انطلاقا من شماله وصولا إلى جنوبه بمضيق بباب المندب ألف ومائتي ميل وأكبر اتساع لعرضه يقدر بحوالي مائتين وخمسون ميلا اذ تعتبر جزيرة بريم الواقعة عند مدخله الجنوبي فاصلا طبيعيا له يقسم باب المندب إلى ممرين مائيين، كما تعتبر مياهه من أكثر المياه ملوحة في العالم بل ومن أشدها أيضا، كما يتميز البحر الأحمر عن غيره من بحار العالم بكثرة شعابه الساحلية وحواجزه المرجانية، مما يعد سببا حقيقيا في عرقلة حركة السفن التجارية المارة به وصعوبة الملاحة فيه خصوصا لمن لا يعرف حركة رياحه ومسالكه وأماكن انتشار شعابه المرجانية، للمزيد أنظر: الحموي، المصدر السابق، م 07، ص ص 145-146، وأنظر أيضا: حمزة لقمان، تاريخ الجزر اليمنية، مطبعة يوسف وفيليب الجميل، بيروت، 1972، ص 11.

-تبنى إمبراطورية البرتغال لشعار ملكة البحار الشرقية ووريثة الامبراطورية الرومانية البيزنطية داخل قارة أوروبا.

-نشر مملكة البرتغال لسياسة "فرق تسد" بين ممالك ودويلات ساحل شرق افريقيا وجعلها من مملكة الحبشة المسيحية ومملكة ماليندي حليفتان لها ضد الممالك المسلمة.

ج/النتائج الاقتصادية:

-سيطرة البرتغاليين على طرق التجارة العالمية في أقصى شرق آسيا وبلاد الهند والبحر الأحمر والخليج العربي انطلاقا من ساحل شرق افريقيا، ما انعكس بدوره على انخفاض أسعار هذه السلع الشرقية.

-احتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية بإفريقيا من ذهب وعاج وفضة وصمغ ورقيق وغيرها من السلع النادر في افريقيا، حيث أصبحت لشبونة هي الممول الأول لهذه السلع في أوروبا.

-حدوث انعكاسات جد خطيرة للتجارة المسلمين سواء في موانئ البحر الأحمر أو الخليج العربي أو البحر الأبيض المتوسط و هذا على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي أيضا، بسبب انهاك القدرات الاقتصادية للتجار المسلمين في شرق افريقيا نتيجة ارتباط تجارة شرق افريقيا بتجارة الشرق الأقصى خصوصا في فترة حكم الدولة المملوكية بمصر وبلاد الشام.

الفصل السادس:

خصائص السياسة الإستعمارية البرتغالية في سواحل شرق افريقيا ودوافعها خلال القرن 16م.

لقدتميز ت السياسة الإستعمارية البرتغالية في منطقة ساحل شرق افريقيا عن غيرها من الشعوب الإستعمارية التي احتلت دول شرق افريقيا من خلال مجموعة من الخصائص والمميزات، والإشكالية المطروحة هي ما خصائص ومميزات هذه السياسة الإستعمارية للبرتغال وما دوافعها أيضا؟.

ان من بين خصائص سياسة الغزو البرتغالي لمنطقة ساحل شرق افريقيا ما يلي:

-استعمال القادة البرتغاليين لأسلوب القوة والعنف والسلب والنهب سواء عندما قام البرتغاليون بمخادعة سكان الساحل الشرقي لإفريقيا من خلال اخفاء هويتهم الحقيقية، خوفا من عدم تلقيهم للمساعدة وليد العون و هو ما قام به طاقم الرحلة الأولى لفاسكو دي غاما عام 1498م عند وصوله الى مدينة سفاله وبعدها الى مدينة موزنبيق، حيث ظن سكان هذه الممالك الاسلامية في بداية الأمر أن البرتغاليين من سكان الدولة العثمانية أو من سكان بلدان المغرب العربي، لكن بعد تعرفهم على هويتهم الحقيقية امتنعوا عن تقديمهم ليد المساعدة اليهم مع رفضهم كذلك للتعامل التجاري معهم[(1)].

-قيام القادة البرتغاليون منذ وصولهم الى مدن الطراز الإسلامي بقصف وتدمير هذه الممالك سواء ما قام به القائد فاسكو دي غاما من قصف لمدن الساحل الشرقي لإفريقيا بداية من شمالها الى جنوبها بسبب رفضها للتعامل التجاري معه[(2)]، أو ما قام به غيره من القادة البرتغاليين أمثال كابرال ألفاريز وألفونسو دي ألبوكيرك وتريستان دي نورها والآخرين منهم، الذين لم تختلف سياستهم عن سياسة سابقيهم اتجاه سكان هذه المناطق الإسلامية من سلب ونهب وقتل، محاولين بذلك القضاء على الكيان الإسلامي بساحل شرق افريقيا بصفة نهائية، حسب ما كانت تمليه عليهم اتجاهاتهم المتطرفة والعنصرية أيضا.

-ارتكاز سياسة القادة البرتغاليين في غزوهم لمدن ساحل شرق افريقيا على نشر الدين المسيحي على حساب الدين الإسلامي، حيث ارتبطت التجارة بالعمل المقدس عندهم منذ البدايات الأولى لرحلتي فاسكو دي غاما والتي تجلت فيها مظاهر التبشير الديني بوجه مباشر، اذ تكونت حملة دي غاما من أربعة سفن حربية رفع عليها شارة الصليب ورسم على ملابس الجنود المشاركين فيها رسم الصليب مع إطلاق

---

(1) جيان، المرجع السابق، ص ص 208-209، وأنظر كذلك: دونالد وايدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي فخري وشوقي الجمل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1976، ص 102.
(2) الميليباري، المصدر السابق، ص ص 245-246.

اسم "جنود المسيح"(Soldats Du Christ)على هؤلاء المقاتلين تنفيذا لأوامر البابا ألكسندر السادس[1] (Le pape Alexandre VI).

-قيام القادة البرتغاليين بعزل الاتصال بين سكان الساحل الشرقي لإفريقيا وبين سكان القبائل الداخلية من أجل منع وصول السلع الافريقية الى التجار المسلمين والعرب، التي كانت تصدر الى سكان شبه الجزيرة العربية والساحل العماني[2].

-قيام البرتغاليين بإثارة الفتن والحروب والمنازعات الأسرية بين زعماءة القبائل الافريقية في ساحل شرق إفريقيا، قصد اضعافهم داخليا من أجل تسهيل عملية السيطرة الخارجية وبسط نفوذهم عليهم، مع قيامهم أيضا بقطع الرحلات البحرية والهجرات العربية من ساحل شرق إفريقيا، خصوصا بمنطقة الساحل العماني وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي[3].

-تركيز القادة البرتغاليين لكامل جهودهم العسكرية من أجل السيطرة على الساحل دون التوغل في الداخل لأنهم كانوا يدركون جليا مدى التكاليف الباهظة لهذه العمليات الحربية ماديا وعسكريا، اضافة الى ذلك فان قلة التعداد البشري والمادي للبرتغال يحتم عليها اتباع مثل هذه الاستراتيجية للحربية و التي تبناها القائد البرتغالي "دالميدا"، من خلال رؤيته البعيدة لأن البرتغال لا تستطيع حسب قوله أن تورط نفسها في شؤون البر والبحر معا[4].

-انشاء البرتغاليين للمحطات التجارية وللقلاع العسكرية في جميع السواحل التي سيطرت عليها بشرق إفريقيا، من أجل تمويل سفنها الحربية والتجارية من جهة ولحماية خطوط ملاحتها من جهة أخرى حيث تستند الأساطيل البرتغالية في تحركاتها بالبحر الأحمر والمحيط الهندي اليها[5].

---

(1) الشناوي، المرجع السابق، ص 618.
(2) بازل دافيدسن، افريقية تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965، ص 416.
(3) جمال قاسم زكرياء، المرجع السابق، ص 68.
(4) جيان، المرجع السابق، ص 246.
(5) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، عالم المعرفة، ط01، الكويت، 1982، ص 53.

الفصل السابع:

محاولات أساطيل البرتغال السيطرة على سواحل البحر الأحمر (1507م-1541م).

أ/حملة القائد ألفونسو دي ألبوكيرك عام(1507م-1515م).

ب/حملة القائد لوبو سواريز دي البيجاريا(Lopo Soarez de Albegaria)عام 1517م.

ج/حملة القائد ديوجو لوبيز دي سيكيرا (Diogo Lopez de Sequeira) عام 1520م.

د/حملة القائد هيكتور دي سيلفيرا(Hector de Silveira) عام(1524م-1526م).

هـ/حملة القائد أنطونيو دي أميراندا(Antonio de Amiranda)عام 1528م.

و/حملة القائد استيفاو دي غاما(Estevao de Gama) عام 1541م.

لقد قامت السياسة الإستعمارية والتوسعية للبرتغال في ساحل شرق افريقيا منذ بداياتها الأولى على السيطرة الساحلية فقط دون التوغل في قلب قارة افريقيا، بحيث لم يفكر البرتغاليون بتاتا في توسيع مستعمراتهم داخل أدغال إفريقيا، لكون ذلك يشكل عبئا كبيرا لهم من الجانب العسكري والمالي[1] خصوصا اذا علمنا بأن الإمكانيات البشرية للبرتغال قليلة جدا لذلك حصر البرتغاليون وجودهم في المناطق الساحلية فقط، من أجل استكمال مخططهم التوسعي في البحار الشرقيةو غلق طرق التجارة العالمية في وجه التجار المسلمين، اتجهوا بعدها نحو سواحل البحر الأحمر ثم الخليج العربي، والإشكالية المطروحة هي هل تمكن البرتغاليون من بسط نفوذهم العسكري والسياسي أيضا على سواحل البحر الأحمر مستكملين بذلك مشروعهم الإستعماري من جنوب الساحل الإفريقي الى شماله؟ وما هي الظروف التي عرقلة من تنفيذ مشروعهم هناك؟.

أ/حملة القائد ألفونسو دي ألبوكيرك عام(1507م-1515م):

ان رغبة البرتغاليين للإتصال المباشر بحرا مع مملكة الحبشة النصرانية والوقوف ضد مسلمي شبه الجزيرة العربية، انزال سفرائهم ومبعوثيهم بسهولة هناك خصوصا في مصوع وزيلع ودهلك وتحقيق مشروعهم الديني والمسيحي بتدمير مكة والمدينة المنورة كذلك[2]، احكام سيطرتهم التجارية على الذراع الثاني للتجارة الشرقية مع أوروبا ألا وهو البحر الأحمر، جعل من هذا الممر المائي هدفا جيو-استراتيجيا[3](GEOSTRATEGIQUE)هاما للبرتغاليين بدرجة كبير جدا، من أجل التحكم في الحركية التجارية بالبحر الأحمر(Mobilite Commerciale).

اذ يعتبر البحر الأحمر هو شريان الحياة الإقتصادية ونقطة اتصال تجارية جد هامة منذ القدم والى غاية اليوم، خصوصا بين الدول والمدن الساحلية المطلة علية حيث لعب التبادل التجاري والحضاري والثقافي والديني خلالها حلقة الوصل فيه بين مختلف الأقطار العربية مشرقا ومغربا، كما اعتبرت منطقة

---

(1) جيان، المرجع السابق، ص 236.
(2) ابن إياس، المصدر السابق، ج04، ص 191، وأنظر أيضا: حسن أحمد محمود، <<التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب>>، مجلة المؤرخ العربي، السنة 1980، العدد 12، ص 217.
(3) جيو-استراتيجي: هي كلمة انجليزية الأصل أي جيو بوليتيك أو جغرافيا السياسة وتعني استخدام أي دولة ما لقواها الطبيعية ومقوماتها البشرية من أجل تحقيق سياستها العالمية والخارجية وفق أهداف معينة سياسية أو اقتصادية أو دينية أو ثقافية وهذا ما سعت اليه الدولة العثمانية والعماينة لتحقيقه ضد الغزو البرتغالي ما بين(1497م-1698م).

البحر الأحمر أيضا من بين عوامل التطور والإزدهار بالنسبة للدول والممالك التي تأسست بجانبها نظرا للأهمية التي اكتسبها هذا البحر، مع مرور الوقت بدأت الأطماع تزداد من حوله بغية السيطرة عليه من بوابته الأمامية والخلفية من قبل العديد من القوى المسيحية وعلى رأسهم مملكة البرتغال[1].

ويعتبر ألفونسو دي ألبوكيرك من بين أوائل القادة البرتغاليين الذين شرعوا في مهاجمة مياه البحر الأحمر قبل أن يتم تعيينه كنائب لملك البرتغال في الهند، حيث قام هذا الأخير بالإستيلاء على جزيرة سوقطرة[*]أولا لقربها من مدخل البحر الأحمر عام 1507م، ذلك من أجل مراقبة الحركية التجارية وتحين الفرصة المواتية للهجوم على بوابة البحر الأحمر وهي ميناء عدن التجاري، لمنع حكام دولة المماليك من الوصول اليهم ومهاجمتهم في مياه المحيط الهندي والخليج العربي أيضا، من بين المراسلات التي توضح لنا رغبة القائد ألفونسو دي ألبوكيرك في السيطرة على سواحل البحر الأحمر، ما كتبه إلى ملكه امانويل الأول، قائلا:(**...ان رغبتي أن أذهب لإى ميناء مصوع بمملكة البرستجون(الحبشة) لأستولي على دهلك حتى أرى ما أستطيع أن أفعله في جدة... وحيث أني أرغب في تصفية الرمان[*]، بعد أن أكون علاقات مع مملكة البرستجون فإنني سأدمر مكة ولهذه الأسباب فإني مصمم على الذهاب إلى البحر الأحمر وتحطيم السلطان[*] في تلك المياه...**)[2].

---

(1) سيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ط 01، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1933، ص 81.

(*) جزيرة سوقطرة: هي جزيرة تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية وهي من أكبر الجزر العربية في خليج عدن وبحر العرب وتقدر مساحتها ب1400ميل مربع وهي جزيرة جبلية التضاريس وقليلة السكان كما تكثر حولها الشعاب المرجانية، ولقد قام البرتغاليون باحتلالها عام 1507م بداعي شنهم لغزواتهم البحرية منها ضد سفن التجار المسلمين بالمحيط الهندي والبحر الأحمر، لكنهم تركوها في عام 1511م بعدما اكتشفوا أهمية ميناء عدن باليمن، وتتبع جزيرة سوقطرة حاليا الى بلاد اليمن، للمزيد أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص 187، وانظر أيضا: حسين بن علي الريسي، اليمن الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص 07.

(*) يقصد بهم العرب المسلمين في مكة المكرمة والحجاز.

(*) يقصد به سلطان المماليك قانصوه الغوري.

(2) مصطفى محمد رمظان، العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، ج01، ط01، د ن، القاهرة، 1985، ص 58.

لقد قام ألبوكيرك بمهاجمة عدن في يوم الخميس الموافق لشهر محرم عام 1513م بأسطول بحري مكون من ثمانية عشر سفينة حربية، بعد محاصرته لميناء المدينة التي كان يحكمها "مرجان الظافري" الذي تم تعيينه من قبل سلطان اليمن"عامر بن عبد الوهاب" الذي يرجع نسبه الى أسرة بني طاهر[*] أحد قبائل زبيد باليمن، حيث لم يبدي حاكمها "مرجان الضافري" أية مقاومة تذكر مما عرضه لنقمة المحيطين به بل انه لم يكتفي بذلك فقط حيث قام أيضا بارسال المؤن والأغذية والهدايا للبرتغاليين على أمل أن يتركوه بسلام[1].

لكن بعدما رفض حاكم عدن تسليم المدينة الى البرتغاليين قام أسطول القائد ألبوكيرك بقصفها بالمدافع ما جعل حاكمها "مرجان الضافري" يقرر أخيرا الدخول في معركة ضد القوات البرتغالية التي لقيت حتفها بعد ذلك، حيث يعود سبب فشل الأسطول البرتغالي في احتلال مدينة عدن الى التحصينات الطبيعية للمدينة من جهة[2].

و الى مقاومة سكان المدينة وتصديهم للغزاة البرتغاليين من جهة ثانية، هذا ما أجبر البرتغاليين على الانسحاب ليتوجه بعدها أسطول ألبوكيرك إلى السواحل العمانية، محتلا بذلك جزيرة قمران في نفس السنة أين قام بتخريبها لمنع أية قوة اسلامية بحرية من الإقامة بها، نظرا لأهمية موقعها بين منطقة الحجاز و بين بلاد اليمن[3] ، كما حاول ألبوكيرك وأسطوله احتلال مدينة عدن مرة ثانية بعد أن قام

(*) أسرة بني طاهر(1454م-1517م): أو الأسرة الطاهرية وهي أخر الأسر التي توارثت الحكم في اليمن وقد حاول حكام هذه الأسرة توحيد اليمن تحت حكمهم لكنهم لم يتمكنوا من ذلك لاصطدامهم بالأئمة الزيديين، في المنطقة الشمالية الجبلية باليمن وظلت اليمن مقسمة بعد ذلك بين الطاهريين والزيديين إلى آخر فترة حكم ملكها عامر بن عبد الوهاب الطاهري، أنظر: النهروالي، المصدر السابق، ص ص 11-27.

(1) ابن الدبيع أبي الضياء عبد الرحمان بن علي، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، دار العودة، بيروت، 1983، ص 345.

(2) سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن(1538م-1635م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1992، ص 73.

(3) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص 110.

بقصفها طيلة خمسة عشر يوم كاملة بمدافعه، إلا أنه فشل في ذلك لينسحب أخيرا ويتوجه إلى سواحل بلاد الهند في 04 جويلية 1513م[1].

كما تجدر بنا الاشارة هنا الى أن الملك البرتغالي امانويل الاول قام بعزل القائد ألفونسو دي ألبوكيرك عن منصبه كنائب لملك البرتغال ببلاد الهند بعد عمل دام لمدة ستة سنوات كاملة(1509م-1515م)، عمل فيها هذا القائد باخلاص كبير لملكه حيث كانت وفاته بعدما أصيب بمرض نادر يدعى "الفواق" سبب له اختناقا مفاجئا فتوفي بميناء جوا بالهند[2]، هو في عمر الثالثة والستون سنة بتاريخ 16 ديسمبر1515م ولعل وفاة القائد ألبوكيرك الذي ضمن للبرتغال مكانة جد معتبرة في البحار الشرقية والخليجية، من خلال سيطرته على جميع سواحل المحيط الهندي وجزيرة هرمز في عام 1507م، ووضعه للقواعد الأساسية لإمبراطورية البرتغال البحرية وتأسيسه للعديد من المراكز التجارية والقلاع العسكرية على امتداد طول السواحل الشرقية بإفريقيا إلى غاية بلاد الهند، تعتبر كلها من بين أهم الانجازات التاريخية التي قدمها هذا الرجل للبرتغال شعبا وحكومة، فلم تسلم منه سوى مدينة عدن وموانئها وسواحل البحر الأحمر والخليج العربي.

ب/حملة القائد لوبو سواريز دي البيجاريا(Lopo Soarez de Albegaria)عام 1517م:

بعد وفاة القائد ألبوكيرك عين ملك البرتغال خلفا له برتبة نائب للملك في بلاد الهند القائد لوبو سواريز دي البيجاريا عام 1515م، الذي تبع نفس سياسة سابقه وهي السياسة الهادفة الى غلق وخنق معابر التجارة الإسلامية بمدخل البحر الأحمر وميناء عدن ومضيق هرمز بالخليج العربي، حيث قرر هذا القائد مهاجمة مدينة عدن عام 1517م مع مهاجمة ميناء جدة وقصفه لضرب أسطول المماليك المتربص به في مياه البحر الأحمر، حيث رافق سواريز في حملته البحرية هذه كل من المبعوث

---

(1) ابن الدبيع، قرة العيون...، المصدر السابق، ص ص(216-218)، وأنظر أيضا: سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 97، وأنظر كذلك: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 222.

(2) لقد وصلت إلى بلاد الهند في نهاية شهر نوفمبر عام 1515م حملة عسكرية بحرية تحمل معها أمرا ملكيا من ملك البرتغال امانويل الأول، ينص فيه على تعيين القائد لوبو سواريز دي ألبيجاريا كنائبا لألبوكيرك في بلاد الهند مع عزل ألبوكيرك من منصبه نهائيا، أنظر: جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 70.

الحبشـي(ماثيو) والمبعوث البرتغالي(دوارتي جلفارو) واللذان نزلا بعدها في مدينة مصوع ببلاد الحبشة[1].

ويتكون أسطول حملة سواريز من أربعين سفينة حربية عليها ألفين جندي حيث توقفت هذه الحملة بميناء مدينة عدن في 04 مارس 1517م، أين استقبل القائد سواريز حاكم مدينة عدن "مرجان الضافري" الذي رحب به كثيرا، مقدما له ما يلزمه من المؤن والمرشدين للتوجه بعدها نحو ميناء جدة ويرجع ذلك الى الخلاف القائم بين حاكم عدن مرجان الضافري وبين حاكم مدينة جدة الأمير سلمان والأمير حسين الكردي [2]، اللذان حاولا احتلال مدينة عدن قبل قدومه الأمر الذي دفع بالأمير حسين الكردي الى التو جه بسرعة نحو ميناء مدينة جدة من أجل تعزيز دفاعاتها العسكرية، طالما أن مدينة عدن لم تسقط بعد في أيدي البرتغاليين[3].

حيث يذكر لنا المؤرخ اليمني المعاصر لهذه الأحداث التاريخية "بامخرة" عرضا مفصلا عن أحوال مدينة عدن أثناء حملة أسطول القائد سواريز فيقول:**(وفي هذه السنة923هـ الموافقة لعام 1517م وصل الفرنج من الهند الى بندر عدن في ثلاثين خشبة مظهرين النجدة لأهل عدن على المصريين... وواجههم الأمير مرجان بالساحل وقدم لهم الضيافة العظيمة الى مراكبهم وطلبوا ربابين تسير بهم الى جدة، فدفع اليهم الأمير جماعة ربابين من أهل الشام بالكره من الربابين لذلك بعدما أخيفوا وتجوروا فلم يعذرهم الأمير في ذلك كفاية لشر الفرنج)**[4].

---

(1) ابن الدبيع، المصدر السابق، ص 220.
(2) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي(1516م-1922م)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996، ص 99.
(3) ابن الدبيع، نفسه، ص 220.
(4) بامخرة عبد الله الطيب بن عبد الله، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق محمد عبد العال أحمد، ج03، رقم المخطوط 167، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1980، ص ص 197-199، نقلا عن: محمد عبد العال أحمد، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة كما سجلها في مخطوط قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1980، ص 111.

لقد قام أسطول القائد لوبو سواريز بعدها بعبور مضيق باب المندب في07 مارس1517م متوجها بذلك الى ميناء جدة، ما دفع بأميرها سلمان الى الخروج بأسطوله في البحر الأحمر من أجل مواجهة البرتغاليين قبل اقترابهم من ميناء جدة، حيث فر أسطول سواريز بعدها نحو جزيرة كمران(*) بعد أن دمر الأمير سلمان ثلاثة سفن من أسطوله(1) ليتجه نحو بلاد الهند أين قام في طريق عودته بتحطيم مدينة زيلع وبربرة المطلتان علىسو احل البحر الأحمر.

كما قام القائد لوبو سواريز عام 1518م بارسال ستة سفن حربية من مدينة جوا بالهند بقيادة القائد أنطونيو دي سالدانها(Antonio de Saldanha)، للاستيلاء التام على مدينة بريرة والسيطرة على التجارة الاسلامية بالبحر الأحمر وهو ما تم فعله من طرف أسطول هذا القائد، لكن ضم العثمانيين لبلاد مصر عام 1517م ودخول الحجار سلميا تحت حكم السلطان سليم الأول، سهل من مهمة انتشار أساطيل الدولة العثمانية في مياه البحر الأحمر، ما جعل قائد هذه الحملة البرتغالية يقرر مجبرا التخلي عن هذه القواعد الثابتة التي سيطر عليها من قبل في مدينة بربرةويعود بعدها نحو مدينة جوا بالهند(2).

ج/حملة القائد ديوجو لوبيز دي سيكيرا (Diogo Lopez de Sequeira) عام 1520م:

بعد تعيين دي سيكيرا كنائب جديد لملك البرتغال في بلاد الهند خلفا للقائد لوبو سواريز قام هذا الأخير بانزال بعثة برتغالية في بلاد الحبشة، بقيادة المبعوث رودريجو دي ليما مع استرجاع المبعوث السابق ماثيو، في أثناء حملته على سواحل البحر الأحمر حيث تكون أسطول دي سكيرا الحربي من ست وعشرين سفينة حربية وثمانمئة جندي، اذ وبعد دخولها الى مياه البحر الأحمر مر هذا الأسطول بمضيق عدن متوجا بذلك نحو مدينة جدة من أجل مهاجمتها، لكنه وجد أسطولا عثمانيامتمركز ا هناك بقيادة "حسين الرومي"(*)، نائب حاكم مدينة جدةو الذي كان يحضر بدوره لفرض سيطرة العثمانيين على

(*) جزيرة كمران أو قمران: هي مجموعة من الجزر المتناثرة والتي تقع على بعد مائتي ميل من شمال مضيق باب المندب وهي تقابل مدينة الزيدية في الساحل الشرقي لليمن، بحيث تعتبر بمثابة حصن طبيعي لتحكم في مدينة تهامة باليمن وتعتبر أيضا محطة بحرية جد هامة للسفن القادمة من ميناء عدن إلى مدينة جدة بالبحر الأحمر، أنظر: حمزة علي لقمان، المرجع السابق، ص 09.

(1) بامخرة، المصدر السابق، ص ص 199-202، وأنظر أيضا: ابن اياس، المصدر السابق، ج05، ص 203، وأنظر كذلك: الميليباري، المصدر السابق، ص 49.

(2) Barbosa, Op.cit, vol, 01, p. 33.

(*) حسين الرومي: وتعني التركي في المصادر اليمنية ويعتبر حسين الرومي هو أول نائب للدولة العثمانية بجدة، أنظر: ابن إياس، المصدر السابق، ج04، ص 195.

بلاد اليمن[1]، هذا ما جعل دي سيكيرا يقرر تحويل وجهته الى مدينة دهلك ثم زيلع ومنها الى مدينة عدن باليمن أين زوده حاكمها مرجان الظافري، بما يحتاجه من مؤن ومنها أبحر الى ميناء هرمز بالخليج العربي[2].

د/حملة القائد هيكتور دي سيلفيرا(Hector de Silveira) عام(1524م-1526م):

لقد حاول القادة البرتغاليون ارسال العديد من الحملات الكشفية لإعادة احضار مبعوثهم دي ليما من بلاد الحبشة ومعرفة مدى تطور العلاقات بين الطرفين، لذلك أبحر القادة البرتغاليين ومن بينهم هيكتور دي سيلفيرا الذي توجه للبحث عن هذه البعثة عام 1524م، لكنه لم يجدها وفي طريق عودته قام بمهاجمة ميناء عدن وفرض الجزية على حاكمها وبعد عامين من ذلك توجه دي سيلفيرا كذلك الى مياه البحر الأحمر، لإعادة استرجاع دي ليما المبعوث البرتغالي لبلاد الحبشةو الذي وجده هناك في منطقة "حرقيقو"[*] ومعه سفير أخر من ملك الحبشة[3] كما قام سيلفيرا بعدها بتدمير كل من منطقة ظفار ودهلك ومصوع، كما فرض على حكامها دفع الجزية السنوية لمملكة البرتغال[4].

هـ/حملة القائد أنطونيو دي أميراندا(Antonio de Amiranda)عام 1528م:

بدأت حملة القائد أنطونيو دي أميراندا للسيطرة على بعض سواحل البحر الأحمر من خلال تجهيزه لأسطول حربي مكونة من عشرين سفينة بحرية، أنطلقت من القاعدة البرتغالية بميناء جوا بالهند للوصولا الى سواحل مياه البحر الأحمر، خلال حملته لم يتمكن أميراندا من مهاجمة سواحل البحر الأحمر بسبب

(1) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص ص(135،134).
(2) بامخرمة، المصدر السابق، ص ص 213-217.
(*) حرقيقو: تبعد عن مدينة مصوع باريتيريا بثمان كيلو مترات جنوبا وتضم عدة أحياء صغيرة في داخلها تنتهي بعضها بجوار البحر الأحمر، وأخرها بجوار الجبال وتملك حرقيقو مساحة واسعة وطريق بحري وبري يربطها مع مصوع و أرافلى و وزولا وهي تمتاز بكثرة المساجد، حيث عرفت حرقيقو باسم أخر وهو "دخنو" أو" دكنو" وتعني "الفيل" بلغة الساهو وقد قيل بأن الأفيال كانت تعيش في هذه المنطقة، هناك قول أخر للاسم وهو إن "دخنو" اشتقت من كلمة دوخني والتي تعني المركبة بلغة الدناكل ويجد مثل هذا التعليل حجة كبيرة للصمود خاصة وإن طبيعة هذه المنطقة بحرية، كما يرجع البعض الأخر سبب تسميتها بحرقيقو الى نشوب حريق في المنطقة المجاورة وبذلك يكون الاسم مشتق من كلمة حريق بالعربية، للمزيد حول تسمية حرقيقو أنظر: بامخرمة، نفسه، ص 220، وجيان، المرجع السابق، ص 131.
(3) غسان علي رمال، المرجع السابق، ص ص 268-270.
(4) نفسه، ص 270.

تمركز الحاميات البحرية العثمانية في سواحله ما اضطره الى المغادرة[1] ، لكنه لم يشفي غليله دون القيام بتخريب بعض السفن التجارية الموجودة على سواحل ميناء زيلع ليعود بعدها نحو مياه الخليج العربي، حيث لم يتمكن البرتغاليون من السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العر بية(الشحر وحضر موت) وعدن وجدة بسبب قوة الأساطيل العثمانية وكثرتها عددا وعدة.

و/حملة القائد استيفاو دي غاما(Estevao de Gama) عام 1541م:

أما بالنسبة الى الجهة الشمالية من البحر الأحمر فقد تمكن البرتغاليون من السيطرة عليها عام 1541 م مؤقتا بعد الحملة التي قادها نائب ملك البرتغال في الهند القائد استيفاو دي غاما، عندتجهيز ه لحملة ضخمة بقيادة أخية "كريستوفر دي غاما" والتي انطلقت من ميناء جوا بالهند صوب سواحل بلاد الحبشة، حيث شملت هذه الحملة على الامدادات العسكرية المختلفة كالأسلحة والمدافع مع أربعمائة جندي مجهزين لنجدة الملك الحبشي "لبنادجل" الذي حاصره الامام أحمد بن براهم، لكن العثمانيين تمكنوا في الأخير من الحاق الهزيمة بالبرتغاليين ما جعلهم يعودون أدراجهم الى ميناء جوا بالهند[2].

ان كل هذه الحملات البرتغالية على مياه البحر الأحمر قد دفعت بالعثمانيين الى مضاعفة قواتهم البحرية هناك، في محاولة منهم لمنع أي عبور للسفن البرتغاليةمن جهة و الحد من أي اتصال سياسي أو عسكري بين الأحباش والبرتغاليين من جهة ثانية، لكون ذلك يشكل خطرا مباشرا على مصادر التجارة الإسلامية، خصوصا بعدما تمكن العثمانيون من احكام سيطرتهم على ميناء مصوع وحرقيقو عام 1557م[3] ، بالرغم من ذلك كله فان حملات البرتغاليين على مياه البحر الأحمر لم تتوقف.

---

(1) لقد خضعت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية للحكم العثماني ما بين عام(1538م-1539م) أي بعد حملة سليمان باشا الخادم على عدن في فترة حكم السلطان سليمان القانوني، للمزيد أنظر: الشيلي جمال الدين أبي العلاوي، السنا الباهر بتكميل النور السافر عن أخبار القرن العاشر، معهد المخطوطات العربية، رقم المخطوط 699، القاهرة، د ت، وأنظر أيضا: محمد كريم ابراهيم، <<الحملة العثمانية على عدن 945هجرية-1538ميلادية- أسبابها ونتائجها>>، مجلة مركز بابل للدراسات التاريخية، د ت، العدد02، مج04، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم التاريخ، ص 390.

(2) Sousa. F, op.cit, vol 11, p.p. 21-23. وأنظر كذلك: رجب حراز، المرجع السابق، ص 29.

(3) غسان على رمال، المرجع السابق، ص ص 271-275.

من خلال ما سبق لنا ذكره تجدر بنا الإشارة الى أن البرتغاليين قد واصلوا ارسال حملاتهم البحرية نحو مياه البحر الأحمر للقضاء على الأساطيل العثمانية المتمركزة هناك، تحرير التجارة الشرقية منهم واقامة قواعد تجارية لهم على سواحل بلاد الحبشة، كما أن استمرارهم بانزال السفارات والبعثات الدبلوماسية في بلاد الحبشة لدليل واضح على مدى اهتمامهم بربط العلاقات السياسية و العسكرية والدينية معهم ضد العثمانيين و ضد مسلمي شرق افريقيا.

والإشكالية المطروحة هنا ترى ما الحالة السياسية التي كانت تعيشها المشيخات العربية المتواجدة بسواحل الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية؟ وهل استغل البرتغاليون تفكك علاقاتهم السياسية من أجل استكمال مشروعهم الإستعماري هناك؟ هل تلقى البرتغاليون مساعدة عسكرية أو سياسية من طرف تلك الزعامات المحلية بالخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية لمحاربة مسلمي كل من منطقة شرق افريقيا وبلاد الحبشة؟.

"القسم الثاني"

"تداعيات التفكك السياسي لإمارة الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية وأثر ذلك في غزو البرتغاليين للمنطقة عام (1507م-1545م)".

الفصل الأول: سياسة ألبوكيرك التخريبية في الساحل العماني والخليج العربي وانعكاساتها عام(1507م-1515م).

الفصل الثاني: التنافس السياسي العسكري بين مملكتي هرمز و دولة الجبور على البحرين والقطيف ونتائجه عام(1520م-1521م):

أ/دوافع ومبررات التحالف البرتغالي الهرمزي لغزو البحرين عام 1521م.

ب/نتائج معركة البحرين عام 1521م.

ج/دوافع تحالف أمراء بني جبر مع البرتغاليين عام 1522م.

الفصل الثالث: القطيف بين سيطرة الهرامزة والبرتغاليين وصراع أسرة آل مغامس عليها عام(1521م-1544م):

أ/دوافع تحالف شيخ القطيف مانع الفضلي مع البرتغاليين على منطقة البحرين ومدينة البصرة عام 1544م.

ب/الغزو البرتغالي الهرمزي للقطيف عام 1545م.

الفصل الرابع: الدور السياسي للسلطان أجود بن زامل العامري ومقرن بن زامل الجابري في تثبيت حكم الجبور بالاحساء والبحرين والقطيف ونجد ضد الغزو البرتغالي مع مطلع القرن 16م:

أ/بني جبور من بداية دولتهم الى تثبيت حكمهم في منطقة القطيف ونجد عام(1417م-1522م).

ب/سيطرة الجبور على عمان الداخلية.

ج/سيطرة الجبور على عمان الساحلية.

د/الدور السياسي لأجود بن زامل العامري ومقرن بن زامل الجابر في تثبيت حكم الجبور.

ه/الجبور ونهاية دولتهم في منطقة نجد والإحساء والقطيف.

الفصل الخامس: الصراع المذهبي الإباضي النبهاني في عمان ابان الغزو البرتغالي عام 1507م.

الفصل السادس: الصراع الداخلي على حكم جزيرة هرمز ونتائجه السياسية على الخليج العربي مطلع القرن 16م.

الفصل السابع: الصراع السياسي المذهبي الزيدي الطاهري في بلاد اليمن وانعكاساته الداخلية والخارجية:

أ/الخلفيات التاريخية والدينية للصراع السياسي-المذهبي بين القوى المحلية والإقليمية الداخلية والخارجية حول مدينتي عدن وحضر موت باليمن(1507م-1538م).

الفصل الأول:

سياسة ألبوكيرك التخريبية في الساحل العماني والخليج العربي وانعكاساتها (1507م-1515م).

لقد أدرك البرتغاليون قبل غيرهم من دول الاستعمار الأوروبي الحديث التي احتلت سواحل شرق افريقيا بعدهم أن بقائهم في ساحل شرق افريقيا فقط لن يخلوا من كونه يمثل تهديدا صريحا لهم، طالما بقيت امارة شبه الجزيرة العربية خارج سيطرتهم نظرا للارتباط التاريخي الوثيق والقرب الجغرافي المميز بين سكان ساحل شرق افريقيا وبين سكان شبه الجزيرة العربية، والإشكالية المطروحة هي كيف تمكن البرتغاليون من احكام قبظتهم العسكرية على مشيخات الساحل العماني ثم على حكام امارة الخليج العربي؟.

ان توجه البرتغاليين للسيطرة على الساحل العماني[1]وسواحل الخليج العربي كان من خلال الاستيلاء على مملكة هرمز التي هي بمثابة المفتاح الرئيسي لألبوكيرك والذي يقول:**(هنالك ثلاثة مراكز تعتبر المفاتيح الرئيسية لتجارة الشرق وللتجارة العاليمة وهي ملقا التي تتحكم فيمضيق سنغافور ة، وعدن عند مدخل البحر الأحمر و المركز الثالث هو هرمز عند مدخل ومخرج المضيق الفارسي والتي تعد من أهم المراكز التجارية جميعا، ولو تمكن ملك البرتغال من السيطرة على عدن وتحصينها بقلعة قوية لأصبح سيد آسيا دون منازع، ولو تمكن من السيطرة على هذه المراكز الثلاثة لأصبح سيد العالم)**[2].

من هنا بدأت البرتغال حملاتها العسكرية بالبحر الأحمر والمحيط الهندي تحت قيادة كل من ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستان دا كونها، حيث أن عمليات التدمير والتخريب التي مست جميع موانئ عمان وعدن وهرمز وباب المندب بدأت منذ احتلال جزيرة سوقطرة عام 1507م، بأوامر من ألبوكيرك نفسه لكن سياسة الإمبراطورية البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية قد قامت في بداية الأمر على تأسيس جملة من القواعد التجارية بالسواحل الشرقية انطلاقا من سواحل إفريقيا وصولا إلى سواحل بلاد الهند، من أجلمنافسة التجار ة الاسلامية وهي نفسها السياسة التي انتهجها النائب الأول لملك البرتغال في الهند فرانسيسكوا دالميدا(1505م-1509م)خلال فترة حكمه، التي تنافي وتخالف سياسة التخريب والغزو

(1) الساحل العماني: يقصد به حاليا أقاليم كل من دول الخليج العربي وجنوب شبه لجزيرة العربية والتي تشمل كل من دولة البحرين وقطر والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وتصل حدود هذا الساحل خلال العصر الحديث الى غاية بلاد اليمن، كما أطلقت الدول الستعمارية على بعض دوله اسم الساحل المتصالح والمهادن(Trucail States) للمزيد أنظر: نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج 01، ط 02، تصحيح وتعليق ابراهيم أطفيش الجزائري الميزابي، مطبعة الشباب، القاهرة، 1961، ص 05.

(2) Alfonso Albuquerque, The Commentaires Of the Great Alfonso D'Albuquerque, op.cit. p.p.17-22.

المسلح وتدمير السفن التجارية والموانئ البحرية التي اتبعها خليفته لنائب ملك البر تغال الثاني في الهند ألفونسو دي ألبوكيرك، ما يطرح علينا أكثر من تساؤل حول دوافع هذه السياسة ومبرراتها...؟[1].

ولعل قيام سياسة ألبوكيرك في الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الموانئ التجارية وتأسيس أكبر عدد من القواعد العسكرية على طول الشريط الساحلي بين قارتي إفريقيا وآسيا، بغية حماية خط التجارة الممتد من ميناء لشبونة بالبرتغال إلى غاية ميناء جوا بالهند، قد ساهم بشكل كبير وفعال في إقامة القواعد الأولى للإمبراطورية البرتغال بشرق آسيا[2]، حماية هذه الإمبراطورية أيضا من الانهيار والتفكك وتوسيعها تدريجيا من جهة أخرى بربطها مع بعضها البعض بميناء لشبونة البرتغالي.

ويعود مجيء ألبوكيرك إلى بلاد الهند عام 1503م بعد أرساله من طرف الملك امانويل الأول مع عمه فرانسيسكو ألبوكيرك (Francisco Albuquerque)، في مهمة سرية بحرا حيث تكونت هذه الحملة من ستة سفن حربية هدفها الأساس هو إقامة أول قلعة عسكرية في ساحل ميلبار بالهند بعد تعاون ملك مملكة كوشين (Cochin) الهندوسية، هي من أحدى قبائل "الفياجانكر" الواقعة جنوب مدينة كاليكوتا بالهند مع نائب ملك البرتغال بالهند، يرجع أساس هذا التعاون السياسي والعسكري بين الطرفين إلى منافسة حاكم مملكة كوشين لحاكم مدينة كاليكوت بالهند على عرش السلطة والحكم بحيث تعتبر قلعة كوشين أول قلعة برتغالية في بحار الهند[3].

كما أن استفادة ألبوكيرك كذلك من خريطة الملاحة البحرية بعد أسره لبحار عربي من عمان يدعى "عمر" يملك كفاءة عالية في رسم الخرائط الجغرافية قيل بأنه عمل مع ابن ماجد من قبل، ما ساعده أيضا في تسهيل عمليةغزو ه لموانئ الساحل العماني[4]، بحيث انطلقت حملة ألبوكيرك بعد مغادرته من ميناء سوكو(Soco) بجزيرة سوقطرة ليصل بعدها إلى جزر كوريا موريا (Coria Muria)[*] في يوم

---

(1) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 144.
(2) Serjeant R.B, The Portugese of The South Arabian Coast, op.cit, p.15.
(3) Alfonso Albuquerque, op.cit. p.p.72.73.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص 146.
(4) أغناطيوس يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، دن، بيروت، 1987، ص 609.
(*) جزر كوريا موريا: تقع هذه الجزر على بعد خمس وعشرين ميلا من ساحل عمان الشرقي الجنوبي، ويبلغ عددها خمسة جزر تشكل سلسلة طبيعية بحرية تمتد على مسافة خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص 180.

04 أوت عام1507م ثم ليغادر بعدها نحو منطقة رأس الحد(*) هنالك تمكن ألبوكيرك من تدمير العديد من السفن التجارية التي تمارس نشاط صيد الأسماك، في مضيق هرمز ومدينة قلهات(*) ما يدل صراحة على تعمد ألبوكيرك تخريب مثل هذه المراكز التجارية المزدهرة، بحيث اعتبرت قلهات خلال القرن السادس عشر للميلاد، من أهمر اكز عبور السفن الأسيوية إلى مياه الخليج العربي والبحر الأحمر.

كما كان ميناء قلهات التجاري بساحل عمان مركزا هاما لتجارة الخيول العربية الأصيلة نحو أسواق أوروبا قبل قدوم ألبوكيرك اليه، الذي طلب من حاكمها الإمام " شرف الدين" الاعتراف له بتبعية مدينة قلهات إلى سلطة ملك البرتغال امانويل الأول، كما طلب منه أيضا دفع ضرائب سنوية لخزينة الدولة بلشبونة فكان جواب حاكم مدينة قلهات بأن أخبر ألبوكيرك بأن حاكم هرمز هو من يقرر دخول مدينة قلهات أو عدم دخولها تحت تبعية وسلطة مملكة البرتغال، لذلك يجب عليه العودة وأخذ رأيه في هذا الأمر[1]، لكن رفض "سيف الدين أبا نصر شاه" حاكم مدينة هرمز وهو صبي صغير في السن يبلغ الثانية عشر من العمرو الذي عين عليه وصي له اسمه الوزير "خواجة عطار"(*) مطالب ألبوكيرك بتبعية قلهات له ودفع ضرائب مالية سنوية لملك البرتغال، ما دفع بالملك امانويل الأول الى ارسال أربعة عشر سفينة حربية عليها ألف وثلاثمائة مقاتل[2]، يقودها القائد البرتغالي تريستان داكونها مع ترأس ألبوكيرك لقيادة لخمسة سفن بحرية منها، بحيث كان هدف هذه الحملة هو احتلال مدينة قلهات ثم جزيرة هرمز

(*) منطقة رأس الحد: هي نقطة افتراق خليج عمان عن المحيط الهندي، أنظر: جون جورج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج05، مطابع علي بن علي، الدوحة، د ت، ص 1701.

(*) مدينة قلهات: سماها البرتغاليون باسم Caluyate هي أول مدن مملكة هرمز في ساحل عمان سكانها مسلمين زارها الرحالة الايطالي ماركو بولو وابن بطوطة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، أنظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 126، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص 180.

(1) لقد كانت مدن الساحل العماني كلها تخضع تحت حكم حاكم مدينة هرمز منذ بداية القرن 14م والذي يملك نوابا له في مختلف المدن العمانية وأهمها قلهات، أنظر: Alfonso Albuquerque, Op.cit, p.63.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 155.

(*) خواجة عطار: هو نائب ملك جزيرة هرمز والوزير الأول في عهد الملك الصبي سيف الدين أبا نصر شاه يتميز خواجة عطار بتفوق قدرته العسكرية والسياسية في تسيير شؤون هرمز حسب شهادة العدو قبل الصديق له، في فترة وصايته على الملك الصغير "سيف الدين أبا نصر شاه" والذي عمل جاهدا لحماية الجزيرة بتعزيز القواة العسكرية ، أنظر: ويلسون أرنولد، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، د ت، ص 208، وكذلك عن جهوده العسكرية في الجزيرة أنظر: نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص 124.

(2) Alfonso Albuquerque, Op.cit, p.20. وأنظر كذلك: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص 147.

وسوقطرة وتحصينهما بقلاع حربية لسد مدخل الخليج العربي والبحر الأحمر أمام التجار المسلمين مع العمل على احتلال ميناء عدن بعد ذلك[1] .

تجدر بنا الاشارة هنا الى أن البرتغاليين قد تلقوا خلال عمليات غزوهم لجزيرة هرمز مقاومة شديدة من قبل سكانها وقواتها العسكرية، التي لم تستسلم بسهولة لهم رغم عدم تكافؤ القدرات العسكرية بين الطرفين، مما دفع بحاكمها إلى الخضوع والاستسلام حيث تم عقد معاهدة بين البرتغاليين والهرامزة تنص أولا على التزام حاكم جزيرة هرمز بدفع ضريبة مالية سنوية إلى خزينة الدولة بلشبونة[2]، ثانيا اعتراف حاكم هرمز كذلك بتبعية جزيرة هرمز إلى مملكة البرتغال سياسيا وعسكريا.

كما يرجع سبب سقوط مملكة هرمز في حقيقة الأمر الى عدة أسباب منها امتناع حكام المماليك الإسلامية القريبة منها عن تقديم يد المساعدة والعون العسكري لحاكمها، بسبب التفكك والانقسام السياسي الذي عرفه أغلب حكام المماليك الإسلامية خلال هذه الفترة التاريخية بالذات، نتيجة كثرة المشاكل الحدودية الداخلية بينهم، لهذا تمكنت البحرية البرتغالية من إغلاق مدخل الخليج العربي نهائيا والقضاء بعدها على تجارة المسلمين العرب في مياه الخليج العربي وبلاد الهند[3].

ان استيلاء ألبوكيرك على جزيرة هرمز قد أثار قلق الشاه إسماعيل الصفوي[*]الذي أراد أخذ هذه الجزيرة منه لأهميتها الإستراتيجية في الملاحة البحرية بالنسبة لمنطقة الخليج العربي من جهة، لما كان يربط حاكم هذه الجزيرة من علاقة صداقة وتعاون مع الشاه إسماعيل الصفوي نفسه من جهة أخرى،

---

(1) سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، ط2، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1961، ص 42.
(2) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ص 16.
(3) ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص 213.
(*) الشاه اسماعيل الصفوي: هو أبو المظفر شاه اسماعيل الصفوي ولد في 25 من جويلية 1487م وتوفي في 31 من ماي 1524م، هو مؤسس الدولة الصفوية الشيعية بايران تكمن اسماعيل من التوسع نحو مدينة تبريز والتي اتخذها بعد ذلك عاصمة له، لقب بالمظفر شاه و بالهادي والوالي كما عرفت العلاقات العثمانية والصفوية تنافسا كبيرا حول السيطرة على مناطق النفوذ وهذا ما ساهم في الصدام بين الطرفين خصوصا بعد تبني الدولة الصفوية سياسة جديدة تقوم على نشر المذهب الصفوي خارج حدود ايران، وتكفر من جهة أخرى المسلمين السنة وتعتبر معركة جالديران عام 1514م الحدث الفاصل الذي أرجح الكفة للعثمانيين في عهد السلطان سليم الأول(1512م-1520م)، أنظر: بديع جمعة أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، القاهرة، 1976، ص 33.

لذلك أخذ ألبوكيرك بانتهاج سياسة التقرب والتودد منه بمخاطبته للشاه ليس حبا فيه بل طمعا في تأمين نفسه منه بسبب قوة الشاه عسكريا.

ومحاولة منه أيضا ضرب القوى العربية والمشيخات المحلية بمنطقة الخليج العربي ثم الدولة العثمانية كذلك، لذلك أرسل ألبوكيرك مبعوثه الخاص إلى الشاه إسماعيل الصفوي يحمل معه رسالة خطية كتب له فيها ما يلي:(**إنني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا ما أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر، أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد)**[1].

لكن ما كان يخشاه ألبوكيرك حدث بالفعل بعد اعتراف حاكم جزيرة هرمز بسيادة الصفويين على الجزيرة ليتخلص من سيطرة البرتغاليين عليها عام 1508م، كما رفض خلالها حاكمها دفع ما عليه من ضرائب سنوية لخزينة الدولة بلشبونة[2]، هذا ما دفع بألبوكيرك بعدها الى معاودة احتلال الجزيرة للمرة الثانية ليتمكن أخيرا من القضاء على حاكمها والسيطرة عليها عسكريا، بعدما عرفت سابقا سيطرتها على جميع جزر الخليج العربي والمحيط الهندي ما يقارب زهاء قرنين ونصف من الزمن تبع فيها كل حكام الساحل العماني واليمني إلى حاكم جزيرة هرمز سياسيا وعسكريا واقتصاديا[3].

بعد ذلك اتجه ألبوكيرك إلى مدن الساحل العماني كمدينة صور[*]وقلهات ومسقط[*]التي قاومت البرتغاليين بمساعدة قوة قبائل الجبور، لكن السيوف والرماح لم تكن لتستطيع معادلة قوة المدافع والبنادق البرتغالية، مما دفع بقوات الجبور إلى الفرار والهروب من مدينة مسقط فبعد سقوط هذه المدينة دخلتها الجيوش البرتغالية، لتقوم بأبشع عمليات التقتيل والتنكيل الجماعي في حق السكان العزل حسب ما يرويه لنا ألبوكيرك في تعليقاته حين قال:(**...قمنا بقطع الأذان وجذع الأنوف وقص الأصابع وقتلنا ما قتلنا**

---

(1) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 17.
(2) ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص 213.
(3) سيد نوفل، المرجع السابق، ص 42.
(*) صور: هي مدينة تطل على ساحل الحجر في سلطنة عمان، وتقع على بعد ثلاثة عشر ميل غربي رأس الحد، أربعة وتسعون ميلا جنوب شرقي مسقط، أنظر: لورمير، المرجع السابق، ج07، ص 2410.
(*) مسقط: هو ميناء في الساحل العماني أشتهر بتصديره للخيول و التمور والمسك المجفف والمملح، أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص 180.

منهم...)[1]، هذا ان دل على شيء فإنما يدل على قمة السياسة القمعية والوحشية العمياء التي تعامل بها ألبوكيرك مع الأهالي العمانيين العزل بعد احتلاله لمدينة مسقط.

ثم احتل ألبوكيرك بعدها مدينة صحار(*) بعمان أين تمكن من السيطرة عليها بعد تحالفه مع أحد شيوخ هذه المنطقة وهو الشيخ "عمير بن حمير"، مستغلا بذلك ضعف قبائل النبهانيين بعمان عسكريا وتفككهم الداخلي سياسيا وكثرة حروبهم الحدودية ضد بعضهم البعض، فسقطت بذلك جميع مناطق خورفكان(*) في أيدي القوات البرتغالية ليقوم ألبوكيرك بتحصين عمان وسواحلها من خلال إقامة سلسلة من القلاع والحصون العسكرية التي لازال بعضها صامدا إلى غاية اليوم[2].

الجدير بالملاحظة أن ألبوكيرك قد قام بتنفيذ سياسته التخريبية من جديد بعد تحطيمه لجميع الموانئ العمانية في مدينة قلهات وصحار وخورفكان وصور ومسقط، تعطيله لجميع نشاطات هذه الموانئ التجارية في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر، ليتوجه بعدها نحو جزيرة هرمز عام 1508م أين قام بحراق حوالي مائة وعشرين سفينة تجارية كان أغلبها ملكا للتجار العمانيين، رغم أنه لم يصدر منها أي اعتداء يذكر لكونها ليست سفنا عسكرية بل تجارية فقط[3].

كما دمر ألبوكيرك أربعة مساجد في مدينة مسقط بعمان كدليل صريح منه على كرهه للإسلام والمسلمين، هذا ما أغضب العديد من بحارته لكون الكثيرين منهم من المغامرين والباحثين عن الثراء والثروة التي وعدوا بها من قبل، لهذا فقد أزعجهم أن يزج بهم في معارك حربية وعسكرية لأتفه الأسباب

---

(1) Alfonso Albuquerque, op.cit, p.p.80.81.

نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 165.

(*) صحار: هي مرسى سفن الهند والصين والزنج بها أسواق عجيبية وآبار عذبة وهي دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن، هي الميناء الرئيس لساحل عمان الجنوبي، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، م03، ص ص(393،394).

(*) خورفكان: هي قرية ساحلية في وسط المنطقة الشمالية بساحل عمان، تبعد بحوالي خمس وعشرين ميلا شمال منطقة خوركلبا وحوالي عشرين ميلا جنوب غرب دبيه، وهي حاليا تتبع لإمارة الشارقة بالمملكة العربية المتحدة، أنظر: لورمير، المرجع السابق، ج02، ص 665.

(2) محمود علي الداود، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1964، ص 18.

(3) محمود علي الداود، المرجع نفسه، ص 18.

فغالبا ما كان ألبوكيرك يخرج بتصرفاتهوقراراته الانفرادية والأحادية عن الأوامر الملكية المقدمة إليه من طرف ملكه الدون امانويل الأول [1].

ان تصرفات ألبوكيرك كانت سببا حقيقيا وراء عزله من القيادة والحكم كنائب لحكومة ملك البرتغال في بلاد الهند، بعد وصول الأسطول البرتغالي القادم من ميناء لشبونة الى الهندو المكون من أحدى عشر سفينة حربية، حاملا معه أمرا ملكيا من ملك البرتغال يقضي بتعين القائد لوبو سواريز (Lobo Suarez)خليفة لألبوكيرك في حكم بلاد الهند عام 1515م.

يمكننا القول أن البرتغاليين اتبعوا نظاما يتيح لهم احكام سيطرتهم السياسية والعسكرية والتجارية على مدن وموانئ الساحل العماني، من خلال سيطرتهم على الحصون والقلاع والموانئ وتعيينهم لمجموعات عسكرية مسلحة في المدن ولدوريات بحرية تساندهم في تدميير السفن التجارية للمسلمينو التي لاتمتلك تصاريح بالأذن لممارسة نشاط التجارة البحرية هناك[2]، والواقع أن سياسة البرتغال في الخليج العربي والقائمة على الاحتكار التجاري، وفرض ضرائب على السكان مع الاعتداءات المتكررة والقسوة ونهب الأموال كلها عوامل داخلية ساهمت في انفجار ثورة عارمة ضدهم على طول وعرض ساحل الخليج العربي[3].

هذه الثورة بينت على أنها ثورة منظمة ومخطط لها وليست بالعشوائية من خلال تمكنها من الهجوم على العديد من القلاع و الحصون البرتغالية في وقت واحد، والحاق خسائر كبيرة بهم ماديا وبشريا لكنها فشلت في الأخير بعد قيام القائد لويز دي منديس(Luiz De Menezes)، بالتدخل وقيادته لحملة

(1) لقد ساء جنود ألبوكيرك من مغامرين و بحارة سياسة قائدهم وطريقته التخريبية التي لا تترك شيئا إلا وتحرقه في طريقها، مما دفع بالبعض منهم إلى العصيان والتمرد ضده حيث بدأت حركة التمرد من قادة سفنه وضباطه عند الساحل العماني في مسقط وهذا ما يعترف به ألبوكيرك بنفسه في مذكراته، أنظر: جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق، ص 69.

(2) مايلز س- ب، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1982، ص 164.

(3) يمكننا الربط بين هذه الثورة التي حدثت في الخليج العربي وبين مقتل زعيم قوات الجبور في البحرين والاحساء " مقرن بن زامل"، الذي قتل على يد البرتغاليين وحلفائهم من الهرامزة وذلك قبل شهور قليلة قبل قيام هذه الثورة عام 1521م، وذلك بسبب غزو البرتغاليين لجزيرة البحرين ويقال بأن "شهاب الدين" حاكم جزيرة هرمز قد اشترك في عملية غزو البحرين وحرض عليها كذلك وهو متورط بقتل الشيخ "مقرن بن جابر"، لمزيد من التفاصيل عن ثورة الخليج ومقتل الشيخ "مقرن بن جابر" أنظر: الحميدان، التاريخ السياسي لامارة الجبور، ص ص ص 81-82-83.

عسكرية الى سواحل الخليج العربي أخضع فيها الموانئ الثائرة هناك ثم توجه بعدها نحو جزيرة هرمز أين قضى على كامل الانتفاضة هناك عام 1523م ليبقي سيطرة البرتغاليين عليها[1].



(1) ويلسون، تاريخ الخليج العربي، المرجع السابق، ص 80، وأنظر: مايلز، المرجع السابق، ص ص 165-166.

الفصل الثاني:

التنافس السياسي العسكري بين مملكتي هرمز و دولة الجبور على البحرين والقطيف ونتائجه عام(1520م-1521م):

أ/دوافع ومبررات التحالف البرتغالي الهرمزي لغزو البحرين عام 1521م.

ب/نتائج معركة البحرين عام 1521م.

ج/تحالف أمراء بني جبر مع البرتغاليين عام 1522م.

لقد كان مشروع غزو البحرين من تخطيط القائد ألفونسو دي ألبوكيرك الذي اطلع على أهمية منطقة البحرين من الناحية الاقتصادية بدرجة كبيرة لكونها موردا هاما لمادة اللؤلؤ، فبعد نجاحه في المعركة التي خاضها في جزيرة هرمز أرسل ألبوكيرك برسالة خطية إلى ملكه امانويل الأول بلشبونة يخبره فيها عن رغبته الكبيرة في التحكم والسيطرة على منطقة البحرين، أين صدرت بعدها الأوامر الملكية إلى هذا القائد عام 1514م للتحضير لمشروع غزو منطقة البحرين[1]، حيث يذكر لنا ألبوكيرك في رسالة وجهها إلى ملكه امانويل الأول بلشبونة عن دوافع اهتمامه بغزو منطقة البحرين من الجانبين الاقتصادي والديني إذ يصرح في مضمون هذه الرسالة بما يلي:(**...ان البحرين يا سيدي أمر عظيم ومنطقة جد غنية حيث يكثر بها اللؤلؤ...سأذهب إلى البحرين يا سيدي لأنتزع اسم محمد صلى الله عليه وسلم...)**[2].

يعتبر خضوع منطقة البحرين لحكم إمارة الجبور[*]القوية من بين الأسباب التي أخرت عملية غزو البحرين من طرف القوات البرتغالية، هذا بعد أن تعرف القائد البرتغاليBéro Albuquerque(بيرو ألبوكيرك) وهو ابن أخ ألفونسو دي ألبوكيرك عام 1514م على سواحل البحرين بعد قيامه بعملية استطلاعية مع أسطوله العسكري بأمر من عمه ألفونسو، أين اعتذر القائد بيرو لعمه ألبوكيرك بعد عدم تمكنه من التوغل كثيرا في السواحل البحرينية بحجة أن الرياح القوية هي من كانت سببا في رجوعه إلى سواحل بلاد الهند، مخافة أن تحطم بعض القطع من أسطوله البحري مقدما لعمه في الوقت نفسه تقريرا مفصلا عن مناطق تواجد مغاصات اللؤلؤ البحريني[3].

إلا أنه لا يمكننا التحدث عن غزو البرتغاليين لمنطقة البحرين دون التطرق إلى أهم نقطة في هذا الغزو، التي ترجع أساسا إلى استغلال القوات البرتغالية لفترة التفكك والصراع السياسي والعسكري بين إمارة الجبور بالبحرين وإمارة هرمز بمضيق الخليج العربي، فالنزاع الذي دار بين شيوخ الجبور وملوك

---

(1) أحمد بوشرب، <<مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي>>، الوثيقة، السنة 1984، العدد04، السلسلة02، البحرين، ص 121.
(2) أحمد بوشرب، المرجع نفسه، ص 121.
(*) نسبة إلى جدهم الأكبر جبر العقيلي من بني عامر بن ربيعة وأولهم هو سيف بن زامل بن جبر العقيلي، أنظر: علي بن إبراهيم الدرورة، الاحتلال البرتغالي للقطيف(1521م-1572م)، ط01، المجمع الثقافي لإمارة أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ت، ص 73.
(3) Alfonso Albuquerque, Op.cit. vol04, p.114.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 216.

هرمز قد لعب دورا أساسيا في إرساء دعائم الغزو البرتغالي في المنطقة من خلال انفراد ألبوكيرك باحتلال جزيرة هرمز عام 1507م، دون تدخل قوات الجبور البحرينية لطرد هذا الغزو البرتغالي بل بالعكس ازدادت هذه الخلافات السياسية عمقا، مع إمارة بني جبر وبني هرمز خلال تلك الفترة خصوصا بعد خضوع إمارة هرمز لسلطة البرتغاليين[1].

لقد تركزت سياسة إمارة هرمز على إضعاف إمارة الجبور القوية منها منذ تمكن هذه الأخيرة من فرض سيطرتها العسكرية والسياسية على جميع مماليك شبه الجزيرة العربية بعمان والبحرين مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد، موسعة بذلك حكمها ونفوذها على مناطق جغرافية جد هامة مما دفع بحاكم إمارة هرمز "خواجة عطار" إلى إرسال حملة عسكرية لاحتلال جزر البحرين عام 1511م[2]، لكن هذه الحملة قد فشلت فشلا ذريعا في تحقيق أهدافها المسطرة، مماضطر ها في الأخير إلى الانسحاب من منطقة البحرين كليا، مع تهديد امارة الجبور لإمارة هرمز باحتلالها لجميع سواحل عمان الشمالية التابعة إلى سلطتها.

كذلك استفاد البرتغاليون كثيرا من هذا الصراع السياسي والعسكري بين القوتين المحليتين خلال فترة تواجدهم بمياه الخليج العربي، بل إنهم كثيرا ما أشعلوا نار الفتنة بين إمارة بني جبور وبني هرمز مستغلين في ذلك تنافسهم على الحدود الداخلية لممالكهم، في كل من منطقة عمان والبحرين إضافة إلى ذلك فقد وفر البرتغاليون لأنفسهم الوقت الكثير والجهد الكبير من أجل تجميع قواهم العسكرية لضرب أي تدخل إسلامي سواء كان من جانب العثمانيين أو العمانيين من بعدهم، حتى أنه قد وصل بهم الأمر إلى ضرب قوة الجبور التي كانت دائما ما تهاجم قواعدهم العسكرية وحامياتهم المتمركزة في سواحل الخليج العربي وعمان[3]، مستعملين في ذلك قوى مملكة هرمز ضدهم.

يمكننا القول أيضا بأن دوافع هذه الهجمات العسكرية المستمرة من طرف مملكة هرمز على جزر البحرين والقطيف، تعود في حقيقة الأمر إلى محاولة الهرامز الاستحواذ على تلك الموارد الطبيعية

---

(1) جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق، ص ص 60-62.
(2) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 218.
(3) علي عبد الله أبا حسين، <<الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق>>، الوثيقة، السنة 1984، العدد 03، السلسلة 01، البحرين، ص 92.

والاقتصادية التي تزخر بها هذه المناطق خاصة مادة اللؤلؤ، خصوصا اذا علمنا أن مملكة هرمز كانت تدفع إلى خزينة الدولة بلشبونة ضرائب سنوية ترتفع قيمتها كلما تم تعيين نائب جديد لحكومة ملك البرتغال في بلاد الهند[1]، حيث لم تسمح إمكانيات للهرامزة المادية والمالية من تغطية كل هذه الضرائب المفروضة عليها، مع امتناع إمارة الجبور بالبحرين على دفع ما عليها من ضرائب سنوية لمملكة هرمز، مستغلة في ذلك حجة احتلال هذه الأخيرة من طرف البرتغاليين منذ عام 1515م، مما زاد الوضع المالي تعقيدا في مملكة هرمز وترتبت عنه عدة مشاكل اقتصادية في الوقت نفسه.

كل هذا دفع بمملكة هرمز إلى تحريض البرتغاليين على احتلال جزر البحرين والقطيف معا متحججين في ذلك برفض إمارة البحرين وحاكمها السلطان " مقرن بن جابر" دفع ما عليها من مستحقات مالية سنوية لمملكة هرمز[2]، تنفيذا كذلك لبنود الاتفاق الهرمزي البرتغالي الذي وقع بين الطرفين عام 1515م، الذي ينص على:**(تقديم البرتغال للحماية التامة اتجاه أي خطر خارجي تتعرض له مملكة هرمز)**، إضافة إلى ذلك فقد ازداد قلق البرتغاليين كثيرا بسبب تطور العلاقات البحرينية والعثمانية سياسيا وعسكريا عند دخول منطقة الحجاز سلميا تحت حكم الدولة العثمانية عام 1517م، قيام سلطان البحرين "مقرن بن جابر" بإنشاء أسطول عسكري بدعم من الدولة العثمانية له لحماية امارته من أي خطر خارجي، حيث قدمت له المواد الضرورية لبناء الأسطول كما زود بمختلف الأسلحة الحربية الحديثة الصنع آنذاك، يعود سبب ذلك بعدما أعلمهم سلطان بني جبور بما يحيط به من خطر برتغالي متمركز في سواحل منطقة البحرين والقطيف.

وما زاد قلق البرتغاليين كثيرا على مصالحهم الاقتصادية بالمنطقة هو التقارب السياسي والعسكري بين قوة الجبور الناشئة والدعم العثماني لها في مياه الخليج العربي، ما جعل البرتغاليين يسعون بأقصى جهودهم إلى ترسيخ نفوذهم في المنطقة واحتلالها في أقرب وقت ممكن، ففي عام 1520م اتفقت القوات البرتغالية مع حاكم مملكة هرمز على احتلال جزر البحرين بحيث انتهز البرتغاليون فرصة ذهاب سلطان بني جبور إلى الحج لتنفيذ هجومهم العسكري، حيث انطلقت ثلاثة سفن برتغالية من جزيرة

---

(1) عبد اللطيف ناصر الحميدان،<<التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية(1417م-1521م)>>، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، السنة 1980، العدد 16، السلسلة 14، العراق، ص 78.

(2) لقد كانت إمارة البحرين تدفع إلى مملكة هرمز ما قيمته خمسة عشر ألف أشرفي من الذهب سنويا، أنظر: أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص 123.

هرمز بقيادة جومز دي سوتا مايور(Gomez De Sauta Mayore)، لتتجهة لاحتلال جزر البحرين لكنها تلقت مقاومة عنيفة قرب سواحل البحرين من طرف قوات الجبور المتركزة هناك، ما دفعها إلى العودة بعد محاصرتها لسواحل البحرين لمدة ثلاثة عشر يوم كاملة[1].

بعد تلقى سلطان البحرين "مقرن بن جابر" لخبر هجوم القوات البرتغالية على مملكته لم يتفاجئ كثيرا من ذلك، كونه قد كان على علم بجميع المخططات البرتغالية ضده فقد جهز لذلك العدة المناسبة لمواجهة الأسطول البرتغالي قبل ذهابه لأداء مناسك الحج بمكة المكرمة، من خلال بنائه للعديد من الحصون والقلاع الحربية على طول سواحل البحرين والقطيف، مع إنشائه كذلك لصور قلعة البحرين[2] ما مكن القوات البحرينية من الصمود في وجه الحملة البرتغالية الأولى عام 1520م.

لكن عند صدور الأوامر الملكية إلى نائب ملك البرتغال في الهند دييغو لوباز دي سكويرا (Diogo L. De Sequeyra) من أجل إعادة محاولة احتلال منطقة البحرين للمرة الثانية وضمها إلى نفوذ وسلطة مملكة هرمز من جديد، كلف القائد دييغو لوباز ابن أخ القائد أنطونيو كوريا(Antonio Corre) من أجل التوجه لغزو منطقة البحرين عام 1521م، أين قام هذا الأخير بتجهيز حملة عسكرية مكونة من سبع سفن برتغالية بها حوالي أربعمائة مقاتل تحت قيادته، أما مملكة هرمز فقد جهزت هي الأخرى حملة عسكرية ثانية لمساعدة القوات البرتغالية مكونة من مائتي مركب صغير وبها حوالي ثلاثة ألاف مقاتل بقيادة الوزير" شرف الدين"[3]، لقد انطلقت هذه الحملة البرتغالية الهرمزية يوم 15 جويلية 1521م لتصل إلى سواحل البحرين يوم 21 جويلية 1521م، والإشكالية المطروحة هي ما دوافع هذا التحالف العسكري السياسي البرتغالي الهرمزي لغزو جزيرة البحرين، ما النتائج المترتبة على هذا الغزو؟.

---

(1) عبد اللطيف ناصر الحميدان، المرجع السابق، ص 79، وأنظر أيضا:
Sousa Manuel De Farray, The History of The Discovery And Conquêt of India, Transe By Gohn Stevens, Vol1, Germany, 1971, p. 256.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 226.
(2) علي عبد الله أبا حسين، المرجع السابق، ص ص(33،34).
(3) Sousa. F, op.cit, p.258.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص 232.

أ/دوافع ومبررات التحالف البرتغالي الهرمزي لغزو البحرين عام 1521م:

بعدما تمكن القائد البرتغالي ألفونسو دي ألبوكيرك من السيطرة على مملكة هرمز واخضاعها للتاج البرتغالي وتأسيس حامية عسكرية بها في 24 أكتوبر 1507م[1]، تطلعت بعدها مملكة البرتغال للسيطرة على أهم الموانئ التجارية بالخليج الفارسي ما عدا جزيرة البحرين وميناء القطيف واللتان كانتا معروفتين بغزارة مواردهما الإقتصادية وكثرة أنشطتها التجارية، لذلك تزايدت رغبة البرتغاليين في السيطرة عليهما لإخضاع كامل منطقة الخليج العربي(الفارسي) تحت سيطرة القائد ألبوكيرك ملك القلاع البحرية[2].

واتضحت لنا رغبة ألبوكيرك في غزو بلاد البحرين خصوصا بعد المراسلات التي دارت بينه وبين ملك الدوم امانويل الأول عام 1507م، الذي منحه الضوء الأخضر لتحقيق هذا المشروع لكن ألبوكيرك فضل ترك مهمة احتلال البحرين لمملكة هرمز وبالتحديد للوزير الأول خواجه عطار، هذا الأخير قام بقيادة حملة عسكرية من ميناء هرمز عام 1511م، بمساعدة الأساطيل البرتغالية تمكن الهرامزة والبرتغاليون من احتلال البحرين، الا أن قوات الجبور استطاعت استرجاع واعادة البحرين الى سلطتها السياسية بعد تهديد الجبور للهرامزة بغزو الموانئ العمانية التابعة لمملكة هرمز [3].

لذلك لم تتحقق أهداف ألبوكيرك في غزو البحرين فكتب عنها في أواخر حياته عام 1515م وأرسل رسالة الى ملك لشبونة جاء فيها:**(ان البحرين أهم ما يمكن أن يهتم به الإنسان...ان عددا كبيرا من المراكب تنطلق منها اتجاه الهند محملة بعدد كبير من الخيول وكميات كبيرة من اللؤلؤ...لقد تمكنا من السيطرة على كل المناطق التي تتحكم فيها مملكة هرمز عدا البحرين التي جاء اليها العرب[*] وطردوا جنود الملك[*] منها)**[4]، بهذا أدرك القادة البرتغاليين والهرامزة جليا صعوبة احتلال البحرين

---

(1) شرف الدين ابن المطهر، روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق عبيد عطية حسن يوسف اللهيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2015، ص 07، أنظر أيضا: محي الدين عبد القادر بن الشيخ العيدروسي، النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق أحمد حالو ومحمد الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر للنشر، بيروت، ط01، 2001، ص 62، للمزيد أنظر: ابن الديبع، قرن العيون في أخبار اليمن الميمون، ج02، المصدر السابق، ص ص 216-217، وأنظر أيضا:

Sousa. F, op.cit, VOL 01, p.p. 131-132.

(2) دي ألبوكيرك، السجل الكامل، المصدر السابق، ص ص 357-360.

(3) محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص 215.

(*) العرب: والمقصود بهم هنا حسب كلام ألبوكيرك هم عرب دولة الجبور.

(*) الملك: والمقصود به هو ملك جزيرة هرمز.

(4) دي ألبوكيرك، المصدر نفسه، ص ص 570-571.

خصوصا بعد سيطرة حكام بني جبر عليها، فكل محاولاتهم المنفردة فشلت في ذلك ليأتي الإتفاق البرتغالي الهرمزي كضرورة حتمية وليس كاختيارا فقط[1].

بعدما تمكنت القوات البرتغالية من محاصرة سواحل البحرين لمدة ستة أيام كاملة متحينة بذلك الفرصة المناسبة لمهاجمة قوات الجبور، منتظرة في الوقت نفسه وصول المدد القادم إليها من طرف مملكة هرمز لتحدث بعدها المواجهة العسكرية الثانية بين القوتين يوم 27 جويلية 1521م، بعد اشتباكات عنيفة وقعت بين الطرفين داخل مدينة هرمز تلقى خلالها السلطان "مقرن بن جابر" إصابة خطيرة في فخذه بعد اصابته بسلاح المدفعية البرتغالية، التي كانت سببا كافيا لوفاته مباشرة وهذا حسب رواية للمؤرخ البرتغالي سوسا امانويل دي فيريا[2].

كما ير ى كذلك المؤرخ البرتغالي سوسا دي فيريا بأن مقتل السلطان مقرن بن جابر أدى إلى انهيار معنويات قوات الجبور بسرعة، التي لم تستطع حسب رأيه الاستمرار في القتال لمدة طويلة أمام قوة سلاح المدفعية البرتغالية، على النقيض تماما ارتفعت معنويات الجنود البرتغاليين الذين أخذوا ينضمون صفوفهم فيما بعد، لكن مؤرخ مصر ابن إياس يخبرنا عكس ذلك تماما حسب روايته حيث يبين لنا بأن السلطان مقرن ابن جابر قد وقع حيا في أيدي القوات البرتغالية، بعد اصابته في فخذه فأراد أن يساوم البرتغاليين على حياته لكن قائد الحملة البرتغالية أنطونيو كوريا لم يرضى بذلك وقتله، بقوله:(**وأنه ساومهم على أن يفتدي نفسه بالمال ولكنهم قتلوه صبرا**)[3]، هذا ما دفع ابن اياس بعدم تحديد خبر وفاة السلطان مقرن في بداية القول الا غاية تأكد خبر قتله في قوله أيضا:**(وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عرب بني جبر متملك جزيرة البحرين الى بلاد هرمز الأعلى)**[4].

---

(1) أحمد ابن ماجد، المصدر السابق، ص 70، وأنظر: الجزيري، المصدر السابق، ص 316، وكذلك: السخاوي، المصدر السابق، ص 190.

(2) Sousa. F, op.cit, p.258.

نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 232.

(3) ابن إياس، المصدر السابق، ج05، ص 431، وأنظر كذلك: فالح حنظل، العرب والبرتغال في التاريخ، ط01، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1997، ص 312-313، وراجع أيضا: علي أبا الحسين، الجبور ...، المرجع السابق، ص 95.

(4) ابن اياس، نفسه، ص 431.

يعتبر مقتل السلطان مقرن ابن جابر من بين أعظم الحوادث المؤلمة في تاريخ منطقة البحرين والخليج العربي ككل، بل وأنه من أهمها كذلك كما أخبرنا مؤرخ مصر بقوله:**(... كان مقتل السلطان مقرن بن جابر من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها...)**[1].

لقد حدد لنا ابن اياس تاريخ مشاركة السلطان مقرن بن جابر في هذه المعركة بعد عودته من أداء مناسك الحج مضطرا حين أدركته أنباء الهجوم البرتغالي على سواحل البحرين في قوله:**(و أنه لما دخل مكة والمدينة تصدق على أهلها بنحو خمسين ألف دينار، فلما كر راجعا إلى بلاده لاقته الإفرنج فقاتلهم، إلا أنهم انتصروا عليه وأسروه وحاول افتداء نفسه بألف ألف دينار فأبو وقتلوه سنة 928 هجرية واستولوا على بلاده)**[2].

كما بين لنا المؤرخ البرتغالي نونو دا سيلفا كذلك أن السلطان مقرن بن جابر قد ضرب لنا أروع صور التضحية والشجاعة من خلال بقائه في الخطوط الأمامية ورفعه للروح القتالية ولمعنويات جنوده في المعركة[3].

أما ملك البرتغال جون الثالث(يوحنا الثالث) فقد صرح بأن انتصار القائد البرتغالي أنطونيو كوريا على القوات الجبور من بين الأمور العظيمة في تاريخ البرتغال شعبا وحكومة، لذلك منح وسام النصر لهذا القائد وقلده له على ذراعه الأيمن وأطلق عليه لقب "**كوريا البحرين**"، نقشت أطوار هذه المعركة على مسلة من الحجر لتبقى شاهذة على هذا النصر العظيم بلشبونة، أين نحت رأس السلطان مقرن بن جابر وهي مقطوعة على درع القائد أنطونيو كوريا[4].

بعد احتلال القوات البرتغالية بقيادة أنطونيو كوريا منطقة البحرين عام 1521م تم احتلال جميع جزر البحرين بعدها، لتخضع البحرين خلالها إلى تبعية وسلطة مملكة هرمز البرتغالية ومن بين ما قام به القائد أنطونيو كوريا أيضا خلال معركة البحرين هو حرق جميع المراكب التجارية في موانئ البحرين

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص 431.
(2) نفسه، ص 431.
(3) نونو بي سلفا، <<صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين>>، الوثيقة، السنة 1986، العدد 08، السلسلة 04، المنامة، ص 127.
(4) عبد الهادي التازي، <<وثيقة لم تنشر عن البحرين>>، الوثيقة، السنة1981، العدد04، البحرين، 1981، ص 66.

التابعة لمملكة لجبور[1]، من أجل احتكار كل المعاملات التجارية هناك لصالح البرتغاليين، والإشكالية المطروحة هي ما نتائج معركة جزيرة البحرين بالخليج العربي؟.

ب/نتائج معركة البحرين عام 1521م:

-ان احتلال منطقة البحرين من طرف القوات البرتغالية والهرمزية تعتبر من بين أطول المعارك التي دارت في منطقة الخليج العربي ككل، بداية من وصول البرتغاليين إلى ساحل منطقة عمان عام 1507م و غزوهم لمملكة هرمز إلى غاية احتلال مدينة مسقط بعمان نهائيا عام 1521م[2].

-يبين لنا هذا الاحتلال البرتغالي الهرمزي مدى تفشي ظاهرة التحالف مع العدو البرتغالي لتحقيق مصالح وأهداف شخصية ومحلية من طرف بعض حكام المشيخات العربية بالخليج العربي و الساحل العماني، وعدم قدرتهم في الوقت نفسه على التكتل عسكريا لمواجهة الخطر البرتغالي المشترك.

-دور التفكك والانقسام السياسي في تغلغل الغزو البرتغالي بالخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية.

-قوة عرب السواحل الغربية للخليج العربي وظهور دولة الجبور كمنافس شرس لمملكة هرمز على الساحة السياسية في الخليج العربي والساحل العماني.

-وضع البرتغاليين لحامية عسكرية في قلعة البحرين وضمها تحت سلطة هرمز لكن رفض سكان البحرين الخضوع تحت سلطة الهرامزة وقبولهم الخضوع للتاج البرتغالي بسبب الكراهية الشديدة التي يحملها بنو جبر للهرامزة[3].

-دفع سكان البحرين للضرائب السنوية لخزينة البرتغال والمقدرة بأربعمائة دوكة[*] سنويا حسب رواية تكسيرا[4].

---

(1) أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص 125.
(2) سيد نوفل، المرجع السابق، ص 42.
(3) Barros, op.cit, p.p. 50-51.
(*) الدوكة(Ducas): هي عملة نقدية لجمهورية فينيز الإيطالية وهي كثيرة التداول في العمليات التجارية خلال تلك الفترة الزمنية.
(4) صبري فالح الحمدي، صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث، دار الحكمة للنشر والتوزيع، لندن، 2014، ص 47.

ج/تحالف أمراء بني جبر مع البرتغاليين عام 1522م:

بعد أن تمكن البرتغاليون من تمزيق القوى العربية والفارسية بالخليج العربي قاموا بانتهاج سياسة التحالف العسكري مع القوى المحلية التي تخدم مصالحهم بالمنطقة، فبعد معركة البحرين تشتت شمل أمراء الجبور واستأثر كل واحد منهم بالسلطة سواء في منطقة الإحساء أو نجد وغيرها من أقاليم الساحل العماني، حيث استقل بحكم عمان من أمراء الجبور الأمير حسين بن سعيد[1]، الذي رأى بأنه من الحكمة التحالف مع القوة البرتغالية الأكثر تجهيزا من الناحية العسكرية في المنطقة.

حيث أراد الأمير حسين بن سعيد بهذا التحالف أن يعيد نفوذ الجبور على جميع مناطق عمان الساحلية والداخلية كذلك، أين تحالف الأمير حسين مع القائد البرتغالي "الدون لويز" (Don Luwiz) من أجل استرجاع ميناء صحار من ملك هرمز رئيس شهاب بدر الدين، مقابل خضوع صحار مباشرة لحكم الجبور[2] أين تمت محاصرة ميناء صحار والمدينة من ناحية البر من طرف قوات الجبور البالغ عددها أربعة ألاف وخمسمائة مقاتل، مع محاصرة السفن البرتغالية في الوقت نفسه لميناء صحار بحرا [3].

هنالك انسحبت الحامية الهرمزية من ميناء صحار تماما ليطلب سكانها الحماية من قوات الجبور وأميرها حسين بن سعيد خوفا من بطش البرتغاليين بهم، أين تم تعيين الأمير حسين حاكما على صحار شريطة اعترافه بالسيادة البرتغالية عليها[4]، بهذا يكون التحالف البرتغالي مع دولة الجبور من بين الأسباب الهامة التي أعادت الحكم لدولة الجبور على ميناء صحار ومنطقة الساحل العماني.

(1) ويلسون، المرجع السابق، ص ص 79-80، وأنظر: عبد اللطيف ناصر الحميدان، التاريخ السياسي ...، المرجع السابق، ص 82.
(2) فالح حنظل، المرجع السابق، ص 225.
(3) جمال زكرياء قاسم، الخليج ...، المرجع السابق، ص ص 78-80.
(4) فالح حنظل، نفسه، ص 315.

الفصل الثالث:

القطيف بين سيطرة الهرامزة والبرتغاليين وصراع أسرة آل مغامس عليها عام(1521م-1544م):

أ/تحالف شيخ القطيف مانع الفضلي مع البرتغاليين على منطقة البحرين ومدينة البصرة عام 1544م.

ب/الغزو البرتغالي الهرمزي للقطيف عام 1545م.

ان أطماع الهرامزة بمنطقة القطيف(*) القريبة من البحرين ترجمت على أرض الواقع بقيام الوزير الهرمزي الأول شرف الدين بانشاء حامية عسكرية هرمزية بها، حيث تمكن هذا الوزير من اقناع القائد البرتغالي أنطونيو كوريا من العدول عن رأيه المتمثل في انهاء الوصاية الهرمزية على البحرين، تحت حجة التهرب الضريبي للتجارة البحرينية من جهة ووعوده له بضمان ارادات مالية ضخمة لخزينة الدولة بلشبونة في حالة استرجاع الوصاية على البحرين(1)، كما تمكن الوزير الأول شرف الدين بعد ذلك من تنصيب ابن أخيه رئيس بدر الدين حاكما على البحرين ليسيطر الهرامزة تماما على الحكم في البحرين، والإشكالية المطروحة هي ما دوافع تحالف شيخ البصرة مع البرتغاليين على منطقة البحرين والبصرة عام 1544م؟ولمذا تحالف البرتغاليون أيضا مع الهرامزة لغزو منطقة القطيف عام 1545م؟.

ويعتبر مخطط احتلال منطقة القطيف من بين أهم المخططات البرتغالية التي دعت إليها في الأصل حكومة الشاه إسماعيل الصفوي سابقا، منذ توقيع الإتفاق البرتغالي الصفوي عام 1515م بحيث اقترح سفير الشاه إسماعيل بأن تقدم حكومة البرتغال سفنا حربية إلى حكومة الشاه بإيران لكي تمكنها من غزو منطقة البحرين والقطيف معا، إلى جانب أن يقوم البرتغاليون بقمع التمرد الحاصل في منطقة مكران واحتلال منطقة جوادر بباكستان كذلك(2)، هو ما تم تنفيذه فعلا من قبل البرتغاليين بعد مرور ستة أعوام كاملة على هذا الإتفاق بحيث شرعت حكومة البرتغال في الهند بقيادة لوبو سواريز في محاولة منها لفرض سيطرتها على جميع الموانئ التجارية المتواجدة في سواحل منطقة الخليج العربي، خصوصا بعد تمكنها من إخضاع مملكة هرمز والبحرين وسواحل عمان جميعا تحت سلطتها عام 1521م.

تجدر بنا الإشارة هنا الى أن سيطرة البرتغاليين النهائية على منطقة القطيف قد استمرت مدة ستة عشر عاما كاملة منذ 1521م الى 1537م، ذلك بسبب المقاومة الداخلية المستمرة للسكان المحليين

(*) منطقة القطيف: لقد أطلق العديد من الرحالة العرب وعلماء الجغرافيا على بحر الخليج العربي اسم بحر القطيف أو بحر البصرة كما سماه العثمانيون بعد دخولهم إلى المنطقة خلال حكم السلطان راشد بن مغامس لها، وأثبتوا ذلك في العديد من خرائطهم التي رسموها من قبل، كما أطلق الفرس تسمية الخليج الفارسي كذلك على بحر الخليج العربي و يسميه العلامة "ابن خلدون" أيضا باسم الخليج الأخضر، أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، المصدر السابق، ص 99، وللمزيد من الإيضاح أنظر كذلك: سليمان إبراهيم العسكري، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، ط01، مطبعة المدني، القاهرة، 1972، ص 103 .

(1) عبد اللطيف ناصر الحميدان، <<دولة آل فضل في الإحساء والقطيف>>، مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة، السنة 1981، العدد 19، السلسلة 18، ص 863.

(2) الأحمدي سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1985، ص 14.

ضد الغزو البرتغالي وحليفه الهرمزي، قبل خضوع منطقة القطيف للغزو البرتغالي خضعت القطيف الى سلطة آل مغامس بعد حكم الشيخ راشد بن مغامس حاكم امارة البصرة بالعراق لها عام 1525م، ثم حكم ابنه مانع الفضلي من بعد، نتيجة ضعف حكامها من بني جبر حيث تلقى الشيخ راشد بن مغامس خلال فترة ولايته على القطيف رسالة تهديد له من طرف القائد البرتغالي مندوزا (Mendouza)، الذي كان يشرف على حماية جزيرة هرمز وتخص هذه الراسالة بشأن الأسلحة النارية والسفن الحربية التي يمتلكها الشيخ راشد، اضافة الى ما معه من الجنود الروم أي الأتراك العثمانيين الموجودين بالقطيف[1].

كما يرى بعض المؤرخين ومنهم عبد اللطيف الحميدان بأن شيخ البصرة راشد بن مغامس قد انتزع حكم منطقة القطيف من الإدارة الهرمزية عام 1538م[2]، بعد نهاية الحكم البرتغالي الهرمزي عليها عام 1537م كما أن تعزيز مكانته في امارة البصرة بالعراق كانت نتيجة الدعم الذي منحه له السلطان سليمان القانوني نفسه[3]، ما سهل عليه عملية السيطرة على شمال الخليج العربي المكون من المشيخات التالية: البصرة والإحساء والقطيف ثم البحرين.

حيث زحف الشيخ راشد باتجاه القطيف من مدينة البصرة وهو يقود جيشا كبيرا مؤلفا من ألفين جندي من حملة البنادق من عرب وترك لكنه وجد في انتضاره ترحيبا كبيرا من سكانها، أين فتحت له أبواب القطيف ليدخلها من دون أي مقاومة تذكر[4].

هنا أشار لنا الوزير الأول في حكومة البحرين البرتغالية "بدر الدين الفالي" الى الوضع الذي عرفته منطقة القطيف، حينما بعث برسالة الى نائب ملك البرتغال في الهند يقول فيها: **(ان الشيخ راشد يجد نفسه الأن أمام فرصة مواتية للإستيلاء على القطيف، نظرا للإضطراب أوضاع البرتغاليين في الهند اذ ليس بمقدورهم المجيئ الى الخليج للنجدة، اضافة الى أنه يدرك بأن ملك هرمز عاجز من أن يتحرك للوقوف في وجهه ومقاومته)**[5]، أما بالنسبة للترحيب الذي لقيه الشيخ راشد من قبل أهل القطيف

(1) عبد اللطيف ناصر الحميدان، امارة آل شيب في شرق جزيرة العرب(1525م-1553م)، د ن، الرياض، السعودية، 1997، ص ص 52-62.
(2) نفسه، ص 48.
(3) نفسه، ص 66.
(4) نفسه، ص 66.
(5) علي بن ابراهيم الدرورة، تاريخ الإحتلال البرتغالي للقطيف(1521م-1572م)، المجمع الثقافي بأبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 240.

وحكامها السابقين من بني جبر فهو يعكس لنا مدى الكراهية التي يكنها سكان المنطقة الى الفرس من الهرامزة، حيث اعترف حاكم هرمز بنفسه عن تلك الكراهية الموجودة بقوله:**(ان العرب يرون أن من حقهم وحدهم حكم بلادهم)**[1].

الجدير بالذكر أيضا أن بني جبر الذي سهلوا على شيخ البصرة حكم منطقة القطيف كانوا قد سهلوا عليه قبل عشرين سنة مضت حكم اقليم الإحساء، حيث يحمل بدر الدين الفالي الوزير البحريني في حكومة البرتغال مسؤولية ما وقع للقطيف الى الوزير الأول في حكومة هرمز البرتغالية وهو "أحمد بن راشد المسقطي العماني"، الذي حكم ما بين 1533م الى 1540م نظرا لقيامه بتعيين وزير عربي على القطيف وعزله للوزير الفارسي منها، الذي حسبه تعاطف مع بني جلدته من العرب وفتح لهم أبواب القطيف على مصراعيها، هذا وان دل على شيئ فانما يدل على مدى التعصب والكره الموجود بين حكام العرب والفرس في أقاليم الخليج العربي ما سهل على المستعمر البرتغالي استغلاله لصالحه[2].

يمكننا القول أن نهاية الصراع السياسي بين مشيخات الخليج العربي في منطقة القطيف هي بداية من جديد لصراع أخر بين زعيم قبيلة بني خالد أمير بادية القطيف وبين الشيخ راشد بن مغامس، يعود سبب هذا الصراع الى حرمان الشيخ راشد لأهل بادية القطيف من خيراتها ومواردها الطبيعية، ما جعل آل مغامس يواجهون صعوبات كبيرة في ردع ثورات سكان البادية المتمردين في القطيف[3]، الى غاية وفاة الشيخ راشد بن مغامس بمدينة البصرة عام 1539م، حيث ترك ابنه مانع كخليفة له في حكم الإحساء والقطيف، الذي بادر منذ بداية حكمه الى تجميد الصراع السياسي القائم بينه وبين شيخ بادية القطيف وقبيلة بني خالد، لكن مشروعه السياسي في توحيد حكم أبيه الذي شمل مناطق شاسعة تمتد من شواطئ الفرات شمالا الى بلاد البحرين جنوبا مرورا بشط العرب لتتجه غربا نحو بوادي البصرة، ثم الى الإحساء ونجد واليمامة لم يكتمل بسبب تعيين شيوخ آل مغامس وقبيلة المنتفق لإبن عمه "عثمان بن محمد بن مغامس"[4]، الذي أختير كحاكم على مدينة البصرة بمباركة وتأييد من أعيانها[5].

(1) علي الدرورة، المرجع السابق، ص 240.
(2) الدرورة، نفسه، ص 240، وأنظر كذلك: عبد اللطيف الحميدان، المرجع السابق، ص 68.
(3) الحميدان، نفسه، ص 69.
(4) نفسه، ص 77.
(5) نفسه، ص 78.

ان اختيار الشيخ عثمان بن محمد الفضلي على ولاية البصرة جاء منسجما مع المفاهيم القبلية لكبر سنه من جهة ولقناعة ذوي الشأن بالبصرة الى ضرورة تقسيم التركة الواسعة للشيخين محمد وراشد بين ورثتهم من أبنائهم، بحيث تكون البصرة تحت حكم أبناء محمد وتكون الإحساء والقطيف تحت حكم أبناء راشد، أما بالنسبة للشيخ مانع حاكم القطيف والإحساء فقدذكر ه لنا الوزير البحريني بدر الدين الفالي وصفا لشخصيته بقوله:**(ان الشيخ مانعا كان متغطرسا في مسلكه متعاليا في تصرفه، وهذه الصفات أخذت تبرز بشكل أكثر منذ اتصاله بكبار رجالات الدولة العثمانية في بغداد واسطنبول وأدرنة، وعلى رأسهم السلطان العثماني سليمان القانوني نفسه حيث قابلهم شخصيا فأجلوه ورفعوا من شأنه)**[1].

من بين الأمور السلبية التي شيعت على الشيخ مانع خلال حكمه للقطيف والإحساء هو كثرة مظالم هذا الشيخ من خلال استغلاله لمداخيل التجار البحرية والنقل البحري، ما بين سو احل البصرة وسواحل الخليج العربي هذا ما جعل العديد من الأسر تنزح من القطيف الى البحرين، ما أوقد نار الصراع السياسي مجددا بين الشيخ مانع و وزير البحرين نور الدين الفاليحيث أشار ت أحد الوثائق العثمانية عن ظروف هذا الصراع الموجودو التي جاء في مضمونها أنه:**(... بعد فرار عرب آل رحال من مظالم شيخ العرب مانع بن راشد والتجائهم الى البحرين ارتسمت في مخيلة الشيخ مانع فكرة الإستيلاء على البحرين، بحجة استعادة سلطته على هؤلاء العرب الفارين بعد أن وضعهم محمود وزير البحرين تحت حمايته لكن شيخ العرب سرعان ما تراجع عن خطته وعدل عن محاربة وزير البحرين بعد أن أدرك أن المصلحة تقتضي ذلك في الوقت الحاضر، لذلك فانه رحل من البحرين وعاد الى الإحساء دون أن يتم الصلح بين الطرفين...)**[2].

يبرز لنا جليا من خلال دراستنا لأحوال منطقة القطيف كثرة الأطماع التوسيعية التي عرفتها المنطقة نتيجة الصراع القائم عند شيوخ آل مغامس مع بني عمومتهم، اضافة الى حب السيطرة التي عرفت عند مشيخات الحكام الخليجيين خلال تلك الفترة، فبعد وفاة شيخ البصرة عثمان بن محمد الفضلي عام 1542م وتنصيب ابنه محمد خلفا له رغم صغر سنه، ما كان من الشيخ مانع بن راشد الفضلي الا أن

---

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 89.
(2) نفسه، ص 86، وأنظر أيضا: عبد الرحمان بن عثمان بن آل ملا، تاريخ هجر، ج02، مطابع الإحساء، المملكة العربية السعودية، 1992، ص 197، وكذلك: الدرورة، المرجع السابق، ص 247.

شن حملة نحو مدينة البصرة أين حالفه الحظ هذه المرة، ليدخلها دون أدنى مقاومة تذكر بل انه لقي استقبالا حارا من أعيانها وكأنهم يقرون بذلك أحقيته على حكمها[1].

هذا ما جعل الشيخ مانع يحقق حلما طالما راوده خلال ثلاث سنوات الماضية بتولى حكم البصرة والإحساء والقطيف معا عام 1542م، هذا ما أثار حفيظة خصومه في الداخل والخارج وما دفع برجال القطيف والإحساء من أثريائها خصوصا بأن يلجئوا الى وزير البحرين محمود الفالي لابعاد الشيخ مانع من الحكم من خلال الإعتداء على سفن القطيف الراسية في ميناء البصرة، حيث تم حرق مائة وخمسين سفينة تجارية تابعة للقطيف من طرف قوات البحرين[2]، فكان رد الشيخ مانع بأن حجز سفن البحرين الراسية في البصرة وشط العرب مع مصادرة حمولتها.

لقد تعرض الشيخ مانع لضغط شديد من تجار مدينة البصرة سواء من القطيفيين والإحسائيين الذين تم حجز سفنهم التجارية ظلما، كل هذا جعل بالشيخ مانع يرغم على التنازل عن السلطة في عامه الأول عام 1544م الى أبناء عمومته من خلال احتفاظه بحكم الإحساء والقطيف وتنازله عن حكم البصرة لإبن عمه يحي بن محمد بن مغامس[3]، حيث يصف لنا المؤرخ عبد اللطيف الحميدان حالة ووضعية الشخ مانع المعقدة بقوله:**(يفترض أن يكون أشد المتربصين بالشيخ مانعهم أكثرهم قربا وطمعا بالسلطة، مما يحتم أن يكون أبناء عمومته على رأس المتآمرين عليه، وان أخطاء الشيخ مانع وهفواته ساعدتهم على الإقتراب من مبتغاهم)**[4].

أ/دوافع تحالف شيخ القطيف مانع الفضلي مع البرتغاليين على منطقة البحرين ومدينة البصرة عام 1544م:

لم ينتهي الصراع الأسري بين آل مغامس عامة وبين الشيخ مانع ويحي الفضلي خاصة حول مدينة البصرة والقطيف والإحساء، اذ وبعد تقاسمهم لمناطق حكمهم أثار موقف ابن عمهم يحي بن محمد الفضلي حاكم مدينة البصرة الكثير من التساؤل، حول أسبابـقيامه باعادة السفن البحرينية المصادر ة من

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 83، وأنظر أيضا: الدرورة، المرجع السابق، ص 248.
(2) الحميدان، نفسه، ص 83.
(3) نفسه، ص 85.
(4) نفسه، 85.

قبل الشيخ مانع الى أصحابها وتعويضهم ماديا عن الضرر الذي لحق بهم، كأن شيخ البصرة الجديد بمبادرته هذه يبعث برسالة غير مباشرة لوزيرها نور الدين الفالي وللحكومة البرتغالية في هرمز، حيث أعلن خلالها شيخ البصرة الجديد تبرأه التام من ابن عمه الشيخ مانع ومن جميع تصرفاته السابقة، مما يستوجب التعاون معه لصده عما يحاول أن يقدم عليه مستقبلا[1]، والإشكالية المطروحة هي ما هو موقف الشيخ مانع الفضلي من تصرف ابن عمه؟ وهل استغل البرتغاليون هذا الخلاف الأسرى لصالحهم؟.

لقد حرص أمير البصرة الجديد الشيخ يحي الفضلي على صداقة حاكم البحرين أين أرسل برسالة له مع الوزير الأول لمملكة هرمز و هو قريبه "ركن الدين بهاء الدين الفالي"، الذي نقل اليه مخاوفه من عودة الشيخ مانع الى مدينة البصرة مجددا، حيث قرر الوزير الهرمزي خلالها ارسال القائد البرتغالي مرتينوس دي ميلو(DE MiLO MARETINOS) عام 1544م[2]، من أجل احتلال سواحل القطيف وبناء قلعة عسكرية هناك تكون دعامة لمملكة هرمز، لكن القائد البرتغالي رفض هذه الفكرة بسبب كثرة النفقات العسكرية على الأسطول البرتغالي بالهند، عند وصول أخبار المحادثات السرية و الرسائل المرسلة بين وزير مملكة هرمز والبحرين والقائد دي ميلوا الى حاكم الإحساء والقطيف الشيخ مانع، أدرك هذا الأخير بأن أغلب مشيخات الخليج العربي وقياداته تتنافس لكسب ود وصداقة البرتغاليين، فما كان عليه الى أن يحذو حذوهم ليحمي كيانه السياسي خاصة بعد وقوف الدولة العثمانية موقف المتفرج مما يحدث هناك[3].

وكرد فعل على الشيخ يحي قام شيخ القطيف والإحساء بارسال رسالة في شهر نوفمبر عام 1544م الى قائد مملكة هرمز البرتغالي لويس فكاو بريرا (Louis perira)(1544م-1547م)، التي عبر له فيها عن مدى استعداده التام لتسليم منطقة القطيف ككل لحكومة البرتغال بهرمز، مقابل أن يمده القائد البرتغالي لويس بريرا بما يحتاجه من العتاد العسكري والجيش من مجندين رغبة من الشيخ مانع في استرجاع ملكه الذي ضاع منهو هو مدينة البصرة بساحل الخليج العربي، لقد كانت الرسالة جد مفجأة

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 91.
(2) نفسه، ص 92.
(3) نفسه، ص 93.

بالنسبة للقائد بريرا الذي لم يتوقع من الشيخ مانع كل هذا أين ذهل أبناء القطيفوالإحساء و أبناء عمه في مدينة البصرة أيضا، حتى أن الهرامزة والبرتغاليين أنفسهم و حكام الدولة العثمانية كذلك لم يتوقعوا اقدام الشيخ مانع على هذا الفعل [1].

لقد أثارت هذه الرسالة المفجأة فرحة العديد من القادة الهرامزة وفي الوقت نفسه أيضا أقلقت وأحزنت الكثير من سكان مدينةالبصرة والقطيف والإحساء و أبناء عمومته من أسرة آل مغامس، لكونها جاءت متطابقة مع رغبة بعظهم في استعادة القطيف مقابل منح الشيخ مانع حكم مدينة البصرة، أما بالنسبة للبرتغاليين فان أغلب قادتهم أصيبوا بالإر تباك الشديد والحيرة لكون اتفاقياتهم الموقعة مع ملوك هرمز توجب عليهم الدفاع عنها والمحافظة على سلامة أراضيها[2]، لكن هذا الأمر قد جاء في فترة تعتبر بالنسبة لهم فترة ضعف من حيث امتلاكهم لحامية صغيرة في هرمز، و اشراكها مع الشيخ مانع لاسترجاع البصرة يعتبر مخاطرة منهم قد تكلفهم الكثير مع رؤسائهم في حكومة البرتغال بالهند[3].

قام بعدها القائد البر تغالي بريرا بارسال مبعوث شخصي له للشيخ مانع المتواجد بمنطقة الإحساء يحمل معه ردا عن رسالته السابقة، مع تكليفة أيضا بجمع كل المعلومات المتعلقة بالإحساء والقطيف و جس مدى صدق شيخ القطيف، عند التقاء المبعوث البرتغالي بالشيخ مانع في الإحساء عرض عليه شروط قائده بريرا في رسالة سلمها له في شهر نوفمبر عام 1544م، التي نذكر منها أهم ما جاء فيها:

-أولا: ضرورة تسليم القطيف للبرتغاليين قبل الشروع في منح الدعم العسكري المطلوب.

-ثانيا: تعهد الشيخ مانع بدفع مبلغ مالي معين سنويا الى خزانة الدولة البرتغالية بمملكة هرمز بعد استعادة عرشه بالبصرة[4].

يمكننا القول من خلال ما سبق أن كامل هذه الشروط التعجيزية التي طلب تنفيذها من شيخ القطيف مانع الفضلي بأن القائد البرتغالي بريرا يريد التخلص من الموقف المحرج الذي وضعه فيه

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 94.
(2) الدرورة، المرجع السابق، ص 253.
(3) الحميدان، نفسه، ص 94.
(4) الدرورة، نفسه، ص 253.

الشيخ مانع فقط، لكون بريرا كان متأكد كل التأكد سلفا على استحالة قبول الشيخ مانع لمثل هذه الشروط[1].

أما رد الشيخ مانع على شروط القائد بريرا فكان بطلب امهاله الوقت الكافي للتفكير، مقابل قيام القائد بريرا كذلك بابلاغ ملكه في مدينة لشبونة البرتغالية بمجريات ما حدث بينه وبين الشيخ مانع الفضلي في رسالة جاء فيها ما يلي:

(... وصلتني قبل بضعة أيام رسالة من ملك الإحساء الشيخ مانع يعبر فيها عن مدى رغبته في صداقة مولاي، ويبين بأنه لم يقم بالإستيلاء على منطقة القطيف الا من أجل تسليمها لكم، ويطلب أن يحظى من مولاي بالدعم والمساعدة ضد ملك البصرة لأنه كان ملكها الشرعي، الا أنها انتزعت منه بالقوة، فقمت بالرد على رسالته والتي حملها الي مبعوث برتغالي، حيث تضمنت الإشتراط عليه بتسليم القطيف قبل كل شيئ، لكونها دائما تابعة لمملكة هرمز، واذا ما فعل ذلك عندها سوف ينال مساعدة مولاي ضد ملك البصرة لأنه أحق منه بالملك، ثم اذا تم تحقيق ذلك عليه بالإلتزام بدفع مبلغ من المال كل عام لخزينة مولاي، لأن من يدفع لملكنا أكثر سوف ينال صداقته، ولا سيما أن جلالته لا يستفيد أبدا الأن من ملك البصرة)[2].

الجدير بالذكر هنا أن امكانية حدوث اتفاق نهائي بين الطرفين أمر غير محسوم فيه وقضية تسليم القطيف للبرتغاليين أمر غير وارد والسبب في ذلك راجع الى عدة عوامل نذكر من أهمها:

-محاولة الشيخ مانع حاكم القطيف الضغط على الشيخ يحي حاكم البصرة من أجل تأليب البرتغاليين عليه من جهة، وكسب صداقتهم من جهة ثانية.

-استفزاز الشيخ مانع للعثمانيين مما يجعلهم مدفوعين للحضور الى مدينة البصرة ما يعني انهاء سلطة الشيخ يحي عليها، أو رغبة منه كذلك في خلق تنافس حول كسب نفوذه السياسي من جهة البرتغاليين أو العثمانيين وهذا ما كان قد أشار اليه سابقا الوزير البحريني نور الدين الفالي.

---

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 94.
(2) الدرورة، المرجع السابق، ص 254.

-امكانية تنصل الشيخ مانع من الإتفاق البرتغالي معه في تسليم القطيف مثما فعل والده الشيخ راشد من قبل منذ أكثر من خمسة عشر سنة مضت، أين لم يسلم البرتغاليين لمجموعة من سفنه البحرية رغم اتفاقه معهم حول ذلك الأمر [1].

ب/الغزو البرتغالي الهرمزي للقطيف عام 1545م:

بعد نهاية الإتصالات التي دارت بين الشيخ مانع حاكم منطقة القطيف وبين القائد البرتغالي لويس بريرا حاكم جزيرة هرمز، بدأ البرتغاليون يجهزون أنفسهم بالإستعداد عسكريا مخافة وصول أي تدخل عثماني على منطقة القطيف أو على مدينة البصرة، من شأنه أن يخلط كل حساباتهم السابقة لذلك اتصل القائد البرتغالي بريرا بحاكم الهند البرتغالية القائد مرتين دي سوزا(1542م-1545م)(Martin Afonso De Sousa)،بخصوص الدعم العسكري و الذي استجاب بسرعة لطلبه من خلال ارسال بعثة عسكرية يقودها أخوه برنالدين دي سوزا (Bernaldin De Sousa)، حيث وصل هذا الدعم العسكري الى جزيرة هرمز في شهر أفريل عام 1545م[2].

الا أن الهدف الحقيقي للحملة العثمانية المنطلقة من ميناء السويس بمصر كان بلاد اليمن عامة وميناء مدينة عدن خاصة بالبحر الأحمر، من هنا كانت الفرصة جد مناسبة للقادة البرتغاليين وحلفائهم الهرامزة، من أجل التفرغ لغزو منطقة القطيف في ظل تزايد الطلب المستمر من طرف حكام مملكة هرمز عليها، مع العلم أن تكاليف هذه الحملة سوف تمول من طرف حاكم مملكة هرمز وهذا ما تحدث عنه القائد برنالدين ديسوز ا في الرسالة التي وجهها الى ملكه في مدينة لشبونة يوم 20 نوفمبر1545م يقول فيها:**(أخبرني لويس فلكاو أنه قبل مضي ست سنوات انتزع الشيخ مانع ملك الإحساء مدينة القطيف وقلعتها من ملك هرمز، و أنه منذ ذلك الوقت وحتى الأن يطالب ملك هرمز ووزيره القباطنته السابقين لهرمز بتقديم العون اللازم للإسترجاعها وذلك طبقا لما نحن ملزمون به اتجاه كل الأراضي التابعة لملك هرمز... واذا ما كان القباطنة السابقون يتملصون باستمرار من هذا الطلب متذرعين**

---

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 95.
(2) الدرورة، المرجع السابق، ص 256.

بعدم توافر القوة الكافية للذهاب الى هناك، فانه يتعذر علي الأن التذرع بمثل هذا الأمر....خاصة وأن الأتراك تأكد عدم مجيئهم الى هنا)[1].

لقد انطلقت الحملة البرتغالية الهرمزية في شهر سبتمبر عام 1545م من ميناء هرمز يقودها القائد برنالدين دي سوزا(Bernaredin De Sousa) والوزير الهرمزي نور الدين بن شرف الدين الفالي، مع سبعة ألاف مقاتل من فرس وعرب ومائتي جندي برتغالي حيث تمكن الهرامزة والبرتغاليون من غزو القطيف بعد معركة دامت أربعة أيام كاملة، ليعين بعدها الوزير الهرمزي نور الدين الفالي حاكما فارسيا على منطقة القطيف مع وضع حامية عسكرية هرمزية متمركزة في قلعة القطيف[2]، كما نقل القائد لويس بريرا بعدها تقريرا مفصلا لنائب ملك البرتغال في الهند الدوم دي كاسترو(Dom Dekastros)(1545م-1548م)، الذي أمر قائده بتحويل منطقة القطيف كوحدة ادارية برتغالية مستقلة بشؤونها عن مملكة هرمز البرتغالية[3].

---

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 97.
(2) نفسه، ص 99.
(3) الدرورة، المرجع السابق، ص 258.

الفصل الرابع:

الدور السياسي للسلطان أجود بن زامل العامري ومقرن بن زامل الجابري في تثبيت حكم الجبور بالإحساء والبحرين والقطيف ونجد ضد الغزو البرتغالي مع مطلع القرن 16م:

أ/بني جبور من بداية دولتهم الى تثبيت حكمهم في منطقة القطيف ونجد عام(1417م-1522م).

ب/سيطرة الجبور على عمان الداخل.

ج/سيطرة الجبور على عمان الساحل.

د/الدور السياسي لأجود بن زامل العامري ومقرن بن زامل الجابري في تثبيت حكم الجبور.

هـ/الجبور ونهاية دولتهم في منطقة نجد والإحساء والقطيف.

لقد اعتبر المؤرخون العرب الأوائل بأن منطقة البحرين منطقة مستقلة جغرافيا عن مناطق شبه الجزيرة العربية الخمس وهي اقليم الحجاز ونجد واليمن وعمان والبحرين، حيث ظهرت مدينة القطيف كعاصمة لإقليم البحرين الغني بالزراعة ليتقلص بعدها هذا الاقليم تدريجيا حتى انحصر في أرخبيل من الجزر بلغ عددها ثلاثة وثلاثين جزيرة وسط الخليج تبلغ مساحتها حوالي 265 ميل مربع، حيث يذكر لنا الحموي: **(بأن البحرين اسم جامع لكل البلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان)**[1]، منذ اكتساب البحرين أهمية اقتصادية بدرجة كبيرة كونها مصدرا للؤلؤ ولعذوبة مياهها عرفت هذه المنطقة الكثير من الخلاف حول تسيير وارداتها الإقتصادية بين ملوك هرمز وحكام منطقة القطيف والإحساء، خلال مطلع القرن الخامس عشر للميلاد خصوصا عند حكم آل جبور[*]لها[2].

ومع حلول الغزو البرتغالي بسواحل الخليج العربي وعمان لاحظ القادة البرتغاليون النفوذ الواسع لقوة الجبور ما جعل العديد منهم يتحدثون عنها بكثرة في تقاريرهم مبينين بذلك الإحترام والرهبة منهم، حيث يشير الى ذلك الكولونيلالبريطاني و المؤرخ العسكري "ساموال ب ميلز"(Samuel B. Miles) في تقرير كتبه ألبوكيرك حولهم فيقول:**(انه ليبدوا حقا بأن بني جبر كانوا خطيرين الى حد كبير، وأن أمرهم بقي الى حد الأن لغزا لم يحل)**[3]، حيث نجد هنا اشارة صريحة من ميلز لكون الجبور وحدهم الذين استطاعوا مواجهة الغزو البرتغالي دون استسلام أو خضوع في منطقة الخليج العربي منذ مطلع القرن السادس عشر للميلاد، والإشكالية التي نطرحها هنا هي كيف تمكن بني جبر من تثبيت حكمهم في منطقة القطيف ونجد والإحساء؟ وكيف توسعت دولتهم في عمان الداخل ثم الساحل، ما هي العوامل المساهمة في انهيار حكمهم ونهايته هناك؟.

---

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 04، ص 412.
(*) آل جبور: ينتسب آل جبور قبليا الى مجموعة قبائل العصافرة بني عمهم وينحدرون من أصل عقيل بن عامر بن عبد القيس بن ربيعة، وعرفوا باسم العماير من نسب بني خالد وحين تدهور نفوذ العصفوريين سيطر بنو عمهم الجبريون على تجارة اللؤلؤ البحريني، وبسبب كثرة مواردهم المالية أصبحوا يتحكمون في المنطقة سياسيا لمدة وصلت الى أكثر من مائة وخمسين عاما حتى بداية الغزو البرتغالي، ويرجع الفضل في تأسيس امارة الجبور زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العامري(1439م-1440م)، أنظر: علي أبا الحسن، <<الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق>>، مجلة الوثيقة، السنة 1983، العدد 03، البحرين، ص 80.
(2) طارق الحمداني، <<الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي>>، مجلة الوثيقة، السنة 1989، العدد 15، السلسلة 08، البحرين، ص 163.
(3) Samuel B. Miles, op.cit, p.155.

أ/بني جبر من بداية دولتهم الى تثبيت حكمهم في منطقة القطيف ونجد(1417م-1522م):

يرجع نسب بني جبر الى السلطان زامل بن الحسين بن ناصر بن جبر ويرجع نسب جبر الى بني عقيل بن عامر بن صعصعة[1]، وزامل هو أول سلطان من سلاطين بني جبر ذكرته المصادر التاريخية وترجع أصولهم الى اقليم نجد[2]، فعندما أصاب دولة بني جروان الضعف والوهن استطاع بنو جبر فرض سيطرتهم على بوادي اقليم بلاد البحرين خاصة الاحساء وباديته، فاستطاعوا السيطرة على الإحساء قبل عام 1417م وما يؤكد لنا ذلك هو ولادة زعيم الجبور القادم السلطان "أجود بن زامل" عام 1418م ببادية الإحساء حسب ذكر السخاوي و الاحسائي والجزيري[3]، عندما تزايد نفوذ الجبور في بلاد البحرين دخل نفوذهم بادية القطيف والمناطق المجاورة لها، كما كلف السلطان سيف بن زامل الجبري من طرف والده زامل بن حسين بن ناصر الجبري من السيطرة على منطقة القطيف والقيام بفتحها، اذ بعد قتل ابراهيم الجرواني أخر زعماء بني جروان تم بسط النفوذ الجبري على القطيف عام 1439م[4].

تجدر بنا الاشارة هنا الى أن تاريخ سيطرة الجبور على منطقة القطيف عام 1439م هو نفسه تاريخ انتهاء الصراع الأسري والملكي بين سلطان هرمز، سيف الدين مهار وأخيه تورانشاه من أجل السيطرة على السلطة بهرمز، ما يدل على عدم وجود مظاهر الاستقرار السياسي في امارة الخليج العربي وجنوبه، كما وصل نفوذ الجبور لإقليم نجد بسب كثرة التفككات السياسية وغياب سلطة موحدة ومهيكلة به، حيث انتشرت فيه الكيانات السياسية البدوية والحضرية وكثرة به الأحلاف القبلية والعصبية، التي لم تبلغ في الوقت نفسه درجة القوة والرشد لتستطيع الانفراد بالسلطة لوحدها أو السيطرة على ربوع هذا الإقليم[5]، قد ذكر لنا ابراهيم الحفظي في كتابه "تاريخ عسير" ما يدل على سيطرة بني جبر على بعض

(1) شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج01، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 190.

(2) القشقلندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق ابراهيم الابياري، ط02، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص ص(120،121).

(3) عبد القادر بن محمد الجزيري، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن اسماعيل، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 216، وأنظر: السخاوي، نفسه، ص 190، وكذلك: عبد القادر محمد بن عبد الله الإحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، تحقيق حمد جاسر، ج01، الرياض، 1960، ص 120.

(4) السخاوي، نفسه، ص 190.

(5) مي بنت عبد العزيز العيسي، الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى، ط01، دار الملك عبد العزيز للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، 1996، ص 09.

مناطق نجد مع دولة بني جروان، ثم بسط سيطرتهم الكاملة عليها حيث قال:**(انقسمت نجد بين بني جبر وبني جروان، حتى استتب الأمر الى سيف بن زامل بن جبر الذي تمكن من القضاء على دولتي بني جروان)**[1].

وان أول سلاطين دولة الجبور زامل بن حسين بن جبر قد وجه حملتين على قبائل الدواسر في واديهم وعلى قبيلة آل عايذ في واحة الخرج باقليم نجد بين عامي(1447م-1448م)، أين تمكن من هزيمتهم وهذا ما ذكره لنا ابن بسام فقال:

(وفي عام 1447م غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملك الإحساء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصبح الدواسر وعايذ على الخرج وحصل بينهم قتال شديد، قتل فيه عدة رجال من الفريقين ثم سارت الهزيمة على الدواسر وعايذ واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وابلهم وأقام في الخرج نحو عشرين يوما ثم قفل عائدا الى وطنه)[2].

بانتصار السلطان زامل بن الحسين على قبائل نجد تكون دولة الجبور قد فرضت سلطتها العسكرية ثم السياسية على اقليم نجد عام 1448م، اضافة الى حملات أخرى تلتها في عامي(1451م-1461م) من أجل تثبيت سلطته في اقليم نجد وتأمين طرق التجارة البرية هناك مع الشرق الأقصى وبلاد الهند والصين[3].

أما في عهد السلطان أجود بن زامل الذي حكم ما بين(1470م-1506م) فقد خرج هذا السلطان في العديد من الحملات العسكرية لاسترجاع المناطق المنفصلة عن سلطة الجبور في اقليم نجد، ما بين أعوام(1482م-1485م-1488م) حيث يذكر لنا ابن بسام ذلك فيقول:**(غزا أجود بن زامل من الاحساء بجنود كثيرة من الحاضرة والبادية... وغنم منها شيئا كثيرا... ثم توجه الى نجد وصبح الدواسر على**

---

(1) ابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي، تاريخ عسير، تحقيق محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري، ط05، دن، القاهرة، 1992، ص 25.

(2) عبد الله بن بسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق ابراهيم الخالدي، ط01، شركة المختلف للنشر، الكويت، 2000، ص ص 34-66، وأنظر: علي أبو الحسين، المرجع السابق، ص 87.

(3) ابن بسام، المصدر نفسه، ص 66، وأنظر: عبد اللطيف ناصر الحميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور، المرجع السابق، ص 45.

الرويضة وأخذهم وقتل منهم عدة رجال)[1]، يرجع العديد من المؤرخين أسباب كل هذه الحروب الى كثرة التعدي على القوافل التجارية النجدية من طرف قبائل الدواسر بطريق الحجيج البري والحجاز، غير أن سلاطين الجبور حرصوا بأنفسهم على تأمين طرق التجارة في نجد والبحرين وقيادة قوافل الحجيج شخصيا في الفترة الممتدة ما بين(1447م-1522م)[2].

ب/سيطرة الجبور على عمان الداخل:

لقد حكم منطقة عمان الداخلية حكام محليون مثل الاباضيين والنبهانيين الذين سيطروا عليها أكثر من قرنين من الزمن الى غاية وصول الأئمة اليعاربة للسلطة[3]، لكن عمان الساحلية خضعت لسلطة ملوك هرمز والبرتغاليين من بعدهم، حيث يذكر لنا المؤرخ البريطاني س-بيكينجهام في كتابه المعنون ب: "**بعض الملاحظات عن البرتغاليين في عمان**" أن هنالك أربع مراكز للقوة في عمان وهي الامامة الاباضية في نزوى والنبهانية في بهلا وبنو جبر في الإحساء، حكام هرمز التابعيين أصلا الى بلاد فارس[4] فقد كانت تلك المراكز الأربعة تميل للصراع من بعضها البعض، خاصة ما بين الاباضيين والنبهانيين في عمان الداخلية و ما بين بني جبر والهرامزة في عمان الساحلية[5].

كما يبين لنا المؤرخ البرتغالي جواو دي باروس في كتابه "أسيا" أثناء وصفه لبلاد عمان على أنها مقسومة الى قسمين عمان الداخلية وعمان الساحلية، بقوله:**(تمتد سلسلة جبلية على طول الساحل العماني وتبدوا و أنها تريد منع أهل الساحل من الإتصال بأهل الداخل... فوراء عمان الساحلية الخاضعة لهرمز تقع عمان أخرى هي عمان قبائل البدو الرعاة المتنقلين والإمارات الإباضية المهيمنة على الداخل)**[6].

ويؤكد لنا ألفونسو دي ألبوكيرك في مذكراته أن عمان الداخل كانت تابعة الى ملك الجبور عند وصفه

---

(1) ابن بسام، المصدر السابق، ص 43.
(2) نفسه، ص 66.
(3) أرنولد ويلسون، تاريخ الخليج، المرجع السابق، ص 43، وأنظر أيضا: ب ميلز، الخليج بلدانه وقبائله، المرجع السابق، ص ص(158-159).
(4) س. بكنجهام، بعض الملاحظات عن البرتغاليين في عمان، ج06، حصاد ندوة الدراسات العمانية، عمان، 1980، ص 214.
(5) نفسه، ص 214.
(6) Joao De Barros, op.cit, vol 04, p. 243.

لمنطقة صحار وخورفكان ومسقط وقلهات في قوله:**(والمناطق الداخلية لصحار تحت سيطرة الجبور وهم في حالة السلم مع ملك هرمز، وعندما ينشب أي نزاع بينهم يقبل الجبور على مهاجمة صحار فيحتمي أهل صحار بالحصن، وسكان المناطق الداخلية بدو وغالب الفرسان من الرماة بالسهام لكن بعظهم يحمل رماحا وقضبانا تركية)**[1] .

وعند غزو ألبوكيرك لمنطقة خورفكان ذكر لنا بأنه وجد كل المناطق الداخلية تحت سيطرة الجبور[2] ، أما عند وصفه لقلهات فقد بين بأن أهلها على خلاف مستمر مع بني جبر وقد تصادموا معهم في مرات عديدة[3]، يضيف لنا باروس بأن شيخ الجبور كان يحكم كل مساحة عمان تقريبا والممتدة من الداخل الى البحرين وظفار [4].

أما المؤرخ أرنولد ويلسون فيؤكد لنا أيضا كلام ألبوكيرك بقوله:**(قسمت السلطة في عمان بين جابر وأخويه وتمتد سلطة ابن جابر الى عدن، ومن الشمال تمتد الى ساحل بحر الخليج الفارسي ومنه الى حدود مكة)**[5].

لكن على العكس من ذلك تماما فاننا نجد المصادر العربية لا توضح لنا العلاقة التي تربط الجبور بالأجزاء الداخلية لعمان، حيث يكتفي أغلبهم بوصف عام على أن الجبور كانوا هم من يسيطرون على كامل عمان دون ذكر المزيد من التوضيحات، بحيث نجد السخاوي مثلا قد ذكر في كتابه "الضوء اللامع" أن الملك أجود:**(اتسعت مملكته بحيث ملك البحرين وعمان ثم قام حتى انتزع مملكة هرمز)**[6]، لكن يتبين لنا أن السخاوي قد بالغ في ذكره بأن الجبور قد أخذوا مملكة هرمز لكونها ظلت قائمة حتى بعد زوال دولة الجبور وهذا حسب ما تشير اليه أغلب المصادر التاريخية العمانية، ربما يقصد من كلامه بعض من الأقاليم التي سيطر عليها الملوك الهرامزة فيما قبل ثم خسروها فيما بعد.

---

(1) ألفونسو دي ألبوكيرك، السجل الكامل لأعمال ألفونسو دي ألبوكيرك(الأعمال الكاملة)، ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ، م 01، المجمع الثقافي بأبوظبي، أبوظبي، 2000، ص 192.

(2) نفسه، ص 203.

(3) نفسه، ص 163.

(4) Joao De Barros, op.cit, p.240.

(5) أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص 74.

(6) السخاوي، المصدر السابق، ص 190.

أما الجزيري فلم يكن كلامه عن عمان وعلاقتها بالجبور بعيدا تماما عن ما قاله السخاوي بل وربما نقل ما قاله السخاوي حرفيا حيث ذكر الجزيري في كتابه "درر الفرائد المنظمة":**(واتسعت له المملكة بحيث ملك البحرين وعمان...وانتزع مملكة هرمز من ابن أخ الصرغل واستقر فيها بعد موت أبيه وصار رئيس أهل نجد)**[1].

أما ابن لعبون الذي كتب عن الجبور وتاريخهم بعمان في كتاب عنوانه "تاريخ ابن لعبون" فقد اكتفى لنا بقوله:**(كان للجبور المذكوريين دولة ورياسة بادية وحاضرة في الإحساء والقطيف وعمان وتلك النواحي ومعظمها في القرن التاسع الهجري وأشهرهم في الرياسة والملك والسخاء والجود أجود بن زامل الجبري العقيلي وكان له صيت عظيم هو وبنوة زامل وسيف)**[2].

ج/سيطرة الجبور على عمان الساحل:

هنالك العديد من الاشارات التي كتبتها المصادر البرتغالية و الأجنبية التي تدل على وصول نفوذ بني جبر الى غاية سواحل عمان، من بين أهمها ما ذكره ألبوكيرك في كتابه" **السجل الكامل**" بأن لبني جبر السيادة الكاملة على مدينة قلهات ومسقط بالساحل العماني[3]، أما المؤرخ البرتغالي سوسا دي فيري فيدعم لنا هذا الطرح من خلال ربطه لتاريخ غزو ألبوكيرك لميناء صحار بعمان عام 1507م، ووصول ألف وثمانمئة مقاتل من الجبور بعمان الداخلية لتحرير ميناء صحار، هذا ان دل على شيئ فانما يدل على أن بني جبر هم الوحيدين القادرين على الدفاع عن كامل عمان سواء الساحل أو الداخل معا، لتبعية هذه المناطق لهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا[4].

أما المؤرخ س-بيكينجهام فيؤكد لنا حقيقة هذه التبعية بين شمال الساحل العماني وداخله خلال قيام الجبور باعداد حملة ثانية لتحرير ميناء صحار عام 1522م[5]، لإزاحة النفوذ الهرمزي البرتغالي منـــه

(1) الجزيري، المصدر السابق، ص 316.
(2) حمد ابن محمد ابن لعبون، تاريخ حمد ابن لعبون، ط01، مطبعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1938، ص ص 31-32.
(3) دي ألبوكيرك، المصدر السابق، ص 184، وأنظر أيضا: بكينجهام، المرجع السابق، ص 216.
(4) Sousa Manuel De Farray, Op.cit, p.p.126-142.
(5) سالم بن حمود السيابي، اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1965، ص ص 29-30.

وذلك ما نقله عنه كذلك كل من المؤرخان جان أوبين وكاسكيل عن المؤرخ البرتغالي دي باروس وأورده السيابي كذلك في كتابه، عن نفوذ بني جبر الممتد الى غاية الساحل العماني[1].

لقد استطاع حكام الجبور بسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على اقليم عمان سواء الداخلي أو الساحلي، مستغلين بذلك الاضطرابات السياسية التي سيطرت على مدنهو هذا ما أشارت اليه مختلف المصادر العربية دون توضيح أو تفصيل[2]، عكس المصادر البرتغالية المعاصرة لهذه الأحداثو التي وضحت كيفية سيطرة بني جبر على مدن عمان الداخل ثم توسعها الى مدن الساحل، هذا ما أشار اليه "س- بيكينجهام" بقوله:**(وخلاصة القول في المصادر والمراجع البرتغالية هو أن بني جبر كانوا حكام للأراضي الداخلية الا أنهم كانوا يغيرون على المستوطنات الساحلية في عمان، ويجبرون أهلها في بعض الأحيان على دفع الفدية أو الجزية)**[3].

د/الدور السياسي لأجود بن زامل العامري ومقرن بن زامل الجابري في تثبيت حكم الجبور:

عرفت امارة بني جبر منذ نشأتها العديد من الحكام الذين ساهموا في تأسيس وتطوير دولة بني جبر على مدار قرن ونصف من الزمن، لكن من بين أشهر هؤلاء الحكام ذكرا في التاريخ العماني هما:

***أجود بن زامل العامري:** هو المؤسس الأول للإمارة ويعتبر عصره عصر التوسع والهيمنة حيث بلغت امارة بني جبر أقصى حدودها السياسية في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، أين لقب بن زامل بالسلطان نتيجة اتساع رقعة ملكهو حكمه على جميع حكام بني جبر السابقين واللاحقين، يرجح أن وفاته كانت سنة 1460م، أين قال فيه المؤرخ شمس الدين السخاوي في كتابه "الضوء اللامع":**(أجود بن زامل العقيلي الجبري النجدي الأصل المالكي مولده ببادية الإحساء في شهر رمضان سنه احدى**

(1) السيابي، المصدر السابق، ص 30، وأنظر أيضا:
Caskel, W, "Ein Unekannt" dynasticin Arabien, Orients, Leiden, 1944, p.66.
Aubin. J, les Princes D'ormuz de XIIIe au XVe siecle, in Journal Asiatique, 1953, p.p.126-127.

(2) حول المصادر العربية راجع كل من: ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون، المصدر السابق، ص ص 31-32، السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ص 190، الجزيري، درر الفرائد، المصدر السابق، ص 312، ابن ماجد، المصدر السابق، ص 70، أما حول المصادر والمراجع الأجنبية فراجع كل من: دي ألبوكيرك، السجل الكامل، المصدر السابق، ص ص 182-185، أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص ص 49-50، مايلز، المرجع السابق، ص ص 158-159، س بكنجهام، المرجع السابق، ص ص 214-215.

(3) بكنجهام، نفسه، ص 215.

وعشرون وثمانمئة... واتسعت مملكته بحيث ملك البحرين وعمان وانتزع مملكة هرمز من ابن أخ الصرغل...)[1].

ووصف لنا المؤرخ السمهودي السلطان أجود بن زامل العامري بأنه:**(رئيس أهل نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف فريد الوصف والنعت في جنسه صلاحا وأفضالا وحسن عقيدته، أبو الجود أجود بن زامل بن جبر)**[2].

كما تميزت فترة حكم السلطان أجود بن زامل بكثرة الصراعات الداخلية القريبة من مملكته كما حدث بين أفراد الأسرة الحاكمة في هرمز، ناهيك عن الصراع المستمر بين الاباضيين والنبهانيين في عمان ما وفر للسلطان أجود الجو المناسب لمد نفوذه وتوسيع صلاته التجارية مع حكام بلاد الهند وساحل الميليبار خصوصا في عهد وزير السلطنة البهمنية بالهند خواجه جيهان عام 1470م[3].

لم يكتفي السلطان أجود بن زامل بهذا فقط بل لعب دورا رئيسيا في تحويل موازين القوى في المعارك والحروب مثل ما حدث بعد هزيمة جيش النبهانيين ضد الامام عمر ابن الخطاب الخروصي الاباضي بعمان عام 1487م، حيث أرسل السلطان أجود جيشا بقيادة ابنه لمساعدة الأئمة مقابل أن يقدم الأئمة الإباضيون الى الجبور جزء من محصولهم الزراعي سنويا، هذا ماحدث بعد نصرتهم من طرف الجبور حسب رواية ابن ماجد في كتابه الفوائد في أصول علم البحر والقواعد[4].

وحسب رواية مايلز(Miles) فان قوة الجبور ظهرت بصورة واضحة وجلية عند قدوم الأسطول البرتغالي لجنوب ساحل عمان، بعد قيام ألبوكيرك بمحاصرة مدينة مسقط وصحار عام 1507م أين أرسل الجبور قوة كبيرة لنجدة المدينتين[5] حيث تشير لنا المصادر التاريخية أن عدد القوات المرسلة من

---

(1) السخاوي، المصدر السابق، ط 01، مج 04، ص 190.
(2) نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، ج02، ط 01، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، المملكة العربية السعودية، 2001، ص 228.
(3) عبد اللطيف الحميدان، <<مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري في الجزيرة العربية>>، مجلة الدارة، السنة 1982، العدد 04، السلسلة 08، الرياض، ص 64.
(4) شهاب الدين أحمد بن ماجد، المصدر السابق، ص 302.
(5) Samuel B. Miles, op.cit, p. 155.

طرف الجبور قد بلغ سبعة ألاف مقاتل[1]، لكن استسلام حاكم مدينة صحار للبرتغاليين كان قبل وصول النجدة اليهم لذلك حدث ما لم يكن في الحسبان وتغير مجرى القوى بين الطرفين.

ما يؤكد لنا مقاومة الجبور للبرتغاليين منذ وصولهم هو امتداد حكم الجبور الواسع الذي شمل بداية من مسقط حتى عدن ومكة ما حتم على الجبور حماية حدودهم السياسية، هذا ما ذكر لنا ألبوكيرك في تعليقاته حين قال:(**ان مسقط كانت جزء من مملكة هرمز أما الجزء الداخلي من البلاد فيخضع لحاكم يدعى بن جابر(Ben Jaber) وتمتد سلطة ابن جابر الى عدن ومن الشمال تمتد الى ساحل بحر الخليج ومنه الى حدود مكة)**[2] ويشاطره في هذا الرأي المؤرخ البرتغالي باروس الذي وصف لنا حكم الجبور بأنه حكم واسع وشاسع يمتد من البحرين الى عمان في حدود خمسمائة فرسخ[3].

في خضم هذه التطورات السياسية تمكن البرتغاليون من تجهيز حملتين بحرتين متتاليتين ضد مملكة هرمز بين عامي(1514م-1515م) في عهد السلطان محمد بن أجود حاكم مملكة الجبور، أين قام البرتغاليون باحكام سيطرتهم العسكرية على مملكة هرمز ليتحكموا بعدها في مدخل الخليج العربي، لتصبح المواجهة العسكرية بين الطرفين مسألة وقت فقط، خصوصا بعد اطلال البرتغاليين على سواحل الخليج العربي التي امتد اليها حكم الجبور من قبل[4].

***مقرن بن زامل الجابري:** هو الحاكم الخامس من سلالة بني جبر في عمان وشرق الجزيرة العربية انتهج مقرن سياسة القوة والعنف لإصلاح ما يمكن اصلاحه في الإمارة، بسبب الضعف الذي بدأ يسكنها خاصة بعد اقتسام أملاكها من طرف أعمامه الطامعين في الحكم، الذين استعملوا بعض القبائل المعارضة له في الحكم من أجل الإستيلاء على منطقة الإحساء مثل ما فعل خاله صالح بن سيف الجبري الذي استعان بهذه القبئل المعرضة وسمى نفسه "**السلطان بن السلطان**"[5].

---

(1) صادق حسن عبدواني، الدولة العمانية نشأتها وازدهارها، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج 02، عمان، 1980، ص 20.

(2) Alfonso Albuquerque, op.cit, vol 01, p. 66.

(3) س. بكنجهام، المرجع السابق، ص 192.

(4) الحميدان، المرجع السابق، ص 66.

(5) نفسه، ص ص(73،74).

رغم كل هذه الصراعات السياسية الداخلية والمعارضة التي ثارة ضد السلطان مقرن فقد استطاع هذا الأخير بفضل حنكته ودهائه السياسي من أن يحافظ على وحدة امارة الجبور، باخضاع العديد من القبائل المتمردة ضده تحت سلطته مثل ما حدث في منطقة الإحساء ونجد وبني لام وبني يزيد، يرجع سبب شهرة السلطان مقرن في مناطق الخليج العربي، الى تمكنه من افشال هجوم مملكة هرمز الذي قاده الوزير خواجه عطار ضد اقليم البحرين التابع له سياسيا عام 1511م، حيث وصف لنا مؤرخ مصر ابن اياس قوة السلطان مقرن بن جابر بعد صده لهذا الهجوم بأنه:**(أمير عربان بن جبر متملك جزيرة ما بين البحرين(*)الى بلاد هرمز الأعلى سيد عربان الشرق على الإطلاق)**(1).

الجدير بالذكر أنه ترتب بعد بسط الجبور لسلطتهم في البحرين قيام العديد من الحملات البرتغالية ضدهم بداية منذ حملة بيرو ألبوكيرك عام 1514م، الى غاية سقوط حكم الجبور نهائيا في منطقة البحرين على يد البرتغاليين عام 1521م، ليستمر بعدها تدهور نفوذ الجبور تدريجيا في منطقة الإحساء أيضا بسبب الصراع الدائمبين مملكة هرمز و امارة الجبور هناك، هذا ما استغله البرتغاليون لإنهاء سيادة الجبور على البحرين وعمان، ثم نجد ومن بعدها الإحساء التي انتزعت منهم على يد أسرة آل مغامس.

<u>هـ/الجبور ونهاية دولتهم في منطقة نجدو الإحساء والقطيف:</u>

ان نهاية دولة الجبور السياسية في منطقة عدن كانت على يد قبيلة بني لام وهي أحدى أقوى القبائل العربية الموجودة في منطقة نجد، حيث انتهزت قبيلة لام فرصة تخبط أمراء الجبور والنزاع القائم فيما بينهم خاصة بعدما انقسمت زعامات الجبور في منطقة عمان والاحساء ونجد لانهاء وجودهم هناك(2)، حيث اعتمدت قبيلة لام على أسلوب التحالف مع قبيلة طي العربية وبهذا تمكنت قبيلة لام وطي من اجلاء الجبور عن نجد، ما بين عامي 1527م-1529م(3).

(*) البحرين: أي النهرين دجلة والفرات في العراق.

(1) ابن اياس، المصدر السابق، ج05، ص 431.

(2) عبد اللطيف ناصر الحميدان، <<نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية>>، مجلة كلية الأداب، جامعة البصرة، السنة 1981، العدد 17، العراق، ص ص 212-213.

(3) شعيب بن عبد الحميد الدوسري، امتاع السامر بتكملة متعة الناظر، ط01، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1987، ص ص 206-207.

تجدر بنا الاشارة هنا الى أن قبيلة لام المتحالفة ضد الجبور هي من بين القبائل التي تحالفت معهم أيضا في فترة قوتهم لغزو مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية، خصوصا ضد القبائل اليمنية التي جرت معهم معر ك عنيفة أمثال القحطانيين الذين وقفوا ضد هذا التحالف العربي بين قبائل الجبور وبني لام[1].

ولقد نافس بني لام بعد ازاحتهم لحكم الجبور في نجد قبيلة بني خالد العربية خصوصا في منطقة اليمامة التي دخلت فيها القبيلتان تحت معارك طاحنة، انتهت في الأخير لصالح قبيلة بني لام التي أزاحت الجبور ثم بني خالد من بعدهم في اقليم نجد، حيث دخل مع بني خالد في تلك المعارك ضد بني لام كل من قبائل آل يزيد وآل مزيد أما مع بني لام فقد دخلت قبيلة المردة تحت رئاسة شيخها "مانع بن ربيعة بن مالك المرادي"[2].

أما بالنسبة الى منطقة الإحساء فان زوال دولة الجبور منها كان على يد أسرة آل مغامس بعد تفكك البيت الجبوري وهذا منذ الصراع الذي نشب بين مقرن بن زامل الجبري وابن أخته صالح ابن يوسف بن الحسين الجبري، حيث استمر النزاع بين الخال وبين ابن أخته فترة طويلة حدث فيها الكثير من المعارك التي كانت سجالا بينهم ولم تنتهي الا بعد وفاة السلطان صالح بن يوسف الجبري[3]، هذا حسب ما أشار اليه المؤرخ الغزى في قوله:**(صالح بن يوسف بن الحسين السلطان ابن السلطان تملك بلاد بني جبر، كان من بيت السلطنة هو وأبوه وجده وهو خال السلطان مقرن، وقد وقع بينهما وقعة عظيمة تشهد لصالح بالشجاعة التي لا توصف فانه كر بنفسه على مقرن وعسكره وكانوا جمعا غفيرا وكان خارجا لصلاة الجمعة لا أهبة معه و لا سلاح فكسرهم، ثم كان الحرب بينهم سجالا الى أن توفي)**[4].

حيث يبين لنا المؤرخ الغزى أن التفكك والصراع الداخلي في البيت الجبوري كان موجودا قبل غزو البرتغاليين للإقليم منطقة البحرين، ما زاد من هذا الضعف الداخلي في البيت الجبوري هو موت

---

(1) شعيب الدوسري، المرجع السابق، ص 206.
(2) مي بنت عبد العزيز العيسي، الحياة العلمية في نجد، المرجع السابق، ص ص 09-14.
(3) محمد بن محمد الغزى نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل منصور، ج 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص 215.
(4) الغزى، المصدر نفسه، ص 215، وأنظر: أبو عبد الرحمان بن عقيل الظاهري، أنساب الأسرة الحاكمة في الإحساء، ط01، تقديم حمد بن جاسر، دار العلوم للنشر، الرياض، 1982، ص ص 212-216.

السلطان مقرن بن جابر أين آلت السلطة الى عمه علي ابن أجود، الذي حكم منطقة الإحساء ونجد بعد ذلك لكن ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود استطاع أن ينتزع من عمه على بن أجود حكم البلاد مدة تقارب الثلاث سنوات، تميزت فترة حكمه حسب قٌوال الكثير من المؤرخين بكثرة الفوضى والضعف والإفلاس الإقتصادي والمالي[1].

الأمر الذي جعل الكثير من الرعية يتمنون رحيله خاصة من البيت الجبوري الحاكم لذلك أضطر السلطان ناصر بن أجود الى التنازل عن عرش السلطنة تحت ضغوط كبيرة للسلطان قطن بن علي بن هلال بن زامل، مقابل مبلغ كبير من المال لم تحدده المصادر التاريخية المعاصرة[2]، بتولي قطن بن علي بن هلال بن زامل حكم البلاد يكون الحكم بذك قد خرج من بيت السلطان أجود وانتقل لبيت الأمير هلال بن زامل الذين حمكوا عمان الشمالية[3].

لقد تولى السلطان قطن حكم عمان سنة واحدة ليتوفى بعدها أين ترك تركة محملة بالمشاكل الاقتصادية والسياسية لأبنه الذي قام هو الأخر بالتنازل عن السلطة مجبرا كأبيه الى عمه غضيب بن زامل بن هلال الجبري، اما لعجزه عن تسيير أمور الحكم أو لضعف الأوضاع السياسية والاقتصادية خلال تلك الفترة التي أطلق فيها المؤرخون العمانيون على بيت الأمير هلال بن زامل اسم بني هلال[4]، الى غاية سقوطها في أيدي أسرة آل مغامس، حيث أشار الى ذلك المؤرخ الجزيري بقوله:(**...ثم عجز عنها ودفعها لغضيب بن زامل بن هلال فأقام بها نحو سبعة أشهر، فأخذها منه بعد الحرب الشيخ راشد بن مغامس وولي البصرة أخاه محمدا وأقام هو بالإحساء والقطيف...**)[5].

حيث يعتبر الشيخ راشد بن مغامس[*]حاكم امارة البصرة بالعراق من بين الحكام الأوائل في منطقة الخليج العربي الذين رحبوا بالحكم العثماني في الخليج العربي، بداية منذ فتح العثمانيين للعراق عام

---

(1) ابن اياس، المصدر السابق، ج05، ص 431، وأنظر: الجزيري، المصدر السابق، ص 316.
(2) الإحسائي، المصدر السابق، ص 121.
(3) الحميدان، المرجع السابق، ص ص 211-240.
(4) السيابي، المصدر السابق، ص 56.
(5) الجزيري، نفسه، ص 316.
(*) راشد بن مغامس: بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة وفضل هو الجد الأول الذي شيد ملكه في مدينة البصرة في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد، حيث تولى الشيخ راشد بن مغامس حكم مدينة البصرة عام 1525م ليدخل بعدها تحت حكم العثمانيين عام 1538م، للمزيد أنظر: الجزيري، نفسه، ص 326، وأنظر كذلك: ابن عراق، معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر، تحقيق محمد حميد الله، اسلام أباد، باكستان، 1973، ص 42.

1534م أين أعلن الشيخ راشد بن مغامس ولائه للسلطان العثماني بعدها في عام 1538م[1]، الجدير بالذكر هنا أن انتقال السلطة السياسية في دولة الجبور من بيت السلطان أجود بن زامل الى بيت أخيه هلال بن زامل، بعد تنازل السلطان ناصر بن أجود عن السلطة لقطن بن علي بن هلال مقابل مبلغ مالي كبير، عرف حدثا تاريخيا فريدا من نوعه وهو قيام أفراد قبيلة بني جبر بالإتصال بمن حولهم من الإمارات العربية القوية لنجدتهم وحمايتهم ضد بني عمومتهم من بني هلال بن زامل الجبوري، الحكام الحاليين لدولة الجبور في اقليم بلاد البحرين وشمال عمان ونجد، ويبدوا أنه من بين من تم الإتصال بهم هو شيخ البصرة راشد بن مغامس بن صقر[2]، الذي قام بعدها باحتلال دولة الجبور بعد استغلاله لضعفها السياسي و العسكري، حيث يذكر لنا الجزيري تلك الحادثة بقوله:**(راشد بن مغامس...استقل بالبصرة واستعان به الباقون من بني جبر لضعف حالهم، فقوى عليهم وأخذ منهم الحسا(الإحساء) والقطيف وأعمالهما وذلك لما استولى الأعداء من الفرنج المخذولين(البرتغاليون) على بلادهم وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري...)**[3].

حيث يتضح لنا جليا هنا من خلال كلام الجزيري بأن شيخ البصرة راشد بن مغامس جاء منقذا في بداية الأمر لبني جبر لكنه سرعان ما تحول عن هدفه ليقوم بضم منطقة البحرين ثم الإحساء والقطيف تحت نفوذه عام 1525م، بعدما أدرك درجة الضعف والتفكك والإضطراب السياسي للمنطقة أين مكث بها مدة طويلة تاركا أخاه محمد واليا على مدينة البصرة بالعراق[4]، كما وعد الشيخ راشد بن مغامس الحكام البرتغاليين بمساعدته وفي حال وصوله الى السلطة سيمنحهم عددا من الإمتيازات التي من بينها السماح لهم ببناء قلعة عسكرية برتغالية في مدينة البصرة بالعراق[5].

(1) جمال الدين محمد بن أحمد الشيلي، السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق ابراهيم المقحفي، مكتبة الارشاد، صنعاء، 2002، ص 26.
(2) الجزيري، المصدر نفسه، ص 326.
(3) نفسه، ص 316.
(4) جار الله بن العز بن فهد المكي، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط01، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 2000، ص ص 321-322، وأنظر: الإحسائي، المصدر السابق،ص 121.
(5) نيقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص 93، وأنظر كذلك:
ARNOLD WILSON.T, The Persian Gulf An Historical Sketch From The Earliest Times to The Biginning of The Twentieth Century, Oxford, 1928, p. 125.

وباستيلاء الشيخ راشد بن مغامس على دولة الإحساء لم يبقى للجبور أي سلطة سياسية تذكر في اقليم بلاد البحرين حيث تمت ازالة سلطتهم كذلك من منطقةعمان الشمالية و اقليم نجد ما بين عامي 1528م و1529م، على يد قبائل بني لام وأحلافها هناك[1].

وبعد حكم الشيخ راشد بن مغامس للبصرة واقليم الإحساء والقطيف كثرة حركاته للمر دية والإستقلالية عن العثمانيين الأمر الذي دفع بالعثمانيين الى اخضاع مدينة البصرة عسكريا بقيادة "اياس محمد باشا"عام 1546م[2]، كما قام العثمانيون بعدها بضم الإحساء تحت سلطتهم حيث تؤكد لنا المصادر العمانية المعاصر لذلك مثل ما ذكره ابن لعبون بقول:**(لما ضعف أمر الأجود[*] وانقرضت دولتهم استولى الروم[*]على الإحساء في آخر القرن العاشر)**[3]، أما المؤرخ ابراهيم ابن صالح ابن عيسى فيشير لنا عن سيطرة العثمانيين على مدينة الإحساء والقطيف أيضا بقوله:**(وفي تمام الألف تقريبا استولى الروم(العثمانيين)على بلد الإحساء والقطيف ورتبوا فيها العساكر وبنوا فيها حصونا، واستقر في الإحساء فاتح باشا نائبا من جهة الروم)**[4].

كل هذا دفع بالشيخ راشد بن مغامس حاكم ولاية البصرة سابقا بالإستنجاد بالبرتغاليين عام 1550م الذين قدموا في أسطول بحري الى ميناء البصرة بقيادة أنطونيو دي نورها، في حملة متكونة من تسعة عشر سفينة حربية تحمل ألف ومئاتي محارب، حيث توجهت الحملة مباشرة الى سواحل مدينة القطيف[5] لكنها سرعان ما عادت أدراجها بعد ذلك لخوف البرتغاليين من غدر شيخ البصرة بهم[6]، ما

---

(1) شعيب الدوسري، المرجع السابق، ص 206.
(2) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط06، مكتبة اليقظة العربية، رأس الخيمة، 1985، ص ص 16-17.
(*) الأجود: المقصود به هنا من كلام ابن لعبون هو قبيلة بني جبر حيث نسبهم الى السلطان أجود بن زامل الجبري.
(*) الروم: المقصود بهم هنا ليس البرتغاليين بل الأتراك العثمانيين.
(3) ابن لعبون، المصدر السابق، ص ص 22-23.
(4) ابراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، تحقيق حمد جاسر، ط01، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، المملكة العربية السعودية، 1996، ص ص 47-49.
(5) لورمير، المرجع السابق، ص ص 16-17، وأنظر أيضا:
Sousa F, op.Cit, Vol 02, p. 152.
(6) نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص ص 125-126.

جعل الأسطول البرتغالي يرجع الى ميناء هرمز بالخليج العربي دون أن يقدم أيه مساعدة تذكر للشيخ راشد بن مغامس[1].

بعد ذلك اجتمع شيخ البصرة مع البرتغاليين وحلفائهم الهرامزة بجزيرة هرمز أين قرروا النزول أمام قلعة القطيف من أجل قصفها بسلاح المدفعية، حيث تمكنوا من تدمير تحصيناتها العسكرية هذا ما دفع بالعثمانيين الى مغادرة قلعة القطيف، ليتم احكام البرتغاليين لقبظتهم مجددا عليها مع حلفائهم من الهرامزة ولو مؤقتا[2] ، بحيث لم تستمر سيطرة البرتغاليين عليها طويلا فسرعان ما تمكن العثمانيون مجددا من استردادها[3].

الجدير بالذكر أيضا أن طلب الإستعانة بالقوات البرتغالية لم يكن جديدا بالنسبة لشيخ البصرة راشد بن مغامس، الذي سبق له وأن طلب يد العون منهم عام 1529م ضد خصمه أمير "الحويزه"[*] حيث أرسل نائب ملك البرتغال في الهند أنطونيو دا كونها بحملة عسكرية له بقيادة "طشيور تافريز دي سوزا"[4] (Behchior Tavares de Souza)، لكن أمير البصرة الشيخ راشد لم يساير القائد البرتغالي سوزا في بعض المطالب المادية ما جعل هذا الأخير يقرر العودة مجددا الى ميناء البصرة بالخليج العربي، في طريق عودته دمر القائد سوزا بعض القرى الساحلية التابعة لشيخ البصرة كدليل واضح منه على سخطه وعدم رضاه على شيخ البصرة بسبب عدم تلبيته لشروطه و لمطالبه المادية.

كما نجد العديد من الإشارات التاريخية للمصادر السابقة كابن لعبون وبن عيسى عن ضم العثمانيين لمنطقتي الإحساء والقطيف من خلال انتزاعهما من دولة بني جبر وليس من شيخ البصرة راشد بن مغامس، حيث يرجح لنا المؤرخ "أبو عبد الرحمان بن عقيل الظاهري" في كتابه "أنساب الأسر الحاكمة في الإحساء" أن ولاية آل جبر على الإحساء والقطيف قد عادت بعد نهاية حكم آل مغامس عليها، حيث استمرت دولتهم حسب قوله الى نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، بمعنى أن

---

(1) لورمير، المرجع السابق، ص 17، وأنظر كذلك: لونكريك، المرجع السابق، ص ص 33-34.
(2) نفسه، ص 17، وأنظر كذلك:
Sousa F, op.Cit, Vol 02, p 152.
(3) لورمير، نفسه، ص 144.
(*) الحويزه: هي منطقة وسطية بين شرقي دجلة و وسط البصرة وخوزستان، للمزيد أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج02، المصدر السابق، ص 326.
(4) لونكريك، نفسه، 43، وأنظر أيضا: عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص ص 70-71.

الأتراك العثمانيين هم من خلفوا آل جبر مباشرة في حكم الإحساء والقطيف، يؤيده في هذا الطرح المؤرخ "عبد الرحمان بن عثمان آل ملا" في كتابه "تاريخ هجر"[1]، لقد استدل المؤرخان في كلامهما هذا من خلال قصيدة شعرية كتبها أحد الشعراء المعاصرين لهذه الأحداث التاريخية و اسمه "الجليف"، الذي كان يمدح الأمير مقرن بن غضيب بن زامل حينما قام باستعادة ملك أبيه الذي أخذه الشيخ راشد بن مغامس في أبيات قصائده الشعرية[2]، التي يقول فيها:

تل العشيرة مقرن زاكى الوفى*حمال من حل الخطوب ثقالها**

بالسيف حل الدار كرها والقنا*وبنى بيوت المجد فوق حلالها**

ثم الصلاة على النبي محمد*ما ناض برق في متون خيالها**[3].

كما أن هنالك نصا أخر أورده المؤرخ الحفظي يدل لنا على محاولة آل جبر استرجاع الإحساء والقطيف لكنهم لم يفعلوا ذلك لمجيئ العثمانيين الى هناك، فيقول:**(وحاول أحفاد آل جبر الظهور ثانية فلم يفلحوا لوجود العثمانيين الذين جاؤا لمطاردة البرتغاليين وتخليص بلاد المسلمين منهم)**[4].

كذلك يبين لنا نص كتبه الإحسائي من أن آل جبر عادوا مرة أخرى ليحكموا الإحساء والقطيف بعد دخول الأتراك العثمانيين اليها عام 1555م و هذا في قوله:**(في سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية وجه السلطان سليمان خان بن السلطان سليم، محمد باشا فاروخ بعساكر كثيرة لفتح الإحساء فاستولى عليها وبنى مسجدا في داخل الكوت في بلد الهفوف يعرف الأن بمسجد الدبس، وكتب تاريخ عمارته في حجر وهذا نصه المكتوب: بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين قد بنى وعمر هذا المقام في زمن السلطان العادل سليمان بن السلطان سليم الأول، حضره الحاكم الأجل قدوة الحكام كهف الأنام، صاحب السيف والقلم والي بلد الإحساء محمد باشا في سنة ثلاثة وستين وتسعمائة هجرية)**[5].

---

(1) الظاهري، المصدر السابق، ص 272، وأنظر: آل ملا، تاريخ هجر، ج02، المصدر السابق، ص 196.
(2) الجزيري، المصدر السابق، ص 316، وأنظر: الإحسائي، المصدر السابق، ص 121.
(3) عبد الله الحاتم، خيار ما يلتقط من الشعر المنبط، ج01، د ن، دمشق، 1925، ص ص 39-43.
(4) ابراهيم الحفظي، تاريخ عسير، المرجع السابق، ص 25.
(5) الإحسائي، نفسه، ص ص 121-122.

من خلال ماسبق لنا ذكره يمكننا القول بأن سيطرة الأتراك العثمانيين على منطقةالإحساء و القطيف وخلافتهم لبني جبر في حكمهم أمر وارد لا شك فيه في العديد من النصوص التاريخية المكتوبة بين مؤرخي تلك الفترة[1]، حتى وان اختلفت تواريخ دخول الأتراك للإحساء أو القطيف حسب هؤلاء المؤرخين أنفسهم فمنهم من يرجح دخولهم عام 1550م ومنهم من يرجحه عام 1590م[2]، الا أن سيطرة محمد باشا فاروخ على اقليم الإحساء عام 1555م، وولايته على المنطقة لمدة زمنية معينة ليخلفه بعدها عدد من الولاة العثمانيين الذين كان أخرهم "عمر باشا"، الذي تمت الإطاحة به بعد حركة استقلالية وتمردية داخلية عن حكم الدولة العثمانية قادها "براك بن غرير" زعيم قبيلة بني خالد عام 1670م، الذي قام بطرد العثمانيين من منطقة الإحساء وتأسيس أسرة محلية حاكمة حكمت البلاد حتى عام 1795م، الى غاية أن استطاع السعوديون القضاء عليها وادخال الإحساء تحت نفوذهم ضمن ما يسمى بالدولة السعودية الأولى وما ترتب عن ذلك من فضاء جيو -استراتيجي جديد في المنطقة [3].

---

(1) ابن لعبون، المصدر السابق، ص ص 32-33، وأنظر: الإحسائي، المصدر السابق، ص 121، النبهاني، المصدر السابق، ص 64، صالح أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي(1534م-1581م)، ترجمة عبد الجبار ناجي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1979، ص ص23-33.

(2) حول دخول الإحساء تحت حكم الأتراك العثمانيين وبلاد البحرين عام 1550م أنظر: زكريا كورشون ومحمد القريني، سواحل نجد والحسا في وثائق الأرشيف العثماني، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2003، ص ص 09-10.

(3) أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية نشأة وتطور الكويت والبحرين، ترجمة وتحقيق محمد أمين عبد الله، ط01، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ص ص 60-61، وأنظر: اسماعيل أحمد ياغي، <<سياسة مدحت باشا والي العراق العثماني اتجاه الخليج العربي>>، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية بعنوان الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، رأس الخيمة، 2001، ص 10.

الفصل الخامس:

الصراع المذهبي الإباضي النبهاني في عمان ابان الغزو البرتغالي عام 1507م.

ان موقع عمان الجيوسياسي باحتلالها لربع الخط الساحلي جنوب شبه الجزيرة العربية والذي يزيد طوله عن أربعة ألاف ميل، مع سيطرتها على مدخل الخليج العربي وعلى أهم الطرق التجارية البحرية والبرية هناك لذلك فقد اعتبرت عمان قديما بأنها: **(مرسى السفن من الصين والهند وبلاد الزنج...وهي ديار الأزد...وهي بلدة كثيرة النخل والفواكه)**(1) ، كما أن عمان تعتبر من بين أحد أهم المراكز التجارية للساحل الغربي بالخليج العربي، وتعد مدينة صحار من بين أكثر المدن مالا وتجارة وعمرانا(2)، لكن الأوضاع السياسية والمذهبية المضطربة في عمان سهلت من غزو هذه المنطقة في مطلع القرن السادس عشر للميلاد منذ عام 1507م.

والإشكالية المطروحة هي كيف أثر هذا الصراع المذهبي الداخلي بين الإباضيين(*)والنبهانيين على اضعاف هذه المنطقة من جهة؟ وهل كان ذلك سببا كافيا لإثارة الأطماع الخارجية عليها من جهة أخرى ليستغل البرتغاليون ذلك لغزوها عام 1507م؟.

بحلول مطلع القرن الثاني عشر للميلاد بدأت الإمامة الاباضية تضعف في عمان وانتشرت معها الفوضى والمشاكل في أرجاء البلاد، فصار الجو ملائما لآل نبهان للإنقضاض على عرش السلطة من

---

(1) أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 05، دار الكتب الخديوية، مصر، 1915، ص 55.

(2) أبي القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ج 01، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص 38.

(*) الإباضية: لقد نسب المذهب الاباضي بشكل واضح في كتب التاريخ الاسلامي الى "عبد الله ابن اباض" لكونه أول من نطق به ودافع عنه في دوائر الدولة الأموية خلال هذه الفترة حتى بداية ظهوره، لكن المؤرخ العماني "نور الدين بن حميد السالمي" يذكر لنا بأن مؤسس الدعوة الاباضية ومفكرها الأول هو "أبو الشعثاء جابر بن زيد البصري العماني" والذي ولد في قبيلة نزوى الأزدية بعمان ثم رحل الى مدينة البصرة بالعراق أين استزاد من العلوم الفقهية والدينية وأخذ العلم أيضا عن ابن العباس ابن عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعن السيدة عائشة رضي الله عنها، كما ينبغي التأكيد على أن الاباضية قد خرجت في أصولها الأولى عن عباءة حركة الخوارج التي تعتبر من أخطر الحركات الفكرية والسياسية المبكرة في التاريخ الاسلامي، وذلك بعد الاشكالات الدينية والسياسية التي حدثت نتيجة قبول مبدأ التحكيم بين جيوش الخليفة الشرعي للدولة الاسلامية الامام "علي بن أبي طالب" كرم الله وجهه ووالي الشام من قبل الدولة "معاوية بن أبي سفيان" وذلك بعد معركة "صفين" عامي 36 و37 هجرية، للمزيد حول المذهب الاباضي و جذوره الأولى أنظر: محمد بن عبد الكريم أبي الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، مج 01، ط 02، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 170، وأنظر أيضا: نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي، <<اللمعة المرضية من أشعة الاباضية>>، مجلة تراثنا، السنة 1983، العدد 18، عمان، ص ص(07،08).

خلال سيطرتهم على دواليب الحكم والغائهم لنظام الإمامة عند الإباضيين وتبديله بنظام الملكية، لذلك تلقب حكام النبهانيين بالملوك[1] ومن هنا قامت الثورات السياسية بينهم وبين الاباضيين في عمان.

حيث انحصر الصراع العماني العماني بين النبهانيين كعائلة ملوك توارثة الحكم والسلطة وبين الإباضيين كامامة دينية منتخبة، فكان صراعا بين فلسفتين مختلفتين بالرغم من أن النبهانيين هم اباضيين مذهبا لكنهم ملوك وليسوا أئمة، ان المتتبع لتاريخ الإمامة الإباضية والملوك النبهانيين في عمان لا يجد لهم الذكر الكبير في كتب التاريخ الإسلامي، الا النزر اليسير والقليل حيث يحدد لنا المؤرخ "سرحان بن علي الأزكوي" تاريخ دولتهم ما بين الخمسمائة سنة ويزيد[2]، لذلك لقبوا "بالجبابرة أو الطغاة"[3]، كما يعترف لنا مؤرخ عمان الشيخ" نو الدين السالمي" في كتابه" تحفة الأعيان" بأنه وقف موقف حائر عند تسجيله لتاريخ النبهانيين فقال:**(وحين كانت دولة هؤلاء مبنية على الإستبداد بالأمر وقهر الناس بالجبرية لم نجد لدولتهم تاريخا ولا لملوكهم ذكرا)**[4].

كما تذكر لنا مصادر التاريخ العماني بأنه عند اشتداد بطش وتعسف وظلم الملوك النباهنة في عمان اجتمع أهل الحل والعقد من علماء الإباضية وكبار رجال الدولة في عمان، لينتخب ويبايع على عرش الإمامة "عمر بن الخطاب الخروصي" عام 1480م، لكن بعد تجدد الحرب بين هذا الإمام وبين الملك النبهاني "سليمان بن سليمان" الذي استعان بجيوش من هرمز لمواجهة الإباضيين في سواحل عمان عام 1487م، لينتهي هذا الصراع في الأخير بهزيمة الملك سليمان بن سليمان النبهاني ومبايعة الإمام الإباضي "محمد بن اسماعيل الحاضري" على عمان عام 1500م[5].

---

(1) زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980، ص ص 191-194.

(2) سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، ط 04، وزارة التراث والثقافة، المطابع الذهبية، عمان، 2005، ص 80.

(3) الجبابرة أو الطغاة: لقد كان العمانيون يطلقون على كل حكم خارجي غير اباضي وامامي لقب الجبابرة لتمييزه عن الحكم النبهاني الملكي.

(4) السالمي، تحفة الأعيان ...، المصدر السابق، ص 352.

(5) حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 2001، ص 222.

كما تجدر بنا الإشارة الى أن الأوضاع السياسية الداخلية المضطربة بعمان مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر للميلاد، قد ساعدت كثيرا في فتح الباب على مصراعيه للعديد من القوى الخارجية الطامعة من أعدائها، ليشنوا بذلك حروبا على عمان مثل ما فعله الفرس والهرامزة ضدهم بين أعوام 1261م و1276م و1462م ثم البرتغاليون من بعدهم عام 1507م[1] ، الذين تمكنوا بعدها من غزو مدن الساحل العماني مستغلين بذلك هذا التفكك السياسي الموجود بين حكام وملوك ساحل عمان.

(1) الأزكوي، المصدر السابق، ص ص(70،71).

الفصل السادس:

الصراع الداخلي على حكم جزيرة هرمز وانعكاساته السياسية بالخليج العربي مطلع القرن 16م.

لقد ارتبطت الحالة السياسية للكيانات العربية في الخليج العربي والممتدة من البحرين الى القطيف وحتى ساحل عمان بمملكة هرمز(*) التي فرضت سلطتها السياسية والعسكرية على جميع حكام الخليج العربي، خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد والى غاية بداية القرن السادس عشر للميلاد، حيث ذكر لنا المؤرخ ياقوت الحموي عن مدينة هرمز وعن زيارته لها في القرن الثاني عشر للميلاد فيقول:**(هرمز فرضة بر فارس وكرمان وملتقى تجارها وميناًئها الرئيسي، اليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند الى كرمان وسجستان وخرسان)**[1].

كما زارها الرحالة الايطالي ماركو بولو(MARCO POLO) ما بين عامين 1272م و1293م أين وصف لنا نشاطها التجاري المزدهر خاصة تجارة الخيول العربية والفارسية التي تصدر الى الهند، بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس من طرف المسلمين، حيث بدأت مدينة هرمز تصطبغ بالصبغة الإسلامية العربية وذلك بعد هجرة العديد من القبائل العربية اليها من نجد وعمان واليمن، لقربها من سواحل الخليج العربي حيث اتخذت كقاعدة تجارية لتوجيه سفنهم الى سواحل بلاد الهند والبحر الأحمر وشرق افريقيا والصين[2].

لم تعمر مملكة هرمز هذه كثيرا بسبب الغزو الماغولي على سواحل بلاد فارس عام 1301م وبعد تدميرهم للمدينة وقتل العديد من سكانها، اضطر حاكمها "بهاء الدين آياز السيفي" الى تركها نهائيا والهجرة مع قومه[3]الى جزيرة تقع عند عنق الخليج العربي وتسمى جزيرة "جيرون"(*)(Jerun) المقابلة

(*) مملكة هرمز: تذكر الروايات التاريخية بأن اسم هرمز كان يطلق على أحد الموانئ الواقعة قرب مصب نهر روداب أو ميناب والذي يطل على الخليج العربي قرب بندر عباس، وقد أسس مدينة هرمز أردشير بابكان بن بابك مؤسس الدولة الساسنية بين عامي(224م-241م)، حيث صارت طوال العصر الساساني مركزا تجاريا في ساحل كرمان، لكن ينبغي علينا التمييز بين مملكة هرمز القديمة التي كانت قائمة في البر الايراني منذ القرن العاشر الميلادي وبين مملكة هرمز التي نشأة في جزيرة "جيرون" عند مدخل الخليج العربي، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ص 459.

(1) نفسه، ص ص(460،459).

(2)عبد السلام عبد العزيز فهمي، <<مملكة هرمز المجد في نشأتها وازدهارها والعبرة في سقوطها واستسلامها>>، مجلة العربي، السنة 1974، العدد 184، الكويت، ص 176.

(3) نصر الله فلسفي، ايران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة وتقديم محمد فتحي يوسف الريس، د ن، القاهرة، 1989، ص ص(08-10).

(*) جزيرة جيرون: تقع جزيرة جيرون على بعد احدى عشر ميلا جنوب شرق بندر عباس والبندر كلمة فارسية تعني مرسى السفن أو الميناء على بعد أربعة أميال جنوب الساحل الايراني، أنظر: جورج لورمير، المرجع السابق، ج02، ص 49.

للساحل الفارسي(الايراني) وقد أطلق على هذه الجزيرة أيضا اسم هرمز، تيمنا بالوطن الأول لهؤلاء الفارين بعد الغزو الماغولي[1].

لقد استطاعت جزيرة هرمز في فترة وجيزة فقط من أن تجلب اليها العديد من الأنشطة التجارية خلال القرن الرابع عشر للميلاد، من تجار مسلمين وهندوس ويهود ونصارى وأفارقة...الخ فأصبحت بذلك مستودعا للسلع الأسيوية الذاهبة الى أوروبا، تعتبر جزيرة هرمز حسب ما وصفه لنا الرحالة المغربي ابن بطوطة عندما زارها في النصف الأول من القرن الرابع عشر للميلاد، بأنها جزيرة قاحلة وصخرية وهي غير مثمرة وميز لنا ابن بطوطة بوضوح بين مملكة هرمز القديمة على البر الفارسي وبين هرمز الجديدة في البحر بقوله:(**...وهي جزيرة مدينتها تسمى جيرون، وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند الى العراقين وفارس وخرسان، وبهذه الجزيرة سكنى السلطان والجزيرة أكثرها أرض سباخ وجبال ملح...**)[2].

حيث ظلت مملكة هرمز منذ تأسيسها تدفع ما عليها من ضرائب واتاوات سنوية الى خزينة الدولة الصفوية في البر الفارسي، فخلال حكم الوزير خواجة عطار للملك الصبي سيف الدين أبا نصر على جزيرة هرمز كان هذا الملك يدفع ما مقداره ألفي أشرفي خلال مطلع القرن السادس عشر للميلاد، ذلك راجع الى قوة هذه الدولة سياسيا وعسكريا لهذا حافظ الوزير خواجة عطار على استقلال مملكة هرمز لفترة طويلة في مياه الخليج العربي[3].

بهذا تمكنت مملكة هرمز بفضل هذه العائدات المالية الضخمة التي ترد اليها من تجنيد الجيوش واستجار المرتزقة من السيطرة على المناطق التجارية الموجودة في مياه الخليج وساحل عمان، لذلك تطلعت مملكة هرمز كثيرا في فترة قوتها لاحتلال البحرين والقطيف معا فالبحرين هي محطة الاتصال البحري المباشر بشمال الخليج العربي[4]، نفس الأمر بالنسبة في ساحل عمان الحيوي قبالة مضيق هرمز ورأس ماسندم من أجل ضمان سلامة سفنها التجارية المحملة بالسلع البحرية من الهند والصين،

---

(1) جورج لورمير، المرجع السابق، ص 49.
(2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 127.
(3) Samuel B. Miles, The countries and Tribes of The Persian Gulf, London, 1966, p. 155.
(4) محمد حسين العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية، القاهرة، 1998، ص 17.

من هنا بدأت تحدث الخلافات السياسية والحروب العسكرية كثيرا بين مملكة هرمز والقبائل العربية المعارضة لها كقبائل الجبور وبني عامر في سواحل شبه الجزيرة العربية والبحرين وساحل عمان[1].

وخلال فترة ضعف مملكة هرمز وبداية الصراع الداخلي على الحكم والسلطة بين أفراد العائلة الملكية في بداية القرن الخامس عشر للميلاد، وجدت هذه القبائل المناوئة لها فرصة سانحة للتخلص من تبعيتها الاقتصادية والسياسية لهرمز، السبب يرجع في الأساس الى عدم وجود سلطة مركزية قوية في هرمز خصوصا وأن هذه المناطق كانت تتأرجح بين التبعية الفعلية والاسمية لمملكة هرمز، كما أن الامتداد الجغرافي الكبير والواسع الذي بلغته هذه المملكة كان عاملا مهما في انهيارها وسقوطها[2].

أما بالنسبة لساحل عمان فلم يختلف الأمر كثيرا عن الهرامزة الذين ركزوا على مدن وموانئ الساحل العماني مثل مدينة مسقط وصحار وخورفكان وقريات وصور وقلهات أيضا التي كانت تعتبر مقر العائلة المالكة في هرمز[3]، وهذا راجع الى أن داخل عمان كان مضطربا سياسيا ومذهبيا من خلال الصراع القائم بين الامامة الاباضية والملوك النبهانيين من جهة، من جهة أخرى لعدم وجود موارد اقتصادية كبيرة في الداخل لكون النشاط التجاري في الساحل هو السائد غالبا.

لقد عرفت مملكة هرمز العديد من الاضطرابات السياسية داخل البيت الملكي بسبب كثرة الاغتيالات بين الأسرة المالكة، بداية من قتل تورانشاه الابن لوالده بغية تولي مقاليد الحكم والسلطة في المملكة ليتمقتله من طرف اخوته الذين نصبوا أخوه تورانشاه الثالث على الحكم عام 1504م وهذا قبل وصول الغزو البرتغالي بثلاثة سنوات عام 1507م، بعدها قتل تورانشاه الثالث على يد ابن أخيه المقتول من طرفهم ليتم تولية حكم المملكة حيث أدى ذلك الى تدهور أحوال العائلة المالكة في هرمز والتي استنزفتها التصفيات الجسدية بين أبنائها، بحيث لم يعد في تلك العائلة الى الأطفال العميان بسبب انتشار أسلوب نزع وسمل عيون المنافسيهم على العرش في هرمز[4]، أتاح هذا الواقع الفرصة لظهور شخصية الوزير الأول خواجه عطار وهو مملوك من أصول بنغالية اشتراه الملك توران شاه الثاني وقربه

(1) محمد حسين العيدروس، المرجع السابق، ص 18.
(2) جمال زكرياء قاسم، الخليج العربي...، المرجع السابق، ص 58.
(3) نفسه، ص 60.
(4) خالد السعدون، مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة 1971، ط01، دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2012، ص 92.

اليه، بعد اقتراح من طرف هذا الوزير الأول خواجه عطار تم تعيين ابن ملك هرمز المقتول سلغر شاه الأول، هو صبي صغير في السن لقب "بأبو المظفر سيف الدين أبا نصر بن سلغر شاه"[1].

حيث تمكن الوزير خواجه عطار بحسن تسييره وتدبيره كذلك من ارجاع الأمور الى نصابها خاصة بعد هجوم البرتغاليين على جزيرة هرمز بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك عام 1507م، أين جهز الوزير جيشا كبيرا جمعه من جميع مناطق الخليج العربي، ليسطر بعدها هذا الوزير على مقاليد الحكم باسم هذا الملك الصبي الذي لم يتجاوز الثانية عشر من عمره، أين كان الوزير خواجه عطار هو الوصي عليه[2].

من خلال ماسبق يمكننا القول بأن الوضع السياسي المتردي في جزيرة هرمز بمدخل الخليج العربي سهل على الغزاة البرتغاليين تحقيق أهدافهم الاستعمارية، بداية من التنافس الداخلي والأسري بين أسرة الهرامزة على الحكم والسلطة الى غاية وصول السلطة بيد صبي صغير في السن، حكم مملكة كانت تعتبر من بين أقوى الكيانات السياسية التي خضعت لها العديد من الأقاليم في الخليج العربي، هذا الصبي الذي لا يعلم شيئا عن الصراع القائم حوله وهو يعتبر نموذجا أخر من نماذج الضعف التقهقر بالمنطقة.

---

(1) نصر الله فلسفي، المرجع السابق، ص ص 08-10.
(2) نفسه، ص 11.

الفصل السابع:

الصراع السياسي-المذهبي الزيدي الطاهري

في بلاد اليمن وانعكاساته الداخلية والخارجية:

أ/الخلفيات التاريخية والدينية للصراع السياسي-المذهبي بين القوى المحلية والإقليمية الداخلية والخارجية حول مدينتي عدن وحضر موت باليمن(1507م-1538م).

يلعب الموقع الجغرافي الممتاز لليمن باطلاله على الضفة الشرقية لباب المندب وتحكمه في حركة النقل التجاريبحر ا بين بلاد الهند وشرق آسيا وشمال أوروبا[1]، عبر البحر الأحمر ثم البحر الأبيض المتوسط لذلك كانت بلاد اليمن منذ أقدم الحضارات التاريخية تعتبر قبلة و ملتقى القوافل البرية والسفن التجارية البحرية، القادمة اليها من أقصى حدود الإمبراطورية الرومانية البيزنطية وبلاد فارس والحبشة والصين والهند[2]، رغم كل هذه الأهمية الجغرافية والإستراتيجية وكثرة الموارد الإقتصادية الا أن تاريخ بلاد اليمن الحديث والعاصر يبين لنا صعوبة التحكم في التشكيلات القبلية هناك لكثرة الصراع المذهبي و السياسي بين الأفكار والمعتقدات الدينية في اليمن من جهة، بين التنازع السياسي على السلطة والحكم من جهة أخرى والإشكالية المطروحة هي هل يعتبر الموقع الإستراتيجي لليمن من بين أبرز العوامل المساهمة في تهديد القوى الإستعمارية الكبرىله و على رأسها مملكة البرتغال في مطلع القرن 16 م؟ ما دوافع الصراع السياسي المذهبي الحاصل في بلاد اليمن؟ وما هي تداعياته على الصعيد السياسي والإقتصادي؟.

ان الموقع الجغرافي لبلاد اليمن والمميزات الطبيعية الكبرى له لم تكن دائما نعمة عليه بل كانت نقمة في بعض الأوقات على شعبه وحكامه، من خلال تزايد التهديدات العسكرية عليه بسبب موقعه الحيوي بداية من محاولات احتلاله من طرف اليونانيين ثم الروم والأحباش والفرس الى غاية محاولات التوسع عليه من طرف الدول الإسلامية كذلك، بداية من الأمويين ثم العباسيين و الأيوبيين و المماليك وصولا الى قدوم البرتغاليين ومحاولاتهم المتكررة للسيطرة عليه لإغلاق مدخل البحر الأحمر، تحويل طريق التجارة العالمية من رأس الرجاء الصالح الى باب المندب[3]، اضافة الى ذلك فقد لعبت جغرافية بلاد اليمن دورا هاما فيه بسبب وجود مناطق جبلية حصينة في شماله وامتناع المناطق الجنوبية له عند البحر الأحمر، مازاد في اتخاذه مهربا وملاذا للعديد من القبائل العصبية هناك، خصوصا بعد كثرة النزاعات والفتن الداخلية فيه وصعوبة السيطرة عليه من طرف كل هذه الدول السالفة الذكر.

---

(1) محمود كامل المحامي، اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص 05.

(2) يحي بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، ج01، القاهرة، 1968، ص 04.

(3) خالد بن محمد القاسمي، الوحدة اليمنية حاضرا ومستقبلا، د ن، بيروت، 1987، ص 12.

وما زاد الأمور تعقيدا في بلاد اليمن هو ضعف الخلافة العباسية ببغداد مطلع القرن العاشر الميلادي ما أدى الى كثرة التفككات والإنقسامات السياسية به، مع ظهور العديد من الدول المستقلة عن الحكم المركزي باليمن سواء في زبيد أو صنعاء أو تعز حيث يزيد الإنقسام هنا كلما زاد الضعف في هذه الإمارات الحاكمة باليمن، ترجع جذور وأطوار الصراع المذهبي الطاهري الزيدي في اليمن الى ظهور المذهب الزيدي الذي يعتبر المذهب الأول في اليمن، يعود تأسيسه الى "**يحي بن الحسين بن القاسم الرسي**" المولود في المدينة المنورة عام 859 ميلادية، بعد تكوينه لفكر عقائدي زيدي بالحجاز سافر هذا الأخير الى بلاد اليمن أين عرفت أفكاره هناك باسم "**الهادوية**"[1]، حينها أسس أول دولة زيدية في جنوب اليمن عام 897 ميلادية.

أما المذهب الطاهري الذي ظهر على يد بنو طاهر بزعامة "**علي بن طاهر وعامر بن طاهر الأول**" في مدينة عدن بعد قضائهما على الدول الرسولية التركمانية عام 1454م، لتمتد بذلك دولة بني طاهر في أنحاء مختلفة من بلاد اليمن لتصل الى غاية حدود الدولة الزيدية في الشمال، أين بدأت بوادر الصدام السياسي والمذهبي تظهر هناك[2].

لكن دولة بنو زيد في الشمال اليمني انشغلت خلال فترة قيام الدولة الطاهرية بجنوب اليمن في الحروب الداخلية والصراعات القبلية هناك، بسبب وجود أكثر من امام في وقت واحد هناك أين استغل بنو طاهر هذه الحالة السياسية لصالحهم من خلال كثرة التفكك والتصدع الداخلي، ليقوموا بعدها بالتقرب من الأطراف المتنازعة ليجتهدوا حسبهم في توسيع هوة الإختلاف ليستمر القتال طويلا بينهم، مما أدى في اضعافهم واستنزاف قواهم حيث تجنب الطاهريون في الوقت نفسه الدخول في صراع مباشر معهم، ليتفرغوا خلال ذلك في توطيد دعائم دولتهم شرقا وغربا[3].

وخلال تولي عامر بن عبد الوهاب الحكم في بلاد اليمن عام 1489م كان الطاهريون قد سيطروا على ثلثي اليمن أما الباقي فقد وزع على أعداد كبيرة من الأئمة الزيديين، في المناطق الشمالية من

(1) محمد أبو زهرة، الإمام زيد حياته وعصره وآراءه الفقهية، القاهرة، 1959، ص ص 495-496.
(2) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي، هدية الزمان في أخبار ملوك لحج وعدن، بيروت، 1980، ص 89.
(3) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الإسكندرية، مصر، 1989، ص ص(313،314).

اليمن وذلك بشكل اقطاعات قبلية صغيرة جدا، حيث أصبحت اليمن مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد من بين الدول المقسمة الى طبقتين، طبقة أولى اقطاعية تدين بالمذهب الطاهري السني في جنوب وغرب اليمن، أما الطبقة الثانية فهي شبه قبلية وشبه اقطاعية تدين بالمذهب الزيدي في شمال وشرق اليمن[1]، على هذا الأساس تبلور الصراع السياسي المذهبي في اليمن بين الإقطاع القبلي الجبلي في الشمال والإقطاع الفلاحي السهلي في الجنوب مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد[2] والإشكالية المطروحة هي ترى ما خلفيات هذا الصراع المحلي الداخليو الخارجي الدولي حول مدينة عدن وحضر موت باليمن؟.

أ/الخلفيات التاريخية والدينية للصراع السياسي-المذهبي بين القوى المحلية والإقليمية الداخلية والخارجية حول مدينتي عدن وحضر موت باليمن(1507م-1538م):

مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي كانت سلطنة الطاهريين السنية التي تدين بالمذهب الشافعي في اليمن وعاصمتها مدينة زَبيد، هي الدولة الأقوى في جنوب شبه الجزيرة العربية وكانت عاصمتها تمثل مركزاً دينياً وثقافياً رئيسياً في البلاد، حيث بسطت هذه الدولة سلطتها على المناطق الفلاحية وأكثر المدن المتطورة والمزدهرة في اليمن، بما فيها تعز وصنعاء وعدن ومخا وارتكز الطاهريون على رجال الدين السنة أتباع المذهب الشافعي، بمساندة جيش كبير من العبيد أو المماليك السود فقد تشكلت الطائفتان المتنازعتان هناك: الزيدية والإسماعيلية اللتان كانتا تسيطران على المناطق الجبلية في شمال اليمن ووسطه، هما المنافس الدائم والعدو اللدود للعثمانيين كذلك.

لقد تميزت الإمامة الزيدية بشدة المراس في القتال وعرفت بتطرفها المذهبي، واتخذت مركز حكمها في المناطق الجبلية الشمالية، أما المركز الرئيسي للإسماعيلية فكان في نجران الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من يمن القرون الوسطى.

وفي مدينة حضر موت إلى الشرق من الدولة الطاهرية قامت سلطنتان كبيرتان كذلك هما: سلطنتي اليمنيين وعاصمتها تريم وسلطنة الكواسر وعاصمتها الشحر، هي أكبر المدن وأغناها على الساحل

---

(1) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 50.

(2) محمد علي الشهاري، الخروج من نفق الإغتراب وأحداث ثورة ثقافية في اليمن، دار الفارابي، بيروت، 1983، ص 16.

الجنوبيشلبه الجزير ة العربية، كما هو الحال في مدينة حضر موت كذلك في اليمن اعتبر كثير من الحكام المحليين وأمراء القبائل البدو والفقهاء البارزين و أصحاب المناصبو الزعماء الروحيون والمحليون المستقلين تمام الإستقلال عن الحكم المركزي هناك، بحيث لم يكونوا يعيرون أي اهتمام للطاهريين أو الكولسر أو لليمنيين، كان أكثر هؤلاء نفوذاً أشراف جيزان حكام عسير الجنوبية والفقيه "أبو بكر بن مقبول حاكم لحج"، زعيم أسرة العامود التي كانت مدينة البيضاء معقلاً لهم وفي مهرة وظفار كانت السيطرة للسلاطين المحليين وأحياناً لأعيان الكواسر أو لحكام عُمان[1].

إن هذا الوصف لطبيعة بلاد اليمن يوضح لنا صورة جلية من صور التجزأة والتفكك والإنقسام السائد هنالكفضلاً عن صور التناحر والصراع المتنوع سياسياً ومذهبياً وعسكرياً، فبلاد بمثل هذه الأوصاف والأحوال سرعان ما ينشب فيها القتال والحرب الداخلية، فضلاً عن أنها ستكون عرضة للغزو أو لإجتياح أو احتلال أجنبي بكل بساطة و سهولة، بدون مقاومة أو مجابهةبِّب تفكك جبهتها الداخلية وافتقادها للوحدة السياسية، عدم تآلف وتجانس و انسجام مكوناتها القبلية والدينية والسياسية.

كما أن من بين أبرز ملامح ضعف الجبهة الداخلية في بلاد اليمن هو تنازع شيوخ القبائل على السلطة، فعقدوا بذلك الإتفاقيات المؤقتة والهشة بين الأطراف والجماعات المتصارعة، لم يتخذوا في الواقع أي تدبير للمواجهة المشتركة ضد البرتغاليين، فضلاً عن أن مصالحهم العائليةو الوراثية كانت كثيرا ما تقدم على مصالح مكافحة التوسع البرتغالي، لذلك كان البرتغاليون يطمعون في السيطرة على هذه البلاد المهمة، ذات الموقع الإستراتيجي الهام مستغلين بذلك حالة الإنقسام والصراع بين القوى المحلية التي توزعت على حكمها وا ٍدار ة شؤونها.

وعندما وصل نفوذ العثمانيين إلى البحر الأحمر بعد سيطرتهم على مصر، زحفت قواتهم نحو جنوب العراق بعد انتصارها على الصفويين هناك، لذلك خشي البرتغاليون أن يمتد نفوذ العثمانيين إلى الإحساء والمناطق القريبةمن مدخل الخليج العربي، خصوصاً وأن القبائل العربية في تلك المناطق لم تكن راضية عن وجود البرتغاليين في الخليج العربي، لذلك سارع البرتغاليون إلى غزو البحرين وانتزاعها من سيطرة الشيخ مقرن بن زامل الجبوري، شيخ الجبور في الإحساء وكان الشيخ مقرن قد أعلن تبعية

(1) نيقولاي إيڤانوف، المرجع السابق، ص ص 119-120.

البحرين والقطيف للإحساء، امتنع عن دفع الضريبة السنوية عنهما إلى ملك هرمز، الذي كان يسلمها بدوره إلى البرتغاليين، فاتخذ البرتغاليون من ذلك حجة لهذا الغزو وبسيطرتهم على البحرين ضمن البرتغاليون موقعاً وسطاً في الخليج العربي، يطلون منه على الساحل العربي الذي يخشونه وعلى حركة الملاحة في الخليج العربي[1] .

وهكذا يتضح جليا لنا أن تهديداً خارجياً أجنبياً ظهر على الساحة السياسية العربية، متمثلاً في الغزو البرتغالي الذي كان يهدف إلى السيطرة على المداخل البحرية العربية الإستراتيجية في الخليج العربي والبحر الأحمر، للسيطرة على طرق الملاحة البحريةوالتجارية ولتأمين مصالحهم السياسية و الإقتصادية، وهذا يعني بأن بلاد اليمن وموانئها المطلة على البحر الأحمر، ستكون ضمن مطامع البرتغال مما سيؤثر سلباً على استقرارها ويؤدي حتما إلى تباين المواقف السياسية للقوى المحلية فيها اتجاه هذا الو اجد الأجنبي، ما سيترتب عليه انعكاسات وتأثيرات سلبية على أوضاعها الداخلية.

لقدكان الطاهريون يمثلون القو ة الرئيسة المسيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، لكنهم كانوا يتهربون من أية مشاركة نشيطة في الجهاد المقدس ضد أعداء الإسلام، عندما تحرك أسطول المماليك المصري بقيادة حسين الكردي نحو شواطئ الهند في شهر أكتوبر عام 1515م، رفض سلطان الطاهريين عامر بن عبد الوهاب الثاني(895هـ-923هـ/ 1489م-1517م) تسهيل استخدام الموانئ أو القوى البشرية والتموين الغذائي للأسطول المملوكي مخالفاً بذلك كل التزامات التحالف مع المماليك أنفسهم وقد أدت تصرفات السلطان عامر الطاهري إلى إرباك مخططات المماليك، فكان من بين أبرز نتائجها تأجيل الحملة المملوكية على بلاد الهند، مع بقاء أسطول المماليك راسياً عند شواطئ جزيرة قمران في البحر الأحمر لمدة ثمانية أشهر كاملة، منشغلاً ببناء التحصينات الدفاعية هناك حينها بدأت الوفود والرسل تتقاطر إلى معسكر المماليك هنالك، من المناطق والقوى المعارضة بمن فيهمالقو ة الزيدية

---

(1) حسن صالح شهاب، عدن فرضة اليمن، ط01، مركز الدراسات والبحوث اليمني للنشر والتوزيع، صنعاء، 1990، ص 221.

للتعبير عن استنكارها لموقف سلطان عدن عامر بن عبد الوهاب الثاني ومطالبة السلطان حسين الكردي بتحرير بلاد اليمن من استبداد الطاهريين[1].

بعد أن ضمن جيش حسين الكردي المؤلف من ستة آلاف مقاتل تأييد إمام الزيدية يحيى شرف الدين وفقيه لحج أبو بكر بن مقبول وشريف جيزان عز الدين بن أحمد، شن المماليك هجوماً على جيش عامر بن عبد الوهاب الثاني وحقق المماليك النصر لما يتمتعون به من تفوق عسكري غير محدود خاصة و أنهم كانوا يملكون أسلحة نارية لم تكن جنوب شبه الجزيرة العربية تعرفها أبداً ، لذلك نشرت البنادق والمدافع الرعب بين المقاتلين اليمنيين، تمكن حسين الكردي دون عناء كبير من تحطيمهم في بضع معارك وفي يوم 20 جوان عام 1516م[2] دخل حسين الكردي مدينة زَبيد عاصمة اليمن وانتقلت تهامة اليمنية بأسرها ومخا وتعز إلى أيدي المماليك وحليفهم الشريف عز الدين بن أحمد شريف جيزان[3].

اختبأت فلول القوات الطاهرية في المناطق الجبلية وهرب قسم منها جنوباً إلى عدن، فأصبحت هذه النقطة الإستراتيجية المهمة الهدف الأساسي للحملة العسكرية التي شنتها القوات الرئيسية لجيش المماليك سنة 922هـ/1516م، ففي الثاني من شهر أوت عام 1516م أصبح أسطول حسين الكردي وقواته البرية على مقربة من مدينة عدن، على الرغم من القصف العنيف الذي تعرضت له مدينة عدن من البر والبحر، فضلاً عن ضخامة عدد الضحايا والدمار الواسع، تمكن عامر بن عبد الوهاب الطاهري من الدفاع عن المدينة بمساعدة قوات شقيقه عبد الملك الطاهري، التي وصلت لنجدته في الوقت المناسب الى غاية اليوم العاشر من تلك السنة رفع المماليك الحصار عن مدينة عدن وعادوا إلى القواعد التي انطلقوا منها[4].

---

(1) عبد الحميد البطريق، من تاريخ اليمن الحديث(1517م- 1840م)، معهد البحوث والدراسات العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969، ص 21 ، وأنظر كذلك: نيقولاي إيڤانوف، المرجع السابق، ص ص 120-121، و للمزيد راجع أيضاً: محمود كامل المحامي، المرجع السابق، ص ص 196-197.

(2) عن حملة السلطان حسين الكردي، أنظر كل من: ابن الديبع، قرة العيون ...، المصدر السابق، ص ص 225-229، وأنظر كذلك: ابن الديبع، الفضل المزيد...، المصدر السابق، ص ص 277- 283، وراجع: أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ط01، مطبعة السُنّة المحمدية للنشر، القاهرة، 1963، ص ص 236-237، وأنظر أيضا: نيقولاي إيڤانوف، نفسه، ص 121.

(3) نفسه، ص ص 121-122.

(4) حسن صالح شهاب، المرجع السابق، ص 223.

وفي خضم تلك الأحداث والمعارك العسكرية حصل تغير جذري على الوضع العام في جنوب شبه الجزيرة العربية بعد أن تكبد المماليك هزيمة ساحقة في ضواحي حلب وقتل سلطانهم قانصوه الغوري في معركة مرج دابق بالشام عام 1516م، جرجرت فلول قوات المماليك المهزومة أذيالها إلى مدينة القاهرة بمصر، أخلى حسين الكردي بلاد اليمن بعد أن ترك حامية صغيرة في مدينة زَبيد، فقاد قواته المنسحبة إلى حدود مدينة جدة على مقربة من مصر، ما كادت هذه القوات تخرج من اليمن حتى ظهرت السفن البرتغالية في البحر الأحمر بقيادة لوبو سواريز (Lobou Soirez)[1].

الى غاية شهر مارس عام 1517م اقتربت القوات البرتغالية من مدينة عدن، لم يبدِ ي سلطانها عامر بن عبد الوهاب بن داود أية مقاومة تُذكر، بل أنه قَدَّم مفتاح المدينة إلى الأميرال البرتغالي لوبو سواريز معلنا بذلك اعترافه بسيادة العرش البرتغالي على مدينة عدن، لكن لحسن حظ ابن داود فقد تكبد الأميرال البرتغالي الهزائم المؤثرة الواحدة تلو الأخرى، حيث فقد في مياه البحر الأحمر قسماً كبيراً من جنوده وأسطوله وهكذا عاد لوبو سواريش إلى الهند خاوي اليدين وعليه أُخليت عدن طوعاً ، لذلك استغل السلطان عامر بن داود هذه الفرصة ليؤسس في جنوب اليمن إمارة طاهرية مستقلة دامت حتى سنة 945هـ/ 1538م، ضمت اضافة عن مدينة عدن مناطق في لحج والشيخ عثمان باليمن[2].

ليتمكن المماليك بعدها من حماية مواقعهم والإحتفاظ بها في مدينة زَبيد، فاستغل ملكهم الأمير بارسباي تأييد السكان المحليين له وتشجيع الشريف عز الدين بن أحمد شريف جيزان في عسير، فركز المماليك إدارة البلاد وعلى الرغم من جلاء قسم كبير من فيلق حملة المماليك العسكرية باليمن، لكن بارسباي استطاع مواجهة الطاهريين بنجاح هناك، في شهر نوفمبر عام 1517 م وبعد احتلال السلطان سليم الأول لمصر، عاد من جدة إلى زَبيد معظم المماليك الذي رحلوا سابقاً مع السلطان حسين الكردي هرباً من مطاردة السلطة العثمانية لهم، بمساعدتهم تمكن الأمير بارسباي من صد هجوم قوات عامر الثاني، في 15 ماي 1517م وبعد معركة عنيفة قرب مدينة صنعاء ألحق بهم السلطان بارسباي هزيمة

(1) ابن الديبع، المصدر السابق، ص 230.
(2) نيقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص 122.

ساحقة وقتل على اثرها السلطان عامر الثاني مع أخيه عبد الملك أثناء دفاعهما عن المدينة، لينتهي بذلك وجود سلطنة الطاهريين باليمن عام 1517م[1].

بعد غزو بلاد اليمن وسقوط دولة الطاهريين وجد المماليك أنفسهم في وضع جديد لم يألفوه أبدا فقد سقطت دولتهم الأم بالشام ومصر على يد العثمانيين عام 1517م، لم يعد بامكانهم الذهاب لأي مكان سوى البقاء في اليمن وتثبيت مواقعهم فيها بعدما أصبحوا أسياد السلطة هناك، لذلك أسسوا دولة مملوكية في اليمن مستقلة بذاتها، لكن سرعان ما تخلت هذه الدولة عن سياستها السابقة في مواجهة العثمانيين واعترفت بتبعيتها الرسمية للباب العالي باسطمبول[2]، انعكاساتها السياسية على تطور مجرى الأحداث التاريخية.

تجدر الإشارة الى أن سلطان بلاد مصر سليم الأول لم يكن واثقا كل الثقة من أتباعه الجدد من المماليك باليمن[3]، رغم ذلك قام السلطان سليم الأول بتثبيت الأمير اسكندر خليفة الملك بارسباي كوالي على اليمن ليؤسس العثمانيون دولة جديدة بحكم غير مباشر في جنوب شبه الجزيرة العربية، يمدو ا مماليكها بالعتاد العسكري والسلاح من أجل تدعيم سلطة العثمانيين بالمنطقة وتحصين مواقعهم في اليمن والعمل مع حكامها المحليين هناك.

ومن بين نتائج سقوط دولة الطاهريين باليمن أيضا هو تزايد نفوذ الأئمة الزيديين حيث عمد السلطان عامر بن عبد الوهاب الثاني، أثناء القتال العنيف ضد الشيعة الى شن العديد من الهجمات على جبال اليمن حيث تمكن من السيطرة على صنعاء عام 1506م، ليقضي على سلطة الأئمة الزيديين فلم يبقى لهم تحت سلطتهم الى مدينة صعدة وبعض المناطق الجبلية هناك، لكن تمكن الإمام" المتوكل يحي شريف الدين"(1507م-1557م) من ايقاف الإنهيار النهائي للدولة الزيدية، بداية من تحالفه السياسي والعسكري مع الممالك ليتصدى للطاهريين حتى سقوط دولتهم، ثم يرتد على حلفائه من المماليك ليقوم

---

(1) ينظر في تفصيل هذه الحوادث كل من: ابن الديبع، قرة العيون...، المصدر السابق، ص ص 230-232، و كذلك أنظر: ابن الدبيع، الفضل المزيد...، المصدر السابق، ص ص 283-288، وراجع كذلك: محمود كامل المحامي، المرجع السابق، ص ص 201-202، وأيضا أنظر: شرف الدين، المرجع السابق، ص ص 238-239، ونيقولاي ايڤانوف، المرجع السابق، ص 122.

(2) نفسه، ص 122.

(3) عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص ص 22-23.

باسترجاع العديد من المناطق الجبلية التي سيطر عليها المماليك، الى غاية عام 1717م أين تمكنت قوات الزيديين من استعادة مدينة صنعاء باليمن[1].

ان الأئمة الزيديين باليمن ظلوا على مدار القرن السادس عشر للميلاد قاعدة أساسية للنظال ضد الزعامة السنية المتشددة في جنوب شبه الجزيرة العربية، فقادوا بذلك العديد من الهجمات ضد أمراء عامر بن داوود وأمراء مدينة زبيد من المماليك، ثم ضد الولاة العثمانيين أنفسهم خصوصا في فترات التناقضات السنية الزيدية، ففي عام 1535م شن الزيديون حملات عسكرية ضد امارة الطاهريين في جنوب اليمن ليستولوا بذلك على مدينة تعز التي كانت تحت اشراف أمير عدن عامر بن داوود، من أجل بسط سلطتهم على الجزء الجبلي الجنوبي و لينشطوا تحركاتهم بعدها الى حضر موت، كما شن بعدها ولدي الإمام يحي شريف وهما الإمام المطهر وشمس الدين حملة على زبيد عام 1537م لكنها فشلت في ضم عاصمة اليمن ليتراجع بعدها الزيديون نحو المناطق الجبلية هناك[2].

لقد ظلت الإمارة المملوكية في مدينة تهامة المعقل الرئيسي للمسلمين السنة وبدأ نفوذ الباب العالي يتصاعدهناك، ينمو ا بوضوح بعدما تمكن العثمانيو ن من اخماد تمرد الأمير اسكندر الذي أثار حركة تمردية[*]عن حكم الدولة العثمانية، شبيهة بتلك الحركة الإنفصالية التي قادها جان بردي الغزالي المملوكي بالشام عام 1520م[3]ضد الحكم العثماني هناك، بعد تنصيب الأمير اسكندر لنفسه سلطانا على بلاد اليمن قام باعلان انفصاله عن السلطة العثمانية، ليأمر بعدها بالدعاء له في خطبة الجمعة وصك العملة باسمه[4] لكن الأمير اسكندر لم يتحصل على التأييد العام للقبائل اليمنية هناك، ما سهل

(1) عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص 17، وأنظر: ل. كوتلوف، دليل الجمهورية العربية اليمينة، د ن، موسكو، 1971، ص 137.

(2) Joseph hammer, Histoire de l’empire ottoman depuis son origine jusqu a’ nos jours, trad J.J.Hellert, tome 06, paris, 1836, p. 360.

(*) حركة تمردية: هي كل الحركات الإستقلالية والإنفصالية عن حكم الدولة العثمانية والتي قادها شيوخ القبائل والزعامات المحلية في الإيالات العثمانية بتدعيم من القوى الأوروبية وعلى رأسها روسيا والنمسا.

(3) Stripling George W.F, the ottoman turks and the arabs (1511-1574), Urbana, 1942, p. 88.

(4) ابن اياس، المصدر السابق، ج 05، ص 414.

مأمورية القضاء عليه من طرف القوات العثمانية القادمة من مدينة جدة، ليرسل بعدها رأس الأمير اسكندر وزعماء الإنتفاضة الى السلطان سليم الأول عام 1521م[1].

بعد فشل التمرد المملوكي على العثمانيين في مدينة زبيد قام نزاع متواصل على السلطة بين أعوان مختلف المجموعات المسلحة المحسوبة على الباب العالي ما بين عامي 1520م و1529م، حيث حدثت خمسة انقلابات عسكرية وتم تغيير الحكام باليمن سبع مرات كاملة أو أكثر، فقد تراجع القادة المحليون باليمن الى الصف الثاني بينما ظهر في واجهة الحكم اليمني أشخاص غريبون قادمون من وراء البحار من مماليك وقادة ومرتزقة من الجمهوريات الإيطاليةو العاملين مع البحارة العثمانيين، حيث كانت دهشة البرتغاليين عظيمة عندما علموا بأن من بين المقربين لحاشية الملك السابع باليمن "مصطفى بيرم" الذي فر بعدها نحو الهند عام 1529م، هما الإيطاليان "صفر آغا" و" قرة حسين" وغيرهم كثير [2].

لقد كثرة الفتن والإغتيالات السياسية في اليمن منذ عام 1520م بحيث أصبح الإستيلاء على السلطة أمرا يوميا في دواليب الحكم اليمني بزبيد، من خلال كثرة المؤامرات التي تحاك من طرف الوزراء وأصحاب النفوذ على الحكام اليمنيين، كل هذا دفع بالعثمانيين الى ايجاد ذريعة للتدخل العسكري والمباشرو الحاصل نتيجة اغتصاب السلطة، القائم على التصفية الجسدية والقتل[3]وهذا ما قام به بكلر بك مصر بعد ارساله لحملتين عسكريتين لتأديب الإنقلابيين باليمن عام 1520م.

أما المعقل الثاني للعثمانيين بجنوب شبه الجزيرة العربية فهو منطقة حضر موت باليمن والتي كانت مقرا لسلطة الكواسر، سبب هذا الإرتباط العثماني هناك هو نشاط أمير الكواسر الطموح "**بدر الثالث بوتويرك**"(1516م-1568م)، الذي اعتلى عرش السلطة وهو في سن العشرين سنة وبعدها قام باحاطة نفسه بمجموعة من الرجال الطامحين من حاشيته بمساعدة العثمانيين له، للتخلص من التقاليد الوراثية

---

(1) ابن اياس، المصدر السابق، ص ص 414-415.
(2) R.S. Whiteway, The Rise of Portuguese Power in India (1497-1550), stanford university liberries, London, 1899, p. 214.
(3) J. hammer, op.cit. p.358.

القديمة واختراق حاجز التفتت القبلي وتأسيس دولة قوية، كان له ذلك من خلال اتفاقه مع الباب العالي بانشاء جيش خاص به وساعده الجيش العثماني بقيادة "**رجب التركي**"، الذي وصل الى منطقة الشحر مع الجنود المتطوعيين والمسلحين بالأسلحة النارية الحديثة عام 1520م، حيث أطلق سكان حضر موت على البنادق الغريبة التي يحملها الجيش العثماني اسم "**الأسلحة الرومية**"[1]، حيث منحت هذه الأسلحة تفوقا عسكريا كبيرا لرجب التركي الذي أصبحت كل حضر موت وما جاورها تتحدث عن شاربيه الطويلتين، عن قوة جنوده المقاتلين ما جعل الخوف والهلع يستبد في نفوس القبائل اليمنية المعادية لسلطة الكواسر بحضر موت[2].

كما تمكن الأمير بدر الثالث كذلك وفي فترة وجيزة من الحكم مع القائد العثماني رجب التركي من اخماد مقاومة زعماء القبائل المعارضة له، توحيد حضر موت لأول مرة في تاريخها شهر نوفمبر عام 1521م، بعد حصار دام عشرين يوما أيضا تمكن بدر الثالث من احتلال منطقة تريم ووضع نهاية لأسرة اليمانيين الذين هربوا كلهم الى اليمن، أما أخر من فر من السلاطين اليمانيين الى اليمن هو عبد الله الرابع[3].

لقد أبدت الزعامات المحلية وشيوخ القبائل والأمراء الكواسر مقاومة عنيفة لقوات بدر الثالث والجيش العثماني الداعم له، حيث تمكنت هذا الجيش من تحقيق انتصارات عديدة منها اخماد مقاومة قبائل الهامي التي اغتصب السلطة في منطقة الشحر عام 1530م، تصفية حكم شيوخ باوزير عام 1531م كما هزمت القوات المتمردة في غرب حضر موت عام 1534م، أما أخطر حركة تمردية واجهها بدر الثالث هي حركة ابن عمه المتمرد عليه وهو من بين شيوخ الطرق الصوفية وهو"**علي بن عمر**"، الذي اعتمد في حربه على دعم دراويش شيبام لمواجهة احدى أقوى الزعماء الروحيين في حضر موت "**عثمان العامودي**"الذي بدور تلقى المساعدات العسكرية والمادية من طرف الإمام الزيدي "**يحي شريف الدين**"[4].

(1) سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ط01، المطبعة السلفية، القاهرة، 1959، ص 121.
(2) نفسه، ص 121.
(3) محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، أوراق التاريخ الحضرمي، اليمن، د ن، 1972، ص 21.
(4) باوزير، المرجع نفسه، ص ص 128-129، وأنظر: الشاطري، نفسه، ص ص 32-33.

لكن بعد وفاة بدر الثالث تفتت حضر موت الى مشيخات منفصلة وفي نهاية القرن السادس عشر للميلاد وقعت حضر موت من جديد ضحية للحروب والنزاعات القبلية، التي جرت أطوارها على يد السلطة العثمانية والزيدية على حد سواء حيث أخذ العثمانيون يعززون قواتهم باليمن تدريجيا، الى غاية عام 1568م أين ألغى السلطان سليم الثاني الملقب بسليمان القانوني(1520م-1566م) نظام تقسيم البلاد الى ولايتين، وكز ا جميع السلطات في يدي بكلر واحد هو بكلر اليمن ككل عثمان باشا ابن أوزدمير باشا[1].

ان هدفنا من خلال هذه المقاربة التاريخية هو تبيين طبيعة هذا الصراع السياسي والمذهبي القائم في بلاد اليمن مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، هو صراع داخلي وخارجي مع القوى الجديدة التي ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية، مداخلها الرئيسة في البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي، الممثلة في المماليك والعثمانيين والبرتغاليين من جهة والطاهريين والزيديين من جهة أخرى ان هذا الصراع الذي انعكس على مدينة عدن وحضر موت خاصة وبلاد اليمن عامة خلال حكم الطاهريين عليها، الى غايةاستمر ار أطوار هذا الصراع لمدة طويلة من الزمن لينتهي في الأخير بالحملة العسكرية العثمانية الأولى على بلاد اليمن بقيادة سليمان باشا الخادم عام 945هـ/1538م وهذا ما سوف نوضحه لاحقا في فصول هذا البحث التاريخي.

كما أن دراستنا لتداعيات التفكك السياسي بين مشيخات الحكام العرب في الخليج وشبه الجزيرة العربية أمر جد هام لدراسة عوامل الضعف وظروف الغزو البرتغالي، مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد هذه التشكيلات السياسية التي لم تتوحد ضد هذا الغزو، بسبب اعتبارات عديدة شكلت نقطة ضعف داخلية استغلها القادة البرتغاليون للإشعال نار الصراع الأسري والديني والمذهبي وحتى القبلي في جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، من أجل احكام سيطرتهم العسكرية والإقتصادية على أغلب هذه الكيانات السياسية المتصارعة.

---

(1) البطريق، المرجع السابق، ص 30.

الجدير بالذكر أيضا أن أحوال منطقة الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية لم تختلف كثيرا عن أحوال منطقة ساحل شرق افريقيا، من خلال تحقيق البرتغاليين لمشروعهم السياسي و العسكري و الإقتصادي رغم كل الجهود المحلية المبذولة من طرف حكام هذه المماليك الإسلامية، لأن التفوق العسكري دائما ما كان لصالح البرتغاليين وحلفائهم من الهرامزة، والإشكالية المطروحة هي كيف ستكون ردود أفعال القوى السياسية العظمى في العالم الإسلامي والممثلة في الدولة العثمانية التي حملت لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين خلال مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي؟. والإشكالية المطروحة هي هل سينجح العثمانيون في القضاء على هذا الغزو البرتغالي المتمركز في سواحل افريقيا الشرقية والبحر الأحمر والخليج العربي؟.

"القسم الثالث"

"الإستراتيجية العثمانية الداعمة للقوى المحلية ضد الأحباش والبرتغاليين بساحل افريقيا الشرقية ومياه البحر الأحمر والخليج العربي عام(1521م-1559م)".

الفصل الأول: سياسة الدعم العثماني لحركات المقاومة المحلية بساحل افريقيا الشرقية مطلع القرن 16م:

أ/الإمام أحمد بن براهم ووصوله الى الحكم.

ب/تحالف الإمام أحمد بن براهم مع العثمانيين ضد الأحباش والبرتغاليين(1528م-1534م).

ج/تحالف الإمام نور بن الوزير مع العثمانيين ضد الأحباش والبرتغاليين(1550م-1567م).

الفصل الثاني: سياسة التحالف العثماني مع القوى المحلية في ساحل شرق افريقيا ونتائجها خلال القرن 16م.

الفصل الثالث: الثورات الخليجية ضد سياسة الغزو البرتغالي في المنطقة دوافعها وتداعياتها عام(1521م-1529م):

أ/الثورات الخليجية دوافعها وظروفها.

ب/تمردات المحكومين بالخليج العربي(هرمز -البحرين -صحار -قلهات -مسقط):

-التمرد في هرمز عام 1521م.

-التمرد في البحرين عام 1521م.

-التمرد في صحار عام 1521م.

-التمرد في قلهات عام 1521م.

-التمرد في مسقط عام 1521م.

-التمرد في القطيف عام 1521م.

ج/ثورة سكان القطيف عام 1521م.

د/الخليج العربي وأحداث عام 1522.

ه/الخليج العربي وأحداث عام 1523م.

و/الخليج العربي و أحداث عام 1526م.

ز/الخليج العربي و أحداث البحرين عام 1529م.

الفصل الرابع: استراتيجيات المواجهة العثمانية للبرتغاليين في مياه البحر الأحمر والخليج العربي: دوافعها و انعكاساتها السياسية والإقتصادية عام(1526م-1559م):

أ/الحملة العثمانية على البحر الأحمر بقيادة سلمان ريس ودوافعها عام 1526م.

ب/التحالف العثماني الهندي في معركة ديو وانعكاساته السياسية والإقتصادية عام 1538م.

ج/حملة البصرة بالخليج العربي وأبعادها الإقتصادية بقيادة السلطان سليمان القانوني عام 1534م.

د/حملة بيري ريس على مضيق هرمز بالخليج العربي دوافعها وانعكاساتها السياسية عام 1552م.

ه/حملة اعادة الأسطول العثماني المحاصر بميناء البصرة بقيادة مراد ريس ثم سيد علي ريس عام 1553م.

و/حملة بكلربك الإحساء مصطفى باشا على حاكم جزيرة البحرين مراد ريس أسبابها ونتائجها عام 1559م.

الفصل الأول:

سياسة الدعم العثماني لحركات المقاومة المحلية بساحل افريقيا الشرقية مطلع القرن 16م:

أ/الإمام أحمد بن براهم وظروف وصوله الى الحكم.

ب/تحالف الإمام أحمد بن براهم مع العثمانيين ضد الأحباش والبرتغاليين(1528م-1534م).

ج/تحالف الإمام نور بن الوزير مع العثمانيين ضدالأحباش و البرتغاليين(1550م-1567م).

*مولده ونشأته: ولد الإمام أحمد بن ابراهم في بلدة هوبت وهي مملكة تقع بالقرب من مملكة هرر حيث نشأ على تعاليم الدين الإسلامي وحفظ كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، حيث تصفه لنا بعض المصادر العربية:**(بأنه من سلالة السادة المجاهدين)**[1]، أما بعض المراجع الغربية الأخرى فهي تفسر أن الإمام أحمد بن براهم في الأصل هو ابن لأحد القساوسةالنصرانيين و الذي اسمه ايجو(Aijo)، كما يزعم أصحاب هذا الطرح بأن الإمام أحمد بن براهم قد هاجر من موطنه الأصلي في هوبت ورحل بعدها الى مملكة عدل وهنالك اعتنق الدين الإسلامي[2]، ما هي ظروف وصول هذا الإمام الى اعتلاء سدة الحكم في مملكة هرر؟ وقيامه بقيادة حركة المقاومة ضد مملكة الحبشة النصرانية هناك؟.

أ/الإمام أحمد بن براهم وظروف وصوله الى الحكم:

لقد قدر لنا المؤرخ البريطاني "سبنسر ترمنجهام" تاريخ ميلاد الإمام أحمد بن براهم في حوالي عام 1507م أما وفاته فقدرها لنا في حدود عام 1543م[3]، أين نشأ الإمام أحمد على تعلم فنون الفروسية والقتال معا لينظم بعدها الى فرسان الملك الجراد أبون، حيث بعد وفاة ملكه أبون ظهرت موهبته الفذة في القيادة والتحكم بالجيوش وخبرته العسكرية الناجحة، في ادارة المعارك العديدة التي خاضها من أجل فتح بلاد الحبشة النصرانية[4]، بعدما أدرك الإمام أحمد بن براهم ما لحق بمسلمي شرق افريقيا من تفرقة وضعف وتنافس شديد على السلطة والحكم في مملكة هرر، سيطرة الأحباش على كافة المناطق الإسلامية سخر نفسه لقيادة حركة الجهاد الإسلامي ومحاربة النصرانية، وذلك ببداية توحيد القوى الإسلامية الأخرى في ساحل شرق افريقيا قبل وصوله الى الحكم ثم سار على نفس هذا المنهج بعد اعتلائه لعرش السلطة في مملكة هرر[5]، الإشكالية المطروحة هي ما أسباب ودوافع تحالف الإمام أحمد

---

(1) عرب فقيه، فتوح الحبشة، المصدر السابق، ص 04.
(2) توماس أرنولد، الدعوة الى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة للنشر، القاهرة، 1970، ص 137، وأنظر: عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة، 1974، ص 192، وكذلك: فتحي غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص 150.
(3) سبنسر ترمنجهام، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، المرجع السابق، ص 85.
(4) عرب فقيه، المصدر السابق، ص ص(22-37).
(5) نفسه، ص 37.

بن براهم عسكريا مع الدولة العثمانية؟هل كان لهذا التحالف نتائج سياسية وعسكرية ودينية على مسلمي ساحل شرق افريقيا؟.

ب/تحالف الإمام أحمد بن براهم مع العثمانيين ضد الأحباش والبرتغاليين(1528م-1534م):

عمل الإمام أحمد بن ابراهم على توحيد الجبهة الداخلية والقوى المحلية في اريتيريا وتزويد جيوشه بالأسلحة الحربية، حيث تمكن هذا الأخير من السيطرة على ثلثي مساحة مملكة الحبشة وذلك خلال ستة سنوات فقط(1528م-1534م)، كما ظل الإمام أحمد بن براهم يطارد ملك الحبشة لبنادجل خلال فترة مقاومته للأحباش النصرانيين ما جعل الملك لبنادجل يموت بسبب الحصار والجوع والعطش المفروض عليه في أقصى شمالي غرب جبال الحبشة[1].

ان مقاومة الإمام أحمد بن براهم للأحباش في ساحل شرق افريقيا ساهمت في انتشار الإسلام كثيرا على حساب الدين النصراني، تحرير سكان هذه المناطق من العبودية والقهر ما جعل الأحباش النصرانيين يدخلون الى الإسلام بأعداد كبيرة جدا في عهد الإمام أحمد بن براهم[2]، لقد شكل الإمام أحمد بن براهم جيشا اسلاميا يتكون من مختلف الأجناس الإريترية ومسلمي شرق افريقيا ومسلمي شبه الجزيرة العربية وساحل عمان أيضا، هذا ان دل على شيء فإنما يدل على قدرة الإمام أحمد على القيادة والتحكم العسكري، أين خرج الإمام أحمد بن براهم بعدها الى أولى فتوحاته وغزواته في تحرير مملكة الحبشة بداية من فتح منطقة بادقي عام 1528م الى غاية وصوله الى تحرير منطقة دامبيا بالقرب من بحيرة تانا(TANA) عام 1534م[3].

كما أورد العديد من المؤرخين على أن الإمام أحمد قد تلقى العديد من المساعدات العسكرية من طرف العثمانيين والمتمثلة في العتاد الحربي لمواجهة الأحباش والبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا، استدلوا على ذلك من خلال المدافع الحربية والأسلحة النارية الحديثة التي وضعها العثمانيون في أيدي القبائل

---

(1) نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص 182.
(2) الصيرفي، نفسه، ص 182.
(3) عرب فقيه، المصدر السابق، ص ص(340-348)، وأنظر أيضا: جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق، ص 130.

السواحلية المسلمة هناك، التي كان لها الفضل الكبير في المساهمة لتحقيق الإمام أحمد بن براهم انتصارات عديدة على المدفعية البرتغالية والأحباش في ساحل شرق افريقيا[1].

كما كان للقادة العثمانيين الدور الهام في تدريب جنود الإمام أحمد بن براهم على كيفية استخدام هذه الأسلحة الحربية في ساحة المعركة[2]، لكن هذا لا ينفي لنا تماما دور الإمام أحمد بن براهم في مقاومة الأحباش قبل مساندة الأتراك العثمانيين له، على حسب ما ذكره المؤرخ الحبشي عرب فقيه في كتابه "فتوح الحبشة"، حيث أورد لنا ذكر الأتراك في أحداث عام 1534م[3] فقط، هو الذي كان قد رافق الإمام أحمد في فتوحه ومعاركه هناك بحيث أن الضرورة السياسية والإستراتيجية العسكرية للعثمانيين هناك، هي من استوجبت عليهم الاستعانة بالقوى المحلية ودعمها ضد أعدائها من الأحباش وحلفائهم من البرتغاليين في ساحل شرق افريقيا.

يرجع أيضا امتلاك الأحباش للأسلحة والمدافع الحربية حسب رواية القائد البرتغالي فرنانداز ألفاريز (Alvarez. F)، من خلال التجار القادمين الى بلاد الحبشة والذين باعوا أسلحة مختلفة الى ملكها النجاشي ومن بينهم التجار الأتراك أنفسهم، أين ذكر لنا ألفاريز ذلك بين أحداث عامي(1520م-1526م) حيث يقول:(**لقد كان للأحباش في البلاط أربعة عشر مدفعا متحركا اشتروها من الأتراك العثمانيين الذين قدموا بلادهم للتجارة، لقد أمر البرستر[*] بأن يعطى للأتراك كل ما يطلبونه مقابل تلك المدافع)**[4].

تجدر بنا الإشارة أن رواية القائد البرتغالي بيدرو ألفاريز عن بيع التجار الأتراك للأسلحة لملك الحبشة لبنادجل، هي رواية يعتريها الكثير من الضعف والشك حول صحة حقيقتها التاريخية، فان الأقوب للمنطق والعقل يرجح لنا امكانية صناعة هذه الأسلحة من طرف العثمانيين، أما عملية بيعها فيمكن أن يقوم بها التجار النصارى أو اليهود القادمين من بلاد الشام ومصر، بالإضافة الى ذلك فان الأتراك

---

(1) سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 77، وأنظر أيضا:
Jones and Monroe, op.cit. p.p. 81-82.
(2) ابراهيم محمد حسن، الإمام أحمد بن براهم الصومالي وفتوح الحبشة، رسالة ماجيستار، جامعة القاهرة، د ت، ص ص(177-178).
(3) عرب فقيه، المصدر السابق، ص 85.
(*) البرستر: المقصود به هنا هو ملك الحبشة النجاشي.
(4) Alvarez. F, op.cit. p.410.

العثمانيين لا يتعاملون تجاريا مع ملوك الحبشة النصارى أصلا، فلا يعقل اذن أن يكون تعاملهم معهم بالأسلحة الحربية، أو أنها عبارة عن غنيمة حربية غنم بها الأحباش مع البرتغاليين هناك.

يرجع أول استنجاد حبشي بالبرتغاليين في عام 1525م حين سيطر الإمام أحمد بن براهم على أقاليم بلاد الحبشة، قام بمطاردة الملك الحبشي لبنادجل حيث بادر الملك الحبشي بإرسال الطبيب البرتغالي جواو بارموديز(Joao Bermudez)الى ملك البرتغال جواو الثالث(III Joao)، وجواو هو طبيب برتغالي قدم الى بلاد الحبشة مع بعثة القائد البرتغالي رودريجو دي ليما عام 1520م، مقابل مساعدته في التخلص من الإمام أحمد بن براهم شريطة تنازله عن ارتباط الكنيسة الحبشية بالكنيسة الإسكندرية بمصر، ربطها مباشرة مع الكنيسة البابوية الكاثوليكية بروما[1].

هذا جزء من نص الرسالة التي كتبها الملك لبنادجل الى الملك البرتغالي جواو الثالث(III Joao) وأرسلها مع المبعوثه بارموديز عام 1540م، من أجل وقوف ملك البرتغال معه ضد الإمام أحمد بن براهم جاء فيها:(**...لقد ثار جميع قادتي ضدي لمساعدة المسلمين فعاثوا في البلاد فسادا...ان مملكة البرتغال هي لي كما أن جميع بلادي هي ملك للملك...اني أرجوا منك أن تأتيني بالكثير من الرجال والفرسان...وسأوافق على كل رغباتك وبيني وبينك قديسو السماء والملاك جبريل...**)[2].

لقد سارت بعثة الملك لبنادجل من ميناء مدينة مصوع بالحبشة الى ميناء مدينة لشبونة بالبرتغال يقودها المبعوث بارموديز، بعد وصولها سلمت الرسالة الى الملك جواو الثالث حيث قرر الملك ارسال المساعدات العسكرية فورا الى الملك لبنادجل، مصدرا بذلك أوامره الى نائب ملك البرتغال في الهند الدوم جارسيا دي نورها(Dom Garcai De Noreha)، حيث حمل المبعوث بارموديز بنفسه هذه التعليمة اليه، لكن رفض الدوم جارسيا تنفيذ أوامر ملكه سرع في عملية عزله من منصبه، أين عين الملك جواو الثالث القائد استيفاو دي غاما(ESTEVAO DE GAMA) خلفا له والذي جهز حملة بحرية من ميناء البحر الأحمر الى ميناء مصوع بالحبشة عام 1541م[3]، حيث أراد القائد استيفاو دي غاما أن

(1) Castanhoso, op.cit. p.p.208-209.
(2) IDEM. p.p. 107-108.
(3) Sousa F, op.cit. Vol 11, p.p.21-23. وأنظر كذلك: رجب حراز، المرجع السابق، ص 29.

يجعل من حملته هذه هدفا لضرب عدة قواعد اسلامية كثيرة أولها قاعدة الأسطول العثماني بميناء السويس بمصر وثانيها الموانئ الإسلامية المطلة على سواحل شرق افريقيا كسواكن وزيلع ومصوع[1].

وبعد كل هذه التحضيرات العسكرية من طرف القائد البرتغالي استفاو دي غاما بميناء مصوع اتجه قائد الأسطول البرتغالي مع بعثته العسكرية الى ميناء حرقيقو ليفاجئ بعدها بخبر وفاة ملك الحبشة لبنادجل، اعتلاء ابنه قلاديوس العرش(Galadewos) ما بين عام (1540م-1559م)، أين أكمل الملك الحبشي الجديد استعدادات أبيه في التحضير لمواجهة الإمام أحمد بن براهم مع القائد قلاديوس متخذا من مدينة شوا مقرا لحكمه الجديد[2].

هنالك رأى الديوان العثماني ضرورة ارسال قائد بحري متمرس في الأمور الحربية والقيادة البحرية لبلاد الحبشة فوقع الإختيار على القائد أوزدمير باشا[*]، الذي يعتبر من بين خيرة البحارة العثمانيين أين أرسله والي مصر سليمان باشا الخادم الى نهر النيل والبحر الأحمر من أجل الكشف عن أي خطر برتغالي متربص بهم في مياه البحر الأحمر، فلفت انتباه أزدمير باشا ميناء سواكن بالحبشة والذي أراد أن يجعل منه قاعدة حربية ثابتة للأسطول العثماني بمصر، لأهميته الإستراتيجية في منطقة البحر الأحمر وسواحل افريقيا الشرقية فتم قبول طلبه من طرف الديوان العثماني ووزارة الحربية بإسطنبول، حيث منحت له كافة التسهيلات والصلاحيات العسكرية مندعم عسكري و المادية من دعم بشري للإنجاز هذه المهمة [3].

---

(1) ترمنجهام سبنسر، المرجع السابق، ص 77، وأنظر كذلك:
Jones and Monroe, op.cit. p. 83.
وأنظر أيضا: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص ص(280-281).
(2) نوال الصيرفي، المرجع السابق، ص 245.
(*) أوزدمير باشا: هو في الأصل من بين بكوات مصر أو أتراك مصر الذين خدموا الدولة العثمانية بتفاني حيث عينه سليمان باشا مستشارا خاصا له في الشؤون الحربية المتعلقة بالقارة الإفريقية خاصة بلاد الحبشة و السودان وشبه الجزيرة العربية، له العديد من المشاركات الحربية مع الأسطول العثماني كحملة سليمان باشا الخادم على بلاد الهند عام 1534م، عين في عام 1517م برتبة يوزباشي باشا أي نقيب في أسطول السويس بايالة مصر العثمانية وكان له الفضل في لفت انتباه الديوان الهمايوني بضرورة ضم بلاد الحبشة لإيالة مصر نظرا للأهمية الإستراتيجية والدينية لهذه المنطقة في ظل الصراع المسيحي الإسلامي والتنافس التجاري مع مملكة البرتغال، للمزيد أنظر: قطب الدين محمد بن أحمد المكي النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1967، ص ص 98-120، وأنظر أيضا: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج01، ج 01، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988، ص 331.
(3) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص 331.

لقد استطاع أزدمير باشا بعد تأسيسه لولاية الحبشة المنفصلة تماما عن ايالة مصر والتي ضم اليها جزء كبيرا من منطقة اريتيريا أو بلاد الصومال حاليا، كما اقتطع جزء كبيرا من الأراضي الحبشية ولصعوبة التحكم في كامل هذه الأقاليم الجغرافية المترامية الأطراف من ايالة مصر العثمانية، قرر الديوان العثماني انشاء ايالة الحبشة أو حبش وتعيين أزدمير باشا واليا عليها وكذلك قام الديوان العثماني بتعيين ابراهيم أوغلو أحمد غزان(1507م-1543م)، كحاكم على مملكة هرر المسلمة في بلاد الحبشة ذاتها والتي كانت تحت سيطرة العثمانيين كذلك، تجدر بنا الإشارة هنا الى أن سياسة العثمانيين في بلاد الحبشة كانت تهدف أولا الى دفع الأحباش نحو الداخل والبر وسحبهم من الساحل والمناطق المطلقة على مياه البحر الأحمر، من أجل تفادي أي احتكاك عسكري أو ديني أو تجاري يقع بينهم وبين حلفائهم من البرتغاليين[2].

كما لم يتوانى الحكام البرتغاليون في تقديم يد العون المادي والعسكري كذلك لملوك الحبشة النصارى من خلال ما كان يقدم الى ملوكهم منذ عهد الملك الحبشى دافيد الثاني(DAVID II) (1507م-1540م)، أين أصبحت بلاد الحبشة مركزا جديدا للصراع الإستراتيجي العثماني و البرتغالي الحبشي[3]، ما ترتب عليه من أحداث تاريخية جد هامة.

فبعد تسلم ملك الحبشة الجديد قلاديوس للدعم العسكري المرسل اليه من طرف حكومة البرتغال بلشبونة والمتمثل في عدد هائل من المدافع والبنادق عام 1541م، اضافة الى ذلك فان الجيش الحبشي تدعم بأجناد من البرتغاليين قدر عددهم بأربعمائة وخمسين جنديا بقيادة الدون كريستوفر دا غاما (DON Christopher DE Gama) [4]، هذا ما كان سببا مباشرا في انهزام القائد العثماني أحمد غزان وا إجباره كذلك على الانسحاب من جزء كبير في الأراضي الحبشية، اضافة الى قلة أجناده وعتاده الحربي من خلال امتلاكه لعشرين ضابطا من الفرسان الإنكشاريين ومدفعين حربيين فقط، ليسارع بعدها والي اليمن "**محمد باشا زاده**" و حاكم مدينة زبيد "**مصطفى باشا**" كذلك، الى ارسال الدعم العسكري والمتمثل في عشرة مدافع وتسعمائة جندي انكشاري من حملة البنادق اليدوية لكسب المعركة، حيث تمكن بعدها القائد

---

(1) أوزتونا، المرجع السابق، ص 331.
(2) نفسه، ص 332.
(3) نفسه، ص 332، وأنظر أيضا: جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية...، المرجع السابق، ص 131.
(4) ابراهيم محمد حسن، الإمام أحمد بن براهم ...، المرجع السابق، ص 188.

العثماني أحمد غزان من كسب المعركة لصالحه بعدما دار قتال عنيف بين الطرفين عام 1542م، وسميت هذه المعركة بمعركة:"**آفلا**"(**Afla**) وتذكرها بعض المصادر ب**:"وافلا"**[1]نسبة الى وادي آفلا أو وافلا الموجود بالمنطقة التي جرت فيها المعركة.

من بين نتائج معركة آفلا هي أسر القائد البرتغالي الدون كريستوفر دا غاما عام 1542م وقطع رأسه وا رسالها الى حاكم مدينة زبيد باليمن "مصطفى باشا"[2]، كما كانت نتائج هذه المعركة واضحة المعالم من خلال تقوية نفوذ العثمانيين سياسيا وعسكريا داخل بلاد الحبشة بشكل واسع جدا، حيث ألزمت الدولة العثمانية أهل الذمة هناك بدفع الضرائب السنوية إلى خزينة الدولة العثمانية باسطنبول[3]، كما خلف القائد أحمد غزان في ايالة الحبشة بعد استشهاده في احدى الغارات المسيحية ضد البرتغاليين والأحباش يوم 21 فيفري 1543م، الوزير عباس أحد أكبر قادة الإمام أحمد بن براهم[4] الى غاية تعيين الديوان العثماني للقائد السابق أزدمير باشا كوالي على بلاد الحبشة.

بعد الانتصار الذي حققه العثمانيون في بلاد الحبشة والسودان كان ضروريا على الديوان العثماني أن يستدعي القائد الجديد أزدمير باشا إلى اسطنبول في مهمة ثانية له هناك، ليتم ترقيته بعدها ويصبح أزدمير باشا هو المستشار السري الأول للسلطان سليمان القانوني في تسيير شؤون حكم إفريقيا وبلاد الحبشة، أين منحت له صلاحيات واسعة حيث بقي ازدمير باشا لسنوات عديدة دون أن يكلفه السلطان العثماني بأي مهمة رسمية، الى غاية عودته إلى تسيير شؤون بلاد الحبشة للمرة الثانية له أين عمل هنالك الى غاية وفاته في مدينة مصوع باليمن عام 1562م، عن عمر يناهز 62 سنة تاركا ورائه خليفة له وهو الوزير الأعظم أوغلو عثمان ابن أزدمير باشا[5].

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها نستنتج أن تحالف الإمام أحمد بن براهم مع العثمانيين كان سببا واضحا في نجاح المعارك التي خاضها ضد الأحباش والبرتغاليين، لكن تسريحه للجيش العثماني المرابط هناك واحتفاظه بمائتي جندي انكشاري فقط، يعد تقديرا خاطئا بالنسبة اليه وربما ذلك راجع الى

---

(1) ابراهيم محسن حسن، المرجع السابق، ص ص 184-185.
وأنظر أيضا: نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص 250.
(2) Castanhoso, op.cit, p.p. 61-70.
(3) أوزتونا، المرجع السابق، ص 332.
(4) نفسه.
(5) نفسه.

ظنه الخاطئ وتخوفه من الإمكانيات العسكرية التي يمتلكها الأتراك العثمانيون، ما يتيح لهم سهولة السيطرة التامة على بلاد الحبشة ثم ساحل شرق افريقيا[1].

كان من الأجدر على الإمام أحمد بن براهم أن يبرم تحالفا طويل المدى يضمن له سلامة المسلمين في بلاد الحبشة مثل التحالف العسكري الذي قام به الأحباش والبرتغاليون هناك، رغم أن بعض الكتابات التاريخية تؤكد لنا عدم وجود أي تحالف قام بين الإمام أحمد بن براهمو الدولة العثمانية سواء في الشؤون العسكرية أو السياسية ببلاد الحبشة، حيث يعد المؤرخ التركي "أورهنلو سينقيز" واحدا من بين أكثر من أكدوا لنا ذلك، مستندا في طرحه هذا على انعدام أي وثيقة تاريخية عثمانية تبين لنا شروط هذا التحالف من جهة[2].

ومن جهة أخرى يستند ويشكك "سينقيز" أيضا على أسباب تسريح الإمام أحمد بن براهم لآلاف الجنود العثمانيين الى مدينة زبيد باليمن، ابقائه فقط على مائتين منهم بعد انتصاره مباشرة في معركة أفلا ضد الأحباش والبرتغاليين عام 1542م[3]، إلا أن التحالف العثماني مع القادة المسلمين في سواحل شرق افريقيا يعد أمرا ضروريا جدا، تقتضيه الحاجة السياسية والعسكرية والدينية، خاصة بعد ادراك مسلمي شرق افريقيا لذلك، عند انهزام الإمام أحمد بن براهم منذ منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي[4].

والإشكالية المطروحة هي ما مدى استمرار العثمانيين في انتهاج سياسة الدعم العسكري مع حركات المقاومة المحلية في ساحل افريقيا الشرقية؟، وهل سينجح التحالف العسكري الديني بين الأحباش والبرتغاليين ضد العثمانيين ومسلمي شرق افريقيا، في ظل تزايد مطالب البرتغاليين بنشر المذهب الكاثوليكي في بلاد الحبشة على حساب العقيدة اليعقوبية للأحباش هناك؟.

---

(1) نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص 253.

(2) Cengiz Orhonlu, Habeş eyaleti Osmanh imparatorluğu'nun güney siyaseti, İstanbul Üniversitesi ,Edebiyat Fakültesi ,Yaymlar01, 1856, p. 24.

وأنظر أيضا: الصيرفي، نفسه، ص 253.

(3) IDEM.

(4) نفسه، ص 254.

ج/تحالف الإمام نور بن الوزير مع العثمانيين ضدالأحباش و البرتغاليين(1550م-1567م):

بعد استشهاد الإمام أحمد بن براهم حاول بعض قادته وعلى رأسهم الوزير عباس[*] اعادة تنظيم ما تبقى من أتباعه ببلاد الحبشة لتشكيل دولة اسلامية هناك، خلال ذلك كان الملك الحبشي قلاديوس منهمكا هو الأخر في تشكيل دولته وتنظيم جيشه في منطقة أجاي (Agay) الحبشية عام 1544م[1]، خلال شهر أكتوبر من نفس السنة ساق الملك قلاديوس جيشا ضخما الى الوزير عباس بهدف القضاء عليه وعلى قوته المتنامية، أين وقعت معركة عنيفة بين الطرفين في منطقة "واج" (Wag) حيث انتهت هذه المعركة باستشهاد الوزير عباس وهزيمة جيش المسلمين[2].

لقد انتهزت بعض القبائل الحبشية فرصة وفاة الإمام أحمد بن براهم والوزير عباس لتقوم بالتوسع على حساب أراضي المسلمين هناك، حيث أقدمت قبائل الغالا من جنوب الحبشة على الاستيلاء على الأراضي الخصبة للمسلمين، مستغلة في ذلك الفراغ السياسي والتفكك الذي أصاب مسلمي الحبشة خلال تلك الفترة[3]، أين يصف لنا صاحب كتاب "سيرة الحبشة" الحسن بن أحمد الحيمي[*] قبائل الغالا الشرسة فيقول:(**...أعلم أن هؤلاء الغالة أمة شديدة البأس متينة المراس كثيرة العدد بعيدة الأمد...فقد يبلغ عددهم نحو مائة ألف أو ما يوازي ذلك، ثم انهم مع هذا أهل قوة في أبدانهم وصبر على طول الأسفار واحتمال المضار...**)[4].

وتولى الإمام نور بن الوزير زمام الحكم والسلطة عام 1550م هي فترة الضعف السياسي والعسكري في مملكة هرر بالحبشة، في محاولة منه للإقتفاء خطى وأثر سالفه الإمام أحمد بن براهم فقام بتحصين

(*) الوزير عباس: تولى الوزارة في عهد الإمام أحمد بن براهم عام 1532م بعد استشهاد الوزير عدلي في موقعة السراوي ضد الأحباش، هو من بين أعظم قادة الإمام أحمد بن براهم شارك الوزير عباس في فتح معظم أرجاء بلاد الحبشة، للمزيد أنظر: عرب فقيه، المصدر السابق، ص ص 333-341.

(1) الصيرفي، المرجع السابق، ص 265.

(2) Castanhoso, op.cit, p. 120.

(3) الصيرفي، نفسه، ص 266.

(*) الحيمي: هو الحسن بن أحمد الحيمي صاحب كتاب سيرة الحبشة هو كتاب ألف بعد رحلة قام بها الحيمي في بلاد الحبشة بأمر من امام اليمن وحاكمها المتوكل على الله اسماعيل بن المنصور بالله القاسم بن محمد، عام 1647م بعدما كان يترأس سفارة كاملة لمقابلة الملك الحبشي "فاسيلاداس بن سوسينيوس" الذي حكم ما بين عام (1632م-1665م)، انتهت رحلة الحيمي عام 1649م أي دامت حوالي عامين كاملين، أنظر: الحسن بن أحمد الحيمي، سيرة الحبشة، تحقيق مراد كامل، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1658، ص ص 77-83.

(4) نفسه، ص ص 86،87.

المدينة بسور من أجل التصدي لهجومات قبائل الغالا، أين أطلق عليه المسلمون هناك لقب "صاحب الفتح الثاني"[(1)] تيمنا بصاحب الفتح الأول الإمام أحمد بن براهم.

خلال هذه الفترة بالذات لعب النزاع الديني بين الأحباش والبرتغاليين دور ا هاما في اضعاف التحالف العسكري البرتغالي الحبشي ضد مسلمي الحبشة والدولة العثمانية، حيث انشغل الملك قلاديوس بالنزاع الديني القائم مع البرتغاليين أين طالبه القادة البرتغاليون بتطبيق الإتفاق الديني المبرم بينهم و بين أبيه الملك لبنادجل و المتمثل في نشر المذهب الكاثوليكي في بلاد الحبشة، اعلان الملك الحبشي تبعية شعبه للكنيسة الرومانية مقابل استكمال المساعدات العسكرية البرتغالية هناك[(2)].

لكن تنصل الملك قلاديوس من كل الالتزامات الدينية التي أبرمها أبوه الملك لبنادجل مع ملك البرتغال عام 1540م، خصوصا بعد مطالبة الراهب بارموديز من ملك الحبشة تنصيبه رئيسا على كنيسة الحبشة و أن يسمح له أيضا بتنصيب جميع رجال الدين هناك، لكي يتمكن الملك قلاديوس من القضاء على قوة البرتغاليين هناك قام بإرسال الجيوش البرتغالية لمحاربة قبائل الغالا المتوسعة على حدود مملكته، ثم قام بعدها بسجن الراهب بارموديز بسبب كثرة مطالبه الدينية على الملك قلاديوس[(3)].

بعد ذلك قامت مملكة البرتغال بإرسال بعثة يقودها قونزالو رودريجو(Gonzalo Rodriguez) الى ملك الحبشة عام 1555م، من أجل التمهيد للسماح للرهبان اليسوعيين للذهاب الى الحبشة وتمسيح أهلها على تعاليم المذهب الكاثولتكي[(4)]، حيث قاد البعثة الكنسية من روما الراهب جواو نونيز بار يتو(Joao Nunez Barreto)، بعد مشاورة البابا يوليوس الثالث(LE PAPE JULIUS III) كذلك لجماعة اليسوعيين ورئيسها اغناطيوس دي ليولا(Ignatius Loyola)[(*)]، بعد وصول البعثة قام المبعوث رودريجو بتقديم الأخطاء الدينية للأحباش من وجهة نظر البرتغاليين مع تقديم اقتراحات

---

(1) فتحي غيث، المرجع السابق، ص ص 160-166، وأنظر: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 418، وأنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص 303.

(2) الصيرفي، المرجع السابق، ص 269.

(3) Castanhoso, op.cit, p.p. 208-210.

(4) عبد العزيز الشناوي، أوروبا...، المرجع السابق، ص ص 556.

(*) اغناطيوس دي ليولا: هو مؤسس حركة الجزويت Jesuits أو اليسوعيين بمدينة لشبونة البرتغالية عام 1540م، برعاية البابا بول الثالث(1534م-1539م)، هي عبارة عن مؤسسة ساعدها ملك البرتغال جواو الثالث(Joao III)، ليقنع البابا بروما بإرسال اليسوعيين لنشر المذهب الكاثوليكي في الهند وبلاد الحبشة، أنظر:عبد العزيز الشناوي، نفسه، ص ص 556-566.

لتصحيح عقيدتهم، حيث لقي المبعوث البرتغالي الإعتراض الشديد من الملك قلاديوس ورجال الدين الأحباش الذين أكدوا له بالحرف الواحد بأنهم يفظلون الدخول في تعاليم الدين الإسلامي على أن يغيروا عقيدتهم ليرتبطوا بعقيدة وتقاليد روما، كما حدثت مجالات دينية بين الطرفين حرر خلالها الملك قلاديوس وثيقة رسمية عرفت باسم "الإعتراف الديني لقلاديوس ملك الحبشة"[1]، لتعود البعثة البرتغالية الى لشبونة مرورا بميناء مصوع ومنها الى ميناء جوا بالهند ثم الى ميناء لشبونة بالبرتغال عام 1556م[2].

لم ييأس حكام البرتغال من محاولاتهم في اقناع الملك الحبشي قلاديوس حول قضية تعميم المذهب الكاثوليكي في بلاد الحبشة، أين قام ملك البرتغال جواو الثالث(Joao III) بإرسال بعثة أخرى للحبشة عام 1557م بقيادة الأسقف أندرو دي أفيدو(Andrew De Ovido)، كما قام نائب ملك البرتغال بالهند بتعزيز هذه البعثة بخمسمائة مقاتل من قاعدة جوا، لتبحر البعثة مجددا من ميناء جوا متجهة الى ميناء حرقيقو بسواحل البحر الأحمر بسبب أحكام العثمانيين لقبضتهم على ميناء مصوع بالحبشة[3]، بعد مناقشات طويلة بين البعثة البرتغالية ورجال الدين الأحباش لم ينجح أوفيدو من تغيير الأحباش عن مذهبهم وعقيدتهم، مع استمرار محاصرة العثمانيين لسواحل البحر الأحمر احتجزت هذه البعثة في بلاد الحبشة مدة طويلة، الى غاية أن توجهت للعودة الى ميناء جوا بالهند لكن القائد صفر باشا تمكن من أسر سفينة واحدة من أصل ثلاثة سفن برتغالية بقيادة بريرا كريستوفاو(Christovao Pereyra) [4].

<u>*النفوذ العثماني على ضفاف البحر الأحمر:</u>

لقد بدأ الأتراك العثمانيون مد نفوذهم الى السواحل الغربية للبحر الأحمر بعد ضمهم لمصر وبلاد الشام عام 1517م، أين ورث العثمانيون تركة مثقلة بالأعباء السياسية والعسكرية والدينية والتي في مقدمتها الدفاع عن الحرمين الشريفين مكة والقدس من الخطر البرتغالي المتربص بمياه البحر الأحمر والخليج

(1) توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 138.

(2) Jones and Monroe, op.cit. p.87.

(3) الصيرفي، المرجع السابق، ص 274.

(4) Sousa. F, op.cit, VOL 11, p.p. 198-199.

العربي، القضاء على التحالف الحبشي-البرتغالي الذي يهدف الى نشر المذهب الكاثوليكي بساحل شرق افريقيا بإرسال القساوسة والبعثات التبشيرية هناك[1].

بعد أن وضع العثمانيون أيديهم على ميناء سواكن في الساحل الغربي للبحر الأحمر وفتحهم لمصر، أرسل السلطان سليم الأول(1512م-1520م) قائده سنان باشا من أجل أن يضم ميناء سواكن تحت حكم العثمانيين بسبب كثرة موارده الإقتصادية والإستراتيجية وليجعل منه قاعدة عسكرية ومنطلقا للسفن العثمانية الى مياه البحر الأحمر، كما اتخذ العثمانيون من ميناء السويس بمصر قاعدة رئيسية للسفن الحربية[2]، قام سنان باشا بقيادة الأساطيل العثمانية نحو سواحل الحجاز ومحاربة البرتغاليين هناك، ذلك تحت اشراف وتنظيم الصدر الأعظم ابراهيم باشا وقابودان[*]مصر والسويس سلمان ريس عام 1524م.

ان استنجاد الإمام أحمد بن براهم بالدولة العثمانية للوقوف معه في وجه التحالف الحبشي البرتغالي الذي لم يحقق نتائج نهائية في حسم الصراع القائم لصالح المسلمين، لكنه نبه العثمانيين الى ضرورة التدخل العسكري الى جانب مسلمي الحبشة، مما جعل السلطان سليمان القانوني يأمر بتأسيس ولاية الحبشة التي ضمت كل من الموانئ الواقعة في الساحل الغربي للبحر الأحمر والمتمثلة في ميناء سواكن وزيلع وحرقيقو ومصوع ودهلك، التي حكمها أمير أمراء الحبشة بسواكن القائد أزدمير باشا[3].

<u>*الإستعداد العسكري العثماني:</u>

عاد القائد أزدمير باشا الى مصر من أجل تجهيز جيش قوي والتحالف مع الإمام نور بن الوزير ضد الأحباش والبرتغاليين عام 1555م، حيث تألف الجيش العثماني من ثلاثة ألاف جندي انكشاري وألف

---

(1) ابن اياس، ج 05، المصدر السابق، ص 125، وأنظر أيضا: نيقولا ايفانوف، المرجع السابق، ص 67.
(2) ليلى عبد اللطيف أحمد، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة شمس، القاهرة، 1978، ص 452.
(*) قبودان باشا أو قبطان باشا: هو وزير البحرية والقائد العام لقوات البحرية العثمانية إذ كان لكل ميناء عثماني في مصر قابودان، حيث وجد قابودان الإسكندرية وقابودان رشيد وقابودان دمياط والسويس...، كما أطلق على سلمان ريس اسم قابودان السويس ومصر كذلك، للمزيد أنظر: ليلى عبد اللطيف أحمد، نفسه، ص ص 452-453، وللمزيد أنظر كذلك: محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512م-1543م)، أطروحة دكتوراه، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 44، راجع أيضا:
ROBERT MANTRAN, Histoire de l'Empire Ottoman , Paris, Fayard, 1989.
(3) أبو القاسم يحي بن الحسين، أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1688، رقم 356، ص 02، أنظر: سيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ص 27-32، وكذلك: أحمد ابراهيم دياب، العلاقات بين جدة وسواكن، مقال من كتاب دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج 02، د ن، ص 207.

جندي من حملة البنادق وألف جندي متطوع، أين صرف للجنود العثمانيين مرتبات عالية لتحفيزهم على القتال، بعدها انطلق الجيش العثماني من ميناء السويس بمصر متجها نحو ميناء سواكن بساحل الغربي للبحر الأحمر(1)، ليحط القائد أزدمير باشا وجيشه رحالهم في مدينة سواكن أين كانت الإيرادات المالية المخصصة من أجل الإنفاق العسكري تصله من خزانة مصر، وواردات الجمارك في سواكن ومصوع وحرقيقو كذلك(2).

كما قام أزدمير باشا بتوطيد الأحوال الداخلية والأمور العسكرية للجيش العثماني ليتصل بعدها بالإمام نور بن الوزير المقيم بمملكة هرر، من أجل طلب مساعدته في تنظيم حملة عسكرية ضد الملك قلاديوس وحلفائه من البرتغاليين، أين وافق الإمام نور بن الوزير على هذا الطلب ورحب بهذا الدعم العثماني المقدم له خاصة وأنه استفاد من الدرس السابق، الذي حصل للإمام أحمد بن براهم بعد ارجاعه للقوات العثمانية الموجود بالحبشة الى مدينة زبيد باليمن(3)، ليقوم أزدمير باشا بعدها بضم ميناء مصوع وحرقيقو من أجل جعلهم كقواعد عسكرية للبحرية العثمانية عام 1557م، ثم توجه نحو منطقة دبارو أيضا وقام بتأسيس حامية عسكرية جديدة هناك، هو الشيئ نفسه الذي فعله في مدينة أجامي(Agame) التي أسس بها حامية عسكرية كذلك(4).

بعد وصول أخبار التحالف العسكري بين العثمانيين والإمام نور بن الوزير ومسلمي مملكة هرر للملك قلاديوس قام هو الأخر بتحصين مناطقه في مملكة الحبشة، ثم أمر قائده البحر نجش اسحاق ليتفرغ لمواجهة الأتراك والإمام نور بن الوزير مقابل أن يتوجه هو الأخر لمحاربة قبائل الغالا المتمركزة في مملكة بالي، ليتمكن القائد البحر نجش اسحاق من هزيمة الجيش العثماني والقائد أزدمير باشا في المعركة بمنطقة "بور"(Bur) عام 1557م ليتراجع بعدها أزدمر باشا وجيشه نحو مدينة سواكن(5)، خصوصا وأن القائد البحر نجش اسحاق قد تقدم مع جيشه نحو مدينة دبارو التي تمركزت بها الحامية العثمانية هناك وقام باسترجاعها وإخضاعها تحت سيطرة الملك قلاديوس.

---

(1) Orhonlu Cengiz, op.cit, p. 40.

(2) النهروالي، المصدر السابق، ص 120، وأنظر أيضا:

Orhonlu Cengiz, IDEM, p.p. 36-41.

(3) الصيرفي، المرجع السابق، ص 279.

(4) نفسه، ص 280.

(5) Trimingham, op.cit, p. 92. وأنظر أيضا: سيد رجب حراز، اريتيريا...، المرجع السابق، ص 30.

***موقعة فطجار وأبعادها السياسية والعسكرية:**

لقد واصل العثمانيون تمركزهم في سواكن وحرقيقو ومصوع الى غاية عام 1559م أين توجه الإمام نور بن الوزير مع الجيش العثماني المرافق له لمواجهة الملك قلاديوس في موقعة فطجار(fatjar)، التي انتهت بهزيمة الملك قلاديوس على يد جيش الإمام نور بن الوزير الذي اعتمد بصورة واضحة على الأسلحة الحربية والمدافع العثمانية، رغم أن المصادر العربية والعثمانية لم تورد لنا تفصيلا دقيقا عن كيفية التحالف وشروطه[1]، إلا أن حالة مملكة هرر التي يحكمها الإمام نور بن الوزير كانت جد منهكة اقتصاديا ما يعيق التسليح العسكري لجيش الإمام نور بن الوزير عام 1559م، في نفس هذه السنة توفي القائد أزدمير باشا في مدينة بندية، لم يشارك في معركة فطجار مع الإمام نور بن الوزير أين دفن بمصوع وعين مكانه ابنه عثمان بك[2].

بعد وفاة الملك قلاديوس اعتلى عرش السلطة في الحبشة النجاشي ميناس(minas) (1559م-1563م)، الذي دخل مباشرة في خلاف حاد بينه وبين قائد جيوشه البحر نجش اسحاق أين قرر البحر نجش اسحاق بعدها الإستقلال بسلطته لوحده، حيث توجه البحر نجش اسحاق مباشرة الى مدينة مصوع أين يتمركز الجيش العثماني بقيادة عثمان باشا بن أزدمير باشا(1561م-1567م)، ليطلب منه الدعم والمساندة مقابل تنازله لهم عن حكم منطقة دبارو والبلاد الواقعة بينهما وبين مصوع ليوافق عثمان باشا على طلبه هذا، تختلف الروايات التاريخية بعد نهاية المعركة التي دارت بين العثمانيين بمساعدة البحر نجش اسحاق وبين الملك ميناس عام 1562م، فهناك من يرجح فرضية انتصار العثمانيين على الملك ميناس وهروبه الى منطقة شوا وهناك طرف أخر يرجح فرضية هزيمة العثمانيين في المعركة ضد الملك ميناس[3].

---

(1) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 160، أنظر أيضا: الصيرفي، المرجع السابق، ص 280.

(2) النهروالي، المصدر السابق، ص 120، وأنظر كذلك: يحي بن الحسين، المصدر السابق، ص 129، وللمزيد راجع أيضا: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص ص 338-339.

(3) Jones and Monroe, op.cit. p.p. 90-91.

أنظر أيضا: السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ص 30-31، وغسان علي رمال، المرجع السابق، ص ص 311-312.

توفي الإمام نور بن الوزير عام 1567م بمملكة هرر بعد اصابته بوباء الطاعون(Le Peste)(*) الذي اجتاح منطقة هرر بسبب اغارة قبائل الغالا الشرسة عليها، الذين قاموا بإهلاك الزرع والضرع لتسود المجاعة المذهلة التي صنعت فراش الوباء الخطير مدة ثلاثة سنوات كاملة، ليكمل العثمانيون مهمتهم في الحفاظ على مواقعهم بساحل البحر الأحمر ومنطقة سواكن ومصوع(1).

بعد احكام العثمانيين لسيطرتهم البحرية على مياه البحر الأحمر وبحر العرب ومضيق عدن باليمن، لم يجد ملوك الحبشة من حل سوى الخضوع مجددا لنفوذ البرتغاليين وطلب يد العون منهم وهو ما حدث بعد أن راسل ملك الحبشة "سرصادنجل"(Sarsa Dengel)(1563م-1597م)، والذي واجه مشاكل داخلية كبيرة جدا من تمرد قائد جيشه البحر نجش اسحاق وثورة قبائل الغالا المتوحشة ضده وثورة قبائل يهود الفلاشة وهدية، ما أجبره على ارسال رسالة الى ملك البرتغال الدوم سيباستيان(Dom Sebastian)(1557م-1578م)، يطلب منه فيها مده بيد العون وذلك بإرسال خمسمائة جندي برتغالي لإعانته من أجل الوقوف في وجه التقدم العثماني الذي يزحف نحو سواحل الحبشة، لكن ملك البرتغال

(*) الطاعون: أصطلح عليه في التاريخ العتيق باسم "Pestis" فهذه الكلمة لا تعني دائما مرض الطاعون حيث أن أغلب الآفات المتسببة في ارتفاع عدد الوفيات كانت تسمى باسمه دون التحقق من اثبات صحة ذلك، بذلك أطلق القدماء تسمية الطاعون على كل مرض أو وباء يتسلط عليهم، قد أثبتت الدراسات الديمغرافية كذلك وجود الطاعون في شمال افريقيا والشرق الأوسط، حيث يثبت لنا المؤرخ أرنولي (ARNOULET) كذلك وجود الطاعون في ضفاف البحر المتوسط والشرق الأوسط وشمال افريقيا، بسبب التواصل التجاري والتعامل الإقتصادي الذي عرفته شعوب هذه المناطق التي مارست الأنشطة البحرية كالتجارة أو القرصنة، للمزيد حول وباء الطاعون أنظر:

F. ARNOULET, « Epidémiologie du bassin Méditerranéen aux XVII et XIX, Siécles »: communication présentée 7é symposium international d'études ottomanes sur la société et l'Etat dans le Monde Ottoman publiée in R.H.M, Zeghouan, TUNIS, Sept 98, p.17-18.

وحول وباء الطاعون أنظر أيضا: فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518م-1871م)، أطروحة دكتوراه دولة، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص ص 56-57-58، وأنظر المداخلة الدولية المنشور بجامعة كوتاهية بتركيا عن:

FELLA MOUSSAOUI. EL KECHAAI, <<de l'Algérie Ottomane a' l'Algérie sous occupation française le fait sanitaire et démographique (1515-1881)>> , symposium international sur les relation historiques et culturelles Algéro-Turques (ULUSLARARASI YILLIK AFRIKA KONGRESI 01 OSMANLI D'AN GUNUMUZE TURKIYE CEZAYIR ILISKILERI) , Université d'Istanbul, 27 décembre 2011).

وأنظر كذلك: أ.السعداوي، "المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط: النتائج الديمغرافية"، قسم التاريخ، كلية الأداب بمنوبة، تونس، 1993، ص 27.

(1) Trimingham, op.cit, p.p.93-94.

وأنظر أيضا: جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 132، وكذلك: يوسف أحمد، الإسلام في الحبشة، مطبعة حجازي، القاهرة، 1935، ص ص 38-39.

رفض طلبه بسبب رفض الأحباش للدخول في مذهب العقيدة الكاثوليكية للبرتغاليين، رغم ما قدمته البرتغال سابقا من أجل تحقيق ذلك[1].

كما قام الملك الحبشي كذلك بطلب العون العسكري من ملك اسبانيا فيليب الثالث(Philip III) وذلك من خلال ارساله لعمال فنيين لصناعة السفن البحرية والبنادق والمدافع، مقابل السماح له بنشر المذهب الكاثوليكي في بلادهوا إرسال البعثات التبشيرية كذلك، لكن سيطرة العثمانيين على مياه البحر الأحمر وموانئ مصوع وحرقيقو وسواكن، حال دون تمكن أي سفينة دعم برتغالية كانت أو اسبانية من الوصول الى بلاد الحبشة منذ عام 1557م[2]، حيث عرقل الأتراك العثمانيين أغلب المحاولات التبشيرية البرتغالية والإسبانية التي أرادت للوصول للحبشة سواء كانت جماعية أو فردية، مثل ما حدث للمبشر الإسباني بيتر بايرز (Peter Peaz) عام 1603م بعد أن اكتشف العثمانيون أمر تنكره بزي تاجر عربي ليتم سجنه بعدها في ولاية اليمن، الى غاية تمكن العمانيين اليعاربة من طرد البرتغاليين نهائيا من بلاد الحبشة والقضاء على بعثاتهم التبشيرية عام 1697م[3].

في هذا السياق تجدر بنا الإشارة الى أن مملكة هرر هي مصدر الحركات الانفصالية ضد مملكة الحبشة في ساحل شرق افريقيا في القرن السادس عشر للميلاد، هي من قدمت الإمام أحمد بن براهم ونور بن الوزير اللذان حاربا البرتغاليين والأحباش، بعد وفاة الإمام نور بن الوزير خلفه ابن للأحد العبيد الأحباشو الذي اعتنق الإسلام وتقلد مناصب عسكرية عديدة وهو محمد الرابع بن عثمان، حيث تحالف مع العثمانيين هو الأخر ضد الملك الحبشي سرصادنجل في عام(1572م-1573م).

أين جهز الطرفين جيشا لمحاربة الأحباش لكن وقوع الملك محمد الرابع في الأسر خلال المعركة التي جرت أمام نهر ويبي(Webi) كان سببا مباشرة في خسارة مملكة هرر، بذلك كانت نهاية أخر حلقات

---

(1) الصيرفي، المرجع السابق، ص 286.
(2) نفسه.
(3) Budge. Wallis, History of Ethiopia Nairobi and Abyssinia, Volume I, London, 1928, p.p. 373-377.
أنظر أيضا: عبد الرحمان زكي، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ص 49، وراجع أيضا: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص ص 312-313.

المقاومة المحلية في ساحل شرق افريقيا خلال مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي[1]، لتنتقل مهمة محاربة البرتغاليين على عاتق العثمانيين لوحدهم في مياه البحر الأحمر ومضيق عدن والخليج العربي، لمواجهة الخطر الصليبي و أرمادته البحرية القوية.

(1) الصيرفي، المرجع السابق، ص ص 287-288، أنظر أيضا كل من: فتحي غيث، المرجع السابق، ص ص 168-169، و راجع أيضا:

Budge, op.cit, p.p. 364-365, and Look: Trimingham, op.cit, p.p. 95-97.

الفصل الثاني:

سياسة التحالف العثماني مع القوى المحلية في ساحل افريقيا الشرقية ونتائجها خلال القرن 16م.

***أهمية الموقع الجيو -اقتصادي(Géo- Economique) لساحل شرق افريقيا:**

ان ادراك العثمانيين للأهمية الإقتصادية الموجودة في ساحل شرق افريقيا جعلتهم يركزون جهودهم العسكرية لحمايته، فبعد تمكنهم من اغلاق مدخل البحر الأحمر والخليج العربي في وجه البرتغاليين لكنهم واجهوا صعوبات كبيرة في محاربتهم هم وحلفائهم من الأحباش في البر الإفريقي، بسبب قسوة المناخ وصعوبة تضاريس السطح الوعرة الى غاية قيامهم بانتهاج سياسة الدعم المحلي لمسلمي ساحل شرق افريقيا والتي أعادت الكفة نوعا ما لصالح العثمانيين.

حيث تعتبر الموانئ التجارية في شرق افريقيا كسواكن ومصوع وحرقيقو وزيلع ودهلك ذات أهمية بالغة للتجارة الإسلامية من والى موانئ السويس بمصر وميناء عدن باليمن وميناء هرمز بالخليج العربي وميناء جوا بالهند، التي تضررت كلها نتيجة الغارات البرتغالية عليها برا وبحرا حيث عرفت قبل ذلك ازدها ا لتجارة الذهب والعاج والرقيق ... الخ، ما أوجب على العثمانيين ان هم أرادوا احكام سيطرتهم على تجارة موانئالسويس واليمن وهرمز و الهند التحكم في تجارة شرق افريقيا كذلك، ذلك بتأمين طرقها برا وبحرا وقطع الطريق أمام البرتغاليين وحلفائهم من الأحباش هناك.

ان انشاء العثمانيين لولاية الحبشة تحت قيادة أزدمير باشا بين عامي(1554م-1555م) التي كان لها الفضل الأول في تسهيل مهمة الأتراك العثمانيين هناك، ما يدل على بعد نظر القائد أزدمير باشا الذي قدم خلال خمس سنوات كاملة حكاكم للإيالة الحبشة، انجازات عظيمةسياسيا واقتصاديا و عسكريا من خلال فتوحاته العسكرية وتأسيسه لحاميات عثمانية هناك وتنظيمهالإدارة ونشر ه للدين الإسلامي وبنائه للمساجد وتعميمه للثقافة العثمانية والنظم المدنية والحضارية، حيث كان تحت امرته 20 ألف جندي انكشاري و06 ألاف جندي متطوع [1].

والإشكالية المطروحة في هذه المحطة التاريخية تتمحور حول التساؤل التالي: ما هي الإستراتيجية التي سينتهجها العثمانيون اتجاه القوى المحلية في ساحل شرق افريقيا؟ هل ستنجح هذه السياسة في وقف سيطرة البرتغاليين على بلاد الحبشةسياسيا و عسكريا واقتصاديا و دينيا؟.

---

(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 338.

***سياسة التحالف العسكري -السياسي مع القوى المحلية:**

بدأت سياسة العثمانيين في ساحل شرق افريقيا عموما وبلاد الحبشة خصوصا التي هي مصدر النزاع الدائم بين المسلمين والأحباش بانتهاج استراتيجية الدعم العسكري في البداية مع الإمام أحمد بن براهم، لتتطور فيما بعد وتنتقل الى مرحلة التحالف العسكري و الدعم المادي والبشري، بداية من تحالف العثمانيين مع الإمام نور بن الوزير حاكم مملكة هرر، أين أمدوه بالأسلحة والجنود المدربين لمواجهة غريمهم في الحبشة الملك قلاديوس عام 1559م، حيث انتصر الإمام نور بن الوزير والعثمانيين ضد هذا الملك في معركة آفلا الشهيرة[1].

كما استغل العثمانيون مرحلة نشوب الصراع العسكري-السياسي بين الملك الحبشي "ميناس" وبين "البحر نجش اسحاق" قائد الجيوش الحبشية والذي قام بإعلان تمرده على ملكه ميناس، حيث دخل العثمانيون هذا الصراع بالتحالف أيضا مع القائد الحبشي "البحر نجش اسحاق" لهزيمة الملك "ميناس" في موقعة "وجرا" عام 1561م، حيث أضعف تدخل العثمانيين موقف الملك "ميناس" خصوصا بعد انهزام الإمام نور بن الوزير وتراجع روح التمرد في مملكة هرر المسلمة، لكن هزيمة القائد "البحر نجش اسحاق" كذلك دفعته الى الهروب نحو مملكة مصوع أين تحالف هذا الأخير مع القائد عثمان باشا بن أزدمير حاكم ايالة الحبشة، من أجل أن يساعده على استرجاع ملكه مقابل تنازله لهم عن منطقة دبارو والمناطق المجاورة لها بين مصوع أيضا[2].

وبفضل هذه الإستراتيجية العثمانية المتمثلة في سياسة التحالف العسكري-السياسي مع القائد "البحر نجش اسحاق" تمكن هذا القائد من استرجاع ملكه المسلوب منه ليعاود ثورته ضد الملك الحبشي الجديد "سرصادنجل"(1572م-1573م)، كما تحالف العثمانيون أيضا مع ملك هرر "محمد الرابع" عام 1577م ضد الملك الحبشي "سرصادنجل" في معركة ويبي(Webi)، التي انتهت بخسارة مسلمي هرر وقتل الملك "محمد الرابع"[3].

---

(1) نوال الصيرفي، المرجع السابق، ص 306.
(2) نفسه، ص 306.
(3) Budge, op.cit. p.p. 364-365. وأنظر أيضا: فتحي غيث، المرجع السابق، ص ص 168-169.

كما تحالف العثمانيون مجددا مع حليفهم الجديد في الحبشة "البحر نجش اسحاق" عام 1578م، ليزودوه بالأسلحة والمدافع الحربية مع قيادة عثمانية خالصة يترأسها بكلربك(*) الحبشة "أحمد باشا" مع الجنود الإنكشاريين المدربين في ساحات المعارك الحربية، أين تقابل الجيشان في منطقة عدى كورو(Addi Qorro)، أما الجيش الحبشي فقاده كل من القائدين "تكلا جيورجس"(Takla (Giyorgis و القائد دحارجوت(Daharagot)، حيث تمكنت المدفعية العثمانية من التغلب على الجيش الحبشي في بداية المعركة فقط، لتتحول موازين القوى فيما بعد ويتمكن الأحباش من قتل القائد البحر نجش اسحاق ثم القائد أحمد باشا بعد معارك طويلة، حيث فر الجيش العثماني مع جيش اسحاق الى مدينة سواكن ومصوع(1)، خلال ذلك كان الملك سرصادنجل قد اقتحم قلعة دبارو وأمر جنوده بنهب ما تحتويه القلعة من بنادق وأسلحة ومدافع وسيوف وكل الأسلحة الحربية الوجودة فيها.

لتسند بعدها مهمة قيادة البحرية العثمانية والجيش العثماني في ولاية الحبشة للقائد العثماني الجديد "خضر باشا" عام 1579م، حيث حاول خضر باشا اعادة ما خسره العثمانيون من مناطق داخل بلاد الحبشة فأعاد فتح دبارو وبناء الحامية العثمانية التي هدمها الأحباش هناك، تكمن خضر باشا أيضا عند مهاجمة للملك الحبشي سرصادنجل لكل من حرقيقو ودبارو من الحاق الهزيمة النكراء بالقوات الحبشية عام 1580م(2).

ليرسل الديوان الهمايوني(*)في تاريخ 26 شوال سنة 987 هجرية الموافق لعام 1579م تفويضا من السلطان العثماني مراد الثالث(1574م-1595م)ابن سليم الثاني لأمير الحبشة الجديد خضر باشا ينص

(*) بكلربك: أي أمير الأمراء أو بايلرباي وهو لقب يعني سيد السادة يطلق على أعلى مناصب الدولة العثمانية حيث أطلق على خير الدين بربروس بايلرباي الجزائر وإفريقيا، أي ملك ملوك الجزائر وإفريقيا، أنظر: محمود عامر، <<المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية>>، مجلة دراسات تاريخية، السنة 2012، العدد 117- 118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، ص 371.

(1) Budge, IDEM. p.p. 365-366, and Look: Orhonlu Cengiz, op.cit, p.p.50-60.

أنظر أيضا: السيد رجب حراز، ارتيريا الحديثة، المرجع السابق، ص 31، وكذلك: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص ص 315-316.

(2) السيد رجب حراز، نفسه، ص 32.

(*) الديوان الهمايوني: وباللغة التركية ينطق Divan-I Humàyun وهو المجلس الذي يجتمع لرعاية شؤون الدولة العثمانية والمنعقد برئاسة السلطان والصدر الأعظم، وكان يتشكل من أصحاب المقامات الرفيعة وتصدر قراراته باسم السلطان بصورة فرمانات فهو دائرة حكومية مرموقة في الدولة، وظيفتها مناقشة القضايا السياسية والإقتصادية و العسكرية و الدينية والمالية...الخ، وهو يشبه حاليا مجلس الوزراء، أنظر: نورة بنت عبد الله هلال البقمي، الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية دراسة تاريخية حضارية(1421م-1922م)، رسالة ماجيستار، جامعة أم القرى، كلية=

فيه على تعيينه في منصبه الجديد كحاكم لولاية الحبشة، ذلك لما بذله هذا الأخير من اخلاص للسلطان العثماني "مراد الثالث" ومحاربة لأعداء الإسلام والانتصار عليهم، حيث جاء في مضمون هذه الرسالة الموجودة في الدفاتر المهمة(*)ما يلي:(**... والآن جاء أيضا خطاب من أمير أمراء اليمن مراد باشا دام اقباله أعلمك فيه بذلك السعي و الإهتمام الزائد في خدمتي الهمايونية وبناء عليه فقد أبديت مزيد عنايتي السلطانية في قبول خدماتك التي أظهرتها في هذا الخصوص وأحسنت عليك في يوم 24 شوال سنة 987هـ بإمارة أمراء الحبش وأمرت بالأتي: عندما يصلك حكمي عليك أن تباشر بموجب فرماني كأمير أمراء على الولاية المذكورة حيث ينبغي عليك بذل الهمة والسعي في اظهار الحماس الديني والقيام بمهام حمايتها وحراستها وأن ترسل الي رسولك لإبلاغي بأحوال الحبشة**)[1].

وبعد وفاة القائد العثماني خضر باشا عين الديوان العثماني خلفا له القائد مصطفى باشا لولاية الحبشة عام 1586م، حيث أرسل السلطان العثماني مراد الثالث رسالة اليه يأمره فيها بمراسلة والي مصر من أجل دعمه بالأسلحة والجند[2]، أين تحالف مصطفى باشا والي الحبشة مع البحر نجش والد عزوم(Wald Ezum)، حيث استدعى والد عزوم القوات العثمانية من أجل محاربة جيش الملك الحبشي "سرصادنجل" بقيادة القائد "دحار جوت" في اقليم التجراي، حيث انتهت المعركة بهزيمة قوات الملك "سرصادنجل" وتراجعهم الى المناطق الداخلية، رغم ملاحقة القوات الحبشية لفلول الجيش العثماني

الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، المملكة العربية السعودية، 2015، ص 23، وأنظر كذلك: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محسن بركات، ط 01، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص 119.

(*) الدفاتر المهمة:هي مجموعة الدفاتر التي تسجل فيها أهم الفرمانات(Firman)السياسية والعسكرية والإجتماعية المتعلقة بالمسائل الداخلية والخارجية التي كان يتم تذاكرها في اجتماعات ديوان الهمايون الذي يشبه مجلس الوزراء في الوقت الحاضر، ويوجد في الأرشيف العثماني حالياً 263 دفتراً من هذه الدفاتر تتعلق بالفترة الممتدة بين 962هـ الموافق 1553م إلى 1323هـ الموافق لـ 1905م، والفرمان هو أهم أنواع الوثائق العثمانية فهو يصدر بإسم السلطان و يتضمن الأوامر الواجب تنفيدها من قبل الحكام الموجهة إليهم والفرمان نوعان: الفرمان الصادر عن الديوان الهمايوني والفرمان الصادر عن دائرة المالية، وتوجد أغلب الفرمانات الصادرة عن الديوان الهمايوني في تصنيف "دفاتر المهمة" المحفوظة بالأرشيف العثماني بإسطمبول، بخصوص الأرشيف العثماني راجع: عبد الرحمن المؤذن و عبد الرحيم بن حادة، العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، ط 01، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرباط، د ت، ص ص 35-71.

(1) دفتر الأمور المهمة، الوثيقة 32-39، الحكم 114، التاريخ 26 شوال 987 هـ، الموافق لعام 1579م، ص 111، نقلا عن: محمد محمود خليل، وثائق بحرية عن قبودان السويس والدور العثماني في مواجهة البرتغاليين، ج 01، د ن، د ت، ص 111.

(2) دفتر الأمور المهمة، نفسه، الوثيقة 60، الحكم 580، التاريخ 26 جمادى الأول 994 هـ، الموافق لعام 1586م، ص 99.

الهارب نحو قلعة حرقيقو، لكن قوة التحصينات العسكرية للقعلة وطلقات المدفعية العثمانية المتواصلة ساهمت بشكل كبير في انتصار العثمانيين وحلفائهم[1].

لم تكن الإمكانيات البشرية والمادية كافيه للعثمانيين خلال هذه الفترة بسبب انشغالهم بحروب كثيرة في أوروبا الشرقية[2]، ما دفعهم الى تطبيق سياسة الصلح تحت مبدأ المصلحة المتبدالة وهو ما كان من خلال ارسال مصطفى باشا لمبعوثه "هداوردي باشا"(1589م-1594م) الى الملك الحبشي سرصادنجل يحمل رسالة معه لعقد الصلح بينهما، حيث قبل الطرفان بالهدنة والصلح أين استغل الملك الحبشي الفرصة للتفرغ والقضاء على خصمه البحر نجش ولد عزوم[3].

من خلال المقاربة التاريخية في فصول هذا البحث نلاحظ ما يلي: ان البرتغاليين لم يستطيعوا خلال هذه الفترة الزمنية التي قاربت النصف قرن، أي منذ تأسيس العثمانيين لإيالة الحبشة على يد أزدمير باشا عام 1554م الى غاية عام 1594م من امداد حلفائهم الأحباش بما يلزمهم من الأسلحة الحربية أو الجنود لمواجهة الوجود العثماني هناك، عكس ما فعله العثمانيون مع خصومهم من تقديمهم للدعم العسكري الواجب لقادة المقاومة في بلاد الحبشة، الذين تحالفوا معهم ضد ملوك الحبشة النصراى، كما لاحظنا كذلك تراجع البعثات التبشيرية للبرتغاليين في بلاد الحبشة خلال هذه الفترة الزمنية، بحيث تعتبر بعثة الراهب أفيدو(PRETRE OVIDOU) أخر بعثة برتغالية في بلاد الحبشة.

ولقد كتب الراهب أفيدو الى ملك البرتغال سيباستيان(1557م-1578م) ابن الملك جواو امانويل عام 1563م والى البابا بيوس الرابع(Pius IV)(1559م-1565م) رسالة يحذرهما فيها من مغبة الحصار الذي فرضه العثمانيون على الأحباش والبرتغاليين هناك[4]، أن زوال ممتلكات البرتغال في بلاد الحبشة

---

(1) Budge, op.cit. p.p. 366-368.

(2) حول اشكالية الحروب العثمانية في أوروبا الشرقية أنظر:
GILLES VEINSTEIN, Les Ottomans Variations sur une société d'Empire, Paris, EHESS, 2017, p. 262.

(3) Budge, IDEM. p.p. 370-371.

(4) KAMMERER ALBERT, La Mer Rouge l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité : Essai d'histoire et de géographie historique, vol 2, tome 01, Le Caire, 1949, p.p. 287-298.

مقرون بزوالها في الهند كذلك[1]، حيث أصبحت عودة أفيدو الى الهند مستحيلة في نظره بسبب قوة الحصار البحري للعثمانيين على طول سواحل البحر الأحمر.

كما تجدر بنا الإشارة أن عقد المبعوث العثماني "هداوردي باشا" للصلح مع الأحباش ساهم في ايقاف الحملات البحرية والبرية بالحبشة وساحل شرق افريقيا كذلك، بسبب الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية عسكريا وماديا أين وجدت الدولة العلية بأن خسائرها قد تضاعفت هناك، بعد عدم تحقيقها للنتائج المرجوة في بلاد الحبشة بإضافة الى انشغالها المتواصل من جهة أخرى نحو أقطارها المترامية في شرق أوروبا وشمال البحر الأبيض المتوسط، كما أحدث مقتل الصدر الأعظم "صوقللي محمد باشا"[*](1506م-1579م) عام 1579م، الذي يعتبر من بين أعظم رجالات الدولة العلية سببا أخر في حدوث الإضطرابات السياسية داخل أجهزة الدولة.

فقد اعتلى صوقللي محمد باشا مركز الصدارة العظمى منذ عام 1565م ما يعادل أربعة عشر سنة كاملة، حيث تعاقب على منصبه المئات من الصدور العظام ما بين عامي(1579م-1807م) الذين يقدر عددهم ب:148 وزير أعظم خلال 242 سنة، فلم ينجح أغلبهم في تسيير شؤون الدولة العثمانية خلالفتر ات حكمهم بالإضافة الى استمرار الحركات الإنفصالية داخل أقاليم الدولة العثمانية في شرق أوروبا، تنامي الحركات التمردية للجيش الإنكشاري داخل وخارج الولايات العربية منذ عام 1586م[1].

---

(1) Stripling George W.F, op.cit. p. 96.

(*) صوقللي محمد باشا: هو من بين كبار رجالات الدولة العثمانية تدرب منذ صغره تحت قانون نظام الدفشرمة أو ضريبة الدم ليترقى بعدها في الجهاز العسكري للدولة، ويصبح قائدا للبحرية العثمانية ليقود صوقللي محمد باشا البحرية العثمانية بعد وفاة خير الدين بربروس عام 1546م، أين ساهم في تطوير الجهاز البحري وتحرير سواحل طرابلس من قبضة فرسان مالطة بقيادة طورغوت ريس، ثم رقي بعدها الى مرتبة سياسية وهي الصدارة العظمى في الدولة العثمانية، لحسن قيادته ولكفاءته العالية في التواصل حيث يتقن صوقللي محمد باشا العديد من اللغات بداية من اللغة الصربية اللغة الأم الى التركية والعربية والفارسية واللاتينية، كان الصدر الأعظم صوقللي يتلقى راتبا سنويا يفوق رواتب ملوك أوروبا والذي يتعدى المليون سكة ذهبية، هو من بين أهم الشخصيات التي أدارت دواليب الدولة بعد وفاة السلطان سليمان القانوني وتوفي الصدر الأعظم صوقللي محمد باشا مقتولا في قاعة الديوان العثماني بالباب العالي عام 1579م، بتحريض وتدخل من زوجات السلاطين العثمانيين في عهد السلطان مراد الثالث من أجل ابعاده عن تسيير شؤون الحكم والسلطة، للمزيد أنظر: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، مج 01، ص 431، وكذلك راجع: كريم عبد المجيد، عثمانيون وسلفيون "حركة قاضي زاده بين محاربة التصوف والعودة الى عهود السلف"، مركز نماء للبحوث والدراسات، د ت، ص 05، للمزيد من المعلومات التاريخية حول الصدر الأعظم صوقللي محمد باشا أنظر: أرشيف قصر توبكابي سراي باسطنبول(ARCHIVES TOP KAPI SERAY ISTANBUL).

(2) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، منشورات دار الثقافة، القاهرة، 1976، ص ص 88-89، أنظر أيضا: سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية: النشأة والازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الأداب، القاهرة، 2007، ص ص 335-395، وراجع أيضا: عبد=

كل هذه الظروف السياسية والعسكرية التي سبقذكر ها ساهمت في تغيير العثمانيين لإستراتيجياتهم في بلاد الحبشة خاصة ومنطقة ساحل شرق افريقيا عامة، منذ منتصف القرن السادس عشر للميلاد من خلال انتقالهم من سياسة التحالفات الداخلية تحت قيادة عثمانية مع الزعماء المحليين، الى سياسة الإدارة المحلية التي يقودها الزعماء المحليين أنفسهم بإدارة لامركزية للعثمانيين هناك، حيث أسندت مهام ادارة موانئ مصوع وحرقيقو الى زعماء قبيلة "البللو" وهي قبيلة من قبائل البجاء تمركزت بإقليم السمهر (Samhar)، الذي يضم مصوع وحرقيقو الى غاية حدود الهضبة الحبشية و أطلق على قبيلة البللو كذلك اسم أسرة النواب[1].

أين شغلت هذه القبيلة ادارة منصب نائب الحكومة العثمانية في الساحل الشرقي لإفريقيا، حيث كان مقر "نائب البر" في ميناء حرقيقو الذي كان يخضع بدو ه لولاية جدة ويتم تعينه من قبل الحاكم العثماني بجدة عن طريق فرمان يرسل اليه، من بين مهام نائب الإدارة العثمانية في مصوع وحرقيقو أيضا هو جمع الضرائب والإيرادات المالية وتحصيل الزكاة في كامل اقليم السمهر، اضافة الى جمع رسوم المرور للقوافل المتجهة الى الهضبة الحبشية والقادمة منها وحل النزاعات حول مناطق الرعي بين القبائل[2].

من خلال ما سبق ذكره يمكننا القول بأن السلطة الفعلية في ساحل شرق افريقيا قد انتقلت من أيدي العثمانيين الى نواب البر المحليين، بينما تحولت سلطة العثمانيين هناك الى سلطة اسمية وشكلية فقط مع بداية القرن الحادي عشر للهجر ي السابع عشر الميلادي، الإشكالية المطروحة هي ما أحوال امارات الخليج العربي و الساحل العماني بسبب سياسة الغزو البرتغالي هناك، خصوصا قبل توجه العثمانيين لدعم هذه القوى المحلية ما بين عام (1521م-1529م)؟.

الجليل التميمي، <<مظاهر الاضطراب والإستقرار في الدولة العثمانية من خلال التعيين والتنحية في الوظائف العليا مثل الصدارة العظمى >>، سلسلة الآثار العثمانية، السلسلة 02، السنة 1999، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، زغوان، ص 06.

(1) نوال الصيرفي، المرجع السابق، ص 311، أنظر: سيد رجب حراز، المرجع السابق، ص ص 32-34.

(2) نفسه، ص 34، وأنظر: Trimingham, op.cit, p. 98.

الفصل الثالث:

الثورات الخليجية ضد سياسة الغزو البرتغالي في المنطقة دوافعها وتداعياتها عام(1521م-1529م):

أ/الثورات الخليجية المحلية أسبابها وظروفها.

ب/تمردات المحومين بالخليج العربي(هرمز -البحرين -صحار -قلهات -مسقط-القطيف)عام 1521م:

-التمرد في هرمز عام 1521م.

-التمرد في البحرين عام 1521م.

-التمرد في صحار عام 1521م.

-التمرد في قلهات عام 1521م.

-التمرد في مسقط عام 1521م.

-التمرد في القطيف عام 1521م.

ج/الخليج العربي وأحداث عام 1522.

د/الخليج العربي وأحداث عام 1523م.

ه/الخليج العربي و أحداث عام 1526م.

و/الخليج العربي و أحداث البحرين عام 1529م.

أ/الثورات الخليجية المحلية دوافعها وظروفها:

كانت امارات الساحل العماني مثل قلهات وصحار وخورفكان تابعة سياسيا الى مملكة هرمز البرتغالية بالخليج العربي[1]، تدفع كلها اتاوات سنوية اليها حيث تدفع قلهات سنويا ألف ومائة دينار أشرفي، بينما تدفع مسقط أربعة ألاف أشرفي و تدفع خورفكان وصحار ألف وخمسمائة دينار أشرفي لكل واحدة منهما، ويرجع سبب هذا الإختلاف في دفع الإتاوات الى مملكة هرمز البرتغالية حسب حجم الإيرادات السنوية التي تجبيها هذه المدن الخليجية من موانئها ومراكزها التجارية[2].

لم يكتفي البرتغاليون في منطقة الخليج العربي بهذا الإستنزاف المالي والضريبي فقط مع سكان الخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر للميلاد[3]، بل تعدوه الى التعذيب الوحشي وجذع الأنوف والممارسات الهمجية ضد السكان العزل والنساء والأطفال، تقطيع الأسرى من أوصالهم وقطع آذانهم وحرق المساجد والمدن بعد استباحتها من طرفهم، سلبها ونهبها ما قابله كره شديد ومقت من طرف سكان الخليج الرافضين لكل أشكال الإستعباد والإهانة[4]، الإشكالية المطروحة في هذا السياق هي ما أسباب وظروف التمردات الخليجية ضد الغزو البرتغالي في النصف الثاني من القرن 16م؟.

***العوامل المتحكمة في نشوب التمردات المحلية وأثر الثقل الجبائي:**

لقد بدأت بوادر هذه الثورات الخليجية المحلية من مدينة قلهات عام 1519م بقيادة حاكمها شهاب الدين الذي رفض سياسة البرتغاليين الضريبية، سيطرتهم على الموارد التجارية فيها وانتهاجهم لطرق تعسفية في جمع الأموال، الأمر الذي جعل حكومة البرتغال تستنجد بدعم عسكري للقوات البرتغالية المتواجدة في موزنبيق بإيعاز من السلطات الحاكمة بلشبونة، من أجل القضاء على الثورة في قلهات[5].

---

(1) أصبحت جزيرة هرمز عاصمة لإمبراطورية التجارة في الخليج العربي شملت جزء كبير من جزيرة العرب وبلاد فارس من جهة أخرى، حيث كان التجار يتوافدون اليها من كامل مناطق العالم، أنظر: ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص 193.
(2) زين الدين الميليباري، المصدر السابق، ص 262.
(3) مايلز س- ب، المرجع السابق، ص ص 175-179.
(4) للتفصيل عن وحشية الغزو البرتغالي وسياسة ألبوكيرك القمعية راجع: نايف محمد حسن الأحبابي، الموقف العربي والإقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج، رسالة ماجيستار(غير منشورة)، كلية الأداب، جامعة بغداد، العراق، 1988، ص 20.
(5) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 291.

إلا أن هذا الدعم البرتغالي الموجه لكبح الثورة في قلهات لم يتمكن من ذلك بعد أسر الحاكم شهاب الدين لواحد وعشرين برتغالي، الأمر الذي أدى الى تدخل نائب الملك في الهند البرتغالية ديجو لوباز دي سكوبيبرا(D.L Descbeera)، عام 1520م بحضوره شخصيا للإطلاق سراح الأسرى البرتغاليين ووقف هذه الثورة المنتشرة في ساحل عمان، ليتمكن دي سكوبيبرا من تسوية هذا الأمر بين الطرفين[1]، الشيء الذي لم يكن لعجب ملك هرمز نفسه تورانشاه(1516م-1522م)الذي كان ينتظر أن تسقط هذه الثورة الحكم البرتغالي بهرمز، رغم كونه هو من كانقد استعان بالبرتغاليين لكبح جماحها وا إعادة قلهات الى حظيرة مملكة هرمز بالخليج العربي[2].

ب/تمردات المحكومين بالخليج العربي(هرمز-البحرين-صحار-قلهات-مسقط-القطيف) عام 1521م:

لقد حدثت ثورة الأهالي في الخليج العربي بعد شهر من سقوط امارة الجبور[3]، في منطقة البحرين والقطيف عام 1521م، ترجع أسباب هذه الثورة حسب ما ورد في الرسالة التي أرسلها ملك هرمز تورنشاه الى نائب ملك الهند في البرتغال القائد لوبو سواريز(L. Swarees) والتي جاء في مضمونها:**(اليوم هرمز من توابعكم وعمالكم فيها يتدخلون في كل الأمور الداخلية ونحن ننتظر منكم الإهتمام بهذا الأمر، والنظر الى تغيير المنطقة حيث أن أحوال مملكة خراسان مضطربة مما تسبب عنه توقف القواقل التجارية...ولهذا فقد قل المحصول وبالتالي قل الدخل وأصبحنا لا نتعامل مع أحد ويأتي عمالكم ومسئولوكم لدينا كل عام ويمكثون فترات طويلة ينفقون فيها ببذخ)**[4].

---

(1) مايلز س- ب، المرجع السابق، ص 156.

(2) ان الأسباب الجوهرية التي كانت وراء موقف ملك هرمز تورانشاه من الحكم البرتغالي في قلهات هو تخوفه من نجاح الثورة وانتشارها خارج قلهات وبالتالي رجوعه الى تبعية مملكة قلهات بالخليج العربي، الأمر الذي أدى به الى اتخاذ موقف يقتضي بمحاربة ملك قلهات الأمير شرف الدين ليستعين بعدها بالقائد دي سكوبيبرا عليه، أنظر: عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني "دراسة في العلاقات التعاهدية"، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1978، ص ص 31-33.

(3) تعد امارة الجبور من أهم الإمارات العربية التي ظهرت في الخليج خلال القرن 15م حيث شهد عهدها مجموعة من الحكام الذين أسسوها في حوالي القرن ونصف القرن(1417م-1525م)، لتبسط نفوذها بعدها على ساحل الخليج العربي بداية من البحرين حتى اقليم نجد غربا، أنظر: عبد اللطيف ناصر الحميدان، التاريخ السياسي ...، المرجع السابق، ص 31.

(4) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 292.

تبين لنا هذه الرسالة الشكوى الدائمة من طرف ملك هرمز بسبب سياسة نائب ملك البرتغال الجديد في الهند لوبو سواريز، التي تختلف عن سياسة سابقه ألفونسو دي ألبوكيرك القائمة سابقا على البطش والتنكيل[1]، حيث تقوم سياسة سواريز على الهيمنة الإقتصادية بتعيين ضباط عسكريين في المراكز الجمركية لتحصيل الضرائب الأمر، الذي أدى الى انغماس هؤلاء القادة العسكريين في نشاطات غير قانونية كالسمسرة والرشوة والسرقة والإبتزاز [2].

لقد نظر سكان الخليج العربي الى هذه السياسة البرتغالية المستفزة من طرف القادة العسكريين بمنظور يدفعهم الى التخلص منها بسرعة، الأمر الذي أدى الى قيام ثورة عارمة في مناطق الخليج و جزيرة هرمز بهدف التخلص من هذا الغزو، يمكننا أن نلخص أسباب هذه الثورة فيما يلي[3]:

اخضاع امارات الساحل العماني للاتفاقيات مجحفة ذات مطالب وا إتاوات سنوية بالإضافة الى نفقات كبيرة تصب في خزائن القادة البرتغاليين وحكوماتهم، حيث ما حدث لمملكة هرمز من انهاك للإقتصادها بسبب الإتفاقية المبرمة مع حكومة البرتغال منذ عام 1507م، التي نصت على دفع اتاوات سنوية مقدارها خمسة عشر ألف دينار أشرفي لملك البرتغال، مع دفع خمسة ألاف دينار أشرفي لتغطية نفقات الأسطول، اعفاء البضائع البرتغالية من الرسوم الجمركية[4].

-قيام البرتغاليين بحرق وتدمير السفن الخليجية حيث اتبعوا هذه السياسة منذ وصولهم الى سواحل الخليج العربي[5].

-اصدار البرتغاليين لقرار منع الملاحة على السفن وتجميد الحركة التجارية في مياه الخليج العربي إلا بعد حصولها على ترخيص بذلك من طرف السلطات البرتغالية، ما جعل البرتغاليين يصادرون بضاعة أي سفينة لا تحمل ترخيصا بالملاحة[6].

---

(1) ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص ص 06-07.
(2) Wilson. A, The persion Gulf, 3 ed, London, 1959, p. 122.
(3) قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965، ص ص 365-367.
(4) Wilson. A, IDEM, p.p. 123-125.
(5) ويلسون، نفسه، ص 72.
(6) نفسه، ص 76.

-تمسك البرتغاليين بإجبارية وضع شارة الصليب على المقرات العسكرية والتجارية في هرمز مع الدعوة الى نشر المذهب المسيحي الكاثوليكي وبناء الكنائس أيضا[1].

ان التخطيط للثورة بمناطق الخليج العربي بدأ منذ سقوط مملكة هرمز تحت السيطرة البرتغالية عام(1507م-1521م) والعمل على الإطاحة بالنفوذ البرتغالي هناك، حيث تمت عملية التخطيط سرا بين الملك الهرمزي تور انشاه ووزرائه بقيادة شرف الدين،لتوضع الخطة بشكل بارع أين تم ارسال رسائل سرية مع بعض التجار المترددين على التجارة في موانئ هرمز والقطيف والبحرين وسواحل عمان، تضمنت هذه الرسائل السرية المرسلة تعليمات لحكام هذه الموانئ من أجل التمرد والقيام بثورة ضد القادة العسكريين للبرتغال[2].

تم الإتفاق على الهجوم ليلا وإحراق السفن البرتغالية الراسية في كل موانئ الخليج وهرمز على الساعة صفر ليلا، كما قام تورانشاه من أجل التخلص من نصف الأسطول البرتغالي الراسي في ميناء هرمز وقت اندلاع الثورة، بإخبار قائد السفن البرتغالية في هرمز جاركيا دي كوتينهو(G.D. Kutineho)، بوجود تحركات لسفن الأسطول العثماني في مياه الساحل العماني ما دفع هذا القائد الى اصدار أوامره لخروج سفينتين برتغاليتين من أصل أربعة سفن راسية في ميناء هرمز، الى مناطق الساحل العماني[3].

ان اندلاع الثورة كان بشكل مفاجئ في مناطق الخليج العربي ضد الحاميات العسكرية الموجودة في موانئ كل من هرمز والبحرين وقلهات وقريات وصحار، حيث كانت الهجمات تأتي برا وبحرا لكن تطور الأسلحة الحربية الحديثة لدى البرتغاليين قابله استخدام أسلحة قديمة لدى سكان الخليج العربي، ما ساهم في عدم نجاح هذه الثورة خاصة بعد تلقى القوات البرتغالية لمساعدات عسكرية من طرف الدوم لويس دي مينزيس(D.L.D. MENECES)، اضافة الى مساعدة شيخ الجبور بعمان حسين بن سعيد

---

(1) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 25-30، أنظر: أحمد العناني، المرجع السابق، ص ص 78-79.
(2) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص 294.
(3) ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص ص 79-81، وأنظر أيضا: نايف محمد حسن الأحبابي، المرجع السابق، ص 111، وراجع كذلك: مايلز س- ب، المرجع السابق، ص 157.

للبرتغاليين ضد ثورة سكان الخليج، ذلك انتقاما من مملوك هرمز الذين اشتركوا من قبل في القضاء على سلطان بني جبر مقرن بن أجود في معركة احتلال البحرين مع البرتغاليين أنفسهم[1].

لقد وجد القائد البرتغالي لويس دي مينزس بعد تحرك أسطوله من قلهات الى صحار فرصة سانحة للإستغلال الخلافات القائمة بين شيوخ قبائل الجبور وحكام مملكة هرمز، لاسيما بعد تعهد شيخ الجبور بعمان حسين بن سعيد له على اخماد ثورة سكان الخليج في صحار والتي كانت تابعة خلال تلك الفترة الى حاكم مملكة هرمز، مع اتفاقه كذلك على مهاجمة صحار من ناحية البر مقابل أن يتولى البر تغاليون مهاجمتها من ناحية البحر، بمقابل ذلك وعده البرتغاليون بإسناد أمور الحكم له في منطقة صحار شريطة اعترافه بسيادة البرتغاليين عليها[2]، تعود ظروف ومجريات هذه الثورات الخليجية الى ما يلي:

01-التمرد في هرمز عام 1521م:

بدأت الثورة في مملكة هرمز بهجوم مباغت قام به مجموعة فدائية بقيادة رئيس التجار أو ما يطلق عليه بشهبندر التجار ضد السفينتين الراسيتين في ميناء هرمز، ليتم اشعال النيران في السفينتين كإشارة لبدء الهجوم على القوات البرتغالية أين قتل وأسر أكثر من ستين برتغاليا خلال تلك الثورة، بينما هرب باقي الجنود البرتغاليين وتحصنوا داخل القلعة القريبة في هرمز، ليظلوا فيها لمدة أشهر في انتظار وصول أي مساعدات عسكرية من القاعدة البرتغالية بجوا[3].

02-التمرد في البحرين عام 1521م:

انطلقت الثورة في البحرين بمهاجمة الثوار للبرتغاليين في جميع مقراتهم العسكرية والتجارية وانتهت الثورة بقتل عدد كبير من الجنود البرتغاليين وهروب الباقين في سفنهم بحرا، أين استولى الثوار على

---

(1) يعود هذا العداء الموجود بين حكام مملكة هرمز وإمارة الجبور الى بدايات القرن الخامس عشر للميلاد مع ظهور امارة الجبور في المنطقة ورغبتها في بسط نفوذها على كامل المناطق المجاورة لها، على حساب مملكة هرمز فكان لذلك تأثير كبير على الأوضاع السياسية والإقتصادية في المنطقة، أنظر: عبد اللطيف ناصر الحميدان، المرجع السابق، ص 41.

(2) J.C. Wilkinson, << Al Bahrain and Oman>>, Watheega, year 1984, N 05, July, p. 53.

(3) م.م زهير قاسم محمد، <<الثورات الخليجية ضد الإحتلال البرتغالي في النصف الأول من القرن السادس عشر>>، مجلة سامراء، السنة 2008، العدد 09، المجلد 04، جامعة تكريت، كلية التربية، قسم التاريخ، ص 130.

مراكز التجارة البرتغالية وأسروارئيس دار التجار ة فيها وهو البرتغالي روي بالي(Bale Ruy)، ليتم اعدامه بعدها قرب قلعة البحرين التي تعرضت كذلك للهجوم أيضا[1].

03-التمرد في صحار عام 1521م:

انظمت منطقة صحار كغيرها من مناطق الخليج العربي للثورة الخليجية أين بدأ اعلان العصيان المسلح ضد القوات البرتغالية بتوجيه عدة ضربات للحاميات العسكرية في صحار، ما سبب في خسائر بشرية كبيرة للبرتغاليين كما و جدت القبائل العربية خلال الثورة فرصة سانحة لهم لطرد الحاكم الهرمزي من صحار، بذلك بقيادة زعيم الجبور في شبه الجزيرة العربية وعمان الداخل حسين بن سعيد[2].

04-التمرد في قلهات عام 1521م:

ان وصول أخبار الثورة من هرمز الى قائد الحامية البرتغالية في قلهات بسرعة كبيرة رغم أن توقيت قيام الثورة الخليجية تزامن في نفس الوقت المحدد سابقا، يطرح علينا العديد من الفرضيات اما بوجود خيانة داخلية في قلهات نفسها أو ربما احتمال تأخر قيام الثورة في قلهات لكونها أبعد نقطة في الساحل العماني ساهم في تحقيق البرتغاليين لأخف الأضرار[3]، ربما الطرح الأول هو الأقرب الى الحقيقة التاريخية فما تفسير تغيير حاكم قلهات من طرف ملك هرمز قبل اندلاع الثورة بساعات قليلة، استبداله بالحاكم لهر مزي "ديلا مير شاه" ما ساهم في نجاة غالبية الجنود البرتغاليين بعد قيام الثورة بقلهات، رغم تمكن الأهالي بعدها من قتل عدد كبير من جنود حاكمهم الهرمزي ديلا مير شاه، أثناء محاولته الفرار في سفن الأسطول البرتغالي الراسية بميناء قلهات وأسر الجنود المتبقين في الحامية هناك[4].

05-التمرد في مسقط عام 1521م:

تختلف الظروف التاريخية الموجودة في ثورة مسقط عن غيرها من مناطق الثورة في الخليج العربي، ذلك بسبب كونها المنطقة الوحيدة التي وجد فيها البرتغاليون الأمن و الحماية لأنفسهم حيث ربطوا بها عدة علاقات سلمية مع حكامها، اضافة الى كونها المنطقة الوحيدة في الساحل العمانيو التابعة سياسيا

---

(1) Samuel B. Miles, op.cit, p.159.

(2) س. بيكينجام، المرجع السابق، ص 192.

(3) Samuel B. Miles, IDEM, p.p. 159-161.

(4) IDEM, p. 159.

لمملكة هرمز بالخليج العربي، التي يحكمها حاكم عربي معين من طرف السلطة بهرمزة والذي أطلقت عليه المصادر التاريخية اسم الشيخ راشد[1].

ويبدو لنا بأن الشيخ راشد حاكم مسقط كان على خلاف تام مع ملك هرمز لكنه تظاهر في البداية بموافقته على القيام بالثورة دون اعتراض لشيوخ القبائل العربية بالخليج، إلا أنه بيت نيته السيئة مع شيوخ قبائل الساحل العماني والخليج العربي من خلال عدم مشاركته في الثورة تماما بعد اندلاعها، ليعلن بعدها مباشرة تخلصه من تبعيته لحاكم هرمز البرتغالية ما يعني استقلال مسقط، هذا ما جعل العديد من المؤرخين المعاصرين بالخليج العربي أثناء تناولهم لقضية اندلاع الثورة بمسقط يطلقون على حاكمها تسمية "شيخ مسقط الخائن للثورة"[2].

تثبت لنا المصادر التاريخية بأن خيانة شيخ مسقط لثورة الخليج العربي كانت سببا مباشرا في فشلها بمسقط خاصة والخليج العربي وساحل عمان عامة، ما دفع بشيخ مسقط الى الهروب بعد نهاية الثورة من مسقط خوفا من ردة فعل حاكم قلهات الجديد ديلا مير شاه عام 1522م، بسبب اعلانه الإستقلال عن تبعية الحكم للهرمز ي، أين وصل بعدها دعم برتغالي الى الحامية الموجودة بمسقط وتم اخماد الثورة هناك التي انتهت بخسارة البرتغاليين لمائة وعشرون مقاتل من أجل اخماد الثورة بمسقط[3].

<u>06/التمرد في القطيف عام 1521م:</u>

بعد سيطر ة البرتغاليين على جميع مراكز التجارة الخليجية والمقرات الجمركية والموانئ التجارية والمعاملات التجارية من صادرات و ورادات لتكون لهم الكلمة الأولى في سائر تجارة الخليج العربي، خلال عام 1521م أعلن القائد لوبو سواريز الذي خلف ألبوكيرك كنائب للملك في الهند بمدينة جو عن قرار تعيين موظفين برتغاليين لضبط سائر الشؤون الجمركية بالخليج العربي، بما في ذلك منطقة

(1) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص ص 279-299.
(2) نصر الله فلسفي، ايران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي(906هـ-1148هـ/1500م-1736م)، ترجمة وتقديم محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1989، ص ص 21-31.
(3) Samuel B. Miles, op.cit, p.p. 158-159.

القطيف والبحرين وصحار وقريات وهرمز، ما دفع أهالي وتجار هرمز الى اعلان ثورة عارمة وحركات تمردية متفرقة عام 1521م[1].

لقد واجه البرتغاليون خيارات صعبة في القطيف من أجل سحب قواتهم في الهند وا إشراكها في الثورة خاصة بعد اعلان حاكم هرمز تورانشاه للثورة مع وزيره شرف الدين ضد البرتغاليين[2]، حيث تعرضت الحامية العسكرية بالقطيف لهجوم من طرف الأهالي هناك برا وبحرا، ليقتل عدد كبير من الجنود البرتغاليين والمتمردين، رغم أن جميع المصادر العربية والغربية التي كتبت عن تاريخ الإحتلال البرتغالي للقطيف لم تحدد حجم الخسائر البشرية بالقطيف[3].

ج/الخليج العربي وأحداث عام 1522:

هذه الأحداث هي التمرد الثاني بالخليج العربي وفي حقيقة الأمر هي امتداد طبيعي وسياسي لتمردات المحكومين السابقة بأقاليم الخليج العربي عام 1521م، حيث بات واضحا لكل البرتغاليين ما يكنه سكان الخليج العربي لهم من عداء مستمر، من الأسباب الرئيسية لهذا التمرد هي محاولة ملك هرمز تورانشاه اخراج البرتغاليين من هرمز وقلهات وصحار وقريات والبحرين والقطيف أيضا، نتيجة سيطرتهم على مراكز التجارة الخليجية، حيث بدأ الهجوم على كامل الحاميات البرتغالية في هرمز و الخليج ليتكبد البرتغاليون خسائر بشرية ومادية فادحة، لكن وصول الدعم العسكري لهم من القاعدة البرتغالية بجوا ساهم في اعادة سيطرتهم على المراكز المحتلة من جديد[4]، كما واجهت هرمز تدميرا وحرقا كاملا من طرف البرتغاليين بعد استرجاعها في عام 1522م[5]، لتصبح عبارة عن أطلال مرهبة.

ان نجاح التمرد الداخلي في جزيرة البحرين عام 1522م ضد البرتغاليين ساهم في احراز تقدم مستمر هناك بقيادة الشيخ "حسين بن سعيد"، الذي قام بالتخطيط لهذا التمرد والهجوم على حاكم الجزيرة في

---

(1) علي بن ابراهيم الدرورة، تاريخ الإحتلال البرتغالي للقطيف، المرجع السابق، ص 216.
(2) الشاطر بصيلي عبد الجليل، <<الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال>>، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، السنة 1964، العدد 12، القاهرة، ص ص 125-130، أنظر أيضا: عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، المرجع السابق، ص 32.
(3) عبد العزيز عبد الغني، المرجع نفسه، ص 32.
(4) Sousa. F, op.cit. p. 256.
(5) م.م زهير قاسم محمد، المرجع السابق، ص ص 133-134.

قلعته أين قام بشنقه على جذع نخلة، لذلك قام البرتغاليون بعدها بالتوجه للحل الدبلوماسي مع الشيخ حسين بن سعيد بعد أن اشترطوا عليه ابقائه حكاكم عربي على البحرين، مقابل تعيين مستشار برتغالي له هناك هو "لويس دي متريس" (L. De. METRREES)[1].

د/الخليج العربي وأحداث عام 1523م:

تعد هذه الأحداث هي التمرد الثالث بالخليج العربي وترجع أسبابها الى محاولة شيخ هرمز[2] تورنشاه تنظيم هجوم بري في وقت واحد مع باقي مناطق الخليج الأخرى، لكن الأسطول البرتغالي القادم من صحار تمكن من السيطرة على هذه الأحداثوا إخمادها، حيث انطلقت من هرمز لتصل الى منطقة القطيف[3]لتنتهي أخيرا بإحكام البرتغاليين لقبضتهم العسكرية مجددا على مناطق هرمز، مع تعيينهم لحاكم جديد عليها يبلغ من العمر ثلاثة عشر سنة فقط، بعد معاهدة ميناب التي أبرت بمينائها الواقع على الساحل الشرقي لهرمز عام 1523م، بين نائب الملك في الهند دوران ميز (MEIZE.D) وبين ملك هرمز الجديد "أبو المضفر سيف الدين أبا نصر"، الذي جلبه الوزير الهرمزي "خواجه عطار" لتجنب أي تدخل لسلطان مملكة لار في شؤون حكم مملكة هرمز، حيث يعتبر سيف الدين أبا نصر أحد أبناء الملك الهرمزي السابق "سلغور شاه" وأمه أخت لأحد ملوك لار[4]، قد كتبت الاتفاقية بين حكومة البرتغال وهرمز بالغة الفارسية والبرتغالية أيضا أين تم ارسال نسخة منها الى الملك جون الثالث(John III) الذي أرسل بدوره رسالة تفويض الى محمد شاه لحكم جزيرة هرمز بدلا عنه[5].

---

(1) نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص ص 76-81، وأنظر: محمد عارف الكيالي، الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 2001، ص ص 105-120.

(2) يطلق بعض المؤرخين اسم شيخ هرمز بدلا من ملكها الذي قاد هذه الأحداث ضد البرتغاليين ما بين عام (1521م-1522م) والمقصود به هنا هو الملك "تورانشاه" ، أنظر: م.م زهير قاسم محمد، المرجع السابق، ص 133.

(3) عائشة علي اليسار، دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقية(1624م-1741م)، ط01، دار القدس للنشر، بيروت، 1975، ص 37، وأنظر كذلك: مايلز س-ب، المرجع السابق، ص ص 80-85.

(4) حسين محمد ربيع وليلى عبد الجواد اسماعيل، تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها سنة 1622م، د ن، القاهرة، 1998، ص 44، وأنظر أيضا: جهانكير قائمقامي، مشكلة هرمز وبداية ظهور العلاقات بين ايران والبرتغال، د ن، د ت، ص 10.

(5) عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، قطر، 1976، ص 628.

هـ/الخليج العربي و أحداث عام 1526م:

لقد شكلت سياسة الاضطهاد والتعسف والقسوة أبرز الممارسات البرتغالية في مناطق الخليج العربي ضد السكان العزل، خاصة بعد حكم القائد ديو جوري دي ميلو(D.J.D. Milew) قائد الحامية البرتغالية في هرمز، ما ساهم في حدوث التمرد الرابع بالخليج العربي حيث اتسم الحكم البرتغالي باستنزاف أموال المحكومين والتخريب[1]، أين اندلعت الحركات الاحتجاجية عام 1526م لتصل أنبائها الى نائب ملك البرتغال في جوا، الذي أرسل أسطولا مكونا من خمسة سفن دعم للإخماد هذه الحركة بقيادة لوبو فاز (Lobo Vas)[2].

حيث تمكن القائد لوبو فاز من حصار المتمردين في مراكزهم بهرمز ليقوم مع جنوده بقتل السكان وا إحراق المنازل وتخريب الممتلكات، كما قام بتعزيز الوجود البرتغالي في هرمز وعمان من خلال إنشاء عدد كبير من القواعد العسكرية الجديدة هناك، اضافة الى قيامه بالهجوم على منطقة ظفار بهدف تدميرها أيضا بعد هروب العديد من المتمردين الى هناك[3].

و/الخليج العربي وأحداث البحرين عام 1529م:

ان استمرار روح المقاومات المحلية ضد الغزو البرتغالي بقيت في منطقة الخليج العربي التي ما فتأت لتنهض مجددا على تمردات جديدة في كل مرة، تعود أحداث منطقة الخليج بالبحرين عام 1529م الى اصدار الملك البرتغالي جواو الثالث أمرا ملكيا للدوم نونو دي كوتها(Dom Nono D.K) ينص فيه على تهجير وترحيل كل الفئات المعارضة والمناوئة من القوى المحلية لحكومة البرتغال بجزيرة البحرين الى جزيرة هرمز، أين قام حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند الدوم نونو دي كوتها بعزل الوزير شرف الدين من منصبه في هرمز ونفيه الى لشبونة عام 1528م، بحجة محاولته لتدبير حركة احتجاجية جديدة في منطقة الخليج العربي[4].

---

(1) مايلز س-ب، المرجع السابق، ص 175.
(2) م.م زهير قاسم محمد، المرجع السابق، ص 134.
(3) مايلز س-ب، نفسه، ص 175.
(4) م.م زهير قاسم محمد، نفسه، ص ص 134-135.

هذا وقد تمكن الثوار في هرمز من الحاق خسائر معتبرة بالعدو البرتغالي الذي أعاد تنظيم قواعده بعد ذلك خصوصا بعد قدوم الدعم البرتغالي من جديد، أما في جزيرة البحرين الرافضة لهذا الأمر الملكي فقد هزمت القوات البرتغالية وطردت منها، فكان لذلك الانهزام وقع كبي على هيبة الجيش البرتغالي في مناطق الخليج العربي كافة[1].

من خلال ما سبق ذكره في فصول هذه المقاربة التاريخية نستنتج أن معركة البحرين عام 1529م، كان لها الأثر الإيجابي على سكان الخليج العربي عامة والبحرين خاصة والعكس صحيح بالنسبة للبرتغاليين الذين تراجعت سلطتهم السياسية والعسكرية تدريجيا في المنطقة، بعد اكتفائهم فقط بتنصيب الزعامات المحلية والمشيخات العربية بالخليج العربي وساحل عمان كذلك كحكام محليين، دون التدخل في تقاليد الحكم والأنظمة الوراثية طالما لا يتعارض ذلك مع مصالح حكومة البرتغال اقتصاديا واستراتيجيا، خصوصا بعد فشل كل الحركات التمردية المحلية داخل مناطق الخليج العربي في انهاء وتصفية الغزو البرتغالي من المنطقة.

و الإشكالية المطروحة في هذا السياق التاريخي هي:

1/ما موقف أقوىالقو ى الإقليمةو السياسيةو الإسلامية والممثلة في الدولة العثمانية من الغزو البرتغالي المتمركز في البحار الشرقية والخليجية خلال القرنين 16م و17م؟.

2/هل ستطبق الدولة العثمانينة سياسة استراتيجية للحد من نفوذ البرتغاليين اقتصاديا و سياسيا وعسكريا هناك؟.

3/هل سيحقق العثمانيون النتائج المرجوة من خلال تطبيقهم لهذه الإستراتيجيات السياسية والعسكرية ويتمكنون من إنهاء الغزو البرتغالي في البحار الشرقية والخليجة ما بين عام(1526م-1559م)؟.

---

(1) ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص 69، وأنظر: مايلز س-ب، المرجع السابق، ص ص 168-170.

الفصل الرابع:

استراتيجية المواجهة العثمانية للبرتغاليين في مياه البحر الأحمر والخليج العربي:دوافعها و انعكاساتها السياسية والإقتصادية عام(1526م-1559م):

أ/التحضيرات العسكرية للعثمانيين بالبحر الأحمر بقيادة سلمان ريس عام 1526م لماذا وكيف؟.

ب/التحالف العثماني-الهندي في معركة ديووانعكاساته السياسية و العسكرية عام 1538م.

ج/تأسيس العثمانيين للإيالة البصرة بالخليج العربيو أهميتها الإقتصادية والسياسية عام 1538م.

د/حملة بيري ريس(Piri-Reis)على مضيق هرمز بالخليج العربي وانعكاساتها السياسية والعسكرية عام 1552م.

هـ/حملة اعادة الأسطول العثماني المحاصر بميناء البصرة بقيادة مراد ريس ثم سيد علي ريس عام 1553م.

و/حملة بكلربك الإحساء مصطفى باشا ضد حاكم جزيرة البحرين مراد ريس وتحالفه مع البرتغاليين أسبابها و انعكاساتها العسكرية والإقتصادية على منطقة الخليج العربي عام 1559م.

أ/التحضيرات العسكرية للعثمانيين بالبحر الأحمر بقيادة سلمان ريس عام 1526م لماذا وكيف؟:

أمام تلك الأوضاع المتردية في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر والتهديد المتواصل من طرف البرتغاليين على البلاد الإسلامية والأماكن المقدسة في الحجاز، تضرر التجارة المحلية هنالك رأت الدولة العثمانية ضرورة تغيير استراتيجياتها في العالم الإسلامي خصوصا مع تزايد التحالف الإسباني والبرتغالي ضد العالم العربي[1]، بعد أن أخذت الأحداث التاريخية منحنا خطيرا بتقارب القوة الصفوية المهزومة في موقعة جالديران[*] من البرتغاليين وتوقيعهم للإتفاقية معهم عام عرفت باتفاقية هرمز عام 1515م، تعهد فيها البرتغاليون بمساعدة الشاه اسماعيل الصفوي على غزو كل من البحرين والقطيف والوقوف معه ضد الدولة العثمانية بالخليج العربي.

والإشكالية المطروحة هي نظرا لتعدد حلفاء البرتغاليين وأعداء العثمانيين من أحباش في ساحل شرق افريقيا وصفويين في مياه الخليج العربي ومشيخات عربية أبت إلا أن تساير مصالحها الخاصة على حساب المسلمين، كيف تعامل العثمانيون مع هته الأوضاع المضطربةلحماية حدودهم الجنوبية وا إنقاذ مصادر التجارة المحلية المهددة بالزوال من طرف البرتغاليين وحلفائهم في مياه البحر الأحمر والخليج العربي؟.

*تجسيد الإستراتيجية العثمانية في المنطقة:

لقد شرع العثمانيون في تنفيذ استراتيجياتهم السياسية والعسكرية والإقتصادية لحماية حدودهم الجنوبية في العالم الإسلامي، باستعادة طرق التجارة فضموا بلاد الشام الى حكمهم عام 1516م ثم مصر عام 1517م ليبسطوا بذلك نفوذهم السياسي والعسكري على مياه البحر الأحمر، مع دخول بلاد الحجاز سلميا الى حظيرة العثمانيين و مناطق اليمن الى غاية سواحل شرق افريقيا بعد ضم سواكن ومصوع

---

(1) فؤاد شهاب، <<الإستراتيجية العثمانية في الثلث الأول من القرن السادس عشر للميلاد>>، مجلة الوثيقة، السنة 1992، العدد 21، ص 52.

(*) جالديران: هي منطقة هضبية تقع في شرق مدينة تبريز الإيرانية دارت فيها معركة تسمى بمعركة جالديران عام 1514م بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول والجيش الصفوي بقيادة الشاه اسماعيل الصفوي، حيث انتهت المعركة بهزيمة القوات الصفوية وانسحابها من المعركة، للمزيد أنظر: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 261.

وهرر[1]، انعكست لهذه الأحداث نتائج بالغة الأثر على الإقتصاد العثماني ما ينبغي ضرورة توفير الوسائل المالية الكفيلة لتوسيع رقعة نفوذ الحكم العثماني، حيث يحتل الإقتصاد في سياسة سلاطين الدولة العثمانية أهمية عظمى[2]، لكننا لا نجزم كل الجزم بأن الأهمية الإقتصادية لوحدها هي من كانت دافعا في توسعات العثمانيين و في فتوحاتهم بالعالم العربي.

هذا ما جعل السلطان سليمان القانوني يشن حربا ضروسا على بلاد الفرس ويحاصر بعدها البرتغاليين في البحار الشرقية والخليجية، فلولا ادراكه للواردات التي سيجبيها من تجارة الشرق لما جند جيشه وأعد عدته لهته الحرب الضروس، اذ بلغت ايرادات ولاية مصر لوحدها عام 1527م بمقدار: 116.533.944 أقجة[*] ومصروفها أيضا مقدر ب: 25.843.402 أقجة والفرق الذي يكون واردا للدولة هو 70.695.690 أقجة[3]، هذا من مجموع ايراداتها العامة والمقدرة ب:477.431.468أقجة[4]، لذلك خصصت الدولة العثمانية من ميزانيتها العامة مبلغ 1.966.732 أقجة، لبناء أسطول بحريقوي و الذي يعد النواة الأولى لتنفيذ استراتيجيتها العسكرية والإقتصادية انطلاقا من قاعدة ميناء السويس بمصر عام 1531م[5].

بهذا واصل العثمانيين استعداداتهم العسكرية لمواجهة الخطر البرتغالي في مياه البحر الأحمر حيث ثبت حسين الرومي[6]، كحاكم لمدينة زبيد باليمن من طرف الوالي العثماني "خاير بك" الذي يعد أول والي عثماني بمصر، لتجرد الدولة العثمانية حملة بحرية بقيادة سلمان ريس عام 1526م من أجل اعادة ربط الموانئ اليمنية الواقعة تحت نفوذ الزيديين الى حظيرة العثمانيين في ولاية مصر ثم تعقب البرتغاليين هناك، إلا أن هذه الحملة لم تحقق النتائج المرجوة منها لكونها لم تتمكن من فرض سيادة

---

(1) نبيل عبد الحي رضوان، الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، تهامة، جدة، دن، 1983، ص 12.
(2) أندري كلو، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991، ص ص 56-57.
(*) الأقجة: هي قطعة نقدية صغيرة الحجم مصنوعة من معدن الفضة تزن 0.723 غراما وكل أقجة تحتوي على مائة ألف درهم عثماني، أنظر: المرجع نفسه، ص 68.
(3) خليل ساحلي أغلو، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي، اسطنبول، 2000، ص 131.
(4) الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كابجي، البحرية، رقم 5628، عام 937 هـ/1531م، نقلا عن: خليل ساحلي أغلو، نفسه، ص 133.
(5) الأرشيف العثماني، نفسه.
(6) ابن إياس، المصدر السابق، ج 04، ص 195.

العثمانيين على هذه الموانئ فعليا، كما أنها لم تنجح في مواجهة البرتغاليين أيضا[1]، الذين ازداد نشاطهم التجاري والعسكري في موانئ البحر الأحمر و موانئ شرق افريقيا لينتقل بعدها الى موانئ الخليج العربي.

كذلك قام البرتغاليون بتجريد حملة بحرية أخرى على جزيرة البحرين عام 1521م و الهدف منها هو طرد ملك الإحساء والقطيف الشيخ مقرن بن جابر، كسر شوكته التي أصبحت تهدد الوجود البرتغالي هناك بحيث نجح البرتغاليون في ذلك بعد وضعهم للإدارة الجمارك البحرية تحت امرة الحاكم العام للبرتغال في هرمز مع انتقال السلطة الإدارية اليهم هناك[2]، رغم قيام المحافظ الهرمزي بتدبير حركة تمردية كبيرة ضدهم بسبب خسارته لمصادر الدخل الشخصي له في عدة أماكن من موانئ الخليج العربي، حيث وقعت ثورة الجمارك في شهر نوفمبر عام 1521م، بكل من هرمز ومسقط وصحار والبحرين وتم اخماد هذه الثورات نهائيا الى غاية عام 1523م، ليتم اعادة جزيرة البحرين الى حظيرة البرتغاليين من جديد[3].

خلال ذلك واصل العثمانيون من تطوير امكانياتهم البحرية بعد أن اتضح لهم خطورة الغزو البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية، خاصة بعد تفكك القوى السياسية المحلية بشبه الجزيرة العربية ما دفع بالسلطان سليمان القانوني الى تعيين سليمان باشا الخادم بيلربكا على ايالة مصر، الذي كان له الدور الكبير في تشييد الأسطول البحري بميناء السويس بمصر عام 1532م، المكون من ثمانين سفينة بحرية تحت اشراف خبير من جمهورية البندقية(Venise)، بحيث قام الصدر الأعظم سليمان باشا بالتوجه مع أسطوله الى مضيق عدن باليمن بجنوب البحر الأحمر للتعرف على جميع فعاليات السفن البرتغالية المتمركزة في المحيط الهندي[4].

---

(1) محمد السبليطي، الصراع الدولي في البحر الأحمر الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث، المنتدى الجامعي للنشر، صنعاء، اليمن، 2002، ص 40.
(2) أحمد بوشرب، <<مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر>>، مجلة الوثيقة، السنة 02، العدد 04، 1984، ص 123.
(3) نونو بي سلفا، <<صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين>>، مجلة الوثيقة، السنة 04، العدد 08، 1986، ص 128.
(4) أحمد بوشرب، نفسه، ص 125.

ب/التحالف العثماني-الهندي في معركة ديو وانعكاساتهالسياسية و العسكرية عام 1538م:

تعتبر هذه الحملة العثمانية هي الحملة الثانية التي تخرج من ميناء السويس بمصر بعد حملة الأمير حسين الكردي الأولى عام 1509م، من أجل محاربة الخطر البرتغالي في مياه المحيط الهندي وهي حملة بحرية جد ضخمة نظرا لأهميتها الإستراتيجية لدى العثمانيين، حيث تكونت من حوالي ثمانين سفينة حربيةمن مختلف الأنوا ع والأحجام سواء من برشة أو غربان[1] تحمل حوالي عشرين ألف جندي تحت قيادة سليمان باشا والي مصر، الذي غادر مع أسطوله من ميناء السويس بمصر يوم 27 جويلية 1538م، لتتجه بعدها إلى ميناء ديو بالهند،و الإشكالية التي نطرحها في هذا الباب هي: ما أسباب تحضير الدولة العثمانية لهذه الحملة الضخمة على ميناء ديو بالهند؟ وما نتائج حملة ديو سياسيا وعسكريا واقتصاديا على الدولة العثمانية؟.

ان سبب تجهيز العثمانيين لهذه الحملة على ميناء ديو عام 1538م يعود إلى الظروف التالية:
-تزايد الخطر البرتغالي في مياه البحر الأحمر وبحر العرب عقب فشل حملة الأمير حسين الكردي الأولى عام 1509م، امتداد النفوذ العثماني إلى مياه الخليج العربي بعد فتح بلاد العراق عام 1534م، زيادة التعاون البرتغالي الصفوي ضد الدولة العثمانية في المنطقة سياسيا وعسكريا وفق مخطط محكم.

-قتل البرتغاليين للسلطان بهادر شاه حاكم كجرات[*]عام 1537م بسبب اتصاله بالعثمانيين وطلبه النجدة منهم ضد الخطر البرتغالي المتواجد هناك [2]، حيث خلف السلطان بهادر شاه في حكم مدينة كجرات ابنه السلطان "محمود بيكر مظفر شاه" بعدما نصبه البرتغاليون بدل أبيه هذا ما أثار غضب السلطان سليمان القانوني نفسه.

لذلك ر أى السلطان سليمان القانوني ضرورة السيطرة على بلاد اليمن فصدرت الأوامر السلطانية لسليمان باشا الخادم والي مصر، بتجهيز حملة بحرية كبيرة استعان فيها بخبراء فنيين من بنادقة لبناء

---

(1) إسماعيل سر هنك، المصدر السابق، ص 38.
(2) فالح حنظل، المرجع السابق، ص 334.
(*) كجرات: أو جوجيرات كما أطلق عليها في المصادر التاريخية القديمة والحديثة هي مدينة تقع في الجهة الشمالية الغربية للساحل الهندي، من الأسماء التي أطلقت عليها كذلك اللار وأيكاري وسومنات وأوفير ومن أهم مراكزها التجارية بروج وتانة وديو وسفاله وسندات وسومنات وصيمور، أنظر: أحمد عبد الحميد الشامي، المرجع السابق، ص 109.

السفن الحربية أين اكتملتتجهيز ات الأسطول الحربي في ميناء السويس عام 1537م، لكن هذه الحملة تحولت عن هدفها الأساسي والذي هو إعادة الاعتبار لحركة التجارة الإسلامية بمياه المحيط الهندي، لتدخل بعدها في صراع عسكري-سياسي بين العثمانيين والقوى المحلية باليمن من بني طاهر لأجل اخضاع بلاد اليمن تحت حكم الدولة العثمانية[1].

حيث اختلفت المصادر التاريخية في تحديد أسباب هذه الحملة وظروفها، فالمؤرخ النهروالي كتب لنا فصلا كاملا بعنوان:"**في ذكر توجهسليمان باشا إلى عدن وقتله لصاحب عدن غدراً وأخذها منه جبراً وقهرا**"، حيث يذكر لنا النهروالي بأن سليمان باشا الطواشي والي مصر وقائد الحملة البحرية العثمانية نحو الهند، حين توجهه من ميناء جدة قصد المرور بعدن غدر بحاكم عدن "عامر بن داوود الطاهري" الذي وصفه لنا بأحسن الأوصاف بقوله: **(كان شاباً كريماً جواداً حليماً مُحسناً إلى الناس، باسطاً لهم وجه اللطف والإيناس، يعظم الشرع الشريف، لا يخرج عن حكمه، ويوقر من وَفَدَ إليه من العلماء ويكرمه لعلمه، إلى غير ذلك من الخصال الجميلة، والخِلال الحسنة الجليلة، والشهادة له بكرم أصله، وجودة فضله ووصله)**[2].

أما المؤرخ الموزعي ففند لنا هذا الطرح السابق للنهروالي حين ذكر لنا بأن الأوضاع الداخلية في بلاد اليمن عامة وعدن خاصة كانت غير مستقرة، فلم ينتظم حالها اطلاقا ما دفع بالعثمانيين الى ارسال حملة بقيادة سليمان باشا الطواشي لتطهيرها بقوله: **فهنالك دماء تُسفَك ومحارم تُهتَك وأموال تنهب ومدامع تُسكَب، فلما علم السلطان سليمان القانوني بهذه الأحوال وحالة الاختلال التي عمت الديار اليمنية، وجه سليمان باشا بجيوش عظيمة وعُدد جسيمة إلى الهند لحرب الإفرنج البرتغال إخوان الكفر والضلال، وأمر قائد الحملة أن يعرج على ديار اليمن ليصلح منها ما فسد ويطفئ نار الفتن، لأن السلطان عامر بن داود آخر ملوك بني طاهر في اليمن، قد راسل الأبواب العلية مخبراً بتغلب الإمام شرف الدين وولده المطهر، على أكثر الديار اليمنية وطلب من السلطان المعظم سليمان خان**

(1) جلال يحي، المرجع السابق، ص 399.
(2) قطب الدين النهروالي، المصدر السابق، ص ص 80-81.

أن يمده بعساكر سلطانية لمحاربة هؤلاء المخالفين في اليمن، مع بذل الطاعة للسلطان سليمان، ودخوله تحت نظر سلطة آل عثمان)(1)**.**

لقد كان دخول حاكم مدينة كوجرات "بهادر شاه" في علاقات سياسية وتجارية جديدة مع البرتغاليين تمثلت في منحهم لموانئ ومدن هامة في كجرات وقيامه بمهادنة البرتغاليين لتأمين خطرهم، سببا كافيا لجعل سلطان الهند "همايون بادشاه ابن بابر بادشاه"(*)يوجه حملة عسكرية من الهند للقضاء على حاكم كجرات، غير أن البرتغاليين تدخلوا لإنقاذ بهادر شاه مقابل أن يمنحهم هذا الأخيربنادر ا ومدنا في كجرات فحصل لهم بذلك فوائد كثيرة وعظم أمرهم(2).

ان مواجهة سلطان الهند "همايون بادشاه" لخطرين كبيرين هما الخطر الماغولي المتمركز من ناحية البر والخطر البرتغالي المتمركز من ناحية البحر، دفعه الى الإستنجاد أيضا بالقوة الإسلامية الممثلة في الدولة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني عام 1535م، أين أرسل سلطان الهند موفدا الى الباب العالي باسطنبول ليشرح لهم الحصار المفروض على سفن تجار مسلمي الهند هناك، معاناتهم الدائمة من الخطر البرتغالي حيث وعدهم السلطان بإرسال حملة بحرية لتطهير موانئ الهند المحاصرة من طرف العدو البرتغالي(3)، لتصدر الأوامر السلطانية الى والي مصر سليمان باشا الخادم من أجل توجيه حملة بحرية على ميناء ديو بالهند، هو ما تم تنفيذه بعد صيانة وترميم السفن القديمة وتشييد السفن الجديد عام 1537م.

(1) الموزعي القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد، دخول العثمانيين الأول إلى اليمن: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، منشورات المدينة، ط 01، بيروت، 1986، ص ص 24-25.

(*) السلطان همايون بادشاه بن بابر بادشاه: ولد همايون في مدينة كابل عام 1506م وتربي تربية حربية وسياسية وعلمية، عندما توجه أبوه لفتح الهند كان هو مساعده الأيمن وبعد وفاة والده تعرض لمشاكل كبيرة انتهت بفراره الى البلاط الصفوي عام 1540م، ليعين شيرشاه السوري سلطانا للهند بدلا منه لكن همايون استطاع ان يسترجع ملكه بعد عودته من ايران بعد مدة 15 سنة كاملة من فراره، ليدخل دلهي بجيش صغير منتصرا عام 1555م وهو من أصول ماغولية يجيد اللغة التركية والفارسية، توفي عام 1556م، أنظر: زين الدين الميليباري، المصدر السابق، ص 275.

(2) نفسه، ص ص 275-276.

(3) فالح حنظل، المرجع السابق، ص 334.

أين اتجه سليمان باشا باسطوله من ميناء السويس بمصر الى ميناء جدة باليمن فوصل في عشرين يوما[1]، ثم توجه الأسطول العثماني بعدها الى جزيرة كمران أو قمران مرورا بباب المندب فدخل سليمان باشا مدينة عدن التي كان يحكمها السلطان "عامر بن داود الطاهري"[*]الذي فتح باب المدينة للباشا سليمان الخادم، لكن الباشا غدر به وقتله وصلبه على عمود سفينته ثم قطع رأسه وأرسله الى والي بمصر[2]، بحيث ذكر لنا الأميرال إسماعيل سهرنك في حوادث سنة 944 هجرية والموافق لعام 1537م أطوار هذه الحادثة بالتفصيل الدقيق فيقول:

(استغاث بهادر شاه حاكم كجرات من بلاد الهند بالسلطان سليمان القانوني، لتعديات أساطيل البرتغال على بلاده ومنعها للمواصلات التجارية التي كانت بينها وبين الديار المصرية فأصدر السلطان أوامره إلى الخادم سليمان باشا والي مصر... فشيد ستين غرابا وثلاثين سفينة وجهزهما بالمدافع والأدوات الحربية في زمن وجيز، ومر في ذهابه إلى الهند بعدن وقتل أميرها عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ونصب عليها أحد ضباطه المسمى بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقلع إلى الهند، ومع ما بذله من مجهود بجهات ديو لم يتمكن من طرد البرتغاليين عن تلك الأطراف...)[3].

ان قيام الباشا سليمان الخادم بإبادة آل طاهر كلهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم وانتهاجه لأساليب قمعية وتعسفية معهم بحجة خيانتهم وتواطؤهم مع العدو البرتغالي، واتهامه لآل طاهر بتقديم مختلف

---

(1) زين الدين الميليباري، المصدر السابق، ص 277.

(*) عامر بن داود الطاهري: هو أمير مدينة عدن باليمن من قبيلة بني طاهر قتل عام 1538م بأمر من الصدر الأعظم سليمان باشا الخادم، لم يعرف عن السلطان عامر إلا كثرة الأطماع الخارجية على بلاده منذ توليه حكم اليمن، حيث أراد احتلالها كل من حكام المماليك والبرتغاليين الى غاية تمكن العثمانيين من السيطرة عليها، أين قام سليمان باشا الخادم بقتل سلطانها عامر بن داود الطاهري، قد وصف لنا المؤرخ اليمني قطب الدين النهروالي مؤرخ هذه الفترة بالذات مقتل السلطان عامر فقال عنه:**(لما توجه سليمان باشا من جدة قصد المرور بعدن وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود بقية من بني طاهر ملوك اليمن سابقا، ولم يبقى من يده من مملكة أسلافه إلا قلعة عدن...وكان شابا كريما جوادا حليما محسنا الى الناس باسطا لهم وجه اللطف والإيناس يعظم الشرع الشريف ولا يخرج عن حكمه ويوقر من وفد اليه من العلماء، ويكرمه لعلمه الى غير ذلك من الخصال الجميلة...فلما بلغه خبر وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله وقطع جادرة الإفرنج عن الأضرار بعباد الله فتح له باب عدن وأمر أن تزين، وجمع له من البلاد ما أراد من الأزواد وتوجه هو ووزيره للسلام عليه الى الغراب الذي هو فيه فبمجرد أن رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل اليه عامر ألبسه ومن معه خلعا ثم أمر بصلبهم على الصاري...وتوجه الى الهند لقتال الفرنج الذين في ديو)**، أنظر: قطب الدين النهروالي، المصدر السابق، ص ص 80-81.

(2) ابن اياس، المصدر السابق، ج 03، ص 270.

(3) إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص ص(88،89).

التسهيلات العسكرية للبرتغاليين ضد الدولة العثمانية[1]، أين قام الباشا سليمان الخادم بعدها بتعيين القائد "بهرام بك" حاكما على مدينة عدن باليمن وإمداده بحوالي ستمائة جندي انكشاري[*]، بذلك يعتبر القائد بهرام بك أول حاكم عثماني على مدينة عدن من بعد حكام بني طاهر لها، بعدها اتجه سليمان باشا مع أسطوله المكون من حوالي مائة سفينة الى سواحل الهند وعند منطقة الشحر استولى العثمانيون على أسطول برتغالي مكون من ستة سفن، أسروا ما يقارب مائة وستين أسيرا نصرانيا تم ضمهم كمجذفين بالأسطول العثماني على حملة ديو.

بعد وصول أسطول سليمان باشا الى سواحل الهند سارع حاكم كجرات السلطان "محمود ابن بهادر شاه" بإرسال الهدايا والمئونة اللازمة للجيش العثماني، كما بعث حاكم مدينة مظفر أباد "خداوند خان" بالهدايا والتحية لسليمان باشا الخادم، مرد كل تلك الهدايا المرسلة له هو تخوفهم منه بعد قتله للسلطان عامر بن داود الطاهر حاكم مدينة عدن باليمن[2].

بذلك يكون الإتفاق والتحالف العثماني-الهندي قد وقع بين سليمان باشا وبين حاكم كجرات محمود ابن بهادر شاه وحاكم مظفر أباد خداوند خان، من أجل محاربة البرتغاليين ومحاصرتهم في قلعة ديو، فبعد حصار دام عشرين يوما على قلعة ديو من طرف العثمانيين وحلفائهم من حكام الهند، سقطت القلعة الخارجية وأوشكت القلعة الداخلية على السقوط كذلك وأصبح موقف البرتغاليين صعبا في قلعة ديو بقيادة أنطونيو دا سيلفيريا(Antonio Da Sylveria)، لكن انقلبت موازين الحصار والمعركة بعد وصول دعم برتغالي من القاعدة البحرية بجوا، ما دفع الأساطيل العثمانية والكجراتية المتحالفة الى

---

(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 327، وأنظر أيضا: فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص 141.

(*) انكشاري: كلمة تركية الأصل مركبة من كلمتين(yani) وتعني الجديد (Cery)بمعنى العسكر أي العسكر الجديد، وهو جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان عام 1326م أعتمد في تأسيسه على أبناء النصارى البلقان بعد جلبهم صغارا في السن وتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية ثم فنون القتال بعد بلوغهم سن الرشد، كان شعارهم هو: **"الإسلام ديننا والسلطان أبونا والثكنة مسكننا"**، أنظر: عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص ص(49،48)، وأنظر كذلك: أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره(1800م-1830م)، دار الكتاب العربي للنشر، الجزائر، 2010، ص 19.

(2) محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص 154.

التراجع، خاصة بعد تخوف كل من السلطان محمود بيكر مظفر شاه وخداوند خان من غدر سليمان باشا الخادم بهم، مثل ما فعله مع حاكم مدينة عدن باليمن عامر بن داود الطاهري[1].

لقد سارع الباشا سليمان الخادم الى رفع الحصار البحري عن قلعة ديو لأسباب سياسية أكثر منها عسكرية[2]، أين أمر جنوده بالانسحاب الفوري من القلعة ليتجه بعدها إلى ميناء عدن باليمن بعدما وصلته أخبار وصول الدعم العسكري القادم لمساندة القوات البرتغالية المحاصرة في قلعة ديو بالهند، هذا ما أعطى فرصة جديدة للبرتغاليين من أجل التحالف مجددا مع القائد خداوند خان حاكم مظفر أباد والسلطان محمود ابن بهادر شاه حاكم كجرات ضد الباشا سليمان الخادم والعثمانيين في البحار الهندية والخليجية.

كما أكدت لنا الرسائل التي بعث بها سليمان باشا الخادم الى حاكم كجرات ومظفر أباد تحميلهم مسؤولية فشل التحالف المبرم بينهم في تحرير ميناء ديو بالهند من قبضة البرتغاليين، رغم طلبهم ليد المساعدة منه في بداية الأمر مع العلم أن أسباب فشل الحملة العثمانية على ميناء ديو بالهند كثيرة في الحقيقة والتي من بينها تطابق سفن الأسطول العثماني المخصصة لمعركة ديو مع خصائص مياه البحر الأبيض المتوسط وليس مع خصائص مياه المحيط الهندي من جهة، اضافة الى عدم تجانس الجيش المشارك في هذه الحملة من المجذفين وأسرى الحرب البرتغاليين الذين يكنون الحقد الدفين للعثمانيين وهنود كجراتيين، اعتماد العثمانيين على أيادي فنية أوروبية من جمهورية البندقية أيضا لصناعة سفن أسطول الحملة من جهة أخرى،دون انكار نا لأسلوب الباشا الخاطئ في التعامل مع مثل هذه المواقفالسياسية و العسكرية[3].

---

(1) محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص ص 154-155.

(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 328.

(3) يظهر لنا جليا بأن شخصية قائد الحملة سليمان باشا الخادم لم تكن لتؤهله لقيادة هذه الحملة فقد سرى إليه ضعف العقل والرأي والتدبير، فلم يكن ذا صلة بالبحرية العثمانية فقد كان من العبيد الخصي الذين عاشوا في القصر السلطاني، كما تميز بميله إلى الغدر وسفك الدماء فما قام به مع أمير عدن عامر بن داود الطاهري بعث الشك والريبة في قلوب حكام مماليك الهند، أعطى صورة سيئة جدا عن الدولة العثمانية في البحار الهندية، أنظر: قطب الدين النهروالي، المصدر السابق، ص ص 82-84، وكذلك: مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص ص(95،94)، وأنظر عن تحالف البرتغاليين مع حكام بلاد الهند ضد الباشا سليمان الخادم: يلماز أوزتونا، نفسه، ص 328، وللمزيد من الإيضاح كذلك راجع: البحراوي، نفسه، ص ص(155،154).

*انعكاس الحملة العثمانية على السلطة البرتغالية:

لقد أزعجت الحملة العثمانية على ميناء ديو بالهند ملك البرتغال في حقيقة الأمر واعتبرت تهديدا صريحا له على مستعمراته في بحار الشرق، هي التي تمثل مصدرا هاما من مصادر الدخل المالي لخزينة حكومة البرتغال، حيث بعد عودة الأسطول العثماني من معركة ديو الى ميناء السويس بمصر ترك سليمان باشا الخادم قوة بحرية متمركزة هناك ضمت حوالي خمسمائة جندي وخمس سفن بحرية[1]، من أجل اغلاق مدخل البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية كما توجه الباشا سليمان الخادم الى ميناء الشحر وعدن ومخا باليمن لتعيين القائد الجديد "مصطفى باشا" كوالي على بلاد اليمن، بعد أن تفقد جميع سواحل عمان وحضر موت والتي أخضعها بدوره تحت سلطة الدولة العثمانية، مقدما خلالها مساعدات عسكرية إلى مسلمي اريتريا والصومال من بنادق ومدافع ضخمة، لمواصلة مواجهة الخطر البرتغالي هناك وحلفائه من الأحباش[2].

بعد نهاية مهمة سليمان باشا في ديو توجه مباشرة بأسطوله إلى ميناء جدة في يوم 13 مارس 1539م، بعد أن أمر الديوان العثماني الباشا بالحضور فورا إلى مقر الآستانة بالقصر السلطاني لتقديم تقرير مفصل عن نتائج حملته على ميناء ديو بالهند، أين أجمع الديوان العثماني باسطنبول بأغلبية كبيرة على نجاح حملة الباشا سليمان الخادم على ميناء ديو رغم معارضة البعض لها داخل مقر الديوان العثماني[3]، حيث أن تقرير حملة الباشا سليمان الخادم على بلاد الهند وديو موجود في أرشيف "طوب كابي سراي" باسطنبول في علبة رمزها: (E) ورقمها:9663[4].

كرد فعل على حملة ديو قام البرتغاليون بإحراق الأسطول العثماني المتواجد في مياه البحر الأحمر[5]، كما أحرق البرتغاليون ميناء سواكن بالحبشة وحاولو ا بعدها احراق مدينة جدة لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك، ليهزمهم العثمانيون مجددا في معركة مصوع البحرية عام 1540م، كما جهز البرتغاليون حملة

(1) النهروالي، المصدر السابق، ص 84.
(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 329.
(3) بجوي ابراهيم أفندي، تاريخ بجوي ابراهيم أفندي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول، م01، ط01، ترجمة وتقديم ناصر عبد الرحيم حسين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 225، وأنظر أيضا: أوزتونا، نفسه، ص 330.
(4) نفسه، ص 330.
(5) النهروالي، نفسه، ص 85.

بحرية أخرى على القاعدة العثمانية بالسويس عام 1541م، فقد ترتب عن حملة سليمان باشا الخادم على ميناء ديو بالهند نتائج سياسية و اقتصادية وعسكرية جد هامة في مياه البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وساحل شرق افريقيا كذلك، من خلال انتعاش التجارة العثمانية في هذه الطرق البحرية بين عام 1538م و 1550م حسب ما أشارت اليه الدراسات التاريخية التركية الحديثة[1].

أما في الجهة المقابلة من البحر الأحمر فقد تم احكام السيطرة العثمانية على ميناء عدن باليمن رغم اشتداد الصراع والتنافس بين القادة العثمانيين والأئمة الزيديين هناك، كل هذا جعل مهمة عدن لا تتعدى لأن تكون نقطة حماية فقط للعثمانيين وليس نقطة ارتكاز للانقضاض على الأساطيل البرتغالية المتجهة الى موانئ الهند[2]، عليه أخذت الدولة العثمانية في التخطيط للإنفتاح على مياه المحيط الهندي من طريق جديدألا و هو طريق الخليج العربي.

على الرغم مما بذله سليمان باشا الخادم من مجهود في فتح ديو إلا أنه لم يتمكن من ذلك مما أجبره على العودة الى ميناء السويس بمصر، حيث وصف لنا قائد البحرية البرتغالية "لاجرافير"(La Graviere) في كتابه الذي عنوانه "مذكرات أميرال متقاعد":

(Souvenirs D’un Amiral par le contre-amiral Jurien de la Graviere).

حملة الصدر الأعظم سليمان باشا الخادم على ميناء ديو بقوله:**(في سنة 1538م اقترب سليمان باشا من الشاطئ الهندي وأنزل من معه من الجنود اليكجرية(*)والمدافع وبدأ بالاستيلاء على حصون البرتغال الأمامية بعد عدة مناوشات، ثم أمر بالهجوم على حصن الديو فرده البرتغال بقوة وفقد في تلك المعركة أربعمائة من رجاله، وبينما كان يستعد لهجوم أخر بلغه مجيئ الدونانمة(*)البرتغالية**

---

(1) Ozbaron. S, Osmanli umparatorlugu ve Hindistan Yolu, I.U.E.F. Tarih Dergisi Say, 31 Mart 1977, ist 1978, p. 102.

نقلا عن: محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص 158، و أنظر: النهروالي، المصدر السابق، ص 280.

(2) البحراوي، نفسه، ص 159.

(*) اليكجرية:المقصود بها الجيوش الإنكشارية وكانت تكتبها المصادر العربية (الينكجرية) في العصر العثماني، أما المصادر العثمانية فتكتبها(يكجرية)وتقرأ ينيجيرية أي النظام الجديد(يني=جديد، جري=نظام)، وقد قرأها الأوروبيون كما تكتب لا كما تقرأ فكتبوها انكشارية وهكذا نقلها لنا الكتاب العرب المحدثون، أنظر: محمد سعيد بن عبد الله السويدي، ورود حديقة الوزراء بورود وزارة مواليهم في الزوراء: تاريخ العراق من سنة(1161هـ-1202هـ/1748م-1787م)، تحقيق وتقديم عماد عبد السلام رؤوف، دار الزمن للنشر، دمشق، 2012، ص 51.

(*) الدونانمة: يقصد بها الأسطول البحري بالغة التركية، أنظر: محمود عامر، <<المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية>>، المرجع السابق، ص 383.

فأنزل جنوده الى السفن في الحال وترك للأعداء مدافعه، ثم سار الى كجرات وكانت الرياح تعاكسه الى أن وصل الى مدخل خليج كوشين، ومن هناك أقلع الى عدن ومنها الى مخا ثم وصل مدينة السويس سنة 1539م)[1]**.**

من خلال المقاربة التاريخية في فصول هذا البحث نستنتج أهم النتائج السياسية والإقتصادية لحملة سليمان باشا الخادم على ميناء ديو بالهند وهي كما يلي:

-انتعاش الإقتصاد العثماني خاصة و التجارة المحلية عامة في حوض البحر الأبيض المتوسط مع منطقة أقصى شرق آسيا والهند.

-ان هذه الحملة قد هزت وشوهت في الوقت نفسه صورة الدولة العثمانية سياسيا مع حكام مسلمي الهند بسبب قتل سليمان باشا للسلطان عامر بن داوود الطاهري حاكم مدينة عدن باليمن، مما أدى إلى فشل قيام جبهة إسلامية موحدة أمام البرتغاليين في أقصى منطقة شرق آسيا[2] وفشل التحالف العثماني الهندي هناك، خصوصا مع تجدد الصراع السياسي والعسكري بين الولاة العثمانيين والأئمة الزيديين على حكم بلاد اليمن قرابة قرن كامل(1538م-1638م)[3].

-بقاء ميناء عدن باليمن نقطة حماية فقط للعثمانيين وليست نقطة ارتكاز للانقضاض على البحرية البرتغالية في مياه المحيط الهندي[4]، على الرغم من تعيين السلطان سليمان القانوني لكل من القائدين بهرام بك ومصطفى بك لحكم مدينة عدن وزبيد باليمن، هذا ما يعني إنهاء حكم القوى المحلية المناوئة لهم في المناطق الداخلية باليمن والمتمثلة في الإمامة الزيدية ولو حتى مؤقتا.

---

(1) النهروالي، المصدر السابق، ص ص 279-280، وأنظر أيضا:
JURIEN DE LA GRAVIERE, Souvenirs D'un Amiral par le contre-amiral Jurien de la Graviere, Tome 01, Paris, Librairie De L. Hachette, 1860, p.p. 252-253.
(2) مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص 95.
(3) فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن(1872م-1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص 20.
(4) محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص 159.

-بداية تخطيط الدولة العثمانية من أجل الإنفتاح على مياه المحيط الهندي من معبر جديد ألا وهو معبر الخليج العربي[1]، التي حاولت جاهدة بعد ذلك السيطرة عليه والتحكم في مياهه الإقليمية فيما بعد، بحيث شكل ممرا ذات أهمية اقتصادية وعسكرية لها.

---

(1) البحراوي، المرجع السابق، ص 160.

ج/تأسيس العثمانيين لإيالة البصرة بالخليج العربيو أهميتها الإقتصادية والسياسية عام 1538م:

تقع البصرة على شط العرب وعلى بعد أربعمائة وعشرون كلم جنوب شرق بغداد ويقابلها على السواحل الشرقية للخليج العربي موانئ عبدان ومهروبان وسيراف وسيفنز وجنابه وهشم بن عمارة وهرمز وتيز، هي التي ستسمى فيما بعد باسم بوشير وبندر عباس ويعتبر مينائها من بين أهم الموانئ الواقعة في شرق شبه الجزيرة العربية وما جاورها اضافة الى ميناء الكويت والقطيف(1)، لقد تأسست ايالة البصرة في 24 جويلية 1538م لترتبط بها مناطق جنوب العراق والكويت والإحساء والقطيف ونجد وقطر والبحرين وعمان المتصالح وجبل شمراما، بعد قبول شيوخ العرب الحماية العثمانية عليهم(2)، والإشكالية المطروحة هي: ما أهمية فتح مدينة البصرة بساحل الخليج العربي بالنسبة للعثمانيينسياسيا و عسكريا؟ وهل سيشكل فتح البصرة والعراق بعدها دعامة أساسية للإقتصاد العثماني؟.

خلال الفترة التي سعت فيها الدولة العثمانية لتوطيد سيطرتها على ساحل شرق افريقيا ومياه البحر الأحمر وعدن، تمكن البرتغاليون من احكام قبضتهم العسكرية على المناطق الواقعة بالقرب من جزيرة هرمز والبحرين بالخليج العربي، أين كان هدفهم هو التحكم في تجارة هرمز والخليج العربي حيث بلغت قيمة الضرائب المفروضة على التجار المسلمين في هرمز عام 1528م ما يقارب 60 ألف أشرفي(*)، كما أن أهمية مدينة البصرة لوحدها في التجارة البرتغالية قد بلغت قيمتها عام 1540م حوالي 09 ألاف أشرفي(3)، لكن رغبة البرتغاليين في توسيع نشاطهم في شمال الخليج العربي كان سببا كافيا لهم لمساعدة حاكم البصرة الشيخ راشد بن مغامس عام 1529م ضد حاكم شيخ جزيرة غيزيرا (Gezaira)(*) بعد ارسالهم للدعم العسكري بقيادة تافريز طشيور دي سوسا، أين تعتبر هذه الحملة هي أول حملة برتغالية الى رأس الخليج العربي، لكن امتناع حاكم البصرة من تسليم ستة سفن حربية من نوع

---

(1) غسان علي رمال، المرجع السابق، ص 39.
(2) أوزتونا، المرجع السابق، ص 343.
(*) الأشرفي: هو من أسماء النقود المتداولة خلال تلك الفترة وأشهرهم الأشرفي البرسبيهي نسبة الى السلطان برسباي، والأشرفي القاتباهي نسبة الى السلطان قتباي والأشرفي الغوري نسبة الى السلطان الغوري وكذلك الأشرفي العثماني نسبة الى العثمانيين، أنظر: غسان علي رمال، نفسه، ص 39.
(3) Simao Da Botelho, Cartes Tombo, FF. 76.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، <<البصرة في مرحلة السيطرة البرتغالية على الخليج-دراسة في المصادر>>، مجلة آداب البصرة، السنة 2012، العدد 23، مجلد 02، جامعة دلمون، البحرين، ص 638.
(*) غيزيرا: من المفروض أن تكون اما جزيرة الخفر أو جزيرة عبادان بالقرب من مدينة البصرة سابقا والتي تم فصلها عن الحكم العثماني، ليضمها الشيعة الإيرانيون اليهم ضمن محافظة خوزستان على شاطئ الخليج العربي.

فيستا(Fustas)ومعها خمسون جنديا روميا، جعل القائد تافيز دي سوسا يقوم بإحراق عدد كبير من المراكب والسفن التجارية لمسلمي البصرة في طريق عودته الى القاعدة البرتغالية بهرمز[1].

اعتبر البرتغاليون طريق بغدادو البصرة بديلا لطريق الهند الذي سمي بالبرتغالية ب:(Carreira Da India) أين كانت تنقل البضائع من البصرة الى بغداد ثم الى تركيا أو بلاد فارس[2]، كماذكرت لنا الوثائق البرتغالية بأن مدينة البصرة كانت تتمتع بحركة تجارية هائلة مع الهند في بداية القرن 16م، تشير لنا الوثائق البرتغالية كذلك الى الطرق البحرية التقليدية التي تعمل باستمرار من ميناء البصرة الى ميناء جوا بالهند[3]، أشهر البضائع التي كانت تجلب من هناك هي القمح البصراوي والزبدة والتمور والشعير واللؤلؤ البحريني، التي تحمل كلها على ظهر سفن صغيرة وسريعة تسمى بالبرتغالية باسم تارادا(Tarràda)[4]وتعمل بين خطوط ميناء هرمز والبصرة.

كذلك تذكر لنا الوثائق الأرشيفية لتاريخ البرتغاليين في البصرة بأن الخيول العربية الأصيلة التي تصدر سنويا الى ميناء جوا(Goa) بالهند، عبورا بميناء هرمز تقدر ما بين 600 الى 800 رأس خيل حيث كانت تجارة الخيول العربية الأصيلة تشكل مصدرا هاما كذلك لمداخيل خزينة البصرة[5]، فقد كان حاكم البصرة يرسل كل عام ثلاثة خيول عربية لملك هرمز ووزيره ولحاكم البرتغال في هرمز، كما أن الضرائب التي كانت تفرض على السلع الشرقية في البصرة تقدر بنسبة 10./. أما السلع التي يعاد تصديرها من البصرة الى بغداد فتقدر نسبة الضرائب المفروضة عليها بنسبة 11./.[6]، هذا ما دفع

---

(1) أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص 219.
(2) D.F. Castro, Cronica Do Vice-rei De Joào De Castro, Lisbon, 1955, p.p. 365-367.
(3) Carta Simào Da Costa, The Governor Of Goa, 1536, ANTT, A.G, Vol V, Gav xv, p.p. 140-141.
(4) ذكرت لنا هذه الوثيقة البرتغالية بأن مدينة البصرة في عام 1563م كانت تعد واحدة من بين أكبر منتجي التمور في العالم وهي مشهورة بالعديد من أنواعه، التي تنبت في منطقة القرنة كتمر الخلاص والمرزبان أين يتم تصدير هذه الأنواع الى الهند ومصر و أوروبا، للمزيد أنظر:الأرشيف الوطني لبرج الزمن الذي أنشأ بلشبونة عام 1378م ويعني بالبرتغالية(The Arquivo Naciona da Torre do Tambo) ويختصر في كلمة(ANTT):
ANTT, Carta Ormuz, FL, 102-126.
(5) ANTT, op.cit, FL, 88, carta d. Manuel de Lima To D. Joào De Castro, 23 June 1547.
(6) ANTT, A.G, VOL V, Gav xv, p. 141.

بالقادة البرتغاليين الى محاولة احتلال مدينة البصرة لأكثر من مرة، مثل محاولة القائد طشيور تافاريز دي سوسا في عام 1529م[1] والتي أحرق فيها البرتغاليون عددا كبيرا من القرى بالبصرة.

تعتبر الحملة العثمانية على مدينة البصرة والعراق حملة فرضتها الظروف الإقتصادية والعسكرية كذلك، حيث أن تجربة العثمانيين في ساحل شرق افريقيا ومياه البحر الأحمر جعلتهم يقدرون مدى أهمية سيطرتهم على مدينة البصرة بالخليج العربي، فان تحكمهم في شرق الهلال الخصيب وفتحهم للشام ومصر سابقا يجبرهم على اتمام سيطرتهم على طريق الحرير[*]، من تبريز بإيران الى أرضروم ومنهاالى بورصة بالأراضي العثمانية، الذي بجانبه طريق تجارة التوابل الممتد من داخل أراضي البصرة الى بغداد ثم الى مدينة حلب وهو الذي كان بمثابة دعامة أساسية للإقتصاد العثماني[2].

ان فتح العثمانيين للعراق بقيادة السلطان سليمان القانوني عام 1534م ساهم في جعل حاكم مدينة البصرة بالعراق راشد بن مغامس يسارع الى اعلان ولائه التام للعثمانيين عام 1538م، أين أرسلت بعثة من البصرة الى اسطنبول يرأسها ابنه مانع ابن راشد بن مغامس ووزيره عامر محمد تطلب موافقة السلطان العثماني على ضم مدينة البصرة الى حظيرة الحكم العثماني، مع تقديم مفتاح المدينة كرمز من رموز الولاء والطاعة للسلطان وبعض الهدايا الثمينة كذلك، فوافق السلطان العثماني سليمان القانوني على هذا الطلب وقام بتعيين الشيخ راشد بن مغامس واليا على مدينة البصرة جنوب العراق مدى الحياة[3]، ذلك تماشيا مع سياسة العثمانيين القائمة على ترك الأمور الداخلية للولايات العربية في أيدي شيوخ القبائل والزعامات المحلية.

---

(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 86، وانظر أيضا: Wilson. A, op.cit, p. 123.

(*) طريق الحرير: هو من عناصر التراث الحضاري العالمي بحيث لم يكن هذا الطريق تجاريا خالصا تسلكه القوافل التجارية فقط، بل كان طريقا حضاريا به اتصلت شعوب الشرق مع الغرب وتناقلت الأفكار والخبرات والتجارب في كل الإتجاهات والأنحاء وفي عدة مجالات، للمزيد حول طريق الحرير أنظر: علي أبو عساف، <<طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم>>، مجلة دراسات تاريخية، السنة 1991، العدد 39-40، السلسلة 12، ص ص 72-82.

(2) INALCIK. H, THE OTTOMAN EMPIRE, WEIDE FELD AND NICOLSON, LONDON, 1975, p.p. 128-129.

(3) الأرشيف العثماني، طوب كابي سراي، رمز العلبة: E، رقم العلبة: 5466، أنظر أيضا: يلماز أوزتونا، نفسه، ص 90، وراجع كذلك: العزاوي، تاريخ العراق، المرجع السابق، ص 46، وللمزيد أنظر:
J. Hammer, op.cit, Tome 05, p. 204.

ما يبين لنا بأن سكان جنوب أقاليم العراق ومدينة البصرة بالتحديد كانوا ينتظرون قدوم العثمانيين اليهم لإنقاذهم من خطر البرتغاليين هناك، الذين ثبتوا أماكنهم في جزيرة هرمز منذ عام 1515م والتي مثلت لهم معقلا رئيسيا للسيطرة البرتغالية على عمان وشرق شبه الجزيرة العربية آنذاك(1)،كما أن اعلان أمراء جزر العراق الواقعة على شط العرب ونهري دجلة والفرات والجزائر (Cezayir)(*) والحويز دخولهم تحت حكم الدولة العثمانية،و استقبال السلطان العثماني سليمان القانوني لوفود من منطقة البحرين والقطيف، تحمل معها رسائل الترحيب والسعادة بقدوم العثمانيين للعراق ورغبتهم الكبيرة في التعاون معهم لمواجهة الخطر البرتغالي المتمركز بمياه بالخليج العربي، جعل أئمة المساجد في العراق تلقي الخطبة باسم السلطان سليمان القانوني كما صكت العملة النقدية باسمه(2)، ليعين السلطان العثماني حاكم ديار بكر "سليمان باشا الطويل" واليا جديدا على مدينة بغداد مع ابقائه لحامية عسكرية فيها مكونة من ألف جندي مسلح مع ألف فارس.

كما قسم العثمانيون العراق أيضا الى أربع مقاطعات ادارية وهي ولاية بغداد وفيها ثمانية عشر سنجق(*)،وأ لواء اضافة الى مركز ها وولاية الموصل وفيها ستة سناجق وولاية شهرزور وفيها واحد وعشرون سنجقا التي قسمت كلها مابين عام 1534م و1550م، أما ولاية البصرة لم يكن فيها أي سنجق بسبب تركيبها العشائري والقبلي وكانت جباية الضرائب فيها تتم بنظام الإلتزام فقط، لكن الإجراءات الإدارية والمالية التنظيمية الجديدة للدولة العثمانية في ألويتها بالعراق لم تعجب حاكم مدينة البصرة "راشد بن مغامس"، الذي رفض دفع الضرائب السنوية لخزينة الدولة العثمانية وقام بتمرده على

---

(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 86.

(*) Cezayir: أو الجزائر والمقصود بها هنا ليس ايالة الجزائر العثمانية الواقعة في شمال منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، بل هي جزائر العراق وأطلق عليها أيضا اسم الجزائر الجديدة لتفريقها كذلك وتمت السيطرة عليها بواسطة حاكم مدينة البصرة قباد باشا، والجزائر هي منطقة المستنقعات ما بين الكوفة ومنطقة واسط في الشمال والبصرة في الجنوب وتتكون من 300 جزيرة أقيمت عليها العديد من القلاع الحربية، أنظر: مجموعة حكمنامة، دفتر الأمور المهمة، ص 34، نقلا عن: صالح العابد، عهد الحكم العثماني الأول والعراق في التاريخ، دار الحرية للنشر، بغداد، 1983، ص 575.

(2) أوزتونا، نفسه، ص 88.

(*) سنجق: وجمعها سناجق وتطلق على حامل علم الباشا في موكبه، لكن المقصود بها هنا هو أحد التقسيمات الإدارية الموجودة في الدولة العثمانية، وتعني المنطقة أو المقاطعة أو اللواء وكان على رأس كل سنجق عثماني ممثل يسمى بسنجق بك أي متصرف بالعربية، كما قسمت السناجق الى اقطاعات أطلق على كل واحد منها اسم تيمار وهي الأراضي الممنوحة من قبل الدولة العثمانية لعلية القوم، أنظر: ليلى عبد اللطيف أحمد، الإدارة في مصر في العصر العثماني، المرجع السابق، ص 452، للمزيد راجع كذلك: ايلبير أورتايلي، اعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسام شيخا، ط 01، مطابع الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2012، ص 179.

سلطانها سليمان القانوني[1]، حيث اعتبر الباب العالي راشد بن مغامس حاكم مدينة البصرة متمردا وخارجا على قوانين ونظم الإدارة العلية[2].

بعد ذلك صدرت الأوامر السلطانية الى والي بغداد "سليمان باشا الطويل" من أجل التحرك بحرا باتجاه البصرة فتوجه الوالي العثماني بحرا مع مائة وعشرين سفينة حربية[3]، كما تحرك القائد العثماني "علي ذو القدير أوغلي" بقوة برية أيضا اجتمعت في منطقة القورنة بالبصرة، بعد بضعة معارك بحرية تمكن العثمانيون من سحق فصائل المتمردين هنالك إحراق سفنهم، لم يجد والي بغداد سليمان باشا صعوبة تذكر في هزيمة قوات البصرة بقيادة "عبد المحسن بن عليان"، البالغ عددها نحو ثلاثة ألاف جندي، حيث كان الدخول العثماني النهائي الى البصرة يوم 26 سبتمبر 1546م[4]، بالرغم من نصيحة الصدر الأعظم "رستم باشا" بعدم فتحها لأنها مدينة مخربة ولا قيمة لها، أين فر حاكمها "راشد بن مغامس" مع حاشيته بعد فتحها الى منطقة الإحساء[5].

يعتبر وصول العثمانيين الى مدينة البصرة بجنوب العراق ايذانا بدخول الصراع العثماني البرتغالي مرحلة جديدة من مراحله تتخللها علاقات متباينة في فترات مختلفة، أين سعت الدولة العثمانية الى اقامة علاقات جيدة في بعض الفترات، مرد ذلك هو حاجة العثمانيين والبرتغاليين كذلك للعديد من البضائع والسلع المختلفة التي انعدمت بسبب اشتداد الصراع والتنافس بينهما، من مظاهر هذه العلاقات ارسال والي البصرة "محمد باشا" لتاجر عربي يدعى "الحاج فياض"[6] الى حاكم البرتغال في جزيرة هرمز عام 1547م، من أجل ابرام اتفاقيات تجارية مختلفة بالرغم من أن موقف البرتغاليين مع العثمانيين ظل معاديا في مياه الخليج العربي والبصرة.

كما اضطر العثمانيون الى مهادنة البرتغاليين مرات عديدة من أجل الحصول على الأخشاب من بلاد الهند وشرق افريقيا لبناء أسطولهم البحري بالبصرة، أين كانت السلع الأسيوية تمر على مضيق هرمز

---

(1) صالح العابد، المرجع السابق، ص ص 573-575، أنظر حول التقسيمات بالبصرة الملحق رقم 11.
(2) أوزتونا، المرجع السابق، ص 91.
(3) الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كبجي، دفتر الرؤوس المهمة، ص 117، أنظر:أوزتونا، نفسه، ص 91.
(4) Gokbilgir. T, Rustem Pasa, Mad Ist, Milli Egatim Fasiniori, 1964, IX, p.p. 800-802.
(5) Ozbaron. S, Da Basra Korefezi Sahillerinde Osmanlilar Basra Beylerbey Liginin Kurulusu, 1971, p.p. 51-72.
(6) أحمد العناني، <<البرتغاليون في البحرين وحولها>>، مجلة الوثيقة، السنة 1984، العدد 04، ص 101.

والذي كان في قبضة البرتغاليين أنفسهم[1]، نفس الأمر بالنسبة للبرتغاليين الذين بعد حاجتهم الماسة للقمح من جنوب العراق لتمويل حامياتهم العسكرية وجنودهم بهرمز غذائيا، قاموا بحسب التقارير التي كتبت عن مدينة البصرة بتبادل الفلفل الأسود مقابل القمح[2]، فقد زود البرتغاليون سنويا العثمانيين بالبصرة بحوالي 3000 بالة من الفلفل الميليباري، مقابل تزويد الأتراك للبرتغاليين في جزيرة هرمز بألف قنطار من القمح البصراوي، في عهد حاكم جزيرة هرمز البرتغالي لويس فالكاو(Luis Falcào)[3].

بعدها حرص العثمانيين على توطيد نفوذهم في منطقتي الإحساء والقطيف بسبب تمرد سكان القطيف على حاكم هرمز، بمساعدة من حاكم الإحساء ليطلبوا المساعدة من الحامية العثمانية المتواجدة في مدينة البصرة لتدخل منطقة الإحساء عام 1550م تحت سيادة العثمانيين، كما صارت منطقة القطيف سنجقا تابعا لبيلربكية البصرة[4].

ان سيادة العثمانيين على بلاد اليمن والبصرة والإحساء والقطيف بدأت تثير مخاوف البرتغاليين كما أن احتمالية خروج مدخل الخليج العربي من سيطرتهم أصبح أمرا واردا، حيث كانت تقارير البحر الأحمر والخليج العربي تشير الى أن استعدادات عثمانية قائمة للسيطرة على مدخل الخليج العربي بهرمز[5]، ففي عام 1550م انهزم القائد البرتغالي لويس فيقورا (Luis Figoura) في منطقة رأس الحد بعد اصطدامه بأسطول القائد العثماني المتواجد هناك بقيادة سفير ريس(REIS SAFIR)، أين تسابق العثمانيون والبرتغاليون على ترسيخ وجودهم في الخليج العربي بحيث أقدمت السلطات البرتغالية في هرمز، على دعم دفاعاتها وتحصيناتها بمسقط وجلفار أما رد العثمانيين على ذلك فكان بإصدار الباب العالي لأوامره الى قبودان السويس ومصر بيري ريس(REIS PIRI)[*] لمواجهة البحرية البرتغالية

(1) ANTT, A.G, Volume V, Gav XV, 17-40, p. 142.
(2) V. Godinho, Os Descobrimentos ea Economia Mundial, Lisbon, 1950, Vol 02, p. 162.
(3) Carta Ormuz, FLS, p.p. 88-92.
(4) الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كبجي، دفتر الرؤوس، رقم 209، ص ص 57-71.
(5) نبيل عبد الحي رضوان، <<تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط>>، مجلة المؤرخ المصري، السنة 2011، العدد 20، ص 11.
(*) بيري ريس: هو محي الدين بيري بن حاجي محمد ولد في مدينة غاليبولي الواقعة على الضفة الغربية من مضيق الدردنيل وهي أول موطن قدم للعثمانيين في الشاطئ الأوروبي، أسس بها الأتراك ترسانة لصنع السفن الحربية، لكننا لا نعرف لحد الساعة تاريخ ولادة بيري ريس حيث يرجحه الكثير من المؤرخين الى ما بين عام 1465م و 1470م، يعتبر بيري ريس واحدا من بين أشهر البحارة العثمانيين لكونه ملاحا وجغرافيا ماهرا في رسم الخرائط الجغرافية امتلك كفاءات عسكرية جد عالية ودراية واسعة في أمور الملاحة البحرية، سبق له وأن شارك برتبة قبطان في

المتمركزة هناك، كما صدرت الأوامر والتعليمات لبيلر بك البصرة "قباد باشا" من أجل الإستعداد هو الأخر وتجهيز جنوده وسفنه اللازمة للحرب، حيث يتضح لنا من خلال هذه التعليمات الموجهة اليه بأن هرمز هي هدف الحملة العثمانية القادمة(1).

والإشكالية المطروحة في هذا السياق التاريخي هي: ما هدف الديوان العثماني من خلال ارسال حملة بحرية بقيادة "بيري ريس" الى منطقة الخليج العربي عامة ومضيق هرمز خاصة؟، الى أي مدى يمكن لهذه الحملة أن تحدد موقع العثمانيين في مياه الخليج العربي سياسيا وعسكريا واقتصاديا مع البرتغاليين؟.

السفينة الأميرالية التفتيشية المتوجهة إلى بلاد مصر بقيادة إبراهيم باشا الطوباشي، تقلد بيري ريس وظائف سامية= في الدولة حيث عمل كمستشار قانوني لوالي مصر في عام 1549م، كما كلف بمهمة استكمال جهود سليمان باشا الخادم عسكريا ضد البرتغاليين في مدينة عدن باليمن، لكن لا يمكننا التحدث عن أعمال بيري ريس العسكرية دون التطرق إلى شخصية عمه كمال ريس الذي عمل معه في العديد من المهام البحرية للدولة خاصة في سواحل غرب حوض البحر الأبيض المتوسط، من أهم انجازات بيري ريس العلمية والجغرافية هو رسمه لخريطة العالم القديم والقارات الجديدة مع أمريكا في عام 1513م بمدينة غاليبولي، التي كان قد اكتشفها قبل ذلك المستكشف الاسباني كريستوف كولومبوس، حيث كتب بيري ريس في وسط هذه الخريطة من جهة اليسار:**(كتبه الفقير بيري بن حاجي محمد المعروف بابن أخ كمال ريس غفر الله لهم جميعا في مدينة غاليبولي، في شهر محرم الحرام سنة 1513م)**، للمزيد عن شخصية يري ريس أنظر: فيصل عبد الله الكندري، <<الملاح والجغرافي بيري ريس1554م>>، مجلة رسائل جغرافية، السنة 1999، العدد 234، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، طباعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 06، وأنظر أيضا:

Piri Reis, Kitabi Bahriye, Ministry of Culture and Tourisme, Ankara, 1988, p.p. 54-66.
Paul Kahle, <<Piri Reis The Turkish Sailor and Geographer>>, The Magazine of Pakistan Historical Society, Pakistan, vol1, 1965, p.p. 05-99.

حول شخصية كمال ريس أنظر: محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 63.

(1) Orhonlu Cengiz, op.Cit, p.p. 240-252.

د/حملة بيري ريس على مضيق هرمز بالخليج العربي وانعكاساتها السياسية والعسكرية عام 1552م:

ان دخول العثمانيين لمنطقة الخليج العربي في النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد جعلهم يقفون وجها لوجه في مواجهة البرتغاليين، الذين سيطروا على المنطقة منذ عام 1507م[1] عند قدوم ألبوكيرك على رأس أول حملة بحرية وسيطرته على موانئ الساحل العماني وجزيرة هرمز والبحرين، حيث ازداد النشاط البرتغالي في منطقة الخليج بين عام 1550م و1551م ليقوم البرتغاليون بمحاولات لوقف التغلغل العثماني في المنطقة، كما حاولوا أيضا طرد العثمانيين من المناطق التي وطئوها بتخريبهم للقطيف والإحساء وقيامهم بربط علاقات مع شيوخ القبائل العربية المناوئة للحكم العثماني في أطراف البصرة، تشجيعهم لهم على الوقوف في وجه العثمانيين[2].

كل هذه العوامل دفعت بالسلطات العثمانية إلى تجهيز حملة عسكرية ضد البرتغاليين في مياه الخليج العربي، تم من خلالها اختيار "بيري ريس" كقائد لهذه المهمة نظرا لما يتمتع به هذا الرجل من خبرة عسكرية طويلة ودراية واسعة بأسرار البحر وقيادة الأسطول العثماني، فقد منحه السلطان سليمان القانوني لقب "قابودان مصر والسويس"[3]، تم استحداث هذه الرتبة العسكرية الجديدة لأول مرة في الأسطول العثماني بمصر، بحيث يخضع تحت سلطته كل من قابودان السويس والإسكندرية ودمياط وغيرهم من قادة البحار في مياه البحر الأحمر.

لقد كانت الأوامر السلطانية الموجهة الى قبودان السويس "بيري ريس" هي السيطرة على جزيرة هرمز وتخريب دفاعاتها وتحصيناتها العسكرية، بعد اتمام مهمته هذه يتجه نحو جزيرة البحرين بالخليج العربي للإتمام السيطرة عليها، كما يجب عليه أن الذهاب الى مدينة البصرة جنوب العراق من أجل اخماد ثورات العشائر المجاورة لها والتي كانت دائما ما تثور في وجه الحكام العثمانيين هناك، بعد انتهائه من

---

(1) حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 2017، ص 61، أنظر عن الوجود العثماني في منطقتي القطيف والإحساء: فيصل عبد الله الكندري، <<قانون نامة لواء القطيف عام 959 هـ/1552م>>، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، السنة 1997، العدد 15 و 16، تونس، زغوان، ص ص 340-365.

(2) Salih Ozbaran, Osmanly Imparatorlugu Ve Hindistan Yollu, Tarih Der gisi, TD, XXXI, 1977, p.p. 123-124.

(3) محمد ثريا، سجل عثماني، ج 01، استانبول، 1311، ص 44، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، مجلة رسائل جغرافية، المرجع السابق، ص 30.

كل هذه المهام الموكلة اليه من طرف الباب العالي عليه قضاء فصل الشتاء كاملا بميناء البصرة، ثم عليه ابقاء عشرة سفن من اسطوله هناك وأن يرجع بقية السفن الى ميناء السويس بمصر[1]، حيث كان بيري ريس هو صاحب القرار الوحيد في ذلك الأمر كله[2].

أبحر بيري ريس من ميناء السويس بمصر في شهر أفريل عام 1552م ومعه خمسة وعشرون سفينة حربية من نوع كادرغة(*)وأربع سفن من نوع قاليتة(*)وسفينة كبيرة من نوع باريجه، أي ثلاثين سفينة من مختلف الأحجام والأنواع وحوالي ثمانمائة وخمسين جندي فعبر باب المندب قاصدا مدينة عدن باليمن وبعد تزوده بالمئونة اللازمة توجه الى ميناء الشحر بعدن وبالقرب من الشحر تفرقت السفن العثمانية بسبب الضباب الكثيف، لتتجه الحملة بعدها الى ميناء ظفر ثم الى رأس الحد ومنه شمالا دخل الأسطول العثماني لخليج عمان[3].

لقد تمكن بيري ريس قبل ذهابه لجزيرة هرمز من استرجاع القاعدة العثمانية بميناء عدن باليمن عام 1549م التي كانت تحت سيطرة "علي بن سليمان الطولقي"، أحد شيوخ القبائل اليمينة الذي فرض سيطرته على ميناء عدن وطرد الحامية العثمانية المتواجدة به عام 1546م، ما يطرح علينا الكثير من التساؤلات حول دور الترسانة الحربية بالسويس والتي كانت شبه عاطلة تماما عن التدخل لما يحدث في

---

(1) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 35، أنظر:الوثيقة الأرشيفية العثمانية في الملاحق بعنوان: Koguslar, 888, 487b-488a.

(2) مجموعة حكمنامة، دفتر الأمور المهمة، ص 488، وأنظر أيضا: Piri Reis, op.cit, p.p.66-67.

(*) كادرغة: هي عبارة عن سفينة بحرية طويلة وسريعة إذ يبلغ طولها ثلاثة وستون متر وعرضها ثمانية أمتار، هي سفينة حربية شراعية كانت تستعمل قبل صنع السفن البخارية وتحتوي على خمس وعشرون مقعدا وكل مجداف يقوم بدفعة أربع أو خمس جدافين، تمتاز بطولها وخفتها يتكون طاقمها من خمس وثلاثين بحار ومائة وستة وتسعين جداف ويمكنها حمل ثلاثة عشر مدفع، أنظر: محمد دراج، المرجع السابق، ص 50، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: نبيل عبد الحي رضوان، <<تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر الأبيض المتوسط>>، مجلة المؤرخ المصري، السنة 2009، العدد 20، ص 12.

(*) قاليتة: هي نوع من السفن الحربية التي كانت مستعملة قبل صنع السفن البخارية والتي تحتوي على عشرين إلى خمس وعشرين مقعدا وتستعمل على وجه الخصوص لمطاردة سفن العدو، أنظر: محمد دراج، نفسه، ص 37.

(3) مجموعة حكمنامة، دفتر الأمور المهمة، ص 473، وأنظر: سيد علي ريس، مرآة المماليك، دار سعادت، إقدام مطبعة سي، استانبول، د ت، ص ص (12،13)، نقلا عن :فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص 31.

ميناء عدن باليمن، بالرغم من أهمية هذا الميناء استراتيجيا لدرجة تثير الشبهة حول حقيقة وجود ترسانة حربية هناك من عدمه[1]؟.

عند مرور بيري ريس على ميناء الشحر بعدن حذر شيوخ مدينة حضر موت من مغبة الإتصال بالبرتغاليين أو تقديم أية مساعدات عسكرية لهم عام 1552م[2]، ليقوم بعدها بإرسال خمسة سفن قادرغة بقيادة ابنه "محمد بك"، الذي تم تعيينه أيضا من طرف أبيه كقائد لأسطول مدينة البصرة برتبة قابودان باشا، حيث قام "محمد بك" بالتقدم إلى خليج عمان من أجل استطلاع المنطقة جيدا، لأن تعليمات أبيه بيري ريس نصت على عدم المجازفة بكامل الأسطول العثماني في خوض غمار حرب لا يعلم فيها حجم الأسطول البرتغالي المتواجد في مضيق هرمز بالخليج العربي[3]، لا عن عدد الجنود ونوعية الأسلحة المستخدمة فيها لدى القوات البرتغالية.

خلالها كانت السلطات العثمانية قد استفسرت حاكم البصرة "قباد باشا"عن أخبار وصول أسطول القائد بيري ريس الى ميناء البصرة، لكون هذهالأمر ية مبعوثة الى حاكم مدينة البصرة فقام بيري ريس بإرسال ابنه محمد بك بدلا منه الى قباد باشا حاكم البصرة، معه قرار تعيينه كقبودان على ميناء البصرة بالخليج العربي، أيناستلم قباد باشا براءة التعيين من الديوان العثماني و أخبره عن المهمة الموكلة اليه[4].

كما قام بيري ريس بإرسال ابنه محمد بك من أجل محاصرة قلعة مسقط في طريق توجهه الى جزيرة هرمز، التي تتمركز فيها حامية برتغالية تابعة لقائد هرمز ألفارو دي نورها(Alvaro De Noronha)، ليأمر بيري ريس بعدها أسطوله بقصفها بالمدافع لمدة سبع وعشرين يوما كاملا في محاولة منه لتدميرها كليا، بسبب قرب موقعها الجغرافي من قواعد البرتغاليين في كل من جزيرةهرمز وجو ا وديو بالهند[5]، لبعدها عن قلعة مسقط كذلكو عن الولايات العثمانية الأخرى سواء في الإحساء أو البصرة أو الحجاز أو

---

(1) Cengiz Orhonlu, Hind Kaptanligi Ve Piri Reis, Belleten, XXXXIV, 1970, p.p. 235-254.

(2) الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 02، ص 228، وأنظر: سيد علي ريس، المصدر السابق، ص ص 13-12

(3) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 333.

(4) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 31، وأنظر أيضا: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص 14.

(5) Cengiz Orhonlu, op.cit, p.243, And Look: ANTT, CC, III, p.p. 17-37.

اليمن[1]حيث قرر قائد قلعة مسقطجواو دي ليسبوا (Lisboa Joao De)تسليمها للعثمانيين ليتم أسر حوالي 120 أسير برتغالي للعمل كمجدفين في الأسطول العثماني، كما تشير المصادر البرتغالية بأن القائد دي ليسبوا استسلم للعثمانيين شريطة أن يسمح له بيري ريس بالمغادرة مع 60 شخصا من حاشيته الى ميناء هرمز بالخليج العربي، لكن بيري ريس أخلف بوعده هذا وأسر القائد دي ليسبوا مع مائة وعشرين جندي أيضا[2].

أثناء ذلك كانت أخبار الحملة العثمانية القادمة الى جزيرة هرمز قد وصلت الى علم حاكمها القائد ألفارو دي نورها، الذي قام هو أيضا بتجهيز عسكره وتحصين قلعته بحيث قدر عدد الجنود البرتغاليين المتواجدين في القلعة بتسعمائة مقاتل، مع توفيره للمئونة والعتاد الحربي اللازم لتحمل فترات الحصار الطويل ان تطلب الأمر لذلك[3].

بعد وصول بيري ريس الى جزيرة هرمز وحصارها لمدة عشرين يوما كاملا قام القائد البرتغالي دي نورها بإخبار النائب العام للهند بجوا عن هذا الحصار المفروض مطالبا اياه بتوفير الدعم العسكري اللازم لفك هذا الحصار[4]، رغم القصف المتواصل للمدفعية العثمانية لقلعة هرمز إلا أن هذا الحصار انتهى بفشل العثمانيين في دخول القلعة.

خلال ذلك الحصار المفروض من طرف العثمانيين على القلعة كان المدد البرتغالي قد تحرك من ميناء جوا بالهند إلى جزيرة هرمز[5]، ليضطر بعدها بيري ريس إلى رفع الحصار البحري على الجزيرة مخافة أن يحاصره البرتغاليون عند مدخل الخليج العربي من جهة، كما أن نفاذ الأموال وعدم تمكنه من

---

(1) Cengiz Orhonlu, Hind Kaptanligi Ve Piri Reis, op.cit, p. 243.
(2) Salih Ozbaran, Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf, Ph.D. 242, Thesis, University of London, October, 1969, p. 50, And Look: ANTT, CC, p.p. 21-89.
والمقصود هنا برمز: (ANTT, CC)هو مجموعة أبو ظبي لأرشيف البرتغالي.
(3) الأرشيف العثماني، نفسه، ص 228، للمزيد أنظر كل من: Salih Ozbaran, IDAM, p.p. 51-52.
Wilson. A, op.cit, p. 125.
أنظر أيضا: الرصيد الأرشيفي البرتغالي الموجود بمدينة لشبونة وأرشيف سيمانكاس باسبانيا:
Les Archives De Simancas Espagne.
Les Archives Nationales Du Portugal à Lisbonne.
(4) Koguslar, 888, 487b.
(5) ابراهيم بجوي، تاريخ بجوي، المصدر السابق، ص 351.

دفع مرتبات الجنود أجبره على اتخاذ هذا القرار من جهة أخرى[1]، ليتجه مباشرة مع أسطوله المتبقي إلى جزيرة قشم أو جشم المتواجدة على الساحل الإيراني فنهبها [2]، ثم رجع أخيرا الى ميناء البصرة [3]في شهر أكتوبر عام 1552م، ليكون المدد البرتغالي قد وصل خلالها الى جزيرة هرمز[4]، مما يؤكد لنا بأن قرار رفع الحصار البحري على جزيرة هرمز من طرف قبودان السويس ومصر "بيري ريس" قد كان صائبا.

بعد ذلك قامت السلطات العثمانية باسطنبول بتفويض حاكم مدينة البصرة "قباد باشا" من أجل اتخاذ كافة الإجراءات العسكرية والإدارية اللازمة، توفير ما يلزمه ماديا وعسكريا تحسبا لما يراه مناسبا هناك، كما طلبت منه السلطة العثمانية كذلك توفير مرتبات الجنود والأموال اللازمة للأسطول، عن طريق الرسالة التي أرسلت له من طرف الديوان العثماني يوم الأحد 05 نوفمبر 1552م[5]، كرد على تقريره المفصل الذي أرسله كذلك حول نتائج وانعكاسات حملة بيري ريس على جزيرة هرمز بمدخل الخليج العربي.

كما أصدرت السلطات العثمانية الأوامر السلطانية الى حاكم ديار بكر بالعراق من أجل ارسال عشرين ألف(20.000)قطعة ذهبية[6]، الى حاكم مدينة بغداد لينقلها هو الأخر الى حاكم مدينة البصرة قباد باشا، خلال ذلك كان قباد باشا يتوقع مهاجمة الأسطول البرتغالي لمدينة البصرة بعد تأكد البرتغاليين من توجه أسطول بيري ريس إليها، اضافة الى ذلك فقد أرسل حاكم ديار بكر الرصاص والنحاس مع 500 بندقية من نوع "**توفنك**" وعشر مدافع من نوع "**ضربدن**" أيضا الى حاكم مدينة البصرة تحسبا لأي هجوم برتغالي قادم[7].

---

(1) Cengiz Orhonlu, Hind Kaptanligi Ve Piri Reis, op.cit, p. 244.

(2) Koguslar, 888, 487b-488a-488b-489a.

(3) قبل ابحار بيري ريس الى مدينة البصرة أرسل رسالة مع ابنه محمد بك الى حاكمها قباد باشا يخربه فيها باستيلائه على مسقط ورفعه للحصاره عن جزيرة هرمز بالخليج، للمزيد أنظر: Koguslar, 888, 487b.

(4) كاتب جلبي، المصدر السابق، ص 61.

(5) أنظر: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 01 في الملاحق بعنوان: Koguslar, 888, 487b-488a.

(6) أنظر: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 02 في الملاحق بعنوان: Koguslar, 888, 487b-488a.

(7) أنظر: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 03 في الملاحق بعنوان: Koguslar, 888, 489a.

***النهاية المأساوية لبيري ريس عام 1552م:**

أثناء تواجد بيري ريس في مدينة البصرة بالعراق أرسلت له السلطات العثمانية رسالة مع مبعوثها والذي اسمه "مصطفى" يوم الأحد 05 نوفمبر 1552م، هو نفس الشخص المرسل من طرف حاكم البصرة "قباد باشا"لينقل رسائله وتقارير ه حول أحوال المدينة إلى الديوان العثماني باسطنبول، حيث تنص هذه الرسالة على تقديم الشكر والعرفان من طرف الديوان العثماني للمجهودات العسكرية التي بذلها قابودان السويس "بيري ريس" خلال حصاره وتدميره لمسقط و تخريب دفاعات جزيرة هرمز وتمكنه أيضا من الإحتفاظ بعض الأسرى البرتغاليين كمجدفين في الأسطول العثماني[1].

كما أبلغ الديوان العثماني قبودان السويس "بيري ريس" عن وصول الرسالة التي طلب فيها من الديوان ضرورة إبقاء جزء من سفن أسطوله في ميناء البصرة بالخليج العربي، لتقوم بحراسة السفن العثمانية وليرصد تحركات الأساطيل البرتغالية هناك أيضا، حيث كان رد الديوان على هذا الطلب بالموافقة شريطة إبقاء عشرة سفن حربية من الأسطول العثماني بميناء البصرة، مع أن يرجع بقية الأسطول المتبقي سالما غالما إلى ميناء السويس بمصر، مع اشتراطابلاغه و استشارته لحاكم مدينة البصرة "قباد باشا" من أجل التنسيق معا لاتخاذ الإجراءات العسكرية المناسبة[2].

حسب رواية قائد قلعة مسقط الأسير البرتغالي "جيان ليزباو"(Jean Lizbao)[3]فانه قام بتحذير "بيري ريس" من مغبة وقوع أسطوله في أسر البرتغاليين، بسبب صعوبة عودته الى ميناء السويس بمصر في حالة اغلاق البرتغاليين لمدخل مضيق هرمز بالخليج العربي، حيث استشار بيري ريس قباد باشا في هذا الأمر وقرر الاثنان معا أن يأخذ بيري ريس ثلاثة سفن من نوع قادرغة فقط[4]الى ميناء السويس بمصر[5]، في طريق عودة الأسطول العثماني تحطمت أحدى السفن الثلاثة في سو احل البحرين ذلك

---

(1) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 35.

(2) Koguslar, 888, 487b-488a.

(3) لقد قام بيري ريس بالاحتفاظ بأسير"جيان ليزباو"من أجل استخدامه في كشف كل تحركات الأساطيل البرتغالية بمياه الخليج العربي ومضيق هرمز والمحيط الهندي، أنظر: كاتب جلبي، المصدر السابق، ص 61.

(4) Cengiz Orhonlu, op.cit, p. 245.

(5) ابراهيم بجوي، المصدر السابق، ص 351.

راجع الى اصطدامها بإحدى الصخور البحرية[1]، ليصل بيري ريس أخيرا الى ميناء السويس بسفينتين فقط[2] ، هنا انتهت مهمة بيري ريس في مياه الخليج العربي عام 1552م.

تجدر بنا الإشارة هنا الى أن "بيري ريس" قد تم سجنه مباشرة ثم اعدامه بعد عودته الى ميناء السويس بمصر[3]، بأمر من السلطان سليمان القانوني بعد التقارير المغلوطة التي وصلت اليه من طرف كل من حاكم مدينة البصرة "قباد باشا" وحاكم ولاية مصر "داوود باشا"، هذا راجع الى عدة أسباب سياسية وعسكرية حيث تم اتهام "بيري ريس" بالخيانة بعد قيامه برفع الحصار البحري المفروض على جزيرة هرمز مقابل تلقيه لرشاوي من طرف قائد قلعة هرمز "ألفارو دي نورها"[4]، كما عرضت عليه أموال وهدايا كثيرة من طرف حكومة البرتغال في جوا بالهند[5]، اضافة الى اتهامه بعدم تحمل مسؤوليته وتخليه عن سفن الأسطول العثماني الموجودة بميناء السويس وتركها في ميناء البصرة بالخليج العربي[6].

من خلال المقاربة التاريخية نستنتج بأن اعدام بيري ريس يعتبر من بين الأخطاء التاريخية الكبيرة التي وقعت فيها الدولة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني، فإن اعدامها لهذا للعالم الجغرافي والملاح و القائد البحري للأسطول العثماني، الذي لم تتح له الفرصة حتى للدفاع عن نفسه، فكان من الأجدر بالديوان العثماني هو استدعائه والسماع إليه حول أسباب ودوافع رفعه للحصار البحري، لا الحكم عليه غيابيا وهو مسجون في سجن القاهرة بمصر فانه ليس من المعقول مكافئة مثل هذه الشخصية العظيمة، التي

---

(1) يذكر لنا سيد علي ريس في كتابه "مرآة المماليك" بأن هذه الحادثة وقعت بالقرب من جزيرة البحرين، للمزيد أنظر: سيد علي ريس، المصدر السابق، ص ص 12-13.

(2) ابراهيم بجوي، المصدر السابق، ص 352، وأنظر: محمد ثريا، المصدر السابق، ص 44.

(3) كاتب جلبي، المصدر السابق، ص 61.

(4) ابراهيم بجوي، نفسه، ص 352، أنظر أيضا: محمد ثريا، نفسه، 44، وكذلك أنظر: عمر فاروق بن محمد مراد، تاريخ أبو الفاروق، ج 03، اسطنبول، 1328، ص 223، وراجع أيضا:
Cengiz Orhonlu, op.cit, p. 245-246.

(5) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، مكتبة عمرو توران، المملكة العربية السعودية، 2008، ص 250، للمزيد حول ظروف وأسباب اعدام بيري ريس راجع أيضا: جبري عمر، عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية(1497م-1554م)، مذكرة ماجيستار(غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2014، ص ص ص 152-153-154.

(6) كاتب جلبي، المصدر نفسه، ص 61، أنظر: الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كبجي، دفتر الرؤوس، رقم 211، ص 13.

أفنت حياتها في خدمة الأسطول والبحرية العثمانية بمياه البحر الأبيض المتوسط و خليج عدن والخليج العربي بهذه الطريقة البشعة؟.

بهذا تكون الدولة العثمانية قد خسرت واحدا من بين أبرز الشخصيات الجغرافية العلمية والعسكرية في تاريخها الحديث، التي ساهمت إلى حد كبير في إماطة اللثام عن العديد من القضايا الجغرافية والتاريخية التي كانت مجهولة في السابق و عن مناطق عديدة لم تعرف في العالم، حيث يعتبر بيري ريس من بين خيرة الجغرافيين المسلمين الذين ارتكزوا على عمق الملاحظة والدقة العلمية، لذلك كانت أعمال بيري ريس مصدرا مهما بالنسبة للعديد من الجغرافيين الأوروبيين الذين لقبوه "بأب الجغرافيا الحديثة"[1].

---

(1) عمر جبري، المرجع السابق، ص 157.

هـ/مهمة اعادة الأسطول العثماني المحاصر بميناء البصرة بقيادة مراد ريس ثم سيد علي ريس عام 1553م:

لقد عرفت البحرية العثمانية مرحلة جديدة في مياه الخليج العربي بعد اعدام قابودان السويس "بيري ريس"، الذي ترك ورائه أسطول السويس كاملا في ميناء البصرة بعد أن شارك به في حروب عدة بداية من تحرير ه لميناء عدن باليمن عام 1549م،وصولا الى محاصر تهقلعة مسقط وأسر ه لقائدها "جيان دي ليسبوا" عام 1552م، الى غاية حصاره ثم رفعه للحصار عن جزيرة هرمز بمدخل الخليج العربي عام 1552م، الإشكالية المطروحة في هذا السياق التاريخي هي: الى من سوف يسند الديوان العثماني مهمة استرجاع أسطول السويس من ميناء البصرة بالعراق بعد اعدام "بيري ريس" عام 1554م[1]؟.

قام الديوان العثماني بعد موافقة السلطان سليمان القانوني بتعيين القائد "مراد ريس" بيلر بك منطقة القطيف سابقا عام 1553م، ليقوم بإكمال مهمة بيري ريس في مياه الخليج العربي والتي لم تحقق النتائج المرجوة منها حسب ما اعتبره الديوان العثماني، بحيث أسندت لمراد ريس مهمة استرجاع الأسطول العثماني الموجود في ميناء البصرة وا إعادته الى مكانه الأصلي بميناء السويس في مصر[2]، لكن مراد ريس فشل في هذه المهمة، بعدما تمكن الأسطول البرتغالي من منعه تجاوز مضيق هرمز

(1) بهذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى كوننا لا نعلم على وجه الدقة والتحديد تاريخ تنفيذ حكم الإعدام في حق بيري ريس نظرا لأن الوالي الذي اتخذ قرار الإعدام ضده هو داوود باشا والي مصر، الذي تولى هذا المنصب عام 1538م وتوفي في عام 1539م، ليخلفه بعد ذلك علي باشا الوزير في عام 1539م إلى غاية عام 1554م، ثم يخلفه بعدها محمد باشا في ولاية مصر منذ عام 1554م إلى غاية عام 1556م، بهذا لا نستطيع أن نجزم بأن حكم الإعدام قد نفذ في عهد الوالي علي باشا أو محمد باشا، بحيث تتناقض المصادر التاريخية مع بعضها البعض حول وقائع هذه القضية وتواريخها، للمزيد حول قضية اعدام بيري ريس أنظر: محمد بن أبي السرور البكري الصديقي، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، مطبوعات مركز جامعة الماجد، دمشق، 1995، ص ص 160-166، وراجع كذلك: أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري، أوضح الإشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، 1995، ص ص 58-60، وللمزيد أيضا راجع: يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، 1998، ص ص(102،103)، وأيضا: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 37، للمزيد حول هذه القضية أنظر: الأرشيف الوطني باسطنبول.

(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 334.

بالخليج العربي، ليضطر بعدها الى العودة برا الى العاصمة اسطنبول حيث تحطم كامل أسطوله في معركة بحرية عنيفة شمال قلعة مسقط جرت وقائعها في شهر أوت عام 1553م[1].

بعد فشل حملة استرجاع الأسطول العثماني بقيادة "مراد ريس" عين الديوان العثماني في شهر سبتمبر عام 1553م القائد "سيد علي ريس"[*] خلفا للقائد مراد ريس برتبة قابودان باشا لميناء السويس بمصر، براتب شهري قدره مائة وخمسين أقجة يوميا[2] حيث قرر سيد علي ريس الإنطلاق ميناء حلب يوم 07 سبتمبر 1553م، ليصل الى ميناء البصرة يوم 03 فيفري 1554م، أين سلمه بيلربك مدينة البصرة "مصطفى باشا" ثمانية عشرة سفينة الباقية من أسطول بيري ريس بعد عملية اصلاح السفن المتضررة في الأسطول لمدة خمسة أشهر كاملة، ليتم وضع ما يلزم من الجنود والبحارة ليبحر الأسطول في 18 مارس 1554م، مارا بموانئ الساحل الشرقي للخليج ومنها الى بندر بوشهر و جزر القطيف والبحرين، من أجل تمويه الأسطول البرتغالي حتى وصل بالقرب من منطقة خور فكان[3].

في منطقة خورفكان اصطدم أسطول سيد علي ريس مع أسطول برتغالي مكون من خمس وعشرين سفينة مختلفة الأحجام والأنواع، تمكن العثمانيون خلالها من اغراق سفينة حربية من نوع قاليون ثم تابع الأسطول ابحاره نحو ميناء مسقط وقلهات، لكنه وجد أسطولا برتغاليا أخر في انتظاره مكون من أربعة وثلاثون سفينة حربية خسر خلالها سيد علي ريس سبع سفن من نوع قادرغة، أما الأسطول البرتغالي بقياد الدون فرناندو(Don Fernando) ابن نائب الملك ألفانسو دي نورها(Alfonsa De Noronha)

---

(1) عبد العزيز محمد عوض، <<الإحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية>>، مجلة المؤرخ العربي، السنة 1986، العدد 29، ص 22، وأنظر أيضا: محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص 166.

(*) سيد علي ريس: هو خيرة ضباط البحرية العثمانية شارك في فتح جزيرة رودس وسواحل المغرب العربي ومعركة بروزة التي تولى فيه قيادة الجناح الأيسر من الأسطول عام 1538م مع خير الدين بربروس، ومعركة جربة بتونس عام 1560م كما كان عالما في الجغرافيا والرياضيات وشاعرا كبيرا نبغ في علم الفلك والملاحة واستخدام الإسطرلاب ألف عدة كتب من أشهرها كتاب: **"المحيط في فن الملاحة بالمحيط الهندي"**، كما قام كذلك بكتابة مذكرات **"خير الدين بربروس"**، كما تعلم كثيرا عن أبيه وجده من خلال عملهما في خدمة البحرية العثمانية كمستشارين بحريين و بالغة التركية(ترسانة كتخداسي)توفي عام 1563م وعمره 65 سنة، أنظر: إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 599، وراجع كذلك: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 334، وللمزيد أنظر أيضا: محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة وتعليق محمد دراج، نقلا عن يلماز أوزتونا، ط 01، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص(32-187)، وكذلك راجع: محمد عبد اللطيف البحراوي، نفسه، ص 78.

(2) الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 24، ص 26، وأنظر أيضا: سيد علي ريس، المصدر السابق، ص 14.

(3) سيد علي ريس، نفسه، ص 14.

فقد خسر ستة سفن حربية أيضا[1]، ليقرر بعدها سيد علي ريس الإنسحاب من هذه المعركة والعودة الى ميناء السويس بمصر، لكن عاصفة الرياح البحرية المسماة "**بطوفان الفيل**"[2]، التي واجهة الأسطول العثماني كانت قوية جدا في منطقة حضر موت باليمن ما أدى الى تغيير اتجاه سفن الأسطول نحو الشرق، الى سواحل الهند الغربية في مدينة كجرات هنالك تفرق الجنود والبحارة العثمانيون أين عمل بعضهم في خدمة أمراء ملوك الهند وكجرات، خاصة بعد تحطم عدد كبير من سفن الأسطول البحري الناجية من العاصفة البحرية[3].

اضطر سيد علي ريس بعد ذلك الى تسليم السفن المتبقية من الأسطول الى السلطان الهندي "أحمد شاه الثاني"(1553م-1561م) ملك كجرات[4]، كما سلم سيد علي ريس أيضا ملك مدينة سورات[*] بالهند ذو الأصول العثمانية وهو "خداوند خان" ستة سفن متبقية من الأسطول مع مدافعها اليه مقابل اعلان حاكمها تبعيته للسلطان العثماني باسطنبول[5]، بعد أشهر من ذلك قرر سيد علي ريس العودة مع خمسين فردا من أتباعه برا، ذلك من خلال مرورهم برحلة شاقة تنطلق من بلاد الهندو أراضي تركستان ثم الى بلاد فارس لتنتهي في مدينة اسطنبول، التي لخصها لنا سيد علي ريس في كتابه "مرآة المماليك" حيث دامت هذه الرحلة ثلاثة سنوات(1554م-1557م)[6].

بعد عودة القائد سيد علي ريس من مهمته استقبله السلطان سليمان القانوني في قصر الديوان الهمايوني، ليخبره سيد علي عن كل ما حدث اليه وللأسطول العثماني منذ بداية مهمته الى غاية رجوعهكما سلمه العديد من الرسائل التي أرسلها اليه حكام مسلمي الهند والمناطق التي زار ها[7]، فنال بذلك رضا واستحسان السلطان سليمان القانوني والصدر الأعظم "رستم باشا"، ليعين بعدها بمهمة متفرق

---

(1) سيد علي ريس، المصدر السابق، ص ص 14-15، وأنظر أيضا: J. Hammer, op.cit, p. 186.
(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 335.
(3) نفسه، ص 335، أنظر حول حملة سيد علي ريس كذلك ترجمة الوثيقة الهمايونية في الملحق رقم 10.
(4) سيد علي ريس، نفسه، ص ص 17-32، وكذلك راجع: أوزتونا، نفسه، ص 335.
(*) سورات: هي مدينة تطل على ساحل مليبار بالهند تميزت بحركية مينائها وتجارتها الكبيرة مع الشرق والغرب، أنظر: نعيم زكي فهيم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 173.
(5) يرجح تسليم سيد علي ريس لسفن الأسطول العثماني المتبقية في الحملة الى ملوك الهند بسبب طلبهم في استعمالها لصد الهجمات البرتغالية المتكررة ضدهم، للمزيد أنظر: أوزتونا، نفسه، ص 335.
(6) اسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 551، وأنظر أيضا: سيد علي ريس، نفسه، ص 32.
(7) الأرشيف العثماني، تصنيف الدفاتر المدورة عن المالية، رمز MAD، رقم 17983، ص 20.

براتب قدره ثمانين أقجة يوميا ثم عين في وظيفة دفتر دار لديار بكر بالعراق، حيث أسندت اليه العديد من الوظائف الإدارية الهامة في أقاليم الدولة العثمانية[1].

من خلال المقاربة التاريخية نستنتج بأن الدولة العثمانية اهتمت كثيرا بمنطقة الخليج العربي منذ بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، أين سعت الى ايجاد مكانة لها هناك على الساحة السياسية والاقتصادية والإستراتيجية مع منافسة أقوى الإمبراطوريات الإستعمارية الأوروبية لها خلال تلك الفترة التاريخية والممثلة في مملكة البرتغال، بالرغم من خسارة العثمانيين لعدد كبير من قطع أسطولهم البحري في مياه الخليج العربي، بداية من حملة بيري ريس وسيد علي ريس بين عام 1552م و1554م، الى ان العثمانيين ظلوا يواصلون ارسال حملاتهم البحرية هناك، ما يدل على اهتمامهم المتزايد بالمنطقة ومرد ذللك اجع أيضا الى مكانة منطقة الخليج العربي اقتصاديا واستراتيجيا بدرجة أولى، فتجارة الحرير والتوابل مع بلاد الهند وأقصى شرق آسيا جعلت العثمانيين يطورون من استراتيجياتهم العسكرية والإدارية، من خلال نظام التقسيمات والتنظيمات التي تم استحداثها في الأقاليم العربية وولاياتها مثل نظام البيلربكيات[2]بدلا من نظام السناجق والزعامات[*] وأنظمة الخواص والتيمار [*]، في كل من بيلربكية الحبشة واليمن والبصرة والإحساء.

---

(1) الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 29-04، ص ص ص 14-16-50.

(2) لقد تم تحويل كل من ايالة الحبشة واليمن والبصرة والإحساء من سنجق الى بيلربكية ما يقرب الإدارة العثمانية كثيرا من منطقة البحرين وهرمز بالخليج العربي، للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: الأرشيف العثماني، التشكيلات الإدارية لبيلربكيات الإحساء واليمن والبصرة، تصنيف كامل كابجي، دفتر الرؤوس المهمة، رقم 208، ص 06، أنظر حول نظام التقسيمات العثمانية بالبصرة الملحق رقم 11.

(*) زعامات:هي عبارة عن إقطاع فلاحي كبير المساحة يمنحه السلطان العثماني للفارس الذي يظهر كفاية قتالية كبيرة، كان يطلق على صاحب الزعامات زعيم ويدخل هذا الإقطاع لصاحبه دخلا كبيرا يصل إلى مائة ألف أقجة، وفي مقابل هذا الدخل الكبير كان على الزعيم أن يقدم للجيش وقت الحرب عددا من الفرسان مع خيولهم وأسلحتهم، وكان عددهم يتحدد مقابل كل فارس خمسة ألاف أقجة، أنظر: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج 01، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1984، ص 132.

(*) تيمار:هي كلمة يونانية الأصل تعني (PRONOIS) أما بلغة اللاتينية فتعني(CURS) اقتبسها العثمانيون عن الفرس ومنها اشتقت كلمة (CURATOR) باللغة الإنجليزية و (Curateur) بالغة الفرنسة، والتيمار هو قطعة أرضية ذات مساحة صغيرة نسبيا، يدر على صاحبه دخلا مقداره ثلاثة ألاف أقجة وكان على صاحب التيمار أن يقدم هو الأخر للجيش وقت الحرب اثنين أو أربعة فرسان مع خيوله و أسلحته، أنظر: عبد العزيز الشناوي، نفسه، ص 131.

و/حملة بكلربك الإحساء مصطفى باشا ضد حاكم جزيرة البحرين مراد شاه وتحالفه مع البرتغاليين: أسبابها و انعكاساتهاالعسكرية و الإقتصادية على الخليج العربي عام 1559م:

على الرغم من أن أرشيف دفاتر الأمور المهمة لعام 1559م[1]باسطنبول يوضح لنا بأن جزيرة البحرين بالخليج العربي، التي كان يحكمها "مراد شاه" كانت سنجقية عثمانية إلا أن اجتياح بيلربك مدينة الإحساء "مصطفى باشا" للبحرين في نفس هذا العام يبين لنا عكس ذلك تماما، أي أن البحرين لم تكن داخل دائرة التشكيلات العثمانية بعد، الإشكالية المطروحة هي ما أسباب اندلاع معركة البحرين بالخليج العربي عام 1559م؟ وما تداعياتها العسكرية والإقتصادية على منطقة الخليج العربي؟.

ترجع أحداث معركة البحرين عام 1559م و التي أتت بالعثمانيين والبرتغاليين هناك وجعلتهم في مواجهة بعضهم البعض من جديد، الى الحملة التي قام بها بيلربك الإحساء "مصطفى باشا" بدون مشاورة أو موافقة الباب العالي باسطنبول[2]، حيث قام حاكم الإحساء "مصطفى باشا" بتجهيز حملة بحرية لمحاصرة جزيرة البحرين بالخليج فخرج على رأس قوة بحرية مكونة من 70 سفينة حربية من نوع قادرغة تحمل 1200 مقاتل، لكن القوات البرتغالية الموجودة في جزيرة هرمز بقيادة ألفارو دي سلفيرا"(Alvaro De Silveira)[3]، كانت قد تحالفت مع حاكم جزيرةالبحر ين "مراد شاه" ضد أسطول حاكم الإحساء "مصطفى باشا"، قامت بمحاصرة أسطول الإحساء مع قوات "مراد شاه" الذي خرج هو الأخر على رأس حملة برية مع 300 جندي أين تم احر اق معظم سفن أسطول البحرية العثمانية القادمة من منطقة الإحساء بقيادة "مصطفى باشا" الذي تراجع بدوره عن اكمال المعركة[4].

حيث انتهت معركة البحرين لصالح "مراد شاه" حاكم جزيرة البحرين وحلفائه من البرتغاليين بقيادة "ألفارو دي سيلفيرا"، ليصل خبر هذه المعركة بعد نهايتها الى حاكم مدينة البصرة بالعراق، الذي كتب تقريرا مفصلا يشرح فيه أسباب هذه المعركة و انعكاساتها الى السلطان سليمان القانوني، لذلك صدر ت الأوامر السلطانية الى حاكم مدينة البصرة من أجل تجهيز أسطول بحري لإنقاذ بقايا جيش الإحساء

(1) الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 03، ص 139.
(2) نفسه، رقم 02، ص 18.
(3) نونو بي سيلفا، <<صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين>>، مجلة الوثيقة، السنة 1986، العدد 08، ص 129.
(4) نفسه، ص 129.

العثماني، المحاصر من طرف البحرية البرتغالية وقوات جيش "مراد شاه" في جزيرة البحرين، فخصص الديوان العثماني من ميزانية خزينة الدولة بولاية مصر 200 ألف قطعة ذهبية لحاكم مدينة البصرة من أجل تجهيز أسطول بحري وما يلزمه من مدافع وأسلحة حربية كذلك[1].

ان حاكم جزيرة البحرين "مراد شاه" كان قد أعلن في بداية الأمر تبعيته الى السلطان العثماني لذلك أقرت الدولة العثمانية ولايته وعينته حاكما على سنجق البحرين عام 1559م، لكن غزو البحرين من طرف "مصطفى باشا" حاكم منطقة الإحساء جعله يرسل لطلب المساعدة العسكرية من القوات البرتغالية بجزيرة هرمز، أين أرسل له "أنطونيو دي نورها" قوة بحرية لمساعدته ضد الجيش العثماني نفسه[2]، ليقوم الديوان العثماني بإجراءات عقابية صارمة بعدها تمثلت في عزل "مصطفى باشا" من حكم بيلربك الإحساء وتعيين حاكم سنجق الموصل "مراد بيك" بدلا منه[3].

كما أرسل الديوان العثماني رسالة الى حاكم جزيرة البحرين "مراد شاه" يوم 28 أكتوبر 1559م، يبين له فيها الإجراءات المترتبة عن كل أحداث معركة البحرين وهذا هو نصها:**(انك أرسلت أشخاصا مرات عديدة الى بلاطنا السامي وعرضت علينا طاعتك لنا، ومنحنا لك شهادة اثبات بأننا أعطيناك البحرين كولاية وأخطرنا جميع المحافظين المجاورين وسمعنا الآن بأن مصطفى باشا محافظ الإحساء قد قام بغزو البحرين دون اذن منا وانك اتخذت بعض الإجراءات ضده وكذلك حجز البرتغاليون بعض السفن العثمانية، وقد طردنا مصطفى باشا من منصبه بسبب هذه الإعتداءات وعينا محافظا جديدا يحل محله، وعليك أن ترد الجنود الى المحافظ الجديد في الأراضي العثمانية(الإحساء) لنعاقبهم بما يستحقونه، وهكذا يكون محافظونا في الإحساء والأقاليم الأخرى مجمعين على تنفيذ ارادتنا حتى لا يتمكن العدو(البرتغاليين) من الحاق أضرار بتلك الأقاليم)**[4].

---

(1) الأرشيف العثماني باسطنبول، المصدر السابق، رقم الوثيقة 03، ص 258، أنظر كذلك: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 02 في الملاحق.
(2) فالح حنطل، المرجع السابق، ص 394.
(3) الأرشيف العثماني باسطنبول، نفسه، رقم الوثيقة 03، ص 140.
(4) الأرشيف العثماني(OSMANLI ARSHIV) ، المصدر السابق، رقم الوثيقة 03، ص 139، وأنظر أيضا: علي أبا الحسن، <<صفحات من تاريخ البحرين من خلال الوثائق العثمانية>>، مجلة الوثيقة، السنة 1989، العدد 15، ص 71.

بعد مفاوضات طويلة جرت وقائعها بين بيلربك القطيف ممثلا عن الديوان العثماني وبين حاكم جزيرة البحرين "مراد شاه" والبرتغاليين كذلك، قبل العثمانيون على دفع عشرة أقجات عثمانية للبرتغاليين أي ما قيمته مائة ألف درهم عثماني، اضافة الى بعض الخيول العربية الأصيلة من طرف بيلربك القطيف، مقابل اطلاق سراح الجنود العثمانيين المحاصرين في جزيرة البحرين، مع نقلهم بحرا على ظهر السفن البرتغالية الى ميناء القطيف بساحل الخليج العربي[1]، حيث استمرت معركة البحرين مدة ستة أشهر كاملة، انتهت بتمكن العثمانيين من تجنب خسائر بشرية وعسكرية جد ضخمة، نظرا لتعاون حاكم البحرين "مراد شاه" مع العثمانيين بعد الرسالة التي أرسلها له السلطان سليمان القانوني[2].

تجدر بنا الإشارة الى أن قيام بيلربك الإحساء "مصطفى باشا" بحملة لغزو جزيرة البحرين قد كلف العثمانيين خسائر ماديةو عسكرية كبيرة جدا، حيث ساهمت هذه الحملة الإرتجالية لبيلربك الإحساء في خروج مناطق عديدة في الخليج العربي عن سيادة العثمانيين، خاصة في العشائر والقبائل الأسرية سواء بالبصرة أو الإحساء أو القطيف[3]، التي كانت دائما ما تثور في وجه الحكام العثمانيين بدعم وتحرض من القادة البرتغاليين أنفسهم.

اضافة الى ذلك فقد خسر العثمانيون العديد من المدافع والأسلحة الحربية وتم تحطيم نصف سفن أسطول الإحساء الذي أقحم في معركة البحرين من طرف "مصطفى باشا"، ما جعل الحاكم الجديد على بيلربكية الإحساء "مراد بك" يجد صعوبة كبيرة في توطيد قواعد الحكم العثماني هناك من جديد، استرجاع الأسلحة والسفن والمدافع التي حجزت في جزيرة البحرين ما دفع بالسلطان العثماني الى توجيه أمرية الى حاكم ديار بكر وبغداد لإرسال المدافع والبنادق والبارود الى حاكم الإحساء الجديد "مراد بك"، بسبب استخدام "مصطفى باشا" لمعظم هذه الأسلحة الحربية في معركة البحرين، فأصبحت الإحساء بحاجة ماسة الى العتاد الحربي لتأمين نفسها من أي خطر قادم[4].

(1) علي أبا الحسن، المرجع السابق، ص 78، وأنظر أيضا: فالح حنظل المرجع السابق، ص 395.
(2) الأرشيف العثماني باسطنبول، المصدر السابق، رقم 03، ص 139.
(3) المصدر نفسه، رقم 03، ص ص ص 286-381-383، وأنظر ترجمة الوثيقة في الملاحق رقم 05، ص 258، أمرية رقم 747.
(4) علي أبا الحسن، نفسه، ص 72.

من بين نتائج معركة البحرين كذلك قيام العثمانيين بربط علاقات اقتصادية جديدة مع البرتغاليين الذين أثبتوا مرات عديدة مدى تفوقهم البحري على العثمانيين في البحار الخليجية، حيث أرسل بيلربك البصرة "علي باشا" في عام 1563م بمفاوض الى حاكم جزيرة هرمز من أجل التفاوض مع حاكم البرتغال هناك، على هذا الأساس أرسل نائب ملك البرتغال في جوا هو أيضا المبعوث البرتغالي "أنطونيو تكسيرا"(Antonio Teixeira)كممثل لجزيرة هرمز الى العاصمة اسطنبول[1]، أين قابله السفير العثماني باسطنبول مبديا له عن عدم ممانعته من اقامة علاقات اقتصادية بين القوتين، كما طالبه أيضا بعدم الإساءة الى التجار المسلمين في مناطق الجزائر والخليج العربي والبحر الأحمر[2].

لقد عرفت منطقة الخليج العربي بين عام 1559م و1573م أوضاعا سياسية هادئة بين القوتين العثمانية والبرتغالية[3]، على الرغم من محاولة العثمانيين لإرسال حملات بحرية الى جزيرة هرمز عام 1570م بعد تجهيزهم لعشرين سفينة حربية من نوع قادرغة، كما أن البرتغاليين قاموا في عام 1573م بمهاجمة جزيرة البحرين في ثلاثة عشر سفينة مختلفة الأنواع والأحجام، استولوا على عدة سفن هناك حسب ما أشارت اليه دفاتر الأمور المهمة[4].

حيث تردد العثمانيون كثيرا في محاولة فتح البحرين لمرات عديدة من خلال المراسلات التي دارت بين حكام البيلربكيات العثمانية في مدينة البصرة والإحساء وبغداد[5]، ما كتبه أمير أمراء الإحساء الى الصدر الأعظم باسطنبول عن قيمة العائدات المالية السنوية لها والمقدرة بأربعين ألف فلوري[*] ومعرفة

---

(1) صابر فالح الحمدي، <<السياسة الإقتصادية للبرتغاليين في الخليج العربي وآثارها(1507م-1662م)، مجلة الوثيقة، السنة 2000، العدد 38، ص 142.
(2) الأرشيف العثماني باسطنبول، المصدر السابق، رقم 05، ص 70.
(3) نفسه، رقم 09، ص 08.
(4) نفسه، رقم 22-23، ص ص 641-317.
(5) نفسه، رقم 22-27-30، ص ص ص 43-76-353.
(*) فلوري(FLORIN): أو فلورين هي وحدة نقدية من الذهب كانت تصك في مدينة فلورنسا الإيطالية أطلق اسمها فيما بعد على جميع العملات الأوروبية الأخرى خلال هذه الفترة التاريخية، بسبب كثرت استعمالها داخل وخارج الدولة العثمانية في المبادلات التجارية والتعاملات الإقتصادية، للمزيد أنظر: محمد عبد اللطيف هريدي، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، 1989، ص 156.

امكانية فتحها وأحوال عساكرها والعدة اللازمة لذلك، هو دليل واضح على مدى اهتمام العثمانيين بمنطقة البحرين[1].

الجدير بالذكر أن القوتين العثمانية والبرتغالية لم تتقابل بعد ذلك في معارك حربية جديدة بالبحار الخليجية، حيث قام الطرفان بتنظيم علاقاتهم التجارية والإقتصادية بمياه الخليج العربي بطرق دبلوماسية وسلمية، أين يمكننا أن نستخلص ذلك من خلال الرسائل التي وردت بين الطرفين في الرسالة الهمايونية التي أرسلها السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال "**الدون سيباستيان**" (Sebastiyan) عام 1564م[2]، التي نذكر من بينها ما ورد في أحد الرسائل الهمايونية عن السلطان سليمان القانوني:(...**اذا كنتم تريدون الصلح فرفعوا أيديكم عن الحجاج والتجار، بمجرد وصول رسالتنا السلطانية إليكم،و أرسلوا رسلكم الذين تثقون فيهم الينا برسالة تتضمن القرار الخاص بانتظام الأمور في تلك الجهات)**[3].

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها في فصول هذا البحث يمكننا القول بأن البرتغاليين قد فرضوا سيطرتهم البحرية عسكريا واقتصاديا في البحار الشرقية والخليجية، على الممثل الوحيد للعالم العربي والإسلامي و هي الدولة العثمانية التي عجزت في مرات كثيرة عن انهاء هذا الغزو الإقتصادي بدرجة أولى والعسكري بدرجة ثانية، في الفترة الممتدة ما بين(1521م- 1559م) ما يعني استحالة هزيمة العثمانيين للبرتغاليين بسبب تكافئ موازين القوى البحرية من جهة، انشغال العثمانيين بحروبهم البحرية في شرق أوروبا وشمال شرق البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى.

كما يمكننا القول بأن الكثير من الباحثين والمؤرخين على اختلاف أجناسهموألوانهم وألسنتهم و أديانهم، قد قللوا كثيرا من الدور العثماني ضد البرتغاليين خاصة في منطقة الخليج العربي سواء بقصد أو بغير قصد، لكن الحقيقة التاريخية التي أثبتتها لنا العديد من المصادر والمراجع والوثائق الأرشيفية تأكد لنا بأن الدولة العثمانية قامت بجهود كبيرة في منطقة الخليج العربي، خير دليل على ذلك تلك الحملات

(1) الأرشيف العثماني بإسطنبول، المصدر السابق، رقم 33، ص 43.
(2) حول هذه الرسائل المرسلة بين السلطان سليمان القانوني والملك البرتغالي الدون سيباستيان عام 1564م، أنظر ما ورد في الملحق قم 07 و 08.
(3) الأرشيف العثماني بإسطنبول، نفسه، رقم 06، ص 166، وأنظر كذلك الرسالة الهمايونية في الملحق رقم 08.

العثمانية المسخرة لتحرير الخليج العربي بداية من حملة بيري ريس عام 1552م وحملة مراد ريس عام 1553م وسيد علي ريس عام 1554م كذلك، وصولا الى أخر حملة وهي حملة علي ميرال بك عام 1581م الذي انطلق من سواحل اليمن وألحق أضرار بليغة بالبرتغاليين في ميناء مسقط، ليتجه بعدها نحو سواحل شرق افريقيا لنجدة المسلمين هناك، حيث جندت الدولة العثمانية في هذه الحملات أموال ضخمة وأساطيل و أجناد كثيرة، يرجع هذا الإهتمام العثماني المتزايد بالمنطقة الى ادراك السلطان سليمان القانوني فداحة الأضرار السياسية والإقتصادية والدينية التي خلفها الغزو البرتغالي هناك.

بالرغم من كل تلك النجاحات التي حققها العثمانيون في مياه الخليج العربي إلا أنهم واجهوا صعوبات كبيرة حالت دون تحقيقهم لانتصار نهائي هناك، التي من أهمها بعد القواعد البحرية العثمانية في موانئ الخليج العربي عن مراكز القوة في البحر الأبيض المتوسط، عدم تمكن العثمانيين من حشد واستنفار وتعبئة القوى المحلية العربية في جبهة واحدة لمواجهة البرتغاليين بسبب استمرار الصراع المذهبي السني-الشيعي بين الصفويين و العثمانيين في الخليج العربي، اضافة الى عدم تعاون بعض العصبيات القبليةو خاصة المشيخات العربية مع الحكام والقادة العثمانيين لمقاومة الغزو البرتغالي هناك، ما ساهم في اخفاق المحاولات العثمانية بالخليج العربي.

هذا ما يستدعى تدخل القوى الإقليمية الجديدة التي ظهرت على الساحة السياسية والعسكرية بمنطقة الخليج العربي والساحل العماني والممثلة في دولة العمانيين اليعاربة(1624م- 1741م)، التي كان لها دور كبير في اكمال ما بدئه العثمانيونسياسيا وعسكريا وا ٍستراتيجيا، من أجل انهاء الغزو البرتغالي في سواحل افريقيا الشرقية والبحار الخليجية، والإشكالية المطروحة هنا ما هي الإستراتيجيات التي انتهجتها دولة العمانيين اليعاربة، لإنهاء الغزو البرتغالي بسواحل افريقيا الشرقية والبحار الخليجية وما النتائج المترتبة على ذلك؟، بحيث يعتبر هذا الإنجاز التاريخي فريدا من نوعه خاصةو أنه لم تستطع القيام به أكبر القوى الإسلامية التي حكمت العالم الإسلامي لأزيد من ستة قرون كاملة والممثلة في الدولة العثمانية؟.

"القسم الرابع"

"الإستراتيجية العمانية لمواجهة الغزو البرتغالي بالبحار الخليجية وساحل افريقيا الشرقية أطوارها ونتائجها عام(1624م-1698م)".

الفصل الأول: دولة العمانيين اليعاربة ظهورها بالبحار الخليجية وعلاقاتها مع ساحل افريقيا الشرقية(1624م-1649م):

أ/أهمية الموقع الجيو -استراتيجي لعمان في البحار الخليجية والشرقية.

ب/بداية التنافس السياسي على حكم عمان الداخل مطلع القرن الخامس عشر للميلاد.

ج/دور الملاح أحمد بن ماجد السعدي في تطوير الملاحة البحرية بعمان.

د/العلاقات والصلات التاريخية للعمانيين اليعاربة مع ساحل افريقيا الشرقية قبل الغزو البرتغالي.

ه/تطور الأسطول العماني في عهد اليعاربة بالبحار الشرقية و الخليجية.

و/البرتغاليون بين تراجع سيطرتهم البحرية في البحار الخليجية والشرقية وتنامي القدرات العسكرية للعمانيين اليعاربة في النصف الأول من القرن 17م:

*نهاية الوجودالبرتغالي من هرمز وتمركزه في الساحل العماني عام 1622م.

ز/ناصر بن مرشد اليعربي مؤسس دولة اليعاربة بعمان واستراتيجياته السياسية و العسكرية عام (1624م-1649م):

*نبذة عن حياته.

*استراتيجيته في توحيد أقاليم عمان الداخل.

الفصل الثاني:دولة اليعاربةبداية معارك الحصون والقلاع بعمان الساحل والخليج العربي وساحل افريقيا الشرقية ونهاية الغزو البرتغالي عام(1632م-1698م):

أ/اليعاربة ومحاولة تحريرهم الأول لقلعة مسقط عام 1632م.

ب/اليعاربة وتحريرهم لقلعة جلفار (رأس الخيمة) وساحل الباطنة عام 1633م.

ج/اليعاربة ومحاولة تحريرهم الأول لقلعة صحار عام(1640م-1643م).

د/اليعاربة وتحريرهم الأول لقلعتي صور وقريات عام(1641م-1648م).

ه/اليعاربة وتجدد الصراع السياسي-المذهبي بين ناصر بن مرشد اليعربي وناصر بن قطن الجبري ونتائجه على عمان الساحل(1640م-1643م).

و/اليعاربة من فشل محاولة تحريرهم الثاني لقلعة مسقط الى نجاح تحريرهم الثاني لقلعة صحار عام(1640م-1643م).

ز/اليعاربة وفشل محاولة تحريرهم الثالث لقلعة مسقط ونهاية حكم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي عام 1649م.

ح/اليعاربة وتحريرهم لمسقط وعمان الساحل بقيادة الإمام سلطان بن سيف الأول عام 1649م:

*نبذة عن حياته.

*تحريره لمسقط وعمان الساحل عام 1649م.

ط/اليعاربة وتحريرهم لمملكة زنجبار وبتة بساحل شرق افريقيا عام 1652م.

ي/اليعاربة وحصارهم لقلعة ممباسا وتحريرها الأول من السيطرة البرتغالية عام(1660م-1665م).

ك/اليعاربة ودوافع هجومهم على قاعدة البرتغاليين في ميناء ديو بالهند عام 1668م.

ل/اليعاربة من حصارهم لقلعة موزنبيق الى انتصارهم في معركة كونج بالخليج العربي عام 1669م.

م/اليعاربة وهجومهم على بتة ونهاية حكم الإمام سلطان بن سيف الأول عام 1679م.

ن/اليعاربة وظروف ولاية سيف بن سلطان الأول على حكم عمان عام(1679م-1692م).

*نبذة عن حياته.

*صراعه السياسي على السلطة مع أخيه بلعرب وانعكاساته على ساحل شرق افريقيا.

س/اليعاربة حصارهم لقلعة ممباسا وتحريرهم النهائي لساحل شرق افريقيا عام(1696م-1698م).

الفصل الأول:

دولة العمانيين اليعاربة ظهورها بالبحار الخليجية وعلاقاتها مع ساحل افريقيا الشرقية(1624م-1649م):

أ/أهمية الموقع الجيو-استراتيجي لعمان في البحار الخليجية والشرقية.

ب/بداية التنافس السياسي على حكم عمان مطلع القرن الخامس عشر للميلاد.

ج/دور الملاح أحمد بن ماجد السعدي في تطوير الملاحة البحرية بعمان.

د/العلاقات والصلات التاريخية للعمانيين اليعاربة مع ساحل افريقيا الشرقية قبل الغزو البرتغالي.

هـ/تطور الأسطول العماني في عهد اليعاربة بالبحار الشرقية و الخليجية.

و/البرتغاليون بين تراجع سيطرتهم البحرية في البحار الخليجية والشرقية وتنامي القدرات العسكرية للعمانيين اليعاربة في النصف الأول من القرن 17م:

***نهاية الوجود البرتغالي من هرمز وتمركزه في الساحل العماني عام 1622م.**

ز/ناصر بن مرشد اليعربي مؤسس دولة اليعاربة بعمان واستراتيجياته السياسية والعسكرية عام(1624م-1649م):

***نبذة عن حياته.**

***استراتيجيته في توحيد أقاليم عمان الداخل.**

أ/أهمية الموقع الجيو-استراتيجي لعمان في البحار الخليجية والشرقية:

تقع عمان في الجزء الجنوبي الغربي من الخليج العربي حيث كان الساحل العماني من بين أهم المراكز التجارية في بحار الشرق خلال القرن السادس عشر للميلاد، باحتوائه على العديد من الموانئ الهامة مثل: مسقط ومطرح وصحار وقلهات وقريات التي كانت من بين أهم مراكز التجارة في عمان، تتميز عمان بالطابع البحري الجبلي مع الصحراء الشاسعة التي تفصلها عن مناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى، حيث تعرف هذه المناطق الصحراوية باسم الربع الخالي وهي ثاني أكبر صحراء في العالم(1)، ما يعني بأن عمان محصورة بين بحرين البحر المائي من الأمام والبحر الرملي من الخلف(2).

لقد ساعد الموقع الجغرافي الممتاز لعمان من التحكم في حركية التجارة العربية العابرة من موانئ شرق افريقيا الى موانئ الخليج العربي والهند مرورا بالبحر الأحمر، لذلك احتلت عمان مكانة هامة في التجارة خاصة مع كثرة منتجاتها الزراعية ووفرة المياه العذبة بها ما جعل موانئها مركزا لتمويل السفن التجارية القادمة من أقصى الشرق(3)، كما ان سواحل عمان الطويلة والصخرية و الكثيرة الإلتواءات والنتوءات بإضافة الى الجزر الصغيرة المنتشرة بها،وفر ت لها حماية طبيعية من كل الأخطار الخارجية القادمة من البحر، الأمر الذي أدى الى قيام أنشطة بحرية تجارية مزدهرة و وجود حماية للسفن والأساطيل العمانية منذ أزمنة قديمة(4)، حيث بقيت الموانئ العمانية في فترة الغزو البرتغالي موانئ مزدهرة، هي تمثل مخازن تجارة الشرق والتي في مقدمتها ميناء مسقط الذي وصفه لنا الملاح العربي ابن ماجد(*)

(1) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، ج 01، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1961، ص 27.
(2) م.د حسين علي فليح، <<زنجبار دراسة تاريخية للوجود العماني في شرق افريقيا(1806م-1856م)>>، مجلة كلية التربية الأساسية، السنة 2010، العدد 64، الجامعة المستنصرية، ص 59.
(3) محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط 02، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص 413.
(4) عائشة اليسار، دولة اليعاربة...، المرجع السابق، ص 17، وانظر كذلك: عبد الرحمان عبد الكريم العاني، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ط 01، مسقط، 1981، ص 06.
(*) ابن ماجد: هو شهاب الدين ابن ماجد السعدي النجدي نسبة الى مدينة نجد لقب بأسد البحر الهائج ولد في مدي حوالي سنة 1432م في مدينة جلفار(حاليا رأس الخيمة بإمارات العربية المتحدة)، وتوفي في حوالي عام 1517م عاش في بيئة بحرية صافية، حيث ترك ابن ماجد أثارا كثيرة تصل الى حد الأربعين مؤلف وصاغ معظم أعماله شعرا في هيئة أراجيز وهي أهم ما كتب في عصره عن علوم البحر والملاحة والتي منها: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد حيث تضمن الكتاب اثني عشر فائدة تتناول الجانبين العلمي والنظري لفن الملاحة بالبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي خصوصا، كتاب أراجيز ملاحية، حاوية الإختصار في أصول علم البحار، أنظر=:

بقوله:**(مسقط بندر(ميناء)مشهور لم يكن له مثيل في الدنيا وجبل مسقط المشهور يراه أصحاب السفن الداخلة للخليج، مما يسهل رسو السفن فيه ليلا ونهارا كما أنه يصدر التمر والنخيل ويستقبل السلع المختتلة من الهند وافريقية)**[1].

أما طبيعة الأرض في عمان فهي تختلف من منطقة الى أخرى فهنالك السهول الخصبة على الساحل والجبال الوعرة في الداخل والصحراء الشاسعة والخالية في الجنوب، لذلك أثرت هذه الطبيعة الجغرافية على أهل عمان فعرفوا بتوجههم للبحر وبأنهم بحارين مهرة، لكن لم يشغلهم البحر عن ارتباطهم ببلاد العرب، فقد جذبت عمان أعدادا كبيرة لها من أبناء القبائل العربية خاصة اليمنيين منهم رغم أنها بلاد مقطوعة بصحراء الربع الخالي[2].

ان شساعة اقليم عمان وتباين تضاريسه أدى الى وجود اختلاف في بعض الفترات التاريخية لأجزائه بين مناطق عمان الساحل وعمان الداخل، اللذين يصعب الإتصال بين معظم أجزائهما طبيعيا إلا من خلال الأودية والمسالك التي تخترق جبال عمان، حيث عرفت مناطق عمان الساحل والداخل تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة في أشكالها ومظاهرها بفعل الطبيعة الجغرافية[3]و النشاطات الإقتصادية والتيارات البشرية، رغم هذا الى أن التواصل الحضاري والسياسي والإجتماعي و الإقتصادي ظل قائما ومستمرا بين مناطق عمان الساحل والداخل الى درجة كبيرة جدا[4].

ويمكننا القول أيضا بأن عمان الساحل كانت متأثرة جدا بالمؤثرات الخارجية القادمة من مياه الخليج العربي والمحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر، أما عمان الداخل فقد كانت أكثر تأثرا بالمؤثرات القادمة من جنوب صحراء شبه الجزيرة العربية وحكام قبائلها ومشيخاتها العربية، ما زاد من كثرة التأثر ذلك التباين والإختلاف السياسي، حيث أن عمان الساحل كانت تابعة سياسيا الى مملكة هرمز القوية

محمود عصام الميداني، أعلام ومعالم عربية وإسلامية، ط 01، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996، ص 282.

(1) ابن ماجد، المصدر السابق، ص 283.

(2) م.د حسين علي فليح، المرجع السابق، ص 59.

(3) محمد متولي، حوض الخليج العربي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1970، ص 84، وأنظر أيضا: أريكو د أي، المباني التاريخية الحربية في عمان منذ القرن السادس عشر، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 05، مسقط، 1980، ص ص 231-232.

(4) عبد اللطيف ناصر الحميدان، التاريخ السياسي ...، المرجع السابق، ص 45.

بالخليج العربي، أما عمان الداخل فقد كانت تابعة للأمراء النبهانيين الذين كانوا يعانون من الضعف والتفكك السياسي، خاصة مع معارضيهم في الحكم من أصحاب المذهب الإباضي(*)هناك[1].

ب/بداية التنافس السياسي على حكم عمان الداخل مطلع القرن الخامس عشر للميلاد:

لقد شهدت مناطق عمان منذ بداية الربع الأول من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي أوضاعا سياسية مضطربة جدا، بداية من محاولة الأئمة الإباضيين استعادة نفوذهم السياسي السابق بعمان، مغتنمين في ذلك حالة التذمر التي تعتري سكانها اتجاه النفوذ الهرمزي المسيطر على موانئ عمان الساحلية من جهة، من جهة أخرى حالة التردي والضعف الذي مس الأئمة النبهانيين وكثرة ظلمهم وجورهم للرعية، أين نجح امام الإباضيين عمر بن الخطاب الخروصي من انتزاع الحكم من الأئمة النبهانيين بعمان، الى غاية قيام سليمان بن سليمان النبهاني من الإطاحة به واسترداد حكم أجداده النبهانيين بعمان[2].

فعاد الأئمة النبهانيين بعد حكمهم لعمان من ممارسة سياسة البطش والتنكيل بأصحاب المذهب الإباضي المعارضين لهم، فطلب امامهم عمر بن الخطاب الخروصي النجدة والمساعدة من دولة بني جبر المتمركزة في منطقة الإحساء، أين أرسل شيخ الجبور قوات كبيرة عام 1487م تمكنت من طرد سليمان النبهاني وتنصيب عمر الخروصي حاكما على عمان الداخل[3]، يذكر لنا الملاح العربي ابن

(*) المذهب الإباضي: حسب قول بعض المؤرخين هو فرع من فروع الخوارج الذين رفضوا موافقة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على قبول مبدأ التحكيم الذي تم اقتراحه من جانب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والإباضيون هم من أشد الفرق الإسلامية تمسكا بنصوص الشريعة الإسلامية ويتبرؤون من تسميتهم بالخوارج حيث توصف الإباضية بالإعتدال في أرائها ومواقفها السياسية، ويرجع تسمية الإباضية نسبة الى عبد الله بن اباض أحد علماء بني مقاعس من عمان لجأ اليها بعد خلافته مع الملك عبد الله بن مروان الخليفة الأموي، ونشط في نشر تعاليم الحركة الإباضية في عمان، أنظر: عبد النور السالمي، تحفة الأعيان...، المصدر السابق، ص 50، وكذلك راجع: عامر الموهوبي،<<عمان قبل وبعد الإسلام>>، السنة 1980، العدد 12، سلسلة تراثنا، وزارة التراث والثقافة، عمان، ص 34، وأنظر أيضا: علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ط 01، د ن، القاهرة، 1964، ص 288.

(1) الحميدان، المرجع السابق، ص 54.

(2) الأزكوري، كشف الغمة...، المصدر السابق، ص 72.

(3) محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الإحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، ج 01، مكتبة المعارف، الرياض، 1960، ص 120.

ماجد النجدي بأن هذه المساعدات التي قدمها حكام الجبور للإباضيين في عمان كانت مقابل حصولهم على جزء من المحاصيل الزراعية من عمان[1].

يمكننا الإشارة هنا الى أن بداية التدخل العسكري لدولة الجبور بالإحساء في عمان سينتهي بعد قيام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي بحركة توحيد عمان الداخل والساحل معا[2]، في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، مستغلا في ذلك جملة من الظروف الداخلية المضطربة سياسيا.

حيث لم يتمتع حاكم عمان الجديد عمر الخروصي بحكم عمان طويلا سوى عاما واحدة بعد تنصيبه من طرف دولة الجبور بالإحساء، ليتوفي عام 1488م الأمر الذي أدى الى انتشار الفوضى مرة ثانية في أقطار عمان الداخل مع ظهور عدد من الزعماء الطامحين في حكمها فقسموها الى أقسام بينهم، منهم سليمان النبهاني الذي استرجع عرش السلطة مرة أخرى لكنه قتل في عام 1500م[3]، على يد زغيم الإباضية في عمان "محمد بن اسماعيل الحاضري اليحمدي" والذي استولى على السلطة لغاية عام 1535م، أين تمكن البرتغاليون في فترة حكمه من غزو عمان الساحل ليبقى حكام عمان الداخل واقفين موقف المتفرج من هذا الغزو، في ظل انشغالهم بصراعهم السياسي الداخلي بين زعماء قبائل بني هلال وبنو هناءةوبنو جبر أيضا[4].

---

(1) ابن ماجد، المصدر السابق، ص ص 301-302.
(2) تجدر بنا الإشارة هنا الى أن المصادر العمانية لم تشر الى دور الجبور في الإحساء وتنصيبهم لعمر بن الخطاب الخروصي اماما على عمان، رغم تطابقها في تلك الأحداث مع رواية ابن ماجد النجدي حيث يمكن لهذه المصادر العمانية أن تعتبر بأن قوة الجبور بالإحساء هي قوة خارجية فضلا عن كونهم غير اباضية المذهب، للمزيد أنظر: الأزكوري، المصدر السابق، ص 72، وراجع كذلك: ابن رزيق حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1977، ص 257، أنظر كذلك: السالمي، المصدر السابق، ص ص 321-322.
(3) نفسه، ص 328، وأنظر أيضا: الحميدان: المرجع السابق، ص 57.
(4) الأزكوري، نفسه، ص ص 73-74.

ج/دور الملاح أحمد بن ماجد السعدي في تطوير الملاحة البحرية بعمان مطلع القرن 15م:

بعد ادراكنا للعلاقة الكبيرة الموجودة بين سكان عمان الساحل والبحر فمن المؤكد بأن العمانيين قد قاموا بتطوير الملاحة العربية بالخليج العربي، فلا يوجد أحسن من الملاح العربي الشهير "أحمد بن ماجد السعدي" الذي عكف على دراسة المرشدات البحرية العمانية والتي تعرف باسم "الرحمانيات"، حيث يصنف كتابه الفوائد في أصول البحر والقواعد من بين أول المرشدات البحرية في التاريخ العالمي، هذا ما أشار اليه المستشرق الفرنسي فيراند(Ferrand)ومساعده ريمون بين(Remon bin)، اللذين أكدا بأن ابن ماجد هو صاحب أول المرشدات البحرية الحديثة(Nautyuts Instructions)[1]، السؤال المطروح هو كيف ساهم ابن ماجد في تطوير الملاحة البحرية بعمان خاصة والخليج العربي عامة مع مطلع القرن الخامس عشر للميلاد؟.

لقد احدث ابن ماجد ثورة كبيرة في تطوير علم الملاحة البحرية بعمان والخليج العربي و المحيط الهندي والبحار والخلجان المتصلة به، بتقديمه للعلوم النافعة في النواحي الجغرافية والمناخية والفلكية والتي ساعدت على اختصار طرق الملاحة البحرية، كما أبعدت السفن البحرية العمانية عن المواقع الخطيرة مما ساهم في ازدهار حركة التجارة البحرية بين موانئ عمان و الخليج العربي والمحيط الهندي، سهل حركة الإتصال البحري بين قارات العالم الثلاثة(أسيا -افريقيا -أوروبا)[2].

كما اهتم عدد كبير من المؤرخين والجغرافيين العرب و الغربيين بأحمد ابن ماجد ومآثره البحرية، كالفرنسي "فيراند" و"ريمون بين" والرحالة البريطاني المشهور "بارتون"(Sir Richard Burton) الذي ذكر بأن ملاحي عدن كانوا يقرؤون الفاتحة على روح ابن ماجد قبل ركوبهم للبحر، اضافة الى اهتمام كل من المؤرخ "دي سيلان"(De Slane)والمؤرخ الروسي "كرتشكوفسكي" (Krackovsk) بأعمال ابن ماجد البحرية، حيث تمثلت أعماله في استعمال الإبرة المغناطيسية وهي المعروفة بالبوصلة وتطويره

---

(1) سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، <<البحرية العمانية خلال القرنين 16م و17م>>، مجلة الخليج للتاريخ والأثار، السنة 2005، العدد 01، جمعية التاريخ والأثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص 71.
(2) نفسه، ص 71.

لجهاز الإسطرلاب(*) البحري والرحمانيات، التي هي عبارة عن دليل بحري يحتوي على معلومات جغرافية وفلكية، كما ترك ابن ماجد حوالي 46 مصنفا بحريا(1)، أين علق أحد الدارسين لأعمال ابن ماجد وتراثه البحري الذي قدمه خدمة للبحرية العالمية، بقوله:(**بأنه أهم انجاز عالمي قدمه هذا العربي الخليجي في عصر كانت فيه المنافسات والصراعات على أشدها بين الدول الإستعمارية الكبرى**)(2).

كذلك فان لابن ماجد تصنيفات أخرى في هذا الشأن جاءت على شكل أراجيز وقصائد يسهل حفظها، كل أرجوزة لها موضوع خاص بذاته كأرجوزة: السفالة وأرجوزة تحديد قبلة الإسلام للمصلين في البحر وفق النجوم والكواكب(3)، يعتبر ابن ماجد من أبرز الملاحين الذين ضبطوا القياس، حيث كان يستخدم الأصبع وقبضة اليد في القياسات فوجد العلاقة بين تقسيم دائرة الأفق الى 32جز ء وبين استخدام قبضة اليد والذراع مبسوطة في اتجاه البصر أمام الراصد، استخدم ابن ماجد آلات الرصد كالإسطرلاب وآلة الكمان التي تعرف باسم: "**خشيبات ابن ماجد**"(4).

يعترف لنا ابن ماجد كذلك بأن له السبق في تطوير البوصلة واختراعها أيضا، بقوله:(**ومن اختراعنا في علم البحر تراكيب المغناطيس على الحقة بنفسه ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع في كتاب...فإذا كان أحد يعرف فنحن مسبوقون وكذلك رتبنا المنكاب وأدركناه في الذهبية وشرطها وكفى بمقدار معرفتنا للعارفين بعد موتنا**)(5).

من خلال الدراسة التاريخية التي قمنا بها حول مآثر وأعمال ابن ماجد في تطوير علم الملاحة البحرية بعمان، فانه يحق للعمانيين أن يفتخروا بهذه الشخصية العلمية والجغرافية وما تركته من تراث مادي مكتوب أو مصنوع، الذي ساهم في تطوير الملاحة البحرية لدولة اليعاربة في الخليج العربي والبحر الأحمر وساحل شرق افريقيا والمحيط الهندي، حيث أسس العمانيون دولة بحرية عظمى امتدت حدودها

(*) الإسطرلاب: هي كلمة يونانية الأصل تعني مرآة النجوم ويعتبر"بطليموس القلوذي"الذي عاش بالإسكندرية حوالي عام 127 قبل الميلاد، هو أول من قدم وصفا دقيقا للإسطرلاب الكروي والمسطح، للمزيد أنظر: لطف الله القادري، الإنجازات العالمية للعرب والمسلمين في القرون المتأخرة، دار الفيصل الثقافية، السعودية، 2006، ص 01.

(1) سعيد الهاشمي، المرجع السابق، ص 70.

(2) أمين حسين، أحمد ابن ماجد ودوره في الملاحة البحرية في الخليج العربي، أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، الإمارات العربية المتحدة، ج 01، 1987، ص ص 95-104.

(3) سعيد الهاشمي، نفسه، ص 72.

(4) عبد العليم أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، 1979، ص 174.

(5) ابن ماجد، المصدر السابق، ص 136.

من غرب الخليج العربي الى سواحل افريقيا الشرقية، أين غدت زنجبار عاصمة عمان الثانية يستقبل فيها سلطانها سعيد بن سلطان(1806م-1856م)سفراء وملوك أوروباوا إفريقيا والهند[1]، حيث علق لنا المؤرخ كوبلاند(Coupland)عن هذا الإنجاز التاريخي والسياسي لحاكم عمان، بقوله:**(بأن سيادته على شرق افريقيا جعلته واحدا من بين الأعلام الكبيرة في التاريخ)**[2].

د/العلاقات والصلات التاريخية للعمانيين اليعاربة مع ساحل افريقيا الشرقية قبل الغزو البرتغالي:

تعود بدايات الاتصال العماني بساحل شرق افريقيا الى حقبة مبكرة في التاريخ أرجعها بعض الباحثين الى مرحلة ما قبل الإسلام[3]، لكن الحدث البارز والأكيد في شرق افريقيا هو هجرة الأميرين العمانيين من أبناء الجلندي الى ساحل شرق افريقيا، حيث ترجع أسباب هذه الهجرة الى الصراع الدائر بين عمان الطامحة للاستقلال الذاتي من جهة، بين الدولة الأموية في دمشق والراغبة في اخضاع جميع المناطق المحيطة بسلطنتها من جهة أخرى، هذا ما دفع "بالحجاج بن يوسف الثقافي" الى توجيه جيش عظيم لقمع ثورة سعيد وسلمان ابني عباد بن عبد الجلندي، فكان ذلك سببا في دفع الأميرين العمانيين الى الفرار والهجرة مضطرين من حملة الحجاج في عام 82 هجرية الموافق لعام 701 ميلادية، أين توجها الى أرخبيل لامو الواقعة حاليا بكينيا والمطلة على ساحل شرق افريقيا[4].

حيث يرجع عدد كبير من الباحثين والمؤرخين لٌن سبب توجه الأميرين سعيد وسلمان الجلندي الى الساحل الشرقي لإفريقيا دون غيره من السواحل العربية الأخرى، لدرايتهم المسبقة والتامة ومعرفتهم القديمة بالطريق البحري الجنوبي لإفريقيا، بسبب وجود علاقات تجارية بحرية قديمة قدم التاريخ ترجع الى القرن الأول للميلاد بين الملاحين العمانيين وملاحي ساحل شرق افريقيا[5].

---

(1) سعيد الهاشمي، المرجع السابق، ص 72.
(2) م.د حسين علي فليح، المرجع السابق، ص 81.
(3) زياد بن طالب المعولي، <<العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق افريقيا>>، المؤتمر الدولي الإسلام في افريقيا، السنة 2006، العدد 10، جامعة افريقيا العالمية، ليبيا، ص 425.
(4) محمد عبد الله النقيرة، انتشار الإسلام في شرقي افريقيا ومناهضة العرب له، دار المريخ للنشر، السودان، 1982، ص 43.
(5) أحمد محمود المعمري، عمان...، المرجع السابق، ص 46.

ان هجرة هذين الأميرين الى الساحل الشرقي لإفريقيا قد ساهم في توالي الهجرات العمانية نحو هذه المنطقة، اذ كان ذلك الاحتكاك عاملا مهما في تعرف الأفارقة على الإسلام واعتناقهم للدين الإسلامي الذي حمله أولئك الوافدون الجدد[1]، كما أكدت لنا الدراسات التاريخية بأن التجار العمانيين هم أول من نشر الإسلام في منطقة ساحل شرق افريقيا منذ القرن العاشر للميلاد، فانتشرت بذلك مقولة:**(بأن التاجر العماني حمل اسلامه وسلعته معه فكان تاجرا وداعية في نفس الوقت)**[2].

كما ساعدت الهجرات العمانية الى ساحل شرق افريقيا في ازدهار المدن الساحلية وكثرة المدن المتناثرة على طول الساحل الشرقي، كمقديشو و ماليندي و ممباسا و زنجبار و كلوة و بمبا، بحيث اجتمعت في هذه المدن أجناس متعددة من عرب سواء كانوا من عمان أو اليمن أو من حضر موت اضافة الى السكان الأصليين من الأفارقة[3].

أين أشار لنا المؤرخ المسعودي الى سبق العمانيين في الاتصال ببلاد الحبشة وبحر الزنج وصولا الى جزيرة "قنبلوا" أو مدغشقر حاليا في القرن الرابع للهجرة، بقوله:**(ان هؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان هم عرب من الأزد)**[4].

ويؤكد لنا ابن بطوطة كذلك هذا القول من خلال اشارته الى رحلته البحرية التي أبحر فيها من جزيرة كلوة بساحل شرق افريقيا، الى مدينة ظفار بعمان حوالي عام 731 هجرية والموافق لعام 1331م، كما حدثنا كل من المسعودي وابن بطوطة عن رحلتيهما من ساحل شرق افريقيا الى ساحل عمان، حيث ركبا نفس الخط البحري الذي يربط ساحل مدغشقر بساحل عمان، مؤكدين لنا عن وجود ربابنة بحر عمانيين يقودون هذه السفن البحرية التي تنقل البضائع والأشخاص، ما يثبت لنا بأن علاقة التواصل الحضاري والتجاري بين التجار العمانيين وسكان ساحل شرق افريقيا تعود الى أزمنة قديمة جدا[5]، كما يبين لنا المسعودي عن وجود نشاط تجاري مزدهر بين التجار العمانيين وسكان الساحل الشرقي

---

(1) زياد بن طالب المعولي، المرجع السابق، ص 426.
(2) رجب محمد عبد الحليم، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، عمان، 1989، ص 188.
(3) زياد بن طالب المعولي، نفسه، ص 426.
(4) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986، ص 107.
(5) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 258، وأنظر كذلك: المسعودي، نفسه، ص 108.

لإفريقيا، خاصة في مدينة سفالة أو موزنبيق حاليا، بقوله:**(سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليها تقصد مراكب العمانيين...)**[1].

الجدير بالذكر أن الاتصال المبكر للعمانيين بساحل شرق افريقيا قد ساعد على وجود هجرات منتظمة للقبائل العربيةو العمانية، حيت اتخذ بعضها خيار الهجرة اما لدوافع سياسية أو لدوافع تجارية أو لدوافع تلقائية، هو الأمر الذي ساعد على ظهور مجتمعات افريقية وعربية مسلمة على طول الشريط الساحلي لشرق افريقيا.

حيث أشارت لنا كتب التاريخ كذلك عن وجود هجرة عمانية جديدة لقبيلة النباهنة(النبهانيين)في أوائل القرن السابع الهجري، أين أسست تلك القبيلة العمانية سلطنة اسلامية وسياسية جديدة لها في مملكة بات ظلت قائمة الى غاية عام 1861م[2].

فلم يكن الوجود العماني في شرق افريقيا فجائيا أو مباشرا بل مر بمراحل متتابعة فقد توطدت العلاقات بين عمان وساحل شرق افريقيا، بفعل الصلات التجارية ونتج عن ذلك التواصل قيام التجار العرب بتأسيس مراكز ثابتة على طول جزر وسواحل شرق افريقيا[3]، من خلال هذه المراكز التجارية اختلط العرب بالسكان الأصليين وظهرت بذلك مراكز الاستيطان العربي التي أصبحت فيما بعد الأساس الذي قام عليه الحكم العماني في ساحل شرق افريقيا[4].

لقد ساعدت عدة عوامل على استقرار وتوطين العرب في المنطقة من أبرزها عدم وجود تنظيمات قبلية متماسكة للوقوف في وجه الهجرات العربية أو التصدي لها، الأمر الذي سهل على العرب الاستقرار وبناء الوحدات التجارية التي تحولت فيما بعد الى مراكز سياسية واجتماعية مؤثر في ساحل شرق

---

(1) المسعودي، المصدر السابق، ص 06.
(2) فاضل محمد عبد الحسين، عمان في عهد أحمد بن سعيد(1749م-1783م)دراسة في التاريخ السياسي، رسالة ماجيستار، جامعة بغداد، كلية العلوم والتربية، 1988، ص 260.
(3) حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1957، ص 125.
(4) A.H. PRINS, The Swahili speaking peoples of Zanzibar and the East African Coast Arab-Swahili, London, 1961, p. 34.

افريقيا[1]، أي أن الاستقرار العربي في شرق افريقيا حدث بكل هدوء وبدون اللجوء الى القوة والعنف، كما أن مؤرخي تاريخ شرق افريقيا لم يذكروا لنا حروبا أو معارك وقعت بين المهاجرين العمانيين والعرب وبين السكان الأصليين من الأفارقة[2].

ان حكم دولة اليعاربة لعمان ما بين عام(1624م-1749م)[3] مكنها من مد نفوذها السياسي عبر البحار والمحيطات وصولا الى سواحل شرق افريقيا، توطيد علاقاتها مع المراكز العربية هناك وبفضل قوتها البحرية استطاعت هذه الدولة أن تطرد البرتغاليين من الساحل العماني، تطاردهم بعدها في مواقعهم وحصونهم العسكرية سواء في سواحل افريقيا الشرقية أو البحر الأحمر أو الخليج العربي وحتى في بلاد الهند[4]، اذ يعتبر سقوط حصن اليسوع بممباسا عام 1698م[5]، عاملا حاسما في انهاء التفوق البرتغالي في ساحل شرق افريقيا[6].

ولعل الحدث البارز في العلاقات العمانية الإفريقية والمتمثل في مساندة العمانيين لإخوانهم الأفارقة في انهاء الغزو البرتغالي بساحل شرق افريقيا، قد ترتب عنه توفر المناخ المناسب لنشر الدين الإسلامي هناك ومن هنا تبرز لنا علاقة الوثيقة التاريخية المكتوبة باللغة السواحلية، التي تم العثور عليها في أرشيف مدينة جوا جنوب بلاد الهند وهي تحمل الرقم الأرشيفي التالي:

---

(1) جمال زكرياء قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1975، ص 13.
(2) شوقي الجمل، تاريخ كشف...، المرجع السابق، ص 37.
(3) عائشة اليسار، دولة اليعاربة ...، المرجع السابق، ص 87، وأنظر أيضا: غانم محمد رميص، قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان(1624م-1749م)، دراسة في التاريخ السياسي، رسالة ماجيستار(غير منشورة)، معهد البحوث والدراسات، بغداد، 1987، ص 627.
(4) صالح محمد العابد، <<تحرير ساحل عمان وانهيار الإمبراطورية البرتغالية في الشرق>>، مجلة آفاق عربية، السنة 1985، العدد 03، ص 43.
(5) يعود تاريخ بناء هذا الحصن الى عام 1593م عندما قام كبير المهندسين في حكومة الهند البرتغالية "جون بابتست كايراتوا"(Jhon Baptist cairatt)، ببناء هذا الحصن على شكل قلعة كبيرة تشرف على جميع سواحل مدينة ممباسا، أين انتهي من بناء هذا الحصن في عام 1630م ليصبح هذا الحصن من أعظم حصون البرتغال في شرق افريقيا، من أمنعها كذلك ليعرف فيما بعد باسم حصن اليسوع(fort Jesues)، أنظر:
Boxer. C, Fort Jesues and the Portuguese in Mombasa for 1595-1927, London, 1961, p. 127.
وأنظر: م.د حسين علي فليح، المرجع السابق، ص 64.
(6) Coupland, op.cit, p.p. 75-89.

325-299-1952[1]، هذه الوثيقة ذات القيمةو الأهمية التاريخية والحضارية تكشفت لنا مدى عمق العلاقة التي ربطت كل من دولة اليعاربة في عمان الساحل و ممالك ساحل شرق افريقيا، حيث تدعوا في مضمونها العرب العمانيين بعد نجاحهم في طرد الغزو البرتغالي من ساحل شرق افريقيا، الى العودة من جديدو الرجوع للبقاء والاستقرار في المنطقة وممارسة تجارتهم السابقة بكل حرية وبدون قيد يذكر، فلا فرق بين سواحلي وعربي هكذا وردت العبارات في هذه الوثيقة الأرشيفية[2].

هـ/تطور الأسطول العماني في عهد اليعاربة بالبحار الشرقية و الخليجية:

لقد قام حكام دولة اليعاربة في عمان بتخصيص أموال كبيرة لصناعة السفن البحرية وشراء البعض منها اضافة الى بعض السفن التي استولوا عليها خلال معاركهم مع الأسطول البرتغالي، حيث شرع العمانيون في بناء أسطولهم البحري على النمط الأوروبي المزود بالمدافع المتطورة، كما نمت البحرية العمانية بسرعة كبيرة في عهد حاكم دولة اليعاربة الإمام سلطان بن سيف الأول(1692م-1711م)، الذيتمكن من تجهيز المئات من السفن البحرية وا إرسال العديد من الحملات العسكرية، سواء الى سو احل افريقيا الشرقية أو الخليج العربي أو البحر الأحمر في وقت واحد لمواجهة الغزو البرتغالي هناك[3].

يؤكد لنا هذا الطرح المؤرخ البريطاني "جيان" في كتابه "وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية"، الذي أشار الى أن القس البرتغالي "امانويل جودينهو" قد أكد في رحلته التي دونها عام 1663م الى قوة الأسطول العماني، بقوله:**(لم يكتفي سلطانهم بن سيف بإجلائنا عن**

(1) Livros das moncots do Riewomr : A 12th -18 century Swahili Letter from kilwa kislwani(being astudy) of flio from Goa Archives Africa and U, Bersec, babd, 1994, p. 77.
نقلا عن: م.د حسين علي فليح، المرجع السابق، ص 64.

(2) ان مرسل هذه الوثيقة هي حاكم مدينة كلوة والتي اسمها "فاطمة بنت محمد الكبير" وهي واحدة من بين ملكات الساحل الشرقي لإفريقيا، حيث عاصرة في فترة حكمها ملكات مدن الساحل الشرقي مثل: السيدة عزيزة حاكمة زنجبار، السيدة ميكس حاكمة مدينة ممباسا، السيدة ماسوروا حاكمة مدينة سيو، للمزيد حول هذه الوثيقة أنظر: يحي مطر، <<ملف زنجبار>>، مجلة العربي، السنة 2006، العدد 576، الكويت، ص 64، وكذلك: م.د حسين علي فليح، نفسه، ص 64.

(3) لورمير، دليل...، المرجع السابق، ص 237، وأنظر أيضا:
Coupland, op.cit, p. 66.

بلادنا(المستعمرات البرتغالية)بل تجرأ على اقتفاء أثرنا حتى بالبلاد التابعة لنا، اذ حاصر ممباسا وعاكسنا في بومباي وأسرت سفنه سفنا برتغالية كثيرة)[1].

هذا ما يدل على قوة الأسطول العماني وتطوره خلال تلك الفترة التاريخية، كما ذهب المؤرخ المغيري الى نفس الطرح أيضا، حينما تحدث عن قوة الأسطول العماني في عهد الإمام سيف بن سلطان، بقوله:**(ان قوة الإمام سلطان البحرية وصلت الى حد مائة بارجة حربية مدججة بالمدافع)**[2]، اضافة الى أن المؤرخ البريطاني "**ألكسندر هاملتون**" كذلك قد أشار الى قوة الأسطول العماني بعد زيارته لعمان عام 1715م، أين أثار انتباهه باخرة حربية طويلة تعود الى عهد اليعاربة وضع عليها 74 مدفعا حربيا[3].

كذلك ردد شعراء دولة اليعاربة بعمان أسماء وأعداد هذه السفن الحربية في أبياتهم الشعرية وأطلقوا عليها عدة ألقاب، مثل ما ورد في شعر "**القاضي محمد بن صالح المنتفق**" الذي أرثى الإمام سيف بن سلطان بعد موته في قصيدته المشهورة التي يقول فيها[4]:

وأنشد مراكبه التي صدمت*الملك ثم الفلك ثم الناصري.**

مراكبهم وأهدتها بنادق حامية*مع كعب رأس كالجبال الراسية.**

ومن بين أكثر السفن العمانية استعمالا في عملية النقل البحري هي سفينة البغلة التي يبلغ طولها 135 قدم وتتراوح حمولتها ما بين 150 الى 400 طن، اضافة الى سفينة القنجة كذلك التي تشبه البغلة كثيرا لكن طولها يصل الى 120 قدم وحمولتها تتراوح ما بين 130 الى 300 طن، كما توجد أسماء سفن ومراكب عديدة مثل البوموالشويعي والجالبوت والعويسية والبتيل والبقارة والشاحوف و الزوارق[5]، حيث تختلف حمولة هذه المراكب من مركب الى أخر، كما تختلف سرعتها وطولها وهيكلها فمنها ذات الثلاثة أشرع ومنها ذات الأربعة أشرع أيضا، تختلف تسمياتها كذلك فقد سمى الأئمة العمانيين سفنهم الحربية

---

(1) جيان، المرجع السابق، ص 351.
(2) المغيري، جهينة الأخبار...، المصدر السابق، ص 114.
(3) Alexander Hamilton, A New Account of the Indies, VOL I, London, Edited By W. Fosger, 1930, p. 51.
(4) السالمي، المصدر السابق، ص ص 100-101.
(5) سعيد الهاشمي، المرجع السابق، ص 75.

بأسماء تدل عليها مثل: الفلك والملك والناصر وكعب الرأس والوافي وغيرها من الأسماء التي توارثها الأئمة العمانيون منذ أزمنة قديمة[1].

من خلال ما سبق لنا ذكره يمكننا القول بأن تطور الأسطول البحري في عهد العمانيين اليعاربة قد عرف درجات عليا، خاصة في عهد الإمام سيف بن سلطان الذي أدخل تعديلات عديدة على الأساطيل الحربية العمانية، لتنافس بذلك السفن البرتغالية المتواجدة في البحار الشرقية والخليجية.

و/البرتغاليون بين تراجع سيطرتهم البحرية في البحار الخليجية والشرقية وتنامي القدرات السياسية والعسكرية للعمانيين اليعاربة[*] في النصف الأول من القرن 17م:

بعدما أحرز البرتغاليون انجازات عسكرية وسياسية كبيرة خلال العقدين الأولين من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، بحيث استطاعوا السيطرة على مواقع استراتيجية هامة سواء على سواحل المحيط الهندي والخليج العربي وجنوب شرق آسيا، فقد كانت لديهم قواعد تجارية وعسكرية جد هامة من خلال احتفاظهم طوال قرن كامل بهذه الإمبراطورية المترامية الأطراف[2].

اضافة الى ذلك فقد قام نائب ملك البرتغال باتخاذ مدينة جوا بالهند مقرا لإمبراطوريته العظمى والتي قسمت اداريا الى سبعة أقسام هي: القسم الأول ويمتد من رأس الرجاء الصالح الى البحر الأحمر والذي يضم جميع ساحل شرق افريقيا، القسم الثاني ويضم ساحل جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي، القسم الثالث ويمتد من الخليج العربي الى نهر السند، القسم الرابع ويشمل الساحل الغربي لشبه القارة الهندية، القسم الخامس ويشمل الساحل الشرقي للهند حتى البنغال، القسم السادس ويشمل الساحل الغربي لجنوب شرق أسيا والنصف الغربي لأرخبيل المالايو، القسم السابع ويشمل جميع الأقاليم التي تقع الى الشرق

---

(1) سعيد الهاشمي، المرجع السابق، ص 75، وأنظر أيضا:
J.C. Wilkinson, <<The Origins of the AFLAJ of Oman>>, VOL VI, Journal of Oman Studies, 1983, p. 82.

(*) اليعاربة: نسبة الى العرب العاربة وهم قبيلة من أصل يمني قحطاني ترجع أصولهم الى بلاد اليمن وهم أوائل من هاجروا واستقروا في عمان، للمزيد حول اليعاربة أنظر: ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، مسقط، 1978، ص 89.

(2) عبد الأمير أمين، <<نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية في أسيا-دراسة في عوامل تدهور وانحطاط الإمبراطورية البرتغالية>>، مجلة الوثيقة، 1988، العدد 13، السلسلة 07، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، ص 103.

من القسم السادس ويضم كل من جزر التوابل و الملوك في منطقة ملقاش(Molucas)، جزر فلورانس(FLorns) ومكاو [1].

لكن لم يتجاوز حكم البرتغاليين في هذه الأقسام الإدارية السابقة الذكر الموانئ الساحلية والقلاع العسكرية الكبيرة و المشيدة في المراكز الساحلية والجزر الصغيرة أيضا، فحقيقة الأمر أن شساعة الإمبراطورية البرتغالية لا تتعدى المواقع الإستراتيجية والموانئ الهامة والقلاع الحربية التي توفر لها الحماية اللازمة، كما يعيبها ذلك التباعد المكاني وانعزالها عن بعضها البعض، فهي أشبه بو حدات اقطاعية تجارية وعسكرية منها الى امبراطورية متماسكة ومنسجمة جغرافيا وسياسيا[2].

حيث لم تتعدى سيطرة البرتغاليين النقاط الساحلية لتصل الى المراكز الداخلية منها سواء في ساحل شرق افريقيا أو في البحار الشرقية والخليجية، كما لم يكن للبرتغاليين أي تأثير يذكر على الكيانات السياسية القوية في المنطقة مثل الدولة الصفوية و الدولة العثمانية فقد عاشت مملكة البرتغال ومستعمراتها في الشرق على هامش الدول القوية سياسيا وعسكريا[3]، أصبح ذلك واضحا وجليا من خلال أفعال البرتغاليين و معاملاتهم السياسية والعسكرية والتجارية ضد السكان المحكومين من جهة وممارساتهم الاحتكارية كذلك من جهة أخرى[4].

يمكننا القول بأن مملكة البرتغال في بحار الشرق قد حملت بذور ضعفها وتفككها معها منذ بداية تأسيسها، فان بداية عوامل سقوط الغزو البرتغالي كانت منذ قيامه، الإشكالية المطروحة في هذا السياق هي ما عوامل تدهور وتفكك وتراجع النفوذ البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية؟.

ترجع عوامل تدهور النفوذ البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية لأسباب من أهمها ما يلي:

-ان التعصب الديني المسيحي للبرتغاليين وقسوتهم ووحشيتهم مع السكان المحكومين في الخليج العربي وساحل شرق افريقيا، قد ساهم في انتشار الحقد بين المسلمين والمسيحيين على حد سواء حيث أوضح لنا "جينا"(JAYNA)مو اقف البرتغاليين الدينية من المسلمين في الشرق، بقوله:**(كان شعار البرتغاليين**

---

(1) عبد الأمير أمين، المرجع السابق، ص 103.
(2) نفسه.
(3) نفسه.
(4) لورمير، المرجع السابق، ج01، ص ص 67-68.

في آسيا صداقة وود للمسيحيين وحرب لا هوادة فيها للمسلمين)[1]، أما عن قسوة البرتغاليين فقد تمثلت في أبشع الصور كقطع الأذان والتنكيل بالمحكومين وقتل للأطفال والنساء العزل وإحراق القرى والمدن وإغراق السفن التجارية في جميع البحار الشرقية والخليجية[2].

-لقد ساهمت قلة العنصر البشري في تدهور النفوذ البرتغالي بمستعمرات الشرق تدريجيا فلم يزد عدد الجنود البرتغاليين المجندين منذ قدومهم الى البحار الشرقية والخليجية عن 10 ألاف مقاتل خلال القرن السادس عشر للميلاد[3]، مقارنة باتساع مستعمراتهم وكثرة قلاعهم الحربية ومراكزهم التجارية وأساطيلهم البحرية هناك، الأمر الذي جعل البرتغاليين يجدون صعوبة كبيرة في ادارة كل هذه الإمكانيات العسكرية والمناطق الجغرافية، نظرا لما يملكونه من نقص في الأفراد وما يحتاجون اليه من الجنود العاملين في الخدمة البحرية والملاحة والإدارة العسكرية، ما دفعهم الى استخدام بعض المجندين والمرتزقة من الهنود الذين يفتقرون الى الخبرة البحرية[4]، بعض الأوروبيين من هولنديين وايطاليين وفرنسيين وانجليز للمهام الإدارية والتجارية.

-ممارسة البرتغاليين للإحتكار التجاري البشع الذي يعتمد على احتكار السلع المربحة بطريقة تقليدية، فان الاحتكار التجاري لحكومة البرتغال للسلع المربحة لم يترك المجال مفتوحا للتجار البرتغاليين من أجل تأسيس شركات احتكارية على غرار الشركات التي أسسها الهولنديون والبريطانيون من بعدهم كشركة الهند الشرقية[5]، التي تربط مصالح الطبقة الرأسمالية والأفراد بحركة الإستعمار البرتغالي في الشرق، بحيث أن مصادر دخل حكومة البرتغال قد قامت منذ بدايتها على نهب السفن التجارية للمسلمين وفرض الرسوم الجمركية والضرائب القاسية على سفن التجار الأسيويين والأوروبيين أيضا[6].

---

(1) JAYNA, K.G, VASCO DA GAMA AND HIS SUCCESSORS(1460-1580), LONDON, 1974, p. 62.

(2) IDEM, p.p. 62-63. أنظر أيضا: أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص 124.

(3) عبد الأمير أمين، المرجع السابق، ص 103، أنظر أيضا: محمد حسن العيدروس، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي(1622م-1650م)، ط01، دار المنتدى للطباعة والنشر، أبوظبي، 1997، ص ص 27-28.

(4) عبد الأمير أمين، نفسه، ص 105، أنظر: جمال قاسم زكرياء، المرجع السابق، ص 85، وكذلك: محمد حسن العيدروسي، نفسه، ص ص 28-29.

(5) نفسه، ص 33، وأنظر أيضا: عبد الأمير أمين، نفسه، ص ص 116-117.

(6) نفسه، ص 110.

-كما شكل ضم فيليب الثاني ملك اسبانيا للبرتغال عام(1580م-1640م) تحت قيادة أسرة "براغزا"، ضعفا بالنسبة للإدارة الاستعمارية البرتغالية في الهند وهرمز ومسقط وبلاد الحبشة كذلك، فالوحدة البرتغالية-الإسبانية كانت بمثابة عبئ كبير على البرتغاليين بسب تحملهم تبعات السياسة الإسبانية الطموحة والتوسعية في القارة الأمريكية[1]، فان الحكومة الإسبانية وباعتراف مؤرخيها قد انتهجت سياسة غير رشيدة مع البرتغاليين فلم تكن لتدرك حقيقة الاستعمار البرتغالي ولا أهميته فلم تسعى لتثبيت ركائزه ولا لتوسيع مجاله الجغرافي، الأمر الذي أدى الى ضعف البرتغال خلال فترة اندماجهم مع التاج الإسباني[2]، رغم تأسيس الإسبان لبعض القلاع الحربية في الخليج العربي والتي اشتهرت بقوة حصانتها وصمودها الى غاية اليوم كقلعة "كابيتان" و"سان جوا" في مسقط عام 1586م، وحاليا تم تسميتهما بقلعة "الميراني" وقلعة "الجلال"[3].

-طول فترة الصراع السياسي والعسكري و الديني و الإقتصادي بين العثمانيين و البرتغاليين في البحار الشرقية والخليجية مطلع القرن السادس عشر للميلاد، ما ساهم في اضغافوا إنهاك القدرات العسكرية للبرتغاليين مع بدايات القرن السابع عشر للميلاد، رغم تراجع دور العثمانيين هناك أيضا منذ الحملة الأخيرة لعلي ميرال بك عام 1581م على مسقطوسواحل شرق افريقيا[4].

-ظهور دولة العمانيين اليعاربة كدولة موحدة سياسيا و دورها في مواجهة الغزو البرتغالي بفضل أسطولها البحري القوي، تحمل أئمتها مسؤولية اكمال ما بدئه العثمانيون من قبلهم وهو الدفاع عن المنطقة سياسيا واقتصاديا ودينيا في عمان الساحل والداخل ومياهالخليج العربي و البحر الأحمر وصولا الى سواحل افريقيا الشرقيةدون مساعدة أي قوى سياسية أخرى[5].

---

(1) جمال قاسم زكرياء، المرجع السابق، ص ص 96-97.

(2) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، منشورات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1982، ص 41.

(3) محمد حسن العيدروسي، المرجع السابق، ص 32، وأنظر كذلك: لورمير، المرجع السابق، ص 20.

(4) BOXER, C.R, PORTUGUESE CONGLUEST AND COMMERCE IN SOWTHERN ASAI, LONDON, 1985, p. 258.

(5) جمال زكرياء قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق افريقية(1744م-1861م)، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1968، ص 25.

-بداية المنافسة الأوروبية للتجارة للبرتغالية في مستعمراتها بالهند من طرف الإنجليز والهولنديين بحيث قام الإنجليز بتأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام 1600م، بمقتضى مرسوم ملكي حصل عليه بعض التجار الإنجليز من ملكة بريطانيا، على نفس طريق البريطانيين سار الهولنديين لتأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1602م، لتبدأ المنافسة التجارية بين الإنجليز والهولنديين والبرتغاليين على التجارة الشرقية، ما ساهم في اضعاف التجارة البرتغالية وتأثرها بشدة المنافسة الإنجليزية-الهولندية[1]، خاصة بعد دعم الإنجليز للفرس ضد البرتغاليين عام 1622م، التساؤل المطروح هو ما دوافع التحالف الإنجليزي-الفارسي عسكريا واقتصاديا ضد البرتغاليين بهرمز؟ وما نتائج هذا التحالف على الوجود البرتغالي هناك؟.

<u>*نهاية الوجود البرتغالي من هرمز وتمركزه في الساحل العماني عام 1622م:</u>

لقد شكل ظهور القوى البحرية الجديدة في البحار الخليجية كشركة الهند الشرقية البريطانية مطلع النصف الأول من القرن السابع عشر للميلاد، بداية للتعاون الإنجليزي-الفارسي ضد الوجود البرتغالي في جزيرة هرمز مدخل الخليج العربي، كما استفاد الإنجليز من موطئ قدم في ميناء "جاسك" الفارسي ليقيموا به مركزا تجاريا لهم مقابل تحالفهم مع دولة الفرس، حيث أن تحالفهم هذا قد انسجم وطموحات الشاه "**عباس الكبير**"[*](1571م-1629م)[2]، الذي كان يسعى بكل قوة الى طرد البرتغاليين من هرمز بعدما تمكن من طردهم من ميناء "جمبرون" بفارس، الذي يسمى حاليا "ببندر عباس".

---

(1) أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص ص 89-125، وراجع كذلك: عبد العزيز عبد الغني، المرجع السابق، ص ص 43-51، وللمزيد من الإيضاح راجع كذلك: صلاح العقاد، التيارات السياسية...، المرجع السابق، ص ص 21-22.

(*) الشاه عباس الكبير: هو من بين أشهر حكام السلالة الصفوية الشيعية في فارس ولد عام 1571م و توفي عام 1629م، تمكن خلال فترة حكمه من توسيع الحدود السياسية لدولته، كما أعاد تنظيم الجيش الصفوي وتطويره عسكريا، قام بإخراج العثمانيين من الولايات الفارسية في مناطق العراق ليظم بغداد اليه عام 1603م، قام كذلك بالتحالف مع الإنجليز ضد البرتغاليين وطردهم من جزيرة هرمز بالخليج العربي عام 1622م، بنى سياسته الخارجية على المصالح الإقتصادية والسياسية على حساب المذهب السني للمسلمين سواء مع العثمانيين أو مع دولة اليعاربة بعمان والخليج العربي، بتحالفه مع الإنجليز والقوى الأوروبية الأخرى هناك، للمزيد حول هذه الشخصية أنظر: بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، ط 01، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص 21، وراجع أيضا: عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول(1588م-1629م)، مذكرة ماجيستار(منشورة)، جامعة الوادي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، 2015، ص ص 45-46، وأنظر: عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص ص 253-265.

(2) أرنولد ويلسون، نفسه، ص ص 98-99.

ان هذا التعاون العسكري -الاقتصادي بين الفرس والإنجليز كان وفق امتيازات وشروط متفق عليها بين الطرفين، تقتضي في مضمونها تقديم مساعدات عسكرية للفرس ضد البرتغاليين في مياه الخليج العربي، مقابل تسهيل الفرس لمهمة شركة الهند الشرقية البريطانية في استيراد مختلف المنتوجات الشرقية خاصة الحرير منها، ليرسم الطرفان هذا التعاون العسكري -الإقتصادي في اتفاقية ميناب بفارس عام 1622م، التي تنص على تقسيم الغنائم والأرباح الاقتصادية بالتساوي بين الطرفين، مقابل أن تتحمل حكومة الشاه عباس الكبير جميع نفقات ومصاريف الجنود الإنجليز، ومرتباتهم وقيمة البارود والأسلحة المستخدمة أيضا في تحرير جزيرة هرمز وموانئ الخليج العربي من السيطرة البرتغالية[1].

لقد بدأ الإنجليز والفرس مشروعهم باحتلال جزيرة قشم عام 1622م وطرد البرتغاليين منها لينتقلوا بعدها الى جزيرة هرمز، التي سقطت قلعتها كذلك بعد تدميرها بسلاح المدفعية ورغم محاولات البرتغاليين استردادها لمرتين خلال عام 1625م و1630م[2] الى أنهم فشلوا في ذلك، حيث خربها الفرس بأمر من الشاه عباس الكبير الذي تخوف من محاولة رجوع البرتغاليين اليها مرة أخرى[3]، هذا ما دفع بالبرتغاليين الى تحويل تحصيناتهم الدفاعية والعسكرية من قلعة هرمز الى قلعة مسقط بساحل عمان، تحويل نشاطهم التجاري والإقتصادي أيضا من هناك منذ عام 1622م.

تجدر بنا الإشارة الى أن بعض الباحثين والمؤرخين لتاريخ الخليج يعتبرون بأن نهاية السيطرة البرتغالية على جزيرة هرمز عام 1622م، هي بمثابة بداية النهاية للوجود البرتغالي في الخليج ككل لكن العكس صحيح، حيث أن البرتغاليين حولوا وجودهم السياسي والاقتصادي والعسكري من جزيرة هرمز الى سواحل عمان فقط، مطورين بذلك قلاعهم الحربية وتحصيناتهم العسكرية بقلاع مسقط ومطرح، أين

(1) لورمير، دليل...، المرجع السابق، ص 42، وأنظر أيضا: جمال زكرياء قاسم، الخليج ...، المرجع السابق، ص 99.
(2) ويلسون، المرجع السابق، ص ص 110-111-112.
(3) على عكس البرتغاليين تماما لم يقم الفرس بالاحتفاظ بجزيرة هرمز كما عارضوا أيضا استقرار الإنجليز فيها، حيث أصدر الشاه عباس أوامره بتدمير الجزيرة وقلعتها عن آخرها، لتنتهى بذلك قصة هرمز ومجدها السياسي والتجاري والعسكري في الخليج العربي والذي تمتعت به خلال قرون مضت منذ عام 1622م، كما نقل الفرس النشاط التجاري في الخليج من موانئ هرمز الى ميناء جمبرون(بندر عباس حاليا)، للمزيد أنظر: ويلسون، نفسه، ص ص 116-117، وراجع أيضا: صلاح العقاد، دور العرب والفرس في مكافحة الإستعمار البرتغالي في الخليج-دراسة مقارنة، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 04، مسقط، 1980، ص ص 84-85، وأنظر: جمال زكرياء قاسم، نفسه، ص 102.

خسر البرتغاليون تحت حكم التاج الإسباني ثاني أكبر مراكزهم الاقتصادية والسياسية بالخليج العربي بعد خسا تهم الأولى لجزيرة البحرين بالخليج العربي عام 1602م.

ولقد أشار لنا المؤرخ البريطاني "سير.أر.بوكسر" مترجم مذكرات القائد البرتغالي"روي فيريرا دي أندرادي" عام 1929م، عن خسارة هرمز ضد الحلف الإنجلو-فارسي وما تعنيه بالنسبة للبرتغاليين والإنجليز، بقوله:**(لقد كان سقوط هرمز بالنسبة لنا هي غروب شمس البرتغاليين واشراقة أمل لتجارتنا في الهند مع توقعات سيطرتنا الكاملة على أمور الخليج العربي)**[1].

والإشكالية المطروحة في هذا السياق التاريخي هي كيف تأسست دولة اليعاربة بعمان الداخل رغم التفكك السياسي والصراع الداخلي القائم بين النبهانيين والأئمة الإباضيين من جهة، تردي الأوضاع السياسية هناك من جهة أخرى؟ هل استطاعت هذه الدولة مواجهة أكبر القوى الإستعمارية في التاريخ الحديث والممثلة في الغزو البرتغالي، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر للميلاد؟.

---

(1) روي فيريرا أندرادي، <<يوم سقطت هرمز>>، مذكرات القائد البحري روي فيريرا، الموسوعة البرتغالية، ترجمة عيسى أمين، إصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، البحرين، 1970، د.ع/1996، ص 09.

ز/ناصر بن مرشد اليعربي مؤسس دولة اليعاربة بعمان و استراتيجياته السياسية و العسكرية عام(1624م-1649م):

***نبذة عن حياته:**

هو ناصر بن مرشد اليعربي بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن مالك بن يعرب البصري الحميري الأزدي اليمني الإباضي، مؤسس دولة اليعاربة بعمان تميز بعدله وحسن سيرته وخلقه فقد عقدت له الإمامة وهو في سن العشرين سنة، حيث قام ناصر بن مرشد اليعربي بجهود كبيرة في سبيل توحيد عمان الداخل والساحل معا وتأسيس دولة اليعاربة، توفي عام 1649م ودفن في نزوى خلال محاولته فتح مسقط، كما لم تسعفنا المصادر والمراجع العمانية في تحديد تاريخ ولادته ونشأته ومراحل حياته قبل توليه منصب الإمامة، الذي عمل به الإباضيون في عمان لتنصيب من يحكمهم[1].

تعتبر تولية ناصر بن مرشد اليعربي مرحلة جديدة في التاريخ العماني حيث أجمعت المصادر العمانية على أن سبب توليته هو تردي الأوضاع السياسية، ما دفع بأهل الحل والعقد لأن يجتمعوا حول تعيين من يتزعمهم ويؤمهم بحيث ارتكز اليعاربة في فكرهم الإباضي الذي هو رمز الدولة على انتخاب الإمام في مجلس علني، مكون من علماء الدين وشيوخ القبائل وبعد مشاورات طويلة استقر أمرهم على اختيار ناصر بن مرشد اليعر بي اماما على دولة عمان، وفق أسس ومعايير منها الاستقامة والاعتدال والتدين والكفاءة العسكرية، فعقدة له الإمامة في منطقة "الرستاق" عام 1624م[2].

لقد تميزت فترة حكم ناصر بن مرشد اليعربي بمرحلتين أساسيتين في التاريخ العماني هما: المرحلة الأولى قيامة بتحقيق الوحدة الوطنية في عمان الداخل تحت سلطة مركزية بمنطقة "الرستاق" دامت قرابة قرن وعشرين سنة كاملة تحت حكم دولة اليعاربة، أما المرحلة الثانية فهي اعلانه بداية الحرب لتصفية الغزو البرتغالي بساحل عمان.

(1) عبد الله بن خلفان ابن قيصر، سيرة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1977، ص 14، وأنظر: ابن رزيق، المصدر السابق، ص 89.

(2) نفسه، ص 14، وأنظر أيضا: الأزكوري، المصدر السابق، ص 96، للمزيد راجع كذلك: السالمي، المصدر السابق، ج 02، ص 07.

***استراتيجيته في توحيد أقاليم عمان الداخل:**

لقد قام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي بمواجهة ثلاثة قوى سياسية في عمان الداخل من أجل توحيدها تحت رايته، ذلك بظهور معارضة له في حكم عمان الداخل من طرف كل من "مانع بن سنان العميري" حاكم سمائل و "سيف بن محمد الهناني" حاكم بهلى و حكام "بني جبر" في منطقة الظاهرة (*) والظفرة بعمان، التي رفضت اجماع مشايخ عمان حول تعيين من يؤمهم وهو ناصر بن مرشد اليعربي، معلنة بذلك خروجها عن طاعته(1).

لذلك بدأ الإمام ناصر بن مرشد اليعربي أولا بالدعوة الى توحيد الصفوف لمواجهة الخطر البرتغالي المشترك من منطقة حكمه "بالرستاق"، ليتجه نحو القبائل المتناثرة في كل من عمان الداخل من أجل تأسيس قاعدة يرتكز عليها قبل مواجهته للقوى السياسية الكبرى في عمان، حيث توجه ناصر بن مرشد مع قواته الى اخضاع ابن عمه "مالك بن أبي العرب اليعربي" في الرستاق ثم أتجه الى اخضاع عمه "سلطان اليعربي" في منطقة "نخل" ليضمها تحت حكمه(2).

وبعد نجاحاته في "الرستاق" ونخل انضمت اليه العديد من القبائل طواعية وبدون أي مقاومة تذكر مثل قبيلة "نزوى" و "أزكى" رغم أنه واجه معارضة من جماعة تدعى بالأبوسعيديين(*) في نزوى، لكنه تمكن من تفرقتهم ليتجه بعضهم الى كل من "مانع بن سنان" في سمائل و"سيف بن محمد الهناني" في بهلى وهم من أشد المعارضين لإمامة ناصر بن مرشد اليعربي على عمان(3).

(*) منطقة الظاهرة بعمان: أي الخارجة والبارزة عنها وهي وتقع شمال غرب عمان وهي حاليا بمحاذاة الحدود الجنوبية لدولة الإمارات المتحدة، تعتبر مركزا لأحد أكبر المساجد الإباضية بعمان.

(1) الأزكوري، المصدر السابق، ص ص 93-94.

(2) ابن قيصر، المصدر السابق، ص 15.

(*) الأبوسعيديين: أو البوسعيديون هي أسرة حكمت عمان وزنجبار وسميت بهذا الإسم نسبة الى مؤسسها: **"أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد الأزدي العماني"** والإباضي المذهب حيث عارضة هذه الأسرة حكم اليعاربة في عمان وحكم ناصر بن مرشد اليعربي كإمام عليهم، هي نفسها من خلفتهم في حكم عمان بعد سقوط دولة اليعاربة الى غاية اليوم رغم أن المصادر العمانية المعاصرة لتلك الفترة لم تشر الى تلك المعارضة، للمزيد حول هذه الأسرة أنظر:
BADGER, G.P, History of Imams and Seyyids of Aman and Original Sources by Salil Bin Razik, London, 1871, p.p. 661-856.

(3) ابن رزيق، الفتح المبين...، المصدر السابق، ص 266.

تمكن ناصر بن مرشد اليعربي من توحيد جميع مناطق عمان الشرقية في الداخل وترسيخ سلطة الإمامة فيها ماعدا مناطق عمان الساحل التي بقيت تحت سيطرة البرتغاليين آنذاك، منتهجا بذلك سياسة دفاعية منظمة اعتمد فيها على بناء القلاع والحصون الحربية في كل منطقة تدخل تحت حكمه[1].

حيث اتسمت هذه المرحلة الأولى من التوحيد السياسي لعمان بالطابع السلمي، لتليها المرحلة الثانية وهي مرحلة التوحيد بالطابع العسكري، بعد مواجهة ناصر بن مرشد لكل من "مانع بن سنان العميري" في سمائل أين أخضعها بالقوة العسكرية تحت حكمه خاصة بعد لجوء معارضيه من أسرة الأبوسعيديين اليها[2]، لم يكتفي مانع بن سنان من الخروج عن حكم ناصر بن مرشد اليعربي فقط، بل وصل به الأمر الى التحالف مع الأعداء البرتغاليين ضده[3].

بعدما أحكم ناصر بن مرشد اليعربي حكمه على منطقة سمائل لم يبقى له سوى بنو جبر أو بني هلال في عمان الداخل، قوات الهناني حلفائهم كذلك في بلهى و التي استسلمت له بعد حصار دام شهرين كاملين بحيث تمكن اليعاربة من مواجهة بني جبر وقادتهم، ذلك بعد معارك طاحنة دارت بين الطرفين تولى فيها قادة جيش الإمام ناصر بن مرشد اليعربي اخضاع جميع مناطق عمان الداخل تحت حكم اليعاربة، بعدما دخلت عمان قبل ذلك تاريخا مظلما لمدة ثمان سنوات كاملة تقاسم فيها زعماء القبائل لعمان، كتقاسم ملوك الطوائف في بلاد الأندلس[4]، حيث عكف ناصر بن مرشد اليعربي لمدة ثمان سنوات كاملة على توحيد الجبهة الداخلية في عمان سلميا وعسكريا[5].

وتسرد لنا المصادر العمانية المعاصرة لتلك الأحداث عن أخر معارك ناصر بن مرشد اليعربي ضد قوات بني جبر في أقاليم عمان الداخل، من أجلتحقيق الوحدة الوطنية وا خضاع القبائل المعارضة له في الحكم ومن بين ما جاء في أحداث هذه المعارك هي رواية "ابن رزيق" في كتابه "الفتح المبين"،

---

(1) عائشة اليسار، دولة...، المصدر السابق، ص 46.

(2) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1980، ص 125، أنظر كذلك: سالم بن حمود بن شامس السيابي، عمان عبر التاريخ، ج 03، ط 05، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 2014، ص 193، وللمزيد راجع أيضا: مايلز، الخليج...، المرجع السابق، ص 199.

(3) ابن قيصر، المصدر السابق، ص 16، أنظر أيضا: السالمي، المصدر السابق، ص 11.

(4) السالمي، نفسه، ص 12، وأنظر أيضا: ابن رزيق، المصدر السابق، ص ص 214-215، وراجع كذلك: سعيد الهاشمي، المرجع السابق، ص 59.

(5) مؤلف مجهول، نفسه، ص 144، وأنظر أيضا: الحميدان، نفوذ الجبور...، المرجع السابق، ص 218، وكذلك راجع: سعيد الهاشمي، نفسه، ص 60.

حول استلام بني جبر بعد محاصرتهم من طرف جيش اليعاربة في حصن "الغبي"، أين يذكر لنا ابن رزيق هذا:(...**لما يأس آل هلال(*)من الإنتصار طلبوا الصلح من الإمام(*)على خروجهم من الحصن فيما معهم من السلاح، فأنعم الإمام لهم بذلك...)**[1].

من قول ابن رزيق نستنتج بأن خضوع بني جبر كان عن طريق الاستسلام لقوات اليعاربة في عمان بعد محاصرتهم لهم، هذا بعد مقتل قائد قوات الجبور في المعركة "**قاسم بن مذكور الدهمشي**"، حيث ذكر لنا "ابن قيصر" أحداث تلك المعركة والحصار المفروض على حليفهم الهناني، بقوله:**(فانهزم بنو جبر وتحصن الهناني في القلعة فحاصره الإمام حوالي شهرين كاملين، فطلب الأمن فأمنه هو وماله وسلاحه فخرج من بهلى(*) ودخل الإمام القلعة وعين على البلدة واليا من قبله ورجع الى نزوى)**[2].

تجدر بنا الإشارة هنا الى أن قبائل بني جبر لم يقفوا كلهم جبهة واحدة ضد امامة ناصر بن مرشد اليعربي على ولاية عمان، بل ان هنالك من زعماء القبائل من وقف الى جانب هذا الإمام وسانده، ويعتبر "**ناصر بن قطن الجبري**" أحد أبرز قادة المعارضة في عمان، هو من تزعم حركات المقاومة ضد جيوش الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، فكان له الدور الكبير في عدم توحيد مناطق عمان سياسيا وعسكريا لمدة طويلة[3].

من خلال المقاربة التاريخية يمكننا أن نستنتج ما يلي: ان تحقيق الوحدة السياسية بين مناطق عمان الداخل لم يكن بالشيء الهين والسهل بالنسبة للإمام ناصر بن مرشد اليعربي، بسبب ما وجده هذا الأخير من صعوبات جمة في اخضاع العديد من القبائل و العشائر تحت سلطته، التي اعتادت على عدم الخضوع لسلطة مركزية واحدة خاصة خلال مواجهة دولة اليعاربة لقوات بني جبر العنيدة جدا، رغم ذلك

(*) بني هلال: هو لقب أطلق على قبيلة بني جبر.
(*) الإمام: المقصود به هنا هو الإمام ناصر بن مرشد اليعربي مؤسس دولة اليعاربة بعمان وموحدها سياسيا.
(1) ابن رزيق، نفسه، ص 267، وأنظر أيضا: ابن قيصر، المصدر السابق، ص 25، وللمزيد راجع: الأزكوري، المصدر السابق، ص 99.
(*) بهلى: هي أحد مدن عمان الداخلية تقع غرب مدينة نزوى.
(2) ابن قيصر، نفسه، ص 28، وأنظر كذلك: السيابي، المصدر السابق، ص 192.
(3) سليمان بن محمد الغنام، <<الوجود البرتغالي في عمان في المصادر العمانية>>، مجلة العرب، السنة 1977، العدد 11-12، ص ص 829-830.

تبقى سيطرة اليعاربة على أقاليم عمان الداخل أمرا مشكوك فيه، بالنظر الى عدم اخلاص ووفاء بعض زعماء القبائل المنتشرة على أطراف مناطق نفوذ وسيطرة دولة اليعاربة.

كما يبقى للعامل الديني وللمذهب الإباضي كذلك الدور الهام في خضوع بعض قبائل عمان لسلطة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي سلميا دون أي قتال يذكر، حيث يمكننا القول بأن للمذهب الإباضي دور هام في حركة الوحدة العمانية خلال العصر الحديث، هذا ان دل على شيء فإنما يدل على نجاح الخطوة الأولى من استراتيجية الإمام ناصر بن مرشد اليعربي في تحقيق الوحدة السياسية بعمان الداخل ما بين عام(1624م-1632م)، ثم الإنتقال الى الخطوة الثانية وهي بداية مقاومة الغزو البرتغالي في عمان الساحل ما بين عام(1632م-1649م)[1].

ويثني لنا المؤرخ البريطاني "**ويلكنسون**"(Wilkinson) كثيرا على جهود الإمام ناصر بن مرشد اليعربي في توحيد عمان وتأسيس القوة البحرية لليعاربة، فيقول:(**ان ظهور ناصر بن مرشد اليعربي كان منعطفا مهما في تاريخ عمان، حيث دخلت عمان عصرا جديدا مجيدا وان الإمبراطورية البحرية التي بناها اليعاربة كانت ندا للقوى الأوروبية...)**[2]، يصف لنا المؤرخ البرتغالي "**أنطونيو بوكارو**"(Antonio Buckaro) كذلك صعود نجم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وسياسته في حكم عمان، بقوله:(**لقد جعل هذا الإمام من نفسه منذ سبع سنوات فقط أقوى حاكم في جميع أنحاء الجزيرة العربية، بمناصرته للشريعة المحمدية التي كان يظهر على أنه من أشد المتمسكين بها)**[3].

الإشكالية المطروحة هي كيف ستواجه دولة اليعاربة بعمان الداخل بقيادة امامهم ناصر بن مرشد اليعربي الغزو البرتغالي المتمركز في دفاعاته وقلاعه وحصونه بعمان الساحل عسكريا، سواء في مسقط أو مطرح أو صحار أو جلفار أو الباطنة أو قريات، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر للميلاد؟ وما هي النتائج السياسية والعسكرية المترتبة عن هذه المواجهة؟.

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول سياسة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وجهوده في توحيد عمان تحت راية دولة اليعاربة لمدة ثمان سنوات كاملة ما بين(1624م-1632م)، أنظر: الأزكوري، المصدر السابق، ص 107، وراجع كذلك: ابن رزيق، المصدر السابق، ص 280.

(2) Wilkinson. J.C, The Origins of The AFLAJ of Oman, Journal of Oman Studies, VOL VI, 1983, P. 82.

(3) بوكسر.س، ملاحظات جديدة عن الصلاة بين العمانيين والبرتغاليين، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 06، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، 1980، ص 212.

الفصل الثاني:

دولة اليعاربة بداية معارك الحصون والقلاع بعمان الساحل والخليج العربي وساحل افريقيا الشرقية ونهاية الغزو البرتغالي عام(1632م-1698م):

أ/اليعاربة ومحاولةتحرير هم الأول لقلعة مسقط عام 1632م.

ب/اليعاربة وتحريرهم لقلعة جلفار(رأس الخيمة) وساحل الباطنة عام 1633م.

ج/اليعاربة ومحاولةتحرير هم الأول لقلعة صحار عام(1640م-1643م).

د/اليعاربة وتحريرهم الأول لقلعتي صور وقريات عام(1641م-1648م).

هـ/اليعاربة وتجدد الصراع السياسي-المذهبي بين ناصر بن مرشد اليعربي وناصر بن قطن الجبري ونتائجه على عمان الساحل(1640م-1643م).

و/اليعاربة من فشل محاولةتحرير هم الثاني لقلعة مسقط الى نجاحتحرير هم الثاني لقلعة صحار عام(1640م-1643م).

ز/اليعاربة وفشل محاولة تحريرهم الثالث لقلعة مسقط ونهاية حكم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي عام 1649م.

ح/اليعاربة وتحريرهم لمسقط وعمان الساحل بقيادة الإمام سلطان بن سيف الأول عام 1649م:

***نبذة عن حياته الشخصية.**

***تحريره لمسقط وعمان الساحل عام 1649م.**

ط/اليعاربة وتحريرهم لمملكة زنجبار وبتة بساحل شرق افريقيا عام 1652م.

ي/اليعاربة وحصار هم لقلعة ممباسا وتحريرها الأول من السيطرة البرتغالية عام(1660م-1665م).

ك/اليعاربة ودوافع هجومهم على قاعدة البرتغاليين في ميناء ديو بالهند عام 1668م.

ل/اليعاربة من حصارهم لقلعة موزنبيق الى انتصارهم في معركة كونج بالخليج العربي عام 1669م.

م/اليعاربة وهجومهم على بتة ونهاية حكم الإمام سلطان بن سيف الأول عام 1679م.

ن/اليعاربة وظروف ولاية سلطان بن سيف الثاني على حكم عمان عام(1679م-1692م).

***نبذة عن حياته الشخصية.**

***صراعه السياسي على السلطة مع أخيه بلعرب وانعكاساته على ساحل شرق افريقيا.**

س/اليعاربةحصار هم لقلعة ممباسا وتحرير هم النهائي لساحل شرق افريقيا عام(1696م-1698م).

أ/اليعاربة ومحاولةتحرير هم الأول لقلعة مسقط عام 1632م:

لقد أدرك البرتغاليون بعد خسارتهم لجزيرتي هرمز والبحرين بالخليج العربي، أن حامياتهم العسكرية يجب أن تتدعم بعنصر التحصينات خارج قلاعهم وحصونهم الحربية بجميع مستعمراتهم في البحار الشرقية والخليجية، التي يجب أن تشيد وفق الأبراج العالية التي تحميها المدافع الحربية الثقيلة، تعتبر قلعة مسقط واحدة من بين الإستحكامات الحربية الناجحة هناك بعد اختراق قلعتي هرمز والبحرين[1]، خلال ذلك كان الإمام ناصر بن مرشد اليعربي قد تمكن هو أيضا من توحيد أقاليم عمان الداخل وبسط نفوذه السياسي والعسكري عليها عام 1632م، بينما بقيت مناطق عمان الساحل تحت سيطرة البرتغاليين المتمركزين في قلاعها وحصونها هناك، لذلك بدأ امام اليعاربة بتنفيذ خطته الثانية وهي محاربة البرتغاليين في قلاعهم وحصونهم وموانئهم بعمان الساحل[2].

كما قام البرتغاليون أيضا بتعزيز تحصيناتهم الحربية في قلعة مسقط ببناء سور عالي يحيط بمدينتها وحفر خندق سري تحت القلعة، أضاف البرتغاليونعددا كبيرا من الأبراج التي تحيط بسور ها ما يدل على أن قلعة مسقط قد أضحت بالنسبة إليهم، أهم مركز تجاري وعسكري في الخليج العربي لتليها قلعة البصرة بالعراق[3]، حيث دخل البرتغاليون في منافسة تجارية شديدة مع التجار الإنجليز هناك بالبصرة، أين تم الإبقاء على خمس سفن تجارية برتغالية في ميناء شط العرب بالبصرة لتقليص الخسائر الاقتصادية المترتبة بعد خسارتهم لجزيرة هرمز بالخليج العربي[4].

حيث تجدر بنا الإشارة هنا أن جزيرة هرمز بالخليج العربي تختلف اختلافا كليا عن مدينة مسقط بعمان من حيث الحماية العسكرية والتحصينات الدفاعية التي تتوفر عليها، لأن مدينة هرمز مدينة ملاحية وبحرية بدرجة أولى ويمكن للبحرية البرتغالية الدفاع عنها بسهولة، نظرا لتفوق الأساطيل البرتغالية هناكو هذا ما جاء على لسان قائد الأسطول البرتغالي "سيماو دو ميليو" الذي واجه بأسطوله

---

(1) سعاد ماهر، <<الإستحكامات الحربية بسلطنة عمان>>، مجلة دار الملك عبد العزيز، السنة 02، العدد 03، الرياض، 1982، ص 187.
(2) ابن قيصر، المصدر السابق، ص 39.
(3) محمد علي الداود، <<تاريخ العلاقات الهولندية في الخليج العربي>>، مجلة كلية الأداب، جامعة بغداد، السنة 1964، العدد 03، ص 253.
(4) نفسه.

سفن التحالف الإنجلو-فارسي في جزيرة هرمز عام 1622م، بقوله:**(ان سفننا مماثلة في الحجم والعدد والقوة وتعتبر من أحسن السفن في الهند...فإذا ما حاربنا في البحر فان هنالك أمل في بقاء هرمز أما اذا دخل العدو(الإنجليز)الجزيرة فإنها ستكون النهاية...)**[1].

أما بالنسبة لحاميات قلعة مسقط البرتغالية في الساحل العماني فهي شبه بحرية يقابلها البحر من الأمام و البر من الخلف، ما يعرضها لضربات المدفعية الحربية من الخلف عن طريق البر، حيث يشير لنا المؤرخ البريطاني "أرنولد ويلسون" الى نقطة ضعف هذه الحاميات العسكرية بمسقط، بقوله:**(لقد أثبتت تلك الحاميات الموجود بمسقط بأنها هي مصدر الخطر الكبير على البرتغاليين من شعب عمان[*]الثائر)**[2].

بعد دراك الإمام ناصر بن مرشد اليعربي انشغال قائد قلعة مسقط "روي فيريرا أندرادي" بحروبه البحرية ضد الهولنديين في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي، ضعف امكانياته الحربية بسبب تعدد خصومه من هولنديين وانجليز وفرس وعرب عمانيين كذلك، قام الإمام باستغلال هذه الظروف العسكرية لتوجيه حملة بحرية الى قلعة مسقط، أين أمر الإمام ناصر بن مرشد اليعربي قائد جيشه "مسعود بن رمضان" بتجهيز جيش ضخم والتوجه لمواجهة البرتغاليين هناك في مسقط[3].

حيث دارت معركة بين الجيش العماني والبرتغالي بمنطقة تسمى "الدويج" احدى ضواحي قلعة مسقط، حسب رواية ابن قيصر فقد تمكن الجيش العماني بقيادة "مسعود بن رمضان" من هزيمة الجيش البرتغالي بقيادة "روي فيريرا"، تدمير بعض حصون المراقبة التابعة لسور مدينة مسقط ما دفع بالجنود البرتغاليين الى الهروب داخل القلعة والاختباء بها[4]، ليتراجع الجيش العماني بعدها نظرا للتحصينات العسكرية المفروضة على أسوار المدينة ولصعوبة اختراقها من جهة، بعد طلب القائد البرتغالي "روي

(1) روي فيريرا، المصدر السابق، ص 108.
(*) شعب عمان: المقصود بهم هم اليعاربة.
(2) أرنولد ويلسون، تاريخ الخليج ...، المرجع السابق، ص 120.
(3) ابن قيصر، المصدر السابق، ص 39، وراجع كذلك: السالمي، المصدر السابق، ص 12، وللمزيد أنظر كذلك: طارق الحمداني، <<دور عرب عمان في اقصاء البرتغاليين من الخليج>>، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، السنة 1982، العدد 03، ص 275.
(4) ابن قيصر، نفسه، ص ص 39-40، وأنظر أيضا: الأزكوري، المصدر السابق، ص 102، وراجع كذلك: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 134.

فيريرا" من قائد الجيوش العمانية "مسعود بن رمضان" قبول الهدنة بين الطرفين من جهة أخرى، ليقبل هذا الأخير بدوره هذه الهدنة بشروط محددة منها، عدم تعرض البرتغاليين لسكان صحار ولأموالهم ولعباداتهم ودفع الجزية السنوية كذلك لدولة اليعاربة(1)، ما يعني وجود مؤشرات فعلية على ضعف البرتغاليين عسكريا وعدم قدرتهم على مواصلة المواجهة المباشرة مع البحرية العمانية.

ب/اليعاربة وتحريرهم لقلعة جلفار (رأس الخيمة) وساحل الباطنة عام 1633م:

تعتبر قلعة جلفار أو قلعة قرية الصير كما يطلق عليها المؤرخون العمانيون هي مدخل الباب الشمالي الغربي لعمان الساحل، حيث أراد اليعاربة تحريرها من السيطرة البرتغالية والفارسية التي جاءت نتيجة تمكن الفرس من طرد البرتغاليين من هرمز وملاحقتهم الى قلعة مسقط، لكن فشل الفرس في احتلال قلعة مسقط جعلهم يتوجهون للسيطرة على قلعة جلفار وهو ما كان لهم(2)، حيث عقد البرتغاليين معهم اتفاقا تجاريا عام 1630م، ينص على تأسيس شراكة تجارية و حماية عسكرية بين البرتغاليين والفرس على قلعة جلفار(3).

ولتحرير قلعة جلفار قام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي بتعيين القائد "علي بن أحمد النزوي"، على رأس الجيش العماني، المتوجه الى قلعة قرية الصير بجلفار لمواجهة التحالف الفارسي-البرتغالي المسيطر عليها، حيث بدأ الحصار العماني يضرب أسوار هذه القلعة التي تحميها من ساحل البحر سفينتين برتغاليتين مزودتين بمدافع حربية كبيرة، ليضع قائد الجيش اليعربي خطة لاقتحامها عن طريق تسلل بعض الجنود الى أبراج هذه القلعة ليلا لتسهل عملية السيطرة الكاملة عليها، هو ما حدث بعدها ما جعل الحامية الفارسية المتواجدة بها تستسلم لجيش اليعاربة بقيادة علي بن أحمد النزوي، لتفر بعدها

---

(1) لم تذكر لنا المصادر العمانية المعاصر لهذه الأحداث شرط دفع الجزية من طرف قائد قلعة مسقط "روي فيريرا" لدولة اليعاربة وإمامها ناصر بن مرشد اليعربي، حيث انفرد المؤرخ العماني "ابن رزيق" فقط في كتابه "الفتح المبين" بشرط دفع الجزية لدولة ليعاربة بعمان عام 1632م، للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: ابن رزيق، الفتح...، المصدر السابق، ص 232.
(2) صلاح العقاد، دور العرب والفرس...، المرجع السابق، ص 93.
(3) السالمي، تحفة...، المصدر السابق، ج 05، ص 13، وأنظر كذلك: السيابي، عمان...، المصدر السابق، ج 03، ص 205.

السفينتين البرتغاليتين الراسيتين على ساحل البحر الى قلعة مسقط، بذلك تكون عملية السيطرة العمانية قد تمت على قلعة جلفار وساحل قرية الصير بكامله[1].

ان سقوط قلعة الفرس في جلفار بأيدي العمانيين اليعاربة أثار غضب حاكمهم في شيراز الشاه "عباس الثاني"(1632م-1666م)، الذي قرر ضرورة استرجاع قلعة جلفار بسرعة من أيدي اليعاربة العمانيين مع اشتراطه احتلال قلعة مسقط أيضا، كرد فعل مباشر على فرار السفن البرتغالية وتخليها عن تقديم يد العون والمساعدة للحامية الفارسية في قلعة جلفار، ما يعني نقض البرتغاليين للتحالف المبرم بينهم[2].

حيث طلب الشاه "عباس الثاني" من الأسطول الإنجليزي المتواجد بميناء "جاسك" الفارسي" تقديم مساعدات عسكرية له لتنفيذ مشروع استرجاع قلعة جلفار، غير أن الإنجليز رفضوا هذا التعاون العسكري ضد البرتغاليين في أول الأمر، لكن وصول أخبار جديدة اليهم تفيد بقبول الهولنديين طلب اعانة الشاه "عباس الثاني" في هذا المسعى ضد البرتغاليين[3]، دفع بالإنجليز الى تغيير موقفهم وقبول مطالب الشاه في ارسال بعض السفن الإنجليزية لاسترجاع قلعة جلفار بقيادة الكابتن ويدل(Weddell)، غير أن مقتل الشاه "عباس الثاني" بشيراز لم يسعف في اكمال هذا المشروع الفارسي-الإنجليزي ضد البرتغاليين عام 1666م[4].

الجدير بالملاحظة أن تطلع حكام الفرس الى مد نفوذهم السياسي والاقتصادي نحو الساحل العماني بعد تحقيقهم لطموحاتهم في السيطرة على جزيرة البحرين عام 1602م، ميناء كمبرون أو جمبرون(بندر عباس) القريب منها عام 1614م، ثم جزيرة هرمز بالخليج العربي عام 1622م، لم يتجسد على أرض الواقع بسبب افتقار البحرية الفارسية لأسطول بحري قوي يواجه الأرمادة البرتغالية في الساحل العماني[5]، ما دفع بالفرس دائما الى التفاوض مع شريك أوروبي أخر يساعدهم في علاقاتهم التجارية والعسكرية سواء كانوا انجليز أو هولنديين أو روس أو فرنسيين من بعدهم[6]، حيث لم يواجه حكام

(1) الأزكوري، المصدر السابق، ص 103، وأنظر أيضا: ابن رزيق، الشعاع...، المصدر السابق، ص 217، وللمزيد راجع: مايلز، الخليج...، المرجع السابق، ص 191.
(2) بوكسر.س، المرجع السابق، ص 210.
(3) ابن قيصر، المصدر السابق، 48.
(4) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 136.
(5) عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة...، المرجع السابق، ص 224.
(6) نفسه، ص ص 228-230.

الفرس البرتغاليين في الساحل العماني لوحدهم بسبب عدم امتلاكهم لأسطول بحري قوي من جهة، اضافة الى انشغال حكامهم بمشاكل فارس الداخلية دينيا ومذهبيا مع القوى السنية المحيطة بها وعلى رأسها الدولة العثمانية[1].

ج/اليعاربة ومحاولةتحرير هم الأول لقلعة صحار عام(1640م-1643م):

لقد شجعت المكاسب العسكرية للإمام ناصر بن مرشد اليعربي ضد البرتغاليين في مواصلته لتحرير باقي مدن وقلاع الساحل العماني من الغزو البرتغالي، خصوصا بعد وصول أنباء عن فقدان البرتغاليين لقائد قلعة مسقط "روي فيريرا" الذي كان رمزا للبحرية البرتغالية ومثالا للشجاعة والإقدام[2]، حيث أرسل الإمام ناصر بن مرشد اليعربي القائد "حافظ بن سيف" حاكم مدينة "لوى" بعمان من أجل تجهيز جيش لتحرير مدينة صحار بعمان الساحل من البرتغاليين عام 1640م، ليقوم هذا القائد ببناء حصن عسكري بالقرب من جهة البحر، كذلك تمركز جيش اليعاربة في منطقة تسمى "البدعة" وهي قرية قريبة من قلعة مدينة صحار [3].

وبعد اندلاع معركة صحار بين الجيش العماني والبرتغالي لم تتمكن الجيوش العمانية من اختراق نيران المدفعية البرتغالية، ما كبد جيش اليعاربة بعض الخسائر المادية والبشرية لتتراجع قوات اليعاربة لحصنهم القريب من القلعة، بسبب الدعم البحري الذي تلقاه البرتغاليون من قلعة مسقط القريبة منها[4]، هذا ما دفع بالإمام ناصر بن مرشد الى ارسال جيش أخر بقيادة العلامة القاضي "خميس بن سعيد الشقصي" من أجل خنق المدد البرتغالي ومحاصرته في قلعة مسقط برا، ليقوم بعدها البرتغاليون بطلب عقد هدنة بين الطرفين في منطقة مطرح[5]، لقد خلصت المفاوضات العمانية البرتغالية في مطرح الى عقد اتفاقية بين الطرفين تنص على ما يلي:

---

(1) بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص ص 263-268، وأنظر أيضا: عبد الحميد الأرقط، المرجع السابق، ص 225.
(2) بوكسر.س، المرجع السابق، ص 210.
(3) ابن قيصر، المصدر السابق، ص 48، وأنظر أيضا: مؤلف مجهول، تاريخ ...، المصدر السابق، ص 136.
(4) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي...، المرجع السابق، ص 114.
(5) ابن رزيق، الشعاع الشائع...، المصدر السابق، ص 219، وراجع كذلك: مايلز، المرجع السابق، ص 200.

-ايقاف القتال بين الطرفين مقابل تهديم البرتغاليين للتحصينات الدفاعية التي أقاموها خارج أسوار قلعتي مسقط ومطرح[1].

-ضمان حرية الملاحة والتجارة العمانية في عمان الساحل ودفع الجزية السنوية لليعاربة[2]، مقابل رفع العمانيين للحصار المفروض على قلعة صحار [3].

د/اليعاربةوتحرير هم الأول لقلعتي صور وقريات عام(1641م-1648م):

لقد تباينت المصادر التاريخية العمانية المعاصرة لهذه الأحداث واختلفت حول قضية تحرير قلعتي صور وقريات من جهة، من أرسل من أجلتحرير ها من طرف الإمام ناصر بن مرشد اليعربي من جهة أخرى، فمنهم من يقول بأن قائد الحملة هو ابن عمه "سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب"[4]، منهم من يقول بأنه "بالعرب بن مانع بن علي الإسماعيلي"[5]، هناك من قال بأنه "مسعود بن رمضان النبهاني"[6]، لكن المهم في الأمر هنا هو تمكن اليعاربة من تحرير القلعتين من السيطرة البرتغالية ولو لفترة مؤقتة، بحيث عاود البرتغاليون مجددا استرجاعهما من جديد، لكن قيامهم بمهادنة اليعاربة وبإبرامهم اتفاقية صلح بين جيش الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وقائد الجيش البرتغالي "دوم جوليا دي نورها"(DOM JULLAE DA NORONHA)عام 1648م، التي نصت على تخلي البرتغاليين عن قلعتي صور وقريات لصالح العمانيين اليعاربة، مقابل حصولهم على هدنة مؤقتة.

---

(1) ابن قيصر، المصدر السابق، ص 49، وراجع كذلك: السيابي، المصدر السابق، ص 207.
(2) لقد انفرد ابن رزيق في كتابه الفتح المبين فقط بالتحدث عن شرط دفع الجزية من طرف البرتغاليين لدولة اليعاربة على خلاف المصادر العمانية الأخرى التي لم تشر الى ذلك الشرط في اتفاقية القاضي خميس بن سعيد، أنظر: ابن رزيق، الفتح المبين...، المصدر السابق، ص 275.
(3) على خلاف المصادر العمانية المعاصرة لتلك الأحداث فان المؤرخ البريطاني مايلز يشير بأن العمانيين هم من طلبوا الصلح والهدنة في معركة صحار، كما وينفي ذلك عن البرتغاليين أيضا، للمزيد أنظر: مايلز، المرجع السابق، ص 191.
(4) ابن قيصر، نفسه، ص 53.
(5) ابن رزيق، نفسه، ص 220.
(6) تجدر بنا الإشارة الى أن ابن رزيق قد تضارب في أقواله من حيث ذكر قائد جيش الإمام لتحرير قلعتي صور وقريات، ففي كتابه "الفتح المبين في سيرة البوسعيديين" صرح بأن قائد الحملة العمانية لتحرير قلعتي صور وقريات من الغزو البرتغالي هو "بلعرب بن مانع بن علي الإسماعيلي"، ليتراجع عن ذلك بعدها في كتابه "الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان" ويصرح بأن قائد الحملة على قلعتي صور وقريات هو "مسعود بن رمضان النبهاني"، أنظر: ابن رزيق، الشعاع ...، المرجع السابق، ص 275.

يؤكد لنا أحد الرهبان المنصريين الكريمليين الذين وصلوا الى مدينة مسقط عام 1633م، سبب قيام البرتغاليين بمهادنة اليعاربة العمانيين في قلعتي قريات وصور، بقوله:**(لقد تبين لي بأن كافة رعايا الإمام(ناصر بن مرشد)على خلاف مع البرتغاليين، وأن كل ساحل الجزيرة العربية في حالة حرب معهم، وأن العرب قد تمكنوا من استعادة أجزاء كبيرة من هذا الساحل، لما وجد البرتغاليون أنفسهم عاجزين عن الاستمرار في الحرب دخلوا في سلام مع العرب الذين أصبحوا سادة على جميع الأراضي المسترجعة، لينحصر نفوذ البرتغاليين على بعض القلاع القليلة الباقية)**(1).

الجدير بالذكر بأن دولة اليعاربة في عمان قد تمكنت من طرد البرتغاليين من معظم قلاع الساحل العماني وموانئه كصور وقريات وجلفار وساحل الباطنة، كما أدت هذه الهجمات البحرية والبرية المتواصلة على حصون وقلاع البرتغاليين في عمان الساحل، الى تدهور معنويات الجيش البرتغالي داخل حامياته العسكرية.

حيث كان بإمكان جيش الإمام أن يحقق انتصارا نهائيا على البرتغاليين خلال فترة معاركه ضدهم ما بين عام(1632م-1648م)، لولا تجدد الصراع الداخلي على حكم عمان الداخل بينه وبين بني جبر بقيادة "ناصر بن قطن الجبري"، ما شتت انتباه قوة دولة اليعاربة وجعلها في نفس الوقت في موقف محرج بين مطرقة البرتغاليين وسنداد الجبور، هذا ما دفع بالبرتغاليين الى استغلال كل هذه الظروف المتدهورة، لاسترداد ما خسروه سابقا في قلاع الساحل العماني، الإشكالية المطروحة هي ما نتائج تجدد الصراع السياسي-المذهبي بين دولة اليعاربة ودولة الجبور على عمان الساحل، في ظل تمرد قائد جيوش بني جبر ضده في عمان الداخل؟.

---

(1) لورمير، المرجع السابق، ص 34.

هـ/اليعاربة وتجدد الصراع السياسي-المذهبي بين ناصر بن مرشد اليعربي وناصر بن قطن الجبري ونتائجه على عمان الساحل عام(1640م-1643م):

لقد انعكس تجدد الصراع السياسي-المذهبي بين دولة اليعاربة الإباضية بقيادة امامهم ناصر بن مرشد اليعربي ودولة الجبور السنية بقيادة شيخهم ناصر بن قطن الجبري على أوضاع عمان الساحل، من خلال استغلال البرتغاليين لهذه الظروف السياسية المضطربة لإعادة ترتيب أوراقهم باسترجاع قلاعهم وحصونهم المفقودة، حيثاضطرت دولة اليعاربة الى ايقاف القتال مع البرتغاليين بسبب تزايد هجومات بني جبر على القبائل المتحالفة مع اليعاربة بعمان الداخل، بحيث لم يكن صراع الإمام ناصر بن مرشد اليعربي ضد قوات بني جبر وقائدهم ناصر بن قطن الجبري سهلا نظرا لكثرة أتباعهم ومشيخاتهم في منطقة الإحساء[1].

ان الصراع الذي واجهه اليعاربة مع دولة الجبور كان صراعا صعبا وقاسيا في نفس الوقت حيث تمنى زعماء دولة الجبور، أن يعاملوا كحليف وليس كتابع لليعاربة بعمان، ما ساعدهم على ذلك الطموح هو اتساع دائرة نفوذ شيخهم ناصر بن قطن الجبري في منطقتي الظفرة والظاهرة شمال عمان وقبيلة بني اياس كذلك في منطقة الإحساء، التي يشن من خلالها الجبور هجمات سنوية على قبائل اليعاربة الداخلية وحلفائهم لينهبوا ما يشاءون من الماشية والإبل و الأموال[2].

حيثبذل اليعاربة جهودا كبيرة للحد دون توسع نشاط الجبور السياسي والمذهبي في عمان الداخل، هذا ما دفع بشيخ الجبور ناصر بن قطن الجبري الى طلب المدد العسكري في العديد من المرات من القوات البرتغالية المتمركزة في قلعة صحار، لصد هجومات دولة اليعاربة بعمان وهذا ما يدل على مدى تفكك الجبهة الداخلية بعمان، خاصة وأن الصراع المذهبي قد لعب دورا مؤثرا في العلاقات الإباضية اليعربية و السنية للجبرية بعمان، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر للميلاد[3].

ان نهاية الصراع السياسي-المذهبي بين دولة الجبور واليعاربة قد شكل محور اختلاف العديد من المصادر العمانية، حول تحديد الطرف المنتصر في نهاية النزاع من جهة وكذلك في كيفية انتهاء

---

(1) الأزكوري، المصدر السابق، ص 101، وأنظر أيضا: ابن رزيق، الشعاع...، المصدر السابق، ص 215.
(2) الحميدان، نفوذ الجبور...، المرجع السابق، ص 218.
(3) نفسه، ص ص 218-219.

هجومات الجبور ضد دولة اليعاربة بعمان من جهة أخرى، ما يطرح العديد من التساؤلات التاريخية حول حقيقة استقاء الأحداث التاريخية من طرف مؤرخي تلك الفترة، بحيث يذهب "ابن قيصر" مؤلف سيرة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، الى أن جيش اليعاربة قد تم القضاء عليه نهائيا من طرف قوات الجبور بعمان(1)، أما المؤرخان "السالمي" و"الأزكوري" فيذهبان الى أن شيخ الجبور قد انسحب الى منطقة الإحساء بعدما أحرز انتصارا كبيرا على قوات اليعاربة بعمان(2)، أما المؤرخ "ابن رزيق" فيذكر في كتابه الفتح المبين بأن جيش اليعاربة هو المنتصر على قوات الجبور بعمان(3).

من خلال المقاربة التاريخية يمكننا القول بأن تجدد الصراع السياسي-المذهبي بين دولة اليعاربة مع دولة الجبور بعمان الداخل، قد أعطى مجالا واسعا للبرتغاليين لإعادة تجهيز أنفسهم وبناء حصونهم واسترداد قلاعهم، التي خسروها حول مسقط كصور وقريات، بحيث يؤكد لنا ذلك المؤرخ البرتغالي "سوزا فيريرا" (Sousa. F)، بقوله:**(ان البرتغاليين قد نعموا بالراحة خلال هذه المدة لتأجيل معاركهم مع دولة الإمام ناصر بن مرشد، أين تم من خلالها ترميم القلاع وتجديد التحصينات الأخرى)**(4).

(1) ابن قيصر، المصدر السابق، ص 60.
(2) الأزكوري، المصدر السابق، ص ص 106-107، وأنظر: السالمي، المصدر السابق، ص 226.
(3) ابن رزيق، الفتح المبين...، المصدر السابق، ص 279.
(4) Sousa. F, VOL III, op.cit, p. 404.

و/اليعاربة من فشل محاولةتحرير هم الثاني لقلعة مسقط الى نجاح خرير هم الثاني لقلعة صحار عام(1640م-1643م):

بعد استقرار الأوضاع السياسية بعمان الداخل وتوقف هجمات الجبور على دولة اليعاربة، أكمل الإمام ناصر بن مرشد اليعربي استراتيجيته السياسية والعسكرية ومشروعه لتصفية قلاع الساحل العماني من الغزو البرتغالي، لكن الإمام تسرع كثيرا في شن الهجوم الثاني على أكبر قلاع البرتغاليين في عمان الساحل وهي قلعة مسقط عام 1640م[1]، يعود سبب هجوم جيش اليعاربة الى وصول أخبار للإمام ناصر بن مرشد اليعربي، تفيد بعدم وجود حماية كافية على قلعة مسقط بسبب خروج الأسطول البرتغالي في مهمة بحرية بسواحل عمان، ليشن اليعاربة هجوما مباغتا تكبدوا من خلاله خسائر بشرية ومادية كبيرة[2].

لم تتوقف محاولات اليعاربة عند هذا الحد بل استمر الإمام ناصر بن مرشد اليعربي في تحضير جيش جديد من أجل طرد البرتغاليين من قلعة صحار، التي أضحت مقرا لأعداء الإمام وحلفائهم من البرتغاليين كبني جبر، فبعد انتهاء الإمام ناصر اليعربي من تجهيز الجيش اليعاربة عام 1643م[3]، قام بقيادة هذا الجيش بنفسه ليحاصر الحامية البرتغالية في القلعة، التي استسلمت لجيش اليعاربة بعد مقاومة غير مجدية[4]، بالرغم أهمية فتح قلعة صحار بالنسبة لدولة اليعاربة إلا أن أغلب المصادر العمانية لم تتطرق الى هذا الحدث التاريخي الهام، ما عدا "ابن رزيق" الذي ذكر لنا كيفية نجاح الحصار العماني على قلعة صحار، بقوله:(**...بعد أن سلمت عمان من ناصر بن قطن الجبري وانطفئ الشر ونما لعمان السرور...وقد خلص بعد ذلك للإمام حصن صحار من أيدي النصارى بالحصار)**[5].

ان تحرير قلعة صحار كشف لنا مدى تدهور النفوذ البرتغالي في الساحل العماني، ما يعني انحصار الوجود البرتغالي في قلعة مسقط وبعض التحصينات العسكرية القريبة منها كصور وقريات، تعتبر رسالة

---

(1) مايلز، المرجع السابق، ص 191.
(2) DENVERS, F.C, The Portuguese in India, VOL 02, London, 1984, p. 273.
(3) صالح محمد العابد، <<تحرير ساحل عمان وانهيار الإمبراطورية البرتغالية في الشرق>>، مجلة أفاق عربية، السنة 1985، العدد 03، بغداد، ص 41.
(4) لورمير، ج 02، المرجع السابق، ص 635.
(5) ابن رزيق، الشعاع...، المصدر السابق، ص 226.

نائب ملك البرتغال في الهند بجوا الى ملك البرتغال "جواو الرابع"(1640م-1656م)(Joao IV) عام 1644م، التي ذكر فيها ازدياد قوة اليعاربة وخطورة ذلك على قلعة مسقط، ما يتطلب تقديم الدعم البشري اللازم لها بحيث ورد في نص هذه الرسالة ما يلي:

(لقد ازداد نشاط الإمام حول مسقط والمواقع البرتغالية الأخرى، فقد تم له دخول صحار والتي كانت تتميز بوجود حامية قوية فيها...لكن ذلك لم يجدي نفعا في إنقاذها فقد قتل عدد من جنودنا، لذا فانه من الضروري ارسال نجدة الى مضيق عمان بأكثر مما تم ارساله حتى الآن وا رسال عدد كبير من الجنود الذين يجب توفيرهم وبأي وسيلة)[1].

تجدر بنا الإشارة الى أن اليعاربة بعد تحريرهم لقلعة صحار قاموا بتحر ير منطقة "خورفكان" من الغزو البرتغالي أين تمت محاصر ة الحامية البرتغالية هناك أيضا، حيث عين الإمام ناصر بن مرشد اليعربي ابن عمه الإمام "سلطان بن سيف اليعربي الأول" كقائد على جيوش اليعاربة[2]، كما كلفه بمهمة استرجاع قلعتي صور وقريات، بعدما تمكن البرتغاليون من استردادهما خلال انشغال اليعاربة بمعاركهم مع دولة الجبور بعمان الداخل[3].

---

(1) صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 42.
(2) جمال قاسم زكرياء، المرجع السابق، ص ص 109-110.
(3) لورمير، المرجع السابق، ص 635.

ز/اليعاربة وفشل محاولةتحرير هم الثالث لقلعة مسقط ونهاية حكم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي عام 1649م:

لقد اتجهت أنظار الإمام ناصر بن مرشد اليعربي نحو قلعة مسقط بعد تحرير اليعاربة لقلعة صحار ومدينتها من الغزو البرتغالي، لذلك وجهت الدعوة لكافة العمانيين من طرف الإمام ناصر بن مرشد عام 1649م للمشاركة مع جيش اليعاربة في طرد البرتغاليين من هذه القلعة، حيث أشرف "سلطان بن سيف الأول" على قيادة الجيش اليعربي الى قلعة المدينة من أجل فرض حصار بري محكم عليها، ثم نزع التحصينات الدفاعية على أسوار المدينة لتسهيل مهمة اقتحامها[1].

بحيث تعمد البرتغاليون الدخول في مفاوضات مع اليعاربة بسبب طول فترة الحصار المفروض على القلعة من جهة، أيضا بسبب تأخر وصول الدعم العسكري للجيش البرتغالي كالذخيرة والجنود من طرف حكومة البرتغال في مدينة جوا بالهند من جهة ثانية، أين حاول قائد قلعة مسقط "الدوم خوليا دي نورها"(DOM JULIAO DE NORONHA)، ربح المزيد من الوقت لتجنب المواجهة المباشرة مع العمانيين عسكريا، كسبا للوقت وضمانا لوصول المدد البرتغالي القادم من مدينة جوا لنجدتهم[2].

غير أن شروط اليعاربة التعجيزية في نظر القائد "خوليا دي نورها" ساهمت في اندلاع الحرب بين الطرفين، بحيث تعرض البرتغاليون لخسائر بشرية كبيرة نتيجة انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة بين جنود الحامية البرتغالية[3]، بهذا كسب العمانيون أول مواجهةفي مسقط بتحرير هم لقلعتي "الميراني و الجلالي"[*]، اللتان تعتبران من أهم القلاع الدفاعية على مسقط لاحتوائهما على جميع وسائل الدفاع

(1) أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص ص 121-122، وأنظر:
DENVERS, F.C, op.cit, p. 296.

(2) لورمير، المرجع السابق، ص 635.

(3) جمال زكريا قاسم، أثر الاستعمار الأوروبي في تفكيك الروابط بين الخليج وشرق افريقيا، مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، ج 02، الدوحة، 1976، ص 810.

(*) قلعتي الميراني والجلالي: تقع قلعة الميراني غرب قلعة مسقط بناها البرتغاليون عام 1587م، بإشراف القائد البرتغالي بلكوير(Belchair) مكان القلعة التي بناها القائد الدون جوا اللشبوني (DON JOOE) عام 1522م، أين تم هدم هذه القلعة خلال أحدى حملات القائد العثماني "بيري ريس" على قلعة مسقط عام 1582م، أما قلعة الجلالي فهي تقع بمقابلة قلعة الميراني مباشرة من الجهة الشرقية وتم بنائها عام 1588م أي بعد عام من بناء قلعة الجلالي وسميت القلعتين خلال حكم البرتغاليين باسم قلعتي كابيتان وسان جوا، للمزيد أنظر كتاب الباحث الإيطالي في شؤون العمارة الشرقية: أنريكو دي أريكو، المباني التاريخية في عمان منذ القرن السادس عشر، ترجمة هلال بن سعيد الشيباني،=

والحراسة، بحيث انتهي الحصار العماني برضوخ القائد "خوليا دي نورها" في الأخير بعد طلبه الجلوس لمناقشة شروط الهدنة بين الطرفين[1].

بعد مفاوضات طويلة جرت بين قائد جيش اليعاربة سلطان بن سيف اليعربي الأول والقائد البرتغالي الدوم "خوليا دي نورها" مع مساعديه الأول "مانويل فاريلا" (Manuel Varelle) و الثاني "أنطونيو باربوزا"(Antonio Barbosa) تم الاتفاق بين الطرفين على الهدنة المشروطة في معاهدة عام 1648م[2]، التي نصت على هدم القلاع البرتغالية في قريات ودبا ومطرح مقابل هدم العمانيين لحصنهم الجديد في مطرح، اضافة الى حرية الملاحة للسفن العمانية وا إعفائها من الضرائب في ميناء مسقط، كما يمنع البرتغاليون من بناء أي حصن خارج مسقط[3].

يبين لنا قائد قلعة مسقط "خوليا دي نورها" عن أسباب قبوله للهدنة عام 1648م مع اليعاربة من خلال الرسالة التي أرسلها الى نائب ملك البرتغال في جوا بالهند، التي يصف فيها ظروف الحصار العماني على قلعة مسقط، بقوله:(**ان الحكام العرب(اليعاربة)لن يرضوا إلا بالقضاء علينا ولكن الله نجانا بمعجزة، حيث أن الأوضاع لم تكن في صالحنا فالسلاح قليل والمواد التموينية قليلة، وحلفائنا من غير البرتغاليين مشكوك في ولائهم...ان أوضاعنا سيئة ورجالنا يتساقطون صرعى ولم يكن أمامنا من خيار سوى كسب الوقت ومهادنة العرب)**[4].

الجدير بالذكر أيضا أن السلطات البرتغالية بلشبونة لم يرضها موقف قائد حامية مسقط خوليا دي نورها من خلال الهدنة التي أبرمها مع دولة اليعاربة، لذلك أصدرت أمرا ملكيا بعزل هذا القائد متهمة اياه بالتخاذل وعدم الدفاع عن قلعة مسقط لفك الحصار العماني المفروض عليها، قبوله بشروط مهينة لسمعة مملكة البرتغال في البحار الشرقية والخليجية[5]، هذا ان دل على شيء فإنما يدل على الحرص

حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 05، مسقط، 1980، ص ص 225-265، للمزيد راجع أيضا: سعاد ماهر، المرجع السابق، ص ص 205-206.

(1) لورمير، المرجع السابق، ص 635.

(2) أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص 122، وأنظر كذلك: عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 20، وللمزيد من التفاصيل حول معاهدة مسقط بين القائد خوليا دي نورها واليعاربة راجع الملاحق.

(3) عائشة اليسار، دولة...، المرجع السابق، ص 57.

(4) طارق الحمداني، المرجع السابق، ص 279.

(5) مايلز، المرجع السابق، ص 192.

الشديد للسلطات البرتغالية في الحفاظ على قلعة مسقط بعمان الساحل، كما ساهمت معاهدة عام 1648م بين اليعاربة والبرتغاليين في استمرار الصلات التجارية بين التجار اليعاربة وتجار الساحل الشرقي لإفريقيا، خصوصا بعد اعتراف البرتغاليين بحرية الملاحة البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي[1].

لقد كانت وفاة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي مؤسس وموحد دولة اليعاربة بعمان بعد ستة أشهر من توقيعه لشروط الهدنة مع البرتغاليين حول قلعة مسقط، في 23 من أفريل عام 1649م الموافق ليوم 10 ربيع الثاني عام 1059 هـ، بعد حكم دام خمس وعشرون سنة كاملة على دولة اليعاربة بعمان(1624م-1649م)، هذا حسب ما أشارت اليه العديد من المصادر العمانية المعاصر لتلك الأحداث التاريخية[2]، تعتبر وفاة مؤسس دولة اليعاربة حسب وجهة نظرنا هي نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة جديدة في مواصلةوا إكمال مشروعه السياسيو العسكري بعمان.

بالرغم من أن حملة اليعاربة الثالثة على قلعة مسقط عام 1648م لم تحقق الهدف الرئيسي لها و المتمثل في طرد البرتغاليين منها، إلا أنها مكنت اليعاربة في الوقت نفسه من تحقيق مكاسب اقتصادية وعسكرية جد هامة أيضا، الإشكالية المطروحة هي كيف سيكمل حكام دولة اليعاربة بعمان جهود الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، فيتصفية وا إنهاء الغزو البرتغالي المتمركز في قلعة مسقط أخر قلاع البرتغاليين بعمان الساحل؟.

---

(1) مجهول، المصدر السابق، ص 141، وأنظر كذلك: السالمي، المصدر السابق، ج 02، ص 17.
(2) لم تذكر لنا المصادر العمانية المعاصر لهذه الأحداث التاريخية وفي مختلف كتاباتها التي تناولت شخصية الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، سبب وفاته ما يطرح العديد من التساؤلات حول أسباب وفاته، للمزيد أنظر: الأزكوري، المرجع السابق، ص 107، وأنظر أيضا: ابن رزيق، الفتح...، المصدر السابق، ص ص 279-280.

ح/اليعاربة وتحريرهم لمسقط وعمان الساحل بقيادة الإمام سلطان بن سيف الأول عام 1649م:

***نبذة عن حياته:**

هو الإمام سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن سلطان بن حمير بن مزاحم اليعربي اليمني الحميري الأزدي الاباضي، هو ابن عم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وخليفته في الحكم، أنتخب على أساس الكفاءة السياسية والعسكرية في القيادة وليس على أساس الوراثة، حكم حوالي ثلاثين سنة(1649م-1679م) تمكن من اكمال استراتيجية اليعاربة وطرد البرتغاليين وتحرير ساحل عمان من سيطرتهم، ليواصل ملاحقة فلول الأسطول البرتغالي الفار نحو سواحل الخليج العربي والهند وحتى ساحل شرق افريقيا، حيث عم الأمان السياسي والرخاء الإقتصادي في عهده جميع ربوع وأقطار عمان(1).

لقد قام الإمام اليعربي الاباضي سلطان بن سيف الأول بدعم جهود البحرية العمانية لمواجهة البحرية البرتغالية والانتصار عليها في موقعة مسقط، حيث يذكر لنا الأزكوري جهود الإمام العسكرية، بقوله:(**...ونصب الحرب لمن بقي من النصارى بمسقط وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وفتحها له، ولم يزل يجاهدهم أينما وجدهم في بر وبحر فاستفتح كثيرا من بلدانهم، وضرب كثيرا من مراكبهم وغنم كثيرا من أموالهم**)(2).

كما أن توفيره للاستقرار السياسي والأمني واهتمامه بالجانب التجاري ساهم في انعاش الموانئ العمانية وازدهار الحركة التجارية، حيث عرفت الأنشطة الزراعية تطورا كبيرا خلال فترة حكمه من خلال استصلاح الأراضي الزراعية وحفر الآبار وشق قنوات الري، يؤكد لنا ابن رزيق تحسن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في عمان خلال فترة حكم الإمام سلطان بن سيف الأول، بقوله:(**ان عمان قد اعتمرت في أيام دولته وازدهرت واستراحت في عصره رعيته، ورخصت الأسعار وصلحت الأسفار وربحت التجارة وسدت الأثمار وكان متواضعا للواحد القهار**)(3).

---

(1) ابن رزيق، المصدر السابق، ص ص 284-285.
(2) الأزكوري، المصدر السابق، ص 110.
(3) ابن رزيق، نفسه، ص ص 291-292.

*تحرير ه لمسقط وعمان الساحل عام 1649م:

بدأ الإمام سلطان بن سيف الأول أولى خطواته في تحرير قلعة مسقط ومدينتها من الغزو البرتغالي من خلالسيطر ته على كامل ضواحي المدينة في بداية الأمر، أولها ضاحية مدينة مطرح التي وضع فيها البرتغاليون حاميات عسكرية متقدمة للدفاع عن مسقط ومضاعفتهم لعدد التحصينات العسكرية بها، من خلال بناء الأبراج والأسوار العالية التي تحميها المدافع البرتغالية[1]، كما قام حاكم قلعة مسقط بتخصيص العديد من السفن الحربية الدائمة للدفاع عن القلعة من ناحية البحر، معإصدار ه لتعليمات صارمة تمنع تواجد العمانيين في جميع شوارع مدينة مسقط[2].

لقد اختلفت المصادر العمانية في تحديد الطرف الذي نقض معاهدة الهدنة المبرمة بين دولة اليعاربة ومملكة البرتغال قبل وفاة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي عام 1648م، بحيث يبين لنا السالمي بأن البرتغاليين هم من نقضوا هذه الهدنة مع دولة اليعاربة بعد وفاة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، بقوله:**(لما مات الإمام ناصر بن مرشد نكث النصارى العهد، وقطعت الجزية ومنع المسلمين من الوصول الى مسقط)**[3]، أما السيابي فيشير لنا بأن الإمام سلطان بن سيف الأول هو من أراد مواصلة جهود الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، بتحرير قلعتي مسقط ومطرح من الغزو البرتغالي فنقض الهدنة المبرمة بين الطرفين معلنا بذلك الحرب على البرتغاليين عام 1649م[4].

حيث شن الإمام سلطان بن سيف الأول الهجوم على قلعة مسقط في أواخر شهر ديسمبر عام 1649م، أين بدأ الجيش العماني بتدمير الأبراج الحربية لدخول المدينة وبعد دخولها تم تقسيم الجيش اليعربي من طرف الإمام سلطان بن سيف الأول الى قسمين، قسم موجه لمواجهة الحصن الشرقي المعروف باسم قلعة الجلالي وقسم موجه لمواجهة الحصن الغربي المعروف بقلعة الميراني، أين تمكن اليعاربة من حصار المدينة لمدة شهر كامل ليستسلم بعدها قائد الحصن الشرقي "فرانسيسكو دي تافوتا"(FRANCISCO DE TAVOTA)، حيث لم يبقى لليعاربة سوى الحصن الغربي بقيادة

(1) السالمي، المصدر السابق، ج 02، ص 56.
(2) لورمير، المرجع السابق، ص 67.
(3) السالمي، نفسه، ص 56.
(4) السيابي، عمان ...، المصدر السابق، ج 03، ص 223.

القائد" كابريتا"(KABRITA)، الذي قاوم اليعاربة في بداية الأمر الى أن تم القضاء عليه ليستسلم خلالها الجنود البرتغاليون في هذا الحصن، بذلك يكون اليعاربة قد سيطروا على أهم المواقع الإستراتيجية داخل مسقط[1]، اضافة الى ذلك فقد استسلمت الحامية البرتغالية المتواجدة في قلعة مطرح لقوات اليعاربة دون أي مقاومة تذكر[2].

بهذا يكون الإمام سلطان بن سيف الأول قد تمكن من انهاء السيطرة البرتغالية على قلعتي مسقط ومطرح معا، ليعين عليها واحدا من بين أهم قادة جيشه وهو "سيف بن بلعرب اليعربي" حكاكم على مدينة مسقط[3]، بعدها عاد الإمام سلطان بن سيف الأول الى مدينة "نزوى" بعمان والتي اتخذها مقرا لحكمه، أينتقاطر ت عليه الوفود من جميع ربوع عمان الداخل والساحل لتهنئته بهذا النصر العظيم، المتمثل في تصفية الوجود البرتغالي من مسقط و ساحل عمان، بعد مرور أكثر من قرن على أول ظهور لهم بالمنطقة منذ عام(1507م-1649م)[4].

رغم سيطرت العمانيين على قلعة مسقط إلا أن محاولات البرتغاليين في استردادها لم تتوقف حيث أرسل نائب ملك البرتغال في مدينة جوا بالهند "الدوم فيليب"(DOM FILIPPE)، لسبع سفن برتغالية من جوا الى ميناء "كونج" بالساحل الفارسي من أجل الحصول على دعم فارسي ضد العمانيين في مسقط، لكن الدعم لم يقدم للبرتغاليين هناكوالذين تلقو ا بدورهم هزيمة نكراء لهم ضد أسطول اليعاربة في ساحل القطيف بمياه الخليج العربي، حيث انتهت هذه المعركة بمقتل قائد الأسطول البرتغالي "جودينهوا" (JUDINHOU) وعدد من جنوده هناك[5].

---

(1) غانم محمد رميض، <<معركة تحرير مسقط>>، مجلة الوثيقة، السنة 06، العدد 12، البحرين، 1988، ص 110، وأنظر كذلك: أرنولد ويلسون، المرجع السابق، ص 122، وراجع أيضا: صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 42.
(2) السالمي، المصدر السابق، ص 58.
(3) ان تغيير الإمام سلطان بن سيف الأول لعاصمة دولة اليعاربة التي كان مقرها حين تأسيسها على يد ناصر بن مرشد اليعربي بمدينة الرستاق بعمان الداخل، الى مدينة نزوى يرجع الى موقع مدينة نزوى الجيو-استراتيجي والممتاز لتوسطها الأراضي العمانية من جهة، بالرغم من بقاء مدينة الرستاق ذات مكانة سياسية ودينية بالنسبة للمذهب الإباضي بعمان من جهة ثانية، للمزيد أنظر: ابن رزيق، الفتح...، المصدر السابق، ص 291، وراجع كذلك: سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 213.
(4) السيابي، المصدر السابق، ج 03، ص 228.
(5) غانم محمد رميض، نفسه، ص 111، وأنظر أيضا: أرنولد ويلسون، نفسه، ص 123.

تجدر بنا الإشارة الى أنه من بين نتائج استرجاع العمانيين اليعاربة لمسقط حصولهم على عدد كبير من قطع الأسطول البرتغالي المتواجدة في مينائه، ما شكل دفعا قويا لنواة الأسطول العماني بعمان الساحل، اضافة الى تحرر التجارة العمانية والخليجية عامة في المحيط الهندي وساحل شرق افريقيا كذلك، رجوع العديد من سكان القبائل والتجار من عمان الداخل الى الساحل من أجل مزاولة أنشطتهم المختلفة كالملاحة والتجارة[1]، هذا ما أشار اليه المؤرخ "عبد الله بن علي الوزير" المعاصر لهذه الأحداث التاريخية، بقوله:**(لما ملك صاحب عمان بندر مسقط الذي في سواحل بلاده وكان في أيدي الفرنج البرتغاليين، سلك الناس في البحار و أمن التجار من أولئك الفجار(البرتغاليين))**[2].

بهذا تكون أخبار استرجاع مسقط وطرد البرتغاليين من عمان الساحل قد وصلت الى مسلمي ساحل شرق إفريقيا، ما دفع بحكام مملكة زنجبار وبمبا وممباسا وبتة الى طلب النجدة والعون العسكري من حكام دولة اليعاربة بعمان لتخليصهم من الغزو البرتغالي هناك، بحيث بدأت الثورات الداخلية تندلع في وجه القادة البرتغاليين بساحل شرق افريقيا، الإشكالية المطروحة هي هل سيستجيب حاكم دولة اليعاربة بعمان الإمام سلطان بن سيف الأول لمطالب سكان ساحل شرق افريقيا والممثلة في تخليصهم من الغزو البرتغالي هناك، أم أن انشغاله بترتيب أمور البيت العماني داخليا ستعرقله من اكمال جهوده العسكرية في ساحل شرق افريقيا؟.

---

(1) مايلز، المرجع السابق، ص 194.

(2) عبد الله بن علي الوزير، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري-السابع عشر الميلادي(1045هـ-1090هـ/1635م-1680م)والمسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، دار الميسرة للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص ص 89-90.

ط/اليعاربة وتحريرهم لمملكة زنجبار وبتة بساحل شرق افريقيا عام 1652م:

ان الروابط التاريخية والتجارية والدينية التي ربطت ساحل شرق افريقيا بالساحل العماني منذ أزمنة قديمة، ساهمت في اتساع نطاق الصراع العماني البرتغالي وانتقاله الى ساحل شرق افريقيا[1]، خصوصا بعد استرداد اليعاربة لميناء صحار عام 1643م ورجوع حركة التجارة بسواحل عمان بين العمانيين والتجار السواحليين هناك، حيث وصلت أخبار انتصار اليعاربة على البرتغاليين في مسقط وصحار إليهم ما جعل مسلمي ساحلشرق افريقيا يشنون حركات تمردية واستقلالية على حكم التاج البرتغالي هناك، لتتكلف بعدها حكومة ملك البرتغال القائد "فرانسسكوا كبريرا"(Cabreira Francisco) لقمع الحركات التمردية واستعادة السيطرة البرتغالية على الساحل الشرقي لإفريقيا[2].

لقد شكل طرد البرتغاليين من ساحل عمان ومسقط الدافع والحافر لنقطة انطلاق اليعاربة خارج حدود عمان، من خلال استجابة دولة الإمام سيف بن سلطان الأول لمطلب مسلمي ساحل شرق افريقيا وعلى رأسهم ملوك مملكة زنجبار وبتة[3]، كانت أولى بدايات تلك الهجومات البحرية على الغزو البرتغالي في ساحل افريقيا الشرقية عام 1652م، حين تعرضت الحامية البرتغالية بزنجبار الى القصف العماني ما أدى الى تخريبها نهائيا، لينتقل الأسطول العماني بعدها الى مدينة بتة وفازا أين تمكن كذلك من السيطرة عليهما وطرد القائد كبريرا وتخريب أسطوله البحري[4].

كما أن ادراك اليعاربة لضرورة تطوير أسطولهم البحري وتجديده والذي يعتبر سر نجاحهم في اكمال معاركهم ضد البرتغاليين بساحل شرق افريقيا، لأن أسلوب الصراع هوصراع بحري بدرجة أولى بين الطرفين، لذلك أخذ اليعاربة يدعمون ويعززون أسطولهم البحري بجلب الأخشاب من الساحل الغربي للهند، صنع الأشرعة في صحار وبناء السفن في مطرح وصور وتطوير نمطها وفق الطراز الأوروبي الحديث[5].

---

(1) Coupland, op.cit. p. 66.

(2) صلاح العقاد وجمال قاسم، المرجع السابق، ص 30.

(3) السيابي، المصدر السابق، ص 245.

(4) عبد الرزاق عثمان، <<البرتغاليون في شرق افريقيا>>، مجلة الوثيقة، السنة 07، العدد 14، مركز الوثائق التاريخية بالبحرين، 1989، ص 47.

(5) مايلز، المرجع السابق، ص 195.

ي/اليعاربة وحصار هم لقلعة ممباسا وتحريرها الأول من السيطرة البرتغالية عام(1660م-1665م):

لقد شكل نجاح حملة اليعاربة في تحرير مملكتي زنجبار وبتة بساحل شرق افريقيا عام 1652م بالنسبة للبرتغاليين التهديد الصريح لمستعمراتهم هناك، خاصة بعد انتهاء نفوذهم في الساحل العماني، بحيث أبدى حاكم مملكة البرتغال قلقه الشديد وانزعاجه من التدخل اليعاربي في شؤون مسلمي ساحل شرق افريقيا، لاسيما وأن المنطقة أصبحت الملاذ الوحيد الأمن للبرتغاليين والبعيد عن تهديد الدول الأوروبية الأخرى وخاصة الهولنديين والإنجليز منهم[1].

كل ذلك دفع بالسلطات العسكرية البرتغالية الى القيام بعمليات تأديبية واسعة النطاق شملت كل الممالك التي تعاونت مع العمانيين ضدهم في ساحل شرق افريقيا، حيث رافق هذه العمليات التأديبية تعصب ديني واضح ضد المسلمين هناك، أين استخدم البرتغاليون أبشع أساليب القمع والتعذيب ضد الأهالي العزل[2]، بحيث يرجع المؤرخ البريطاني "دانفر"(Danvers) سبب هذا التعصب الديني للبرتغاليين، الى ما قام به اليعاربة العمانيين من قتل واضطهاد لرجال الدين المسيحيين هناك بعد حملتهم عام 1652م وتحريرهم لزنجبار وبتة بساحل شرق افريقيا، يؤيده في هذا الطرح أيضا المؤرخ قاراي(Garay)[3].

بعدما أكمل العمانيون تجهيز أسطولهم البحري قام الإمام سلطان بن سيف الأول بقيادة الأسطول العماني بنفسه الى ساحل ممباسا عام 1660م، ليضرب بعدها حصار ا بحريا على قلعتها كما باشرت المدفعية العمانية قصف مراكز تمركز البرتغاليين في سو احل افريقيا الشرقية، بداية من ساحل ممباسا الى غاية رأس دليجارو(Delgare)[4]، ليتم تحرير مملكتي ماليندي وفازا من السيطرة البرتغالية بينما

---

(1) أحمد محمود المعمري، المرجع السابق، ص 66.
(2) Gray, J. History of Zanzibar From the Middle Age to 1856, London, Oxford Univ, 1962, p. 57.
(3) DENVERS, F.C, op.cit, VOL II, p. 302, And Look: Gray, J. IDEM, p. 15.
(4) Guillain. C, Documents Sur l'historie La Géographie et le Commerce de l'Afrique Orientale, VOL II, Paris, 1856, p. 513.

بقي الحصار مفروضا على قلعة اليسوع(Fort Jesus) خلال ذلك تمكن الأسطول العماني من فرض سيطرته على جميع مناطق القسم الشمالي في الساحل الشرقي لإفريقيا باستثناء مملكة ممباسا[1].

خلال ذلك كانت قبائل الساحل الشرقي لإفريقيا تقدم الدعم العسكري والمساندة المعنوية للعمانيين اليعاربة من أجل طرد البرتغاليين من مدينة ممباسا وقلعتها، التي كان يحكمها القائد البرتغالي "جوزيف دا سيلفا"(Joseph Da Silva)[2] الذي طلب أيضا الاستعانة بالدعم البرتغالي العسكري من مدينة جوا بالهند، لفك هذا الحصار العماني المفروض على القلعة، هذا ما دفع باليعاربة الى شن هجوم بحري مضاد من قلعة مسقط باتجاه ميناء مدينة بومباي(Bombay) بالهند عام 1661م، لمنع وصول المدد البرتغالي القادم الى قلعة ممباسا[3].

لكن عدم تمكن حكومة مملكة البرتغال في جوا من ارسال الدعم الحربي والمدافع الى القائد جوزيف دا سيلفا في قلعة ممباسا، بسبب التهديد العماني لمراكزهم التجارية والعسكرية في الهند وتعدد جبهات القتال للبرتغاليين مع الهولنديين والإنجليز في الخليج العربي أيضا[4]، أدى الى استحالة ذلك ما يعني دفعهم الى تجريد الأسطول الحربي للبرتغاليين في مدينة جوا من المدافع، هذا ما أجبر القائد جوزيف دا سيلفا الى الاستسلام، بعد استيلاء قوات اليعاربة على ميناء ممباسا ودخولهم الى قلعة المسيح بعد حصار دام خمس سنوات كاملة ما بين عام(1660م-1665م)[5].

الجدير بالذكر أن الإمام سلطان بن سيف الأول لم يشهد معركة سقوط قلعة المسيح بممباسا، بسبب رجوعه لمقر حكمه في مدينة نزوى بعمان لتسيير شؤون الحكم الداخلية هناك، كما أن طول فترة الحصار العماني على قلعة ممباسا لا تسمح له بالبقاء لمدة خمس سنوات كاملة أيضا[6]، لأن سيطرة اليعاربة على قلعة المسيح لم تدم سوى سنة واحدة فقط منذ عام 1665م الى 1666م، نتيجة تمكن

(1) المغيري، جهينة...، المصدر السابق، ص ص 194،193.
(2) عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 89، وأنظر أيضا: كريكمان-جي، التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق افريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 05، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1980، ص 292.
(3) نفسه، ص 292.
(4) غانم محمد رميض، <<الصراع البحري العماني البرتغالي في البحار الشرقية>>، مجلة الوثيقة، السنة 07، العدد 13، البحرين، 1988، ص 86.
(5) المغيري، نفسه، ص 193، أنظر أيضا: السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 35.
(6) المعمري، نفسه، ص 66.

البرتغاليين من استرجاعها من أيدي القوات العمانية عام 1666م[1]، حيث تعرض مسلمو ساحل شرق افريقيا إلا أشد أنواع التنكيل والتعذيب بعد استرجاع قلعة ممباسا بسبب مساعدتهم لليعاربة في حصار القلعة واقتحامها من جهة، بسبب طلبهم للمساعدة العسكرية من طرف حكام دولة اليعاربة من جهة أخرى كذلك، الأمر الذي دفع بالعديد من سكان ممباسا الى الهروب والهجرة الى الممالك الساحلية الإفريقية الأخرى، هذا ما كان سببا في ازدياد الحركات التمردية لمسلمي ساحل شرق افريقيا ضد الغزو البرتغالي هناك[2].

---

(1) Coupland, op.cit. VOL II, p.p. 414-415.

(2) IDEM, p.p. 66-67. وأنظر أيضا: كريكمان-جي، المرجع السابق، ص 292.

ك/اليعاربة ودوافع هجومهم على قاعدة البرتغاليين في ميناء ديو بالهند عام 1668م:

ان ازدياد عدد الهجمات والتحرشات البحرية ونشاط القرصنة للسفن البرتغالية ضد سفن العمانية سواء التجارية أو العسكرية منها في مياه الخليج العربي و الخليج الفارسي أصبح أمرا واضحا، خاصة بعد نجاح عملية استرجاع البرتغاليين لقلعة ممباسا في ساحل شرق افريقيا عام 1666م، حيث يرجع استمرار ارسال البرتغاليين لأساطيلهم في مياه الخليج العربي بهدف رغبتهم الواضحة في استعادة قلعة مسقط وموانئها، هو ما حدث فعلا عند محاولتهم عام 1667م[1].

يعتبر استيلاء القائد البرتغالي جوزيف دي كاسترو(Joseph De Castro)على بعض السفن العمانية المحملة بالخيول والأرز عام 1668م، سببا مباشرا في قيام الإمام سلطان بن سيف الأول بالرد على هذه الهجمات من خلال ضرب البرتغاليين في معقلهم الرئيس بميناء ديو بالهند[2]، حيث أراد اليعاربة من خلال هذه الحملة مهاجمة أهم قاعدة تجارية واقتصادية وعسكرية للبرتغاليين في المحيط الهندي، لتحقيق مكاسب اقتصادية و عسكرية تعوض خسائرهم السابقة في قلعة ممباسا[3].

لقد وصف لنا الرحالة الفرنسي "فرونسوا مارتن"(Martin Francois) أسطول اليعاربة المتوجه الى محاربة البرتغاليين في ميناء ديو، بقوله:**(شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد تنافسا حادا بين عرب مسقط والبرتغاليين، ففي عام 1669م عندما عبرنا رأس الحد تقاطعت سفينتنا مع أسطول مؤلف من حوالي خمسة عشر سفينة حربية وهي لعرب مسقط، ذاهبة من أجل مواجهة أساطيل البرتغاليين الذين هم في حالة حرب معهم)**[4].

حيث أبحر الأسطول العماني المكون من سفن مختلفة الأنواع والأحجام من ميناء مسقط بعمان متجها بذلك نحو ميناء ديو بالهند، هو يحمل حوالي أربعة ألاف مقاتل تحت قيادة "راشد بن علي اليعربي"، كما تجنب الأسطول العماني الصدام المباشر مع الأسطول البرتغالي المتواجد في مياه الخليج العربي[5]، بعد وصول العمانيين اليعاربة الى ميناء ديو بالهند بدأ البرتغاليون بإطلاق نيران المدفعية الحربية عليهم، ما

---

(1) لورمير، المرجع السابق، ص 641.
(2) نفسه، ص 641.
(3) السالمي، المصدر السابق، ج 02، ص 51.
(4) مايلز، المرجع السابق، ص 208.
(5) عبد الله بن علي الوزير، المصدر السابق، ص 47.

تسبب لهم في بعض الخسائر المادية و البشرية، حيث أن هدف العمانيين من خلال هذه الحملة لم يكن مواجهة البرتغاليين هناك، بل الاستيلاء على كامل البضائع والسلع الموجودة في ميناء ديو بالهندو التي تم شحنها في سفن الأسطول العماني والعودة بعدها الى ميناء مسقط بعمان[1]، حيث تمكن الإمام سلطان بن سيف الأول من خلال حملة على ميناء ديو جمع الكثير من الغنائم، التي شيد بها قلعة "نزوى" التي لازالت شامخة الى يومنا هذا، قد استغرق بنائها حوالي أثني عشر سنة كاملة[2].

من خلال المقاربة التاريخية يمكننا القول بأن حملة العمانيين اليعاربة على ميناء ديو بالهند عام 1668م قد حققت مكاسب اقتصادية جد هامة، كما ألقت الرعب والخوف في نفوس البرتغاليين هناك كتحذير من العمانيين لهم، على ضرورة اجتناب سفنهم التجارية وعدم التعرض اليها في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي وساحل شرق افريقيا كذلك، يبين لنا المؤرخ اليمني "بن علي الوزير" المعاصر لهذه الأحداث مكاسب حملة اليعاربة على ميناء ديو بالهند، بقوله:**(ودخلت سنة تسع وسبعين وألف...وفي هذه الأيام غزى صاحب عمان الى بندر الديو وهي مصالحة للفرنج وطرقه من طريق البحر الزخار، واستغفل من فيه من التجار، فانتهب ما فيه من الرغائب، وشحن به بطون المراكب، وانقلب الى بلاده)**[3].

كما تجدر بنا الإشارة الى أن أهم حملات اليعاربة العمانيين على سواحل وموانئ المراكز البرتغالية بالهند هي:

1- الحملة على ميناء بومباي (Bombay)أعوام:1655م-1661م.

2- الحملة على ميناء ديو (Diwo)أعوام:1668م-1670م-1676م.

3- الحملة على ميناء باسين (Bassin)عام:1674م.

4- الحملة على ميناء سالست(Salcette)أعوام:1694م-1699م.

5- الحملة على ميناء باسلور(Barsalur)أعوام:1695م-1696م.

---

(1) غانم محمد رميض، الصراع البحري...، المرجع السابق، ص 86.
(2) السالمي، المصدر السابق، ص 76.
(3) عبد الله بن علي الوزير، المصدر السابق، ص ص 233-247.

6-الحملة على ميناء منجلور (Mangalur) أعوام: 1695م-1696م[1].

(1) صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص ص 32-47.

ل/اليعاربة من حصارهم لقلعة موزنبيق الى انتصارهم في معركة كونج بالخليج العربي عام 1669م:

رغم فشل حملة اليعاربة في الحفاظ على قلعة المسيح بممباسا لكن طلبات الاستغاثة من سكان ساحل شرق افريقيا الى دولة اليعاربة وحاكمها سلطان بن سيف الأول لم تتوقف، حيث قابلهااستمر ار للحركات التمردية والانتفاضات الجماعية التي عمت جميع مناطق ساحل شرق افريقيا ضد سياسة الغزو البرتغالي هناك[1]، تعتبر موزنبيق واحدة من بين الممالك التي استغاث حكامها بدولة اليعاربة، حيث كانت قلعتها ملاذا أمنا للبرتغاليين ولسفن أساطيلهم الحربية نظرا لبعدها عن الحركات المناهضة للبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا، كما استعمل البرتغاليون سواحلها للإرسال الحملات المساندة لاستعادة قلعة المسيح بممباسا عام 1652م، لذلك استجاب حاكم اليعاربة سلطان بن سيف الأول لطلبات المدد العسكري، من خلالتجهيز ه لحملة عسكرية تتكون من ثمانية وعشرين سفينة حربية مختلفة الأحجام والأنواع للهجوم على قاعدة البرتغاليين بموزنبيق[2].

لقد رأى الإمام سلطان بن سيف الأول بأن مهاجمة موزنبيق وتدمير قاعدة البرتغاليين هناك أمر جد ضرور ي، ذلك لتجنب وصول أي دعم بحري مساند للبرتغاليين في قلعة ممباساو هذا ما يعني تسهيل عملية استرجاع هذه القلعة من جديد[3]، بحيث لا يبقى للبرتغاليين سوى قاعدة جوا بالهند والتي يصعب عليها الحاق الدعم العسكري للبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا خلال الوقت المناسب، نظرا لبعد المسافة البحرية بين ميناءجو ا وقلعة ممباسا من جهة، كما أنه لا يمكن لربابنة السفن البرتغالية الإبحار من ميناء جوا إلا بعد انتظار هبوب الرياح الموسمية، التي تساعدهم في الوصول الى ساحل شرق افريقيا من جهة أخرى[4].

بعد انطلاق الأسطول العماني من مسقط الى موزنبيق مر اليعاربة على مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، حيث انظم اليهم سكان مملكة بتة كمتطوعين في الحملة العمانية، اضافة الى تمويل الأسطول العماني هناك بما يلزم جنوده من مأكل ومشرب، بعد فرض اليعاربة لحصارهم البحري على قلعة الحامية

---

(1) Guillain. C, op.cit, p. 514.
(2) Strandes. J, The Portuguese Period in East Africa, translated by J.F Wallwork, edited and with topographical notes by J.S Kirkman, VOL 01, Nairobi, 1961, p. 231.
(3) IDEM, p. 231.
(4) Guillain. C, IDEM, p. 515.

العسكرية للبرتغاليين في موزنبيق عام 1669، لم يستطع اليعاربة اقتحام هذه القلعة بسبب تفوق سلاح المدفعية البرتغالية هناك، الأمر الذي دفع بأسطول اليعاربة الى العودة الى ميناء مسقط بعمان[1].

تجدر بنا الإشارة هنا الى أن تحرشات السفن البرتغالية بسفن اليعاربة في مياه الخليج العربي قد ساهم في عرقلة حملات اليعاربة العمانيين المتجهة لتحرير سواحل افريقيا الشرقية، يتضح لنا ذلك من خلال تزامن خروج الحملة البرتغالية على موانئ الخليج العربي بقيادة القائد "كريمنو مانويل"(Ceronimo Manoelle)، مع نفس موعد الحملة العمانية المتوجه الى قلعة موزنبيق عام 1669م، حيث تقابل الأسطول العماني والبرتغالي بالقرب من ميناء كونج الفارسي[2].

كما وصفت لنا المصادر العمانية المعاصر لهذه المعركة بأنها تعد من بين أكبر المعارك البحرية للإمام سلطان بن سيف الأول مع البرتغاليين، نظرا لما خلفته من خسائر بشرية كبيرة بين الطرفين كما أنها انتهت بتفوق أسطول اليعاربة على الأسطول البرتغاليوهذا ما وذكره لنا السيابي، بقوله:**(من معارك الإمام سلطان بن سيف للإفرنج موقعة كونج أكبر موقعة بين العمانيين والبرتغاليين، فقد بلغ صداها أقصى الشرق، واهتز لها العالم وسباهم الجيش(اليعربي)وقاد سفنهم الى عمان وساق الغنائم)**[3]، ووصف لنا السيابي كذلك معركة كونجو انتصار أسطول اليعاربة في هذا البيت الشعري، بقوله:

ولدى كونج كان منه لهم ما*كاد منه تدكدك الأكام**[4].

(1) من المفترض أن سبب رفع الأسطول العماني لحصاره البحري على جزيرة موزنبيق بشرق افريقيا هو نشاط الأسطول البرتغالي المتزايد في مياه الخليج العربي، للمزيد أنظر: كريكمان-جي، المرجع السابق، ص 292.
(2) مايلز، المرجع السابق، ص 195، وأنظر أيضا: صلاح العقاد، دور العرب...، المرجع السابق، ص 101.
(3) السالمي، المصدر السابق، ص 51.
(4) السيابي، المصدر السابق، ج 03، ص 245.

م/اليعاربة وهجومهم على بتة ونهاية حكم الإمام سلطان بن سيف الأول عام 1679م:

ظل ساحل شرق افريقيا في انتفاضة عارمة ضد البرتغاليين خلال فترة غياب اليعاربة العمانيين عنه، حيث تزعم مسلمو مملكة ممباسة وبتة هذه الحركات التمردية وساندهم فيها كل من مسلمي مملكتي لامو وسيو[1]، في الوقت الذي غابت فيه الحملات البرتغالية عن ساحل شرق افريقيا لانشغالها بحروبها مع القوى الأوروبية في الخليج كالإنجليز والهولنديين ومحاولة البرتغاليين استعادة ميناء مسقط وقلعته كذلك من اليعاربة، بمقابل ذلك كان ضعف السكان المحكومين في ساحل شرق افريقيا وعدم قدرتهم على مواجهة البرتغاليين عسكريا أصبح أمرا محسوما فيه، نتيجة لافتقادهم للقوة العسكرية الكافية ووجود السند العسكري للحامية البرتغالية في قاعدة موزنبيق[2].

ترجع ظروف هجوم العمانيين لتحرير مملكة بتة عند ارسال الإمام سلطان بن سيف الأول لأسطول بحري الى هناك بقيادة "محمد بن مسعود الصارمي" عام 1679م، بهدف مساعدة مسلميها وتخليصهم من سيطرة القائد البرتغالي "بيدرو دالميدا"(PEDRO DA ALMIDA)عليهم[3] ، حيث قام الإمام سلطان بن سيف الأول بتعيين مجموعة من العمانيين في ساحل شرق افريقيا ويترأسهم "سعد بن سعيد البلوشي"، من أجل تنظيم عمليات المقاومة المحلية لسكان ساحل شرق افريقيا ضد الغزو البرتغالي، ليكونوا بمثابة حلقة الوصل بين دولة اليعاربة وبين ملوك ساحل شرق افريقيا هناك[4].

بعد وصول الأسطول العماني الى ميناء بتة تم تشكيل جبهة دفاعية مختلطة مكونة من الجنود اليعاربة ومن سكان بتة المحليين، حيث جرت الحرب بين الجبهتين في نطاق واسع دار حول مملكة بتة ودامت لمدة ستة أيام كاملة، انتهت في الأخير بانهزام البرتغاليين وفرار الأسطول البرتغالي الى قلعة موزنبيق، بهذا تمكن اليعاربة من تحرير مملكة بتةو هذا ما انعكس عنه أيضا استسلام البرتغاليين في مملكة فازا، بعد سماعهم لخبر انهزام الأسطول البرتغالي في بتة، حيث تلقى البرتغاليون ضربة موجعة

---

(1) رودلف سعيد رويتي، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي(1791م-1856م)، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، البصرة، العراق، 1983، ص ص 90-91.
(2) عائشة اليسار، دولة اليعاربة...، المرجع السابق، ص 98.
(3) كريكمان-جي، المرجع السابق، ص 290.
(4) السيابي، المصدر السابق، ص 246، وأنظر: عائشة اليسار، نفسه، ص 98.

لهم بخسارتهم لبتة من جهة، وفاة قائد حملتهم هناك بيدرو دالميدا خلال هذه المعركة من جهة أخرى كذلك عام 1679م(1).

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها يمكننا القول بأن حملة اليعاربة على مملكة بتة عام 1679م هي من بين أهم الحملات العسكرية لهم في منطقة ساحل شرق افريقيا، حيث تجسدت فيها مظاهر التفاهم والتعاون العسكري والديني بين البحرية العمانية وبين مسلمي مملكة بتة، الذين اتحدوا في جبهة واحدة موحدة ضد الغزو البرتغالي هناك، لتعبر لنا هذه المعركة أيضا في الوقت نفسه عن مدى عمق العلاقات الموجودة بين الشعبين، عكس ما تروج له بعض الكتابات الغربية على أساس أن العلاقة الموجودة بين الشعبين هي علاقة تجارية واقتصادية بحتة فقط.

كما شكلت هزيمة البرتغاليين في بتة سببا رئيسيا لمنعهم من بسط نفوذهم على جميع ممالك الساحل الشرقي لإفريقيا، حيث تغنى بهذه المعركة والنصر الذي حققه اليعاربة والسكان المحليين على البرتغاليين العديد من الشعراء المعاصرين لتلك الأحداث، يصف لنا قائد الحملة العمانية على بتة "محمد بن مسعود الصارمي"، انتصار اليعاربة في معركة بتة بأبيات شعرية جد رائعة نذكر البعض منها:

حتى أتينا بتة بالضحى ثم نزلناها بأرض براح*فقلت لأصحابي لا تحزنوا من عنده الله فلا يستباح.**

فمتثلوا للأمر ولا قصروا وجردوا أسيافهم والرماح*فاقتحموا السور كأسد الفلىواشتدت الحرب وضرب الصفاح.**

كأنما القتلى بأرجائها من فئة الإفرنج صرعى طراح*فانهزم الإفرنج من بتة بالذل والخزي و الإفتضاح.**

بعدا لهم وبعدا وسحقا لهم من قوم سوء ووجوه قباح*بعزم سلطان بن سيف الذي أباد أهل الكفر يوم الكفاح(2).**

---

(1) السالمي، المصدر السابق، ص ص 23-24.

(2) نفسه، ص ص 63-64، وأنظر أيضا:المغيري، المصدر السابق، ص ص 197-198، وراجع أيضا: أحمد شلبي، تاريخ عمان ونشاطها الداخلي من مطلع الإسلام حتى الأن، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج02، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1980، ص 49، وللمزيد أنظر كذلك: عائشة اليسار، المرجع السابق، ص 98،=

تعتبر حملة العمانيين اليعاربة على مملكة بتة أخر حملة لهم في عهد الإمام سلطان بن سيف الأول(1649م-1679م)، حيث توفي الإمام سلطان بن سيف الأول في يوم الجمعة الموافق للسادس عشر من ذي القعدة عام 1090 هجريةو الموافق ل 03 نوفمبر عام 1679م[1]، بعد تحقيقه لانتصارات عظيمة على البرتغاليين في قلعة مسقط وممباسا وبتة، رغم أن الإمام سلطان بن سيف الأول لم يتمكن من انهاء الغزو البرتغالي في كامل ساحل شرق إفريقيا، إلا أنه تمكن من اضعاف الوجود البرتغالي هناك حيث يبين لنا السالمي ذلك، بقوله:**(لم يزل الإمام سلطان بن سيف الأول يجالد النصارى ويجاهدهم برا و بحرا، واستفتح كثيرا من أماكنهم مثل الديو وغيرها، وملك كثيرا من مراكبهم، وغنم كثيرا من أموالهم)**[2].

ويؤكد لنا أيضا المؤرخ البريطاني "بادجر" بأن انتصارات الإمام سلطان بن سيف الأول في ساحل شرق افريقيا على البرتغاليين قد أضعفتهم كثيرا، بقوله:**(بالرغم من أن الحملات المتعاقبة التي جردها امام مسقط على البرتغاليين في شرق إفريقيا لم تؤدي الى تصفيتهم من هناك، إلا أنها أضعفتهم لدرجة كبيرة، بل جعلت وجودهم هناك كبناء آيل للسقوط ليس بحاجة الى أكثر من ضربة واحدة قوية)**[3]، ما يعني أن خليفة الإمام سلطان بن سيف الأول في حكم عمان سيجد دولة متكاملة من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية، هذا ما يسهل عليه تجسيد واستكمال استراتيجية اليعاربة ضد الغزو البرتغالي سياسيا وعسكريا في البحار الخليجية وساحل افريقيا الشرقية[4].

الإشكالية المطروحة هي من سيتولى حكم دولة اليعاربة بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الأول عام 1679م؟، هل سيكمل حاكم اليعاربة الجديد استراتيجية سابقيه من الأئمة العمانيين في الحكم والممثلة في القضاء على الغزو البرتغالي بالبحار الشرقية والخليجية وساحل شرق افريقيا؟.

عامر الحجري، تاريخ العلاقات العمانية الإفريقية وبداية التواجد العماني في شرق افريقيا، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج 02، الدوحة، قطر، 1967، ص 785.

(1) الأزكوري، المصدر السابق، ص 110، وأنظر كذلك: السالمي، المصدر السابق، ص 42.

(2) نفسه، ص ص 54-55.

(3) Badger, G.B, History of The Imams and Seyyids of Oman and Original Sources By Salil Ben Razik, from A.D 661-1856, London, 1871, p. 21.

(4) لورمير، المرجع السابق، ص ص 640-641.

ن/اليعاربة وظروف ولاية سيف بن سلطان الأول على حكم عمان عام(1679م-1692م):

***نبذة عن حياته:**

هو الإمام سيف بن سلطان الأول[*] بن سيف بن مالك بن سلطان بن سيف الأول، تولى امامة عمان بعد نزاع سياسي وعسكري مرير مع أخيه بلعرب بن سلطان الى غاية امامته على عمان عام 1692م، لقب سيف بن سلطان الثاني "**بقيد الأرض**"نظرا لفتوحاته الكثيرة وعدله وا إنصافه مع الرعية، اهتم بتقوية الأسطول العماني تجاريا وعسكريا ومواصلة محاربة البرتغاليين في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي وساحل شرق افريقيا، توفي في منطقة الرستاق بعمان عام 1711م في شهر رمضان المعظم[1].

غير أن الحقيقة التاريخية تؤكد لنا بأن بلعرب بن سلطان هو حاكم اليعاربة الثالث بعد وفاة أبيه مباشرة بسبب تزكيته من طرف علماء المذهب الإباضي بعمان وراثيا، لكن الصراع السياسي الذي حدث بينه وبين أخيه سيف بن سلطان الأول عام 1688م على السلطة و الحكم، قسم عمان الى قسمين قسم مع ولاية بلعرب بن سلطان وقسم مع ولاية سيف بن سلطان الأول على حكم عمان[2]، حيث تشير لنا المصادر العمانية المعاصرة لتلك الأحداث على أن سيف بن سلطان الأول، خرج عن حكم أخيه بلعرب بن سلطان وأجبر أهل العلم هناك على مبايعته فاضطروا الى ذلك خوفا من بطشه وحقنا للدماء، لينتهي هذا الصراع السياسي بعد حروب مريرة دارت بين الإخوة الأعداء لمدة أربع سنوات كاملة انتهت بوفاة بلعرب بن سلطان عام 1692م[3].

***صراعه السياسي على السلطة مع أخيه بلعرب وانعكاساته على ساحل شرق افريقيا:**

ان صراع الإخوة الأشقاء على حكم عمان أدخلها في أوضاع سياسية مضطربة دامت أربع سنوات كاملة ما بين عام(1688م-1692م)[4]، ما سهل على البرتغاليين اعادة تحصين مواقعهم العسكرية في ساحل افريقيا الشرقية والخليج العربي من جديد، مع تعزيزهم لحامياتهم العسكرية في قلعة ممباسا كذلك

(*) سيف بن سلطان الأول: لقب بالأول تمييزا له عن ابنه الذي خلفه في حكم عمان من بعده وهو سيف بن سلطان الثاني الذي حكم مدة ثمان سنوات فقط ثم توفي(1711م-1719م)، أنظر: الأزكوري، المصدر السابق، ص 119.

(1) نفسه، ص ص 111-112، وأنظر كذلك: ابن رزيق، الفتح...، المصدر السابق، ص 295.

(2) مجهول، المصدر السابق، ص 147.

(3) الأزكوري، نفسه، ص 112.

(4) السيابي، المصدر السابق، ص 282.

بالمدافع الحربية والجنود، استمرارهم في مهاجمة الأساطيل العمانية التجارية في الهند مثل ما حدث بعد تحطيم البرتغاليين لأسطول عماني تجاري بالقرب من ميناء سورات على الساحل الغربي للهند بقيادة القائد "دييجو ميلو"(DIAGO MELLO) عام 1688م[1].

كما أرسل نائب ملك البرتغال في جوا الى بتة القائد "جواو أنتونيوس بورتغال" (Joao Antunes Portugal)، استجابة الى طلب حاكم قلعة ممباسا ورغبته منه في استرجاع قلعة بتة من الحامية العمانية الموجودة بها عام 1687م[2]، هو ما كان بعدما استطاع جواو أنتونيوس بورتغال من استعادة بتة في السنة نفسها، مع العلم أن هذا القائد قد انتهز فرصة مغادرة الأسطول العماني من بتة الى ميناء مسقط، بسبب النزاع العماني المتواصل على السلطة بين بلعرب وسيف بن سلطان الأول[3].

من خلال ما سبق لنا ذكره يمكننا القول بأن الصراع السياسي اليعربي على السلطة والحكم بعمان بين بلعرب وأخيه سيف بن سلطان الأول، ساهم بشكل كبير في تراجع الدور العسكري للبحرية العمانية في سواحل افريقيا الشرقية والخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، مع تنامي وتزايد الأطماع البرتغالية من جديد حول السيطرة على الطرق التجارية البحرية الهامة في المحيط الهندي والخليج العربي.

(1) DENVERS, F.C, op.cit, p. 371. وأنظر أيضا: مايلز، المرجع السابق، ص 210.
(2) محمد محمود محمدين، <<علاقة الجزيرة العربية بشرق افريقية>>، مجلة دار الملك عبد العزيز، السنة 1976، العدد 02، المملكة العربية السعودية، ص 111.
(3) نفسه.

س/اليعاربة حصارهم لقلعة ممباسا وتحريرهم النهائي لساحل شرق افريقيا عام(1696م-1698م):

ان ارتباط أوضاع ساحل شرق افريقيا مع تغير الأحداث في دولة اليعاربة بعمان ليس بالأمر الغريب علينا، بل أصبح أمرا مؤكدا من خلال تأثير أوضاع عمان الداخلية والخارجية السياسيةو العسكرية و الاقتصادية، على جميع الأحداث التي تجري في ممالك ساحل افريقيا الشرقية، عليه ظل الغياب العماني على ساحل شرق افريقيا السمة البارزة منذ بداية الصراع السياسي على حكم عمان بين الأخوين بلعرب بن سلطان وسيف بن سلطان الأول(1688م-1692م)، حيث انتظر سكان ساحل شرق افريقيا أشد انتظار نهاية هذا الصراع بفارغ الصبر،عودة العمانيين اليعاربة لتحرير هم من الغزو البرتغالي[1].

كما أن تطور الأحداث في الخليج العربي بين السفن التجارية البرتغالية والعمانية حال دون ارسال اليعاربة لأساطيلهم الحربية لإنقاذ مسلمي ساحل شرق افريقيا، حيث تعمد البرتغاليون اشغال حكام اليعاربة بأوضاع منطقة الخليج العربي لتشتيت انتباههم عن ساحل شرق افريقيا، رغبة منهم في اعادة تحصين قلاعهم واستردادها من أيدي السكان المحليين والقوات العمانية هناك[2]، لكن لم يأتي علينا أواخر عام 1695م إلا وقد تمكن الإمام سيف بن سلطان الأول، من اعادة هيكلة وترتيب البيت العماني من جديد، ذلك بتحديث قواته الحربية وتجديد أسطوله البحري والقضاء على امكانية التحالف العسكري الاقتصادي الفارسي-البرتغالي، الذي كان يستهدف زعزعة الوجود العماني في الخليج العربي[3].

ان تمكن الإمام سيف بن سلطان الأول من انجاز هذا القسم الكبير من سياسته الداخلية والخارجية كذلك، جعل عمان في عهده دولة بحرية مرهوبة المكانة مرموقة السمعة في مياه البحار الشرقية والخليجية، حيث كانت الأوضاع خلال فترة حكمه مهيأة للتوجه من أجل استكمال سياسة اليعاربة الخارجية اتجاه منطقة ساحل شرق افريقيا[4]، خصوصا اذا نظرنا الى حجم الإمكانيات المالية والحربية التي كانت متاحة لتحقيق الهدف الجيو-استراتيجي للعمانيين اليعاربة سياسيا واقتصاديا ودينيا.

---

(1) محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص 112.
(2) السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 40.
(3) أحمد محمود المعمري، المرجع السابق، ص 66.
(4) رودولف سعيد رويتي، المرجع السابق، ص 90.

وخلال هذه الإنجازات العسكرية والسياسية التي حققها الإمام سيف بن سلطان الأول لليعاربة في مياه المحيط الهندي والخليج العربي، بعد وصول أخبار تحسن أوضاع عمان الداخلية والخارجية الى سكان ساحل شرق افريقيا[1]، قام أعيان منطقة ساحل شرق افريقيا بإرسال وفد دبلوماسي رفيع المستوى الى الإمام سيف بن سلطان الأول، حيث تكون هذا الوفد من كبار رجال الدين والعلماء وشيوخ القبائل الإفريقية والسواحلية، كان الهدف من وراء ارسال هذا الوفد الى عمان هو تقديم الاعتراف بالولاء والطاعة لحاكم اليعاربة الجديد سيف بن سلطان الأول، اضافة الى طلب يدالعون و المساعدة العسكرية من دولة اليعاربة لتخليصهم من الغزو البرتغالي هناك[2].

لقد قام حاكم اليعاربة بالترحيب بالوفد القادم اليه وتقديم وعد له بتخليص منطقة ساحل شرق افريقيا من الغزو البرتغالي هناك، كما تم تقديم كتاب من طرف هذا الوفدلسيف بن سلطان الأول ويوجد بداخل هذا الكتاب طلب من سكان ممباسا وبعض ممالك الساحل بضرورة تدخل اليعاربة هناك، ما شكل دافعا معنويا قويا لدى حاكم اليعاربة لمواصلة تحرير ساحل شرق افريقيا، مع تركيز جهوده العسكرية على مركز البرتغاليين الهام في الساحل وهو قلعة المسيح بممباسا[3]، لقد كانت أولى خطوات استعداد سيف بن سلطان الأولتجهيز ه لأسطول بحري مكونة من سبعة عشر سفينة حربية، مختلفة الأحجام والأنواع تحمل معها ما يقارب ثلاثة ألاف مقاتل[4].

حيث أسندت مهمة قيادة هذه الحملة البحرية من طرف الإمام سيف بن سلطان الأول الى القائد العماني "مبارك بن غريب المزروعي" عام(1696م-1698م)، هو من بين سلالة أسرة المزارعة بعمان والتي لعبت دورا هاما في حكم مملكة ممباسا بعد تحريرها عام 1698م، حيث وصلت الحملته العمانية الى ساحل شرق افريقيا في غضون شهر مارس عام 1696م، أين تم انزال بعض قوات الحملة في مملكتي لامو وبتة من أجل مدهم بالسلاح والعتاد الحربي لمساندة جيش اليعاربة، ايقاف أي تدخل برتغالي قادم من ميناء ديو بالهند، بعدها اتجه الأسطول العماني المتبقي الى ميناء ممباسا الرئيسي في

---

(1) رودولف سعيد رويتي، المرجع السابق، ص 90.
(2) يذكر لنا المغيري بأن الوفد القادم الى عمان من ساحل شرق افريقيا قد تكون من: الشيخ بن أحمد المليندين والشيخ تموت بن موترغو الكلنيدني والشيخ موشال بن ندار التجاني...وغيرهم من طوائف الزنوج الأخرى، للمزيد حول هذا الوفد أنظر: المغيري، المصدر السابق، ص 105، وأنظر أيضا: أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 50.
(3) المغيري، نفسه.
(4) عائشة اليسار، المرجع السابق، ص 99.

منطقة "كيليديني"[1]، حيث كانت القوات البرتغالية تراقب كل تحركات الأسطول العماني خطوة بخطوة، ليجهز البرتغاليون أيضا قوة بحرية كبيرة قدمت من ميناء جوا بالهند لحماية وتعزيز مراكزهم هناك[2].

لكن توقف الأسطول العماني في ميناء كيليديني بممباسا قبل وصول الأسطول البرتغالي القادم من ميناء جوا بالهند، حتم على السفن البرتغالية الرسو في ميناء "سان أنطونيو" القريب من قلعة المسيح بممباسا، الذي لا يستطيع تقديم أي دعم عسكري حقيقي للحامية البرتغالية الموجودة في القلعة بسبب بعد موقعه القتالي عن قلعة ممباسا، ما يعرقله من مهاجمة السفن العمانية هناك و التي اتخذت لنفسها موقعا قتاليا فعالا[3].

لقد استمر تقدم الأسطول العماني من ميناء كيليديني الإستراتيجي الى غاية قلعة المسيح التي تم تطويقها ومحاصرتها من طرف السفن العمانية من كل جهة، حيث استمر الحصار العماني المضروب على قلعة اليسوع مدة ثلاثة وثلاثين شهرا كاملا[4]، لتنطلق المدافع العمانية بضرب القلعة وتدمير جميع الحاميات والحصون والأبراج المحيطة بها والمشيدة لحمايتها، فلم يعد بإمكان قائد قلعة ممباسا "جواو دو رودريغو" (Joao De Rodriguer) فعل أي شيء لفك هذا الحصار[5].

لكن الشيخ "داوود" زعيم قبيلة "فازا" بساحل شرق افريقيا يعتبر واحدا من بين أكثر من ساهموا بشكل كبير في تقديم يد العون والمئونة للقوات البرتغاليةالمحاصر ة على مدار ثلاثة وثلاثين شهرا كاملا في قلعة المسيح بممباسا، الدفاع عن القلعة كذلك بمساعدة مجموعة كبيرة من المرتزقة المأجورين من طرفه، ما كان سببا رئيسيا في صمود الجنود البرتغاليين لمدة طويلة رغم الحصار المفروض عليهم، حيث يعتبر الشيخ داوود حسب المصادر العمانية والبرتغالية المعاصرة من بين أشد الأشخاص الموثوق بهم والمتعامل معهم لدى القادة البرتغاليين في ساحل شرق افريقيا على مدار سنوات طويلة[6].

---

(1) جمال قاسم زكرياء، دولة بوسعيد...، المرجع السابق، ص 82، وأنظر أيضا: عائشة اليسار، المرجع السابق، ص 96.

(2) الهناني، المرجع السابق، ص 14، وأنظر أيضا: المغيري، المصدر السابق، ص 192.

(3) كريكمان-جي، المرجع السابق، ص 294.

(4) جمال قاسم زكرياء، الخليج العربي...، المرجع السابق، ص 114، وانظر كذلك: جيان، المرجع السابق، ص 321.

(5) Coupland, op.cit, p.p. 67-68.

(6) كريكمان-جي، المرجع السابق، ص 289.

هذا ما دفع بحاكم اليعاربة الى تقديم تعزيزات عسكرية اضافية لجنوده لتحرير قلعة ممباسا، بسبب تواصل الصمود البرتغالي نتيجة تواطؤ بعض الخونة من الأفارقة السواحليين مع البرتغاليين[1]، غير أن انتشار وباء الطاعون القاتل بين الجنود البرتغاليين داخل القلعة كان سببا كافيا لموت المئات منهم، اضافة الى انتشار العدوى حتى خارج أسوار قلعة ممباسا ما ساهم في اصابة بعض الجنود العمانيين كذلك بعدوى الطاعون القاتل[2].

غير أن ادراك حاكم اليعاربة بضعف البرتغاليين وفشل محاولاتهم في فك الحصار العماني، عدم قدرتهم على المواجهة المباشرة معهم جعل الإمام سيف بن سلطان الأول، يوجه تعليماته النهائية لقائد الحملة العمانية على ممباسا "مبارك بن غريب المزروعي" لفتح القلعة وا إنهاء الحصار المفروض عليها، ليستمر الهجوم العسكري حوالي شهرين كاملين من بداية شهر أكتوبر الى غاية شهر ديسمبر عام 1698م[3]، أين تمكن اليعاربة من خلاله السيطرة على الطريق البري الذي يربط بين مدينة ممباسا وقلعتها، تدمير مركز القيادة البرتغالية في القلعة والمطل على واجهة البحر، لتستلم أخيرا البحرية البرتغالية وقائد الحامية بقلعة ممباسا، الذي تأكد لنا المصادر العمانية المعاصرة على أنه الشيخ داوود زعيم قبيلة فازا الموالي للبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا[4].

بعد سقوط قلعة المسيح بممباسا دخل العمانيون اليعاربة القلعة ووضعوا علم دولتهم الأحمر اللون على برج القلعة، كرمز من رموز الانتصار النهائي وتحرير مدينة ممباسا وقلعتها من الغزو البرتغالي عام 1698م، قد شدد الإمام سيف بن سلطان الأول على ضرورة استكمال سياسة اليعاربة ضد البرتغاليين في منطقة ساحل شرق افريقيا، بتحرير جميع ممالك الساحل مستعينا في ذلك بالقوى المحلية بساحل شرق افريقيا، ليتمكن اليعاربة بعدها من تحرير زنجبار وبمبا وبتة وكلوة الموجودة كلها في القسم الشمالي من ساحل شرق افريقيا، ما عدا مملكة موزنبيق التي بقيت مركزا معزولا للبرتغاليين هناك[5].

---

(1) المغيري، المصدر السابق، ص 194.

(2) Coupland, op.cit, p. 68.

(3) الهنائي، المرجع السابق، ص 14، وأنظر أيضا: الأزكوري، المرجع السابق، ص 113.

(4) السالمي، المصدر السابق، ص 84، وراجع كذلك: جيان، المرجع السابق، ص 324، وأيضا أنظر: لورمير، المرجع السابق، ص 117.

(5) ابن رزيق، الفتح...، المصدر السابق، ص 295، وأنظر كذلك: السالمي، نفسه، ص 84.

كما قام الإمام سيف بن سلطان الأول بتعيين "ناصر بن عبد الله المزروعي" من أسرة المزارعة بعمان حكاكم على مملكة ممباسا، اضافة الى تعينه لأسرة الحارث كحكام على مملكة زنجبار وتعيينه على مملكة بتة حكاما من أسرة النباهنة العمانيين كذلك، تبعت بمبا كذلك في تسيير شؤون حكمها لحاكم ممباسا أيضا، بينما أبقى على المدن الأخرى في الساحل الشرقي لإفريقيا تحت حكم شيوخ القبائل المحليين، المتعاونين مع اليعاربة ضد الغزو البرتغالي هناك، وانضمت مملكة مقديشوا لحكم اليعاربة العمانيين سلميا كذلك، بذلك حكم العمانيون اليعاربة أهم الممالك الإسلامية في ساحل شرق افريقيا خلال بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد[1].

يلخص لنا ابن رزيق سياسة الإمام سيف بن سلطان الأول في تحقيق استراتيجية العمانيين اليعاربة داخليا وخارجيا سياسيا وعسكريا واقتصاديا، سواء في الخليج العربي أو في ساحل شرق افريقيا، بقوله:**(فلم يزل سيف بن سلطان اماما عادلا، منصفا بين الرعية رادا قويهم عن ضعيفهم وأذعنت له القبائل من عمان، وغيرها من الأمصار وحارب النصارى في أوطانهم، وأخرج بعضهم من قراهم، فاستسلم منهم ممباسة والجزيرة الخضراء(بمبا) وبتة وكلوة، وغيرها من البلدان وعمر عمان وأجرى فيها الأنهار وغرس فيها النخيل والأشجار، وقويت عمان به وصارت خير دار)**[2].

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها نستنتج بأن سبب مساعدة حكام اليعاربة العمانيين لمسلمي ساحل شرق إفريقيا، يعود الى عمق العلاقات التجارية والحضارية والدينية الموغلة في التاريخ بين شعبي البلدين، فان اكتفاء العمانيين اليعاربة بالسيادة الاسمية على منطقة ساحل شرق افريقيا من ممالك ومدن سواحلية وإفريقية، لا يعني بالضرورة ما ذهب اليه غيرهم من حكام عمان كالبوسعيديين، الذين حكموا بعدهمو أبو إلا أن تكون السيادة العمانية على منطقة ساحل شرق افريقيا فعلية ومطلقة وليست اسمية فقط[3].

---

(1) عبد الله بن صالح الفارسي، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1982، ص 114، وأنظر كذلك: أحمد محمود المعمري، المرجع السابق، ص 67.

(2) ابن رزيق، المصدر السابق، ص 295.

(3) رودلف سعيد رويتي، المرجع السابق، ص 91.

بهذا انتهى الغزو البرتغالي رسميا من ساحل شرق افريقيا والخليج العربي بفضل قوة اليعاربة البحرية، رغم ارسال القادة البرتغاليين لبعض الحملات البحرية بعد سقوط قلعة المسيح بممباسا لاستعادة المنطقة ككل، لكن هذه الحملات لم تحقق هدفها المنشود على أكمل وجه بسبب طرد البرتغاليين من قبل القوى المحلية في ساحل شرق إفريقيا، بحيث يمكننا القول أن مسألة توفير الأمن والسلم في ساحل شرق افريقيا ظلت رهينة استقرار الأوضاع السياسية في عمان الى حد كبير جدا، خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، فمتى ظلت السلطة السياسية قوية في عمان فان ذلك سينعكس على أمن واستقرار الأوضاع السياسية في ساحل شرق افريقيا.

ان تصفية الوجود البرتغالي من ساحل شرق افريقيا كان له الأثر الهام على حركة انتشار الإسلام بعد قرابة قرنين من الزمن، منتعطل انتشار ه في المناطق الداخلية بإفريقيا بشكل محدود جدا، اضافة الى تدفق الهجرات الخارجية من شبه الجزيرة العربية الى منطقة ساحل شرق افريقيا لكن حلول عام 1698م، كان نقطة التحول في تاريخ انتشار الإسلام هناك عندما استطاعت السلطة العمانية أن تهيئ له الظروف المناسبة والأرضية الخصبة لاشار ه وتركيز دعائمه.

ان أهم شيء ميز الفترة القادمة في ساحل شرق افريقيا هو تدفق الهجرات العربية والإسلامية وزيادة نشاط التجار المسلمين بين عمان وساحل شرق افريقيا، ولعل من بين أهم هذه الأسر العمانية التي هاجرت واستقرت هناك أسرة المراجبة(*) والنبهانيون و الخاتميون واليعاربة والبوسعيديين أيضا، اللذين شهدت فترة حكمهم (البوسعيديين) انتقال العاصمة السياسية لعمان من مسقط الى زنجبار في عهد حاكمهم سعيد بن سلطان أحمد البوسعيدي، لتصبح عمان بعدها امبراطورية بحرية قوية تتودد لخطب صداقتها وودها دول كثيرة من العالم.

(*) المراجبة: هي أسرة عمانية هاجرت الى ساحل شرق افريقيا بعد تصفية الغزو البرتغالي هناك، هي الأسرة نفسها التي ينحدر منها فاتح الكونغو المعروف باسم "تيبوتيب" واسمه الحقيقي هو "حميد بن محمد بن جمعة المرجبي النبهاني"، الذي يرجع اليه الفضل في توحيد الوجود العربي الإسلامي وتأسيسه في الكونغو منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، للمزيد حول باتيبو أنظر السيرة الذاتية له في كتاب بعنوان: حمد بن محمد بن جمعة المرجبي مغامر عماني في أدغال افريقيا(1840م-1905م)، ترجمة محمد المحروقي، منشورات الجمل، ط 02، بغداد، 2006، ص ص 13-15.

الـــخاتـــمـــة:

*اســــــــــــتنتــــــــــــاج وتقيـــــــــــيـــــــــــم:

يتضح لنا من خلال موضوع هذه الدراسة التاريخية التي قمنا بها حول: الجيو -استراتيجية العثمانية والعمانية ودورها في انهاء الغزو البرتغالي بساحل افريقيا الشرقية والبحار الخليجية(1497م-1698م)، العديد من الاستنتاجات الهامة وعرض لبعض المقاربات التاريخية السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية التي نجملها في النقاط التالية:

-بالرغم من الاختلافات السياسية والمذهبية بين الممالك الاسلامية في ساحل افريقيا الشرقية إلا أن وحدة الدين واللغة قد جمعت بينهم، اضافة الى تشابه مظاهر حضارتهم وثقافتهم وهو الأمر الذي شاهده الغزاة البرتغاليون بأعينهم عند وصولهم الى سواحل شرق افريقيا، مع مطلع القر ن العاشر الهجري السادس عشر للميلاد.

-ان استغلال القادة البرتغاليين للصراع السياسي بين حاكم مدينة ممباسا وماليندي وتحالفهم مع حاكم ماليندي لتثبيت وجودهم العسكري في ساحل شرق افريقيا، بذلك أصبحت مدينة ماليندي هي الحليف الاستراتيجي الثاني لمملكة البرتغال في منطقة ساحل شرق إفريقيا بعد مملكة الحبشة النصرانية.

ان انشغال سكان ساحل شرق افريقيا وحكامها بالتجارة والصناعة والصيد البحري وا إهمالهم للتحصينات العسكرية والدفاعية لمواجهة الأخطار الخارجية، لذلك لم يجد البرتغاليون صعوبة تذكر في اخضاع شعوب هذه القبائل والدويلات الاسلامية بساحل شرق افريقيا عند وصولهم.

-ان عدم وجود لحمة سياسية تجمع بين دول ساحل شرق افريقيا ما سبب العديد من النزاعات السياسية والحدودية التي استغلها القادة البرتغاليون لتثبيت أقدامهم في المنطقة، فما حدث بين حاكم مدينة ماليندي وممباسا خير مثال على ذلك، لكن هذا لا ينفي في الوقت نفسه قوة هذه الممالك في مراحل تاريخية مختلفة مثل سيطرة مدينة كلوة ومقديشو وبات على ساحل شرق افريقيا كاملا، رغم اختلاف مذاهبها وتعدد قبائلها التي استوطنت على طول الساحل الشرقي لإفريقيا.

-من خلال المقاربة التاريخية والدراسة السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي قمنا بها حول ظروف دويلات ساحل شرق افريقيا من البحر الأحمر الى المحيط الهندي، قبل غزو البرتغاليين لها لمسنا

اعتراف وإجماع كل القادة العسكريين والمؤرخين والتجار والرحالة البرتغاليين الذين قدموا أو زاروا المنطقة، اتفاقهم على شيء واحد وهو درجة الرقي الحضاري والتمدن الذي وصلت اليه هذه الدول في ساحل شرق افريقيا.

-لقد انتقال مسرح الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين من الحوض الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط الى سواحل افريقيا الشرقية، بسبب الروح الصليبية الانتقامية التي تشبث بها البرتغاليون من أجل السيطرة على مصادر التجارة والذهب ونشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي، فقد أكدت لنا العديد من الكتابات التاريخية للمؤرخين البرتغاليين على أن الغزو البرتغالي، ما هو إلا انتقام من الفتوحات الإسلامية التي كانت في شبه الجزيرة الأيبيرية بشكل مغاير فقط.

-ان منطقة ساحل شرق افريقيا لم تكن هدفا اقتصاديا رئيسيا للبرتغاليين قبل بلاد الهند بل كانت مجرد هدف ديني في بداية الأمر، من خلال تنصير سكان هذه المنطقة وتحويلهم عن عقيدتهم الأصلية سواء كانوا وثنيين أم مسلمين، لكن نظرة البرتغاليين اليها قد تغيرت تدريجيا بعد وصولهم حيث انبهر البرتغاليون كثيرا بثراء المنطقة وغناها وتعدد مواردها الاقتصادية والتجارية الضخمة جدا، لهذا شرعوا منذ وصولهم الى بناء العديد من المراكز التجارية والحربية هناك على طول الشريط الساحلي الشرقي لإفريقيا.

-ان الدافع الديني يعتبر من بين أهم العوامل بالنسبة للبرتغاليين في اطار السياسة الاستعمارية لهم في بحار الشرق، يندرج تحته كل من الدافعين الاقتصادي والإستراتيجي والجيو-سياسي وهذا ما عمد اليه القادة البرتغاليون أنفسهم من خلال تدميرهم للمساجد وتحويلها الى كنائس أو قيامهم كذلك بسياسة تنصيرية واسعة باستخدام أسلوب القوة والعنف، مع محاولاتهم المتكررة للوصول الى الأماكن المقدسة بالحرمين الشريفين لتدميرها، اضافة الى جهودهم الكبيرة كذلك من أجل التحالف مع مملكة القديس جون(يوحنا) ببلاد الحبشة المسيحية.

-بينت لنا هذه الدراسة أن الإمام أحمد بن براهم ارتكب خطأ عسكريا كبيرا من خلال ارجاعه للقوة العسكرية العثمانية، التي استعان بها لمواجهة التحالف الحبشي البرتغالي هناك، الى مدينة زبيد باليمن

عقب الانتصار على البرتغاليين والأحباش مباشرة، حيث أن ارجاعه لهذا الجيش العثماني أدى الى انهيار دولة المسلمين الناشئة في الحبشة.

برهنت الدراسة على دور الدولة العثمانية وا إستراتيجيتها خلال القرن السادس عشر للميلاد الذي كان مشرفا لها، من خلال محافظتها على البحر الأحمر وكسرها لأشكال التحالفات العسكرية والدينية بين الأحباش والبرتغاليين، تؤسيسها لولاية الحبشة في ساحل شرق افريقيا لمساندة ودعم المسلمين هناك.

-ان قيام القادة البرتغاليين بانتهاج أسلوب بناء القلاع والحصون الحربية في اطار سياسة الإستحكامات العسكرية التي بدؤوها في سواحل افريقيا الشرقية والخليج العربي، مثل بنائهم لقلعة سانتياجوا(Castel of Santiago)في كلوة وقلعة فوتيريا(Castel of Feitoria)في سفالة، قلعة ساو سباستياو في موزنبيق(Sao Sabastiao)، قلعة المسيح واليسوع في ممباسا(Fort Jesus) والتي تعتبر من بين أعظم القلاع والحصون في ساحل افريقيا الشرقية، هذا من أجل تأمين أنشطتهم الاقتصادية والعسكرية.

-لقد قام البرتغاليون بانتهاج أسلوب جديد في منطقة ساحل شرق افريقيا من خلال جلبهم للعديد من المستوطنين البرتغاليين والأوروبيين، ما يعتبر بداية لمرحلة جديدة بتشكيل استيطان غير مسبوق من قبل خاصة في مملكة ممباسا، لكون الغزو البرتغالي يعتمد أساسا على التوسع والسيطرة بحرا أكثر من التوسع والإستقرار برا.

-ان الوجود الإسلامي في ساحل شرق افريقيا كان وجودا حضاريا واقتصاديا قام على سواعد المهاجرين والتجار العرب والمسلمين، لم يقم على سياسة التوسع والغزو العسكري لذلك لم يكن لسكان هذه المنطقة القدرات العسكرية الكافية لمواجهة الأخطار الخارجية الكبرى، الأمر الذي سهل على البرتغاليين السيطرة على ساحل شرق افريقيا من جهة، أما من جهة ثانية فان عدم تدخل القوى الإسلامية الكبرى لتقديم يد المساعدة والعون لهم، مثل دولة المماليك بمصر بسبب انشغالها بمشاكلها الداخلية ساهم بشكل غير مباشر في سقوط هذه المنطقة.

-لقد استفاد البرتغاليون كثيرا من الصراع السياسي والعسكري بين القوتين المحليتين الممثلتين في بني جبر والهرامزة بالخليج العربي، بل إنهم كثيرا ما أشعلوا نار الفتنة بين الامارتين مستغلين بذلك تنافسهم على الحدود السياسية الداخلية، في كل من منطقة عمان والبحرين إضافة إلى ذلك فقد وفر البرتغاليون

لأنفسهم الوقت الكثير والجهد الكبير من أجل تجميع قواهم العسكرية لضرب أي تدخل إسلامي سواء كان من جانب العثمانيين أو العمانيين من بعدهم.

-تبين لنا من خلال التحالف البرتغالي-الهرمزي لاحتلال البحرين عام 1521م مدى تفشي ظاهرة التحالف مع العدو البرتغالي لتحقيق مصالح وأهداف شخصية ومحلية من طرف بعض حكام والمشيخات العربية بالخليج العربي والساحل العماني، وعدم قدرة هؤلاء الحكام العرب في الوقت نفسه على التكتل عسكريا وسياسيا لمواجهة الخطر البرتغالي المشترك.

تمكن القادة البرتغاليون من تمزيق القوى العربية والفارسية بالخليج العربي بعد قيامهم بانتهاج سياسة التحالفات العسكرية مع القوى المحلية التي تخدم مصالحهم بالمنطقة، خصوصا بعد تحالف الأمير حسين بن سعيد حاكم عمان معهم من أجل استرجاع نفوذ الجبور في عمان واسترجاع ميناء صحار من ملك هرمز.

-ان الوضع السياسي المتردي في جزيرة هرمز والخليج العربي سهل على الغزاة البرتغاليين تحقيق أهدافهم الاستعمارية، بداية من التنافس الداخلي والأسري بين أسرة الهرامزة على الحكم والسلطة الى غاية وصول السلطة بيد صبي صغير في السن، حكم مملكة كانت تعتبر من بين أقوى الكيانات السياسية التي خضعت لها العديد من الأقاليم في الخليج العربي، هذا الصبي الذي لا يعلم شيئا عن الصراع القائم حوله وهو يعتبر نموذجا أخر من نماذج الضعف التقهقر بالمنطقة.

-مما تقدم ذكره نستنتج بأن البرتغاليين لم يواجهوا قوى سياسية متحدة في جبهة واحدة بل واجهوا أوضاعا سياسية متردية، ومشيخات عربية متطاحنة فيما بينها ما سهل عليهم السيطرة على منابع التجارة الشرقية، بداية من ساحل شرق افريقيا الى غاية الساحل العماني والخليج العربي.

-ان أحوال منطقة الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية لم تختلف كثيرا عن أحوال منطقة ساحل شرق افريقيا، من خلال تحقيق البرتغاليين لمشروعهم السياسي والعسكري والاقتصادي رغم كل الجهود المحلية المبذولة من طرف حكام هذه الممالك الإسلامية لأن التفوق العسكري دائما ما كان لصالح البرتغاليين وحلفائهم من الهرامزة.

-ان تحالف الإمام أحمد بن براهم مع الدولة العثمانية خلال معركة آفلا كان سببا واضحا في نجاح هذه المعركة التي خاضها ضد الأحباش والبرتغاليين في ساحل شرق افريقيا، لكن كان على الإمام أحمد بن براهم ابرام تحالف طويل المدى مع العثمانيين ليضمن سلامة المسلمين في بلاد الحبشة مثل التحالف العسكري الذي أبر مه الأحباش والبرتغاليون هناك.

-يعتبر اعدام بيري ريس يعتبر من بين الأخطاء التاريخية الكبيرة التي وقعت فيها الدولة العثمانية فإن اعدامها لهذا العالم الجغرافي والملاح والقائد البحري للأسطول العثماني، الذي لم تتح له الفرصة حتى للدفاع عن نفسه، فكان من الأجدر بالديوان العثماني هو استدعائه والسماع إليه حول أسباب ودوافع رفعه للحصار البحري، لا الحكم عليه غيابيا وهو مسجون في سجن القاهرة بمصر فليس من المعقول مكافئة مثل هذه الشخصية العظيمة، التي أفنت حياتها في خدمة الأسطول العثماني بمياه البحر الأبيض المتوسط وخليج عدن والخليج العربي بهذه الطريقة البشعة.

-ان الدولة العثمانية اهتمت كثيرا بمنطقة الخليج العربي منذ بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، أين سعت الى ايجاد مكانة لها هناك على الساحة السياسية والاقتصادية والإستراتيجية مع منافسة أقوى الإمبراطوريات الإستعمارية الأوروبية لها خلال تلك الفترة التاريخية والممثلة في مملكة البرتغال.

-بالرغم من خسارة العثمانيين لعدد كبير من قطع أسطولهم البحري في مياه الخليج العربي بداية من حملة بيري ريس وسيد علي ريس بين عام 1552م و1554م، الى انهم ظلوا يواصلون ارسال حملاتهم البحرية الى مياه الخليج العربي، ما يدل على اهتمامهم المتزايد بالمنطقة ومرد ذلك راجع الى مكانة الخليج العربي اقتصاديا واستراتيجيا بدرجة أولى، فتجارة الحرير والتوابل مع بلاد الهند وأقصى شرق آسيا جعلت العثمانيين يطورون من استراتيجياتهم العسكرية والإدارية هناك.

-ان قيام بيلربك الإحساء مصطفى باشا بحملة لغزو جزيرة البحرين كلف العثمانيين خسائر مادية وعسكرية كبيرة جدا، حيث ساهمت هذه الحملة الإرتجالية لبيلربك الإحساء في خروج مناطق عديدة في الخليج العربي عن سيادة العثمانيين، خاصة في العشائر والقبائل الأسرية سواء بالبصرة أو الإحساء أو

القطيف، التي كانت دائما ما تثور في وجه الحكام العثمانيين بدعم وتحرض من القادة البرتغاليين أنفسهم.

-لقد عرفت منطقة الخليج العربي ما بين عام 1559م و1573م أوضاعا سياسية هادئة بين القوتين العثمانية والبرتغالية، كما أن القوتين لم تتقابل بعد ذلك في معارك حربية كبيرة بالبحار الخليجية، حيث قام الطرفان بتنظيم علاقاتهم التجارية والإقتصادية بمياه الخليج العربي بطرق دبلوماسية وسلمية.

-ان البرتغاليين قد تمكنوا من فرض سيطرتهم البحرية عسكريا واقتصاديا في البحار الشرقية والخليجية، على الممثل الوحيد للعالم العربي والإسلامي وهي الدولة العثمانية التي عجزت في مرات كثيرة عن انهاء هذا الغزو الإقتصادي بدرجة أولى والعسكري بدرجة ثانية، في الفترة الممتدة ما بين(1521م-1559م)، ما يعني استحالة هزيمة العثمانيين للبرتغاليين بسبب تكافئ موازين القوى البحرية من جهة، انشغال العثمانيين بحروبهم البحرية في شرق أوروبا وشمال شرق البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى.

-لقد قلل الكثير من الباحثين والمؤرخين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأديانهم من الدور العثماني ضد البرتغاليين خاصة في منطقة الخليج العربي سواء بقصد أو بغير قصد، لكن الحقيقة التاريخية التي أثبتتها لنا العديد من المصادر والمراجع والوثائق الأرشيفية أكدت لنا بأن الدولة العثمانية قامت بجهود كبيرة في منطقة الخليج العربي، خير دليل على ذلك تلك الحملات العثمانية المسخرة لتحرير الخليج العربي بداية من حملة بيري ريس عام 1552م وحملة مراد ريس عام 1553م وسيد علي ريس عام 1554م كذلك، حملة علي ميرال بك عام 1581م الذي انطلق من سواحل اليمن وألحق أضرار بليغة بالبرتغاليين في ميناء مسقط، ليتجه بعدها نحو سواحل شرق افريقيا لنجدة المسلمين هناك، كل هذه الحملات البحرية جندت من أجلها أموال ضخمة وأساطيل وأجناد كبيرة، بحيث يرجع هذا الإهتمام العثماني المتزايد بالمنطقة الى ادراك السلطان سليمان القانوني لفداحة الأضرار السياسية والإقتصادية والدينية التي خلفها الغزو البرتغالي هناك.

-بالرغم من كل تلك النجاحات التي حققها العثمانيون في مياه الخليج العربي إلا أنهم واجهوا صعوبات كبيرة حالت دون تحقيقهم لانتصار نهائي هناك، التي من أهمها بعد القواعد البحرية العثمانية في موانئ

الخليج العربي عن مراكز القوة في البحر الأبيض المتوسط، عدم تمكن العثمانيين من حشد واستنفار وتعبئة القوى المحلية والمشيخات العربية في جبهة واحدة لمواجهة البرتغاليين بسبب استمرار الصراع المذهبي الصفوي-العثماني في الخليج العربي، اضافة الى عدم تعاون بعض العصبيات القبلية وخاصة المشيخات العربية مع الحكام والقادة العثمانيين لمقاومة السلطة البرتغالية هناك، سواء في هرمز والقطيف والإحساء وحتى في البحرين، ما ساهم في نجاح البحرية البرتغالية في كسر الحملات العثمانية في كل مرة.

-لقد أحدث ابن ماجد ثورة كبيرة في تطوير علوم الملاحة البحرية بعمان والخليج العربي والمحيط الهندي والبحار والخلجان المتصلة به، بتقديمه للعلوم النافعة في النواحي الجغرافية والمناخية والفلكية والتي ساعدت على اختصار طرق الملاحة البحرية، كما أبعدت السفن البحرية العمانية عن المواقع الخطيرة مما ساهم في ازدهار حركة التجارة البحرية بين موانئ عمان والخليج العربي والمحيط الهندي، سهل حركة الإتصال البحري بين قارات العالم الثلاثة(أسيا-افريقيا-أوروبا)، فانه يحق للعمانيين أن يفتخروا بهذه الشخصية العلمية والجغرافية وما تركته من تراث مادي مكتوب أو مصنوع، الذي ساهم في تطوير الملاحة البحرية لدولة اليعاربة.

-ان الاتصال المبكر للعمانيين بساحل شرق افريقيا قد ساعد على وجود هجرات منتظمة للقبائل العربية والعمانية، حيت اتخذ بعضها خيار الهجرة اما لدوافع سياسية أو لدوافع تجارية أو لدوافع تلقائية، هو الأمر الذي ساعد على ظهور مجتمعات افريقية وعربية مسلمة على طول الشريط الساحلي لشرق افريقيا.

-لم يكن الوجود العماني في شرق افريقيا فجائيا أو مباشرا بل مر بمراحل متتابعة فقد توطدت الصلات بين عمان وساحل شرق افريقيا، بفعل الصلات التجارية ونتج عن ذلك التواصل قيام التجار العرب بتأسيس مراكز ثابتة على طول سواحل وجزر شرق افريقيا.

-لقد ساعدت عدة عوامل على استقرار وتوطين العرب في ساحل شرق افريقيا من أبرزها عدم وجود تنظيمات قبلية متماسكة للوقوف في وجه الهجرات العربية أو التصدي لها، الأمر الذي سهل على

العرب الاستقرار وبناء الوحدات التجارية التي تحولت فيما بعد الى مراكز سياسية واجتماعية مؤثر في ساحل شرق افريقيا.

-لقد ساهمت قلة العنصر البشري في تدهور النفوذ البرتغالي بمستعمرات الشرق تدريجيا فلم يزد عدد الجنود البرتغاليين المجندين منذ قدومهم الى البحار الشرقية والخليجية عن 10 ألاف مقاتل خلال القرن السادس عشر للميلاد، مقارنة باتساع مستعمراتهم وكثرة قلاعهم الحربية ومراكزهم التجارية وأساطيلهم البحرية هناك، الأمر الذي جعل البرتغاليين يجدون صعوبة كبيرة في ادارة كل هذه الإمكانيات العسكرية والمناطق الجغرافية، نظرا لما يملكونه من نقص في الأفراد وما يحتاجون اليه من الجنود العاملين في الخدمة البحرية والملاحة والإدارة العسكرية.

-ان بعض الباحثين والمؤرخين لتاريخ الخليج يعتبرون بأن نهاية السيطرة البرتغالية على جزيرة هرمز عام 1622م، هي بمثابة بداية النهاية للوجود البرتغالي في الخليج ككل لكن العكس صحيح، حيث أن البرتغاليين حولوا وجودهم السياسي والاقتصادي والعسكري فقط من جزيرة هرمز الى سواحل عمان، مطورين بذلك قلاعهم الحربية وتحصيناتهم العسكرية بمسقط ومطرح، أين خسر البرتغاليون تحت حكم التاج الإسباني ثاني أكبر مراكزهم الاقتصادية والسياسية بالخليج العربي بعد خسارتهم الأولى لجزيرة البحرين بالخليج العربي عام 1602م.

-ان تحقيق الوحدة السياسية بين مناطق عمان الداخل لم يكن بالشيء الهين والسهل بالنسبة للإمام ناصر بن مرشد اليعربي، من خلال ما وجده هذا الإمام من صعوبات جمة في اخضاع العديد من القبائل والعشائر، التي اعتادت على عدم الخضوع لسلطة مركزية واحدة خاصة في مواجهة دولة اليعاربة لقوات بني جبر العنيدة جدا.

-ان نهاية الصراع السياسي-المذهبي بين دولة الجبور واليعاربة قد شكل محور اختلاف العديد من المصادر العمانية، حول تحديد الطرف المنتصر في نهاية النزاع من جهة وكذلك في كيفية انتهاء هجومات الجبور ضد دولة اليعاربة بعمان من جهة أخرى، ما يطرح العديد من التساؤلات التاريخية حول حقيقة استقاء الأحداث التاريخية من طرف مؤرخي تلك الفترة، كما أن تجدد صراع السياسي-المذهبي

بين دولة اليعاربة مع دولة الجبور بعمان الداخل، قد أعطى مجالا واسعا للبرتغاليين لإعادة تجهيز أنفسهم وبناء حصونهم واسترداد قلاعهم، التي خسروها حول مسقط كصور وقريات.

-لقد شكل طرد البرتغاليين من ساحل عمان ومسقط الدافع والحافر لنقطة انطلاق اليعاربة خارج حدود عمان، من خلال استجابة دولة الإمام سيف بن سلطان الأول لمطلب مسلمي ساحل شرق افريقيا وعلى رأسهم ملوك مملكة زنجبار وبتة.

-لقد ادرك اليعاربة ضرورة تطوير أسطولهم البحري وتجديده والذي يعتبر سر نجاحهم في اكمال معاركهم ضد البرتغاليين بساحل شرق افريقيا والخليج العربي، لأن أسلوب الصراع بين الطرفين هو صراع بحري بدرجة أولى، لذلك أخذ اليعاربة يدعمون ويعززون أسطولهم البحري بجلب الأخشاب من الساحل الغربي للهند، صنع الأشرعة في صحار وبناء السفن في مطرح وصور وتطوير نمطها وفق الطراز الأوروبي الحديث.

-من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها يمكننا القول بأن حملة العمانيين على مملكة بتة عام 1679م هي من بين أهم الحملات العسكرية في ساحل شرق افريقيا، حيث تجسدت فيها مظاهر التفاهم والتعاون العسكري والديني بين البحرية العمانية وبين مسلمي مملكة بتة، الذين اتحدوا في جبهة واحدة موحدة ضد الغزو البرتغالي هناك، لتعبر هذه المعركة في الوقت نفسه عن عمق العلاقات الموجودة بين الشعبين، عكس ما تروج له بعض الكتابات الغربية على أساس أن العلاقة الموجودة بين الشعبين هي علاقة تجارية واقتصادية بحتة.

-ان سبب مساعدة الحكام اليعاربة لمسلمي ساحل شرق افريقيا يعود الى عمق العلاقات التجارية والحضارية والدينية الموغلة في التاريخ بين شعبي البلدين، فان اكتفاء العمانيين اليعاربة بالسيادة الاسمية على منطقة ساحل شرق افريقيا من ممالك ومدن سواحلية وإفريقية، لا يعني بالضرورة ما ذهب اليه غيرهم من حكام عمان كالبوسعيديين، الذين حكموا بعدهم وأبو إلا أن تكون السيادة العمانية على منطقة ساحل شرق افريقيا فعلية ومطلقة وليست اسمية فقط.

-ان مسألة توفير الأمن والسلم في ساحل شرق افريقيا ظلت رهينة استقرار الأوضاع السياسية في عمان الى حد كبير جدا، خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، فمتى ظلت السلطة

السياسية قوية في عمان فان ذلك سينعكس على أمن واستقرار الأوضاع السياسية في ساحل شرق افريقيا.

-ان تصفية الوجود البرتغالي من ساحل شرق افريقيا كان له الأثر الهام على حركة انتشار الإسلام بعد قرابة قرنين من الزمن، من تعطل انتشاره في المناطق الداخلية بإفريقيا بشكل محدود جدا، اضافة الى تدفق الهجرات الخارجية من شبه الجزيرة العربية الى منطقة ساحل شرق افريقيا لكن حلول عام 1698م، كان نقطة التحول في تاريخ انتشار الإسلام هناك، عندما استطاعت السلطة العمانية أن تهيئ له الظروف المناسبة والأرضية الخصبة لانتشاره وتركيز دعائمه.

-لقد أوضحت الدراسة التي قمنا بها أن السيطرة على السواحل الإسلامية في شرق افريقيا والخليج العربي تتطلب قوة بحرية كبيرة، بسبب الطبيعة البحرية لتلك المناطق لذلك نجح البرتغاليون في السيطرة على تلك المناطق انطلاقا من تفوقهم البحري، في الوقت الذي شهد ضعف وهشاشة البنية السياسية للشعوب الإسلامية المستعمرة، إلا غاية بروز دولة اليعاربة العمانيين وتفوق قوتهم البحرية.

-لقد أثار الغزو البرتغالي انتباه القوى الأوروبية الأخرى على ثروات منطقة الخليج العربي وساحل شرق افريقيا، من خلال توافد الهولنديين والإنجليز هناك ومنافستهم للبرتغاليين، مما أضعف وجودهم السياسي والاقتصادي في تلك المناطق، كما بينت الدراسة أن الإنجليز والهولنديين لم يتدخلوا يوما في الصراع الدائر بين العمانيين والبرتغاليين وظلوا متمسكين بالحياد الذي يخدم مصالحهم، بل انهم كثيرا ما تعاطفوا ضمنيا مع اليعاربة العمانيين، لأن اضعاف البحرية البرتغالية أو القضاء عليها يخدم مصالحهم الاقتصادية والسياسية.

-لقد بينت لنا هذه الدراسة بأن منطلق العمانيين في تصفية الوجود البرتغالي لم يكن بهدف نشر المذهب الإباضي خارج عمان سواء في الخليج العربي أو في ساحل شرق افريقيا، لكون الأئمة العمانيين لم يبينوا روح الحماس المذهبي عكس ما بينوا روح الجهاد البحري والمرتبط بالدين الإسلامي ضد الدين المسيحي فقط، الدليل على ذلك مشاركة العمانيين بمختلف مذاهبهم الدينية في محاربة البرتغاليين سواء كانوا أصحاب المذهب السني أو الإباضي.

كل هذه الاستنتاجات والتقييمات التي توصلنا اليها في بحثنا هذا والتي لا نعتبرها أحكاما نهائية، وأراء قطعية فهي حصيلة أولية لدراستنا لموضوع الاستراتيجيات العثمانية والعمانية في ساحل افريقيا الشرقية والبحار الخليجية ضد الغزو البرتغالي ما بين (1497م-1698م)، التي تعد مساهمة متواضعة، فهي مقاربة تاريخية للواقع السياسي والعسكري والاقتصادي في ظل الصراع الديني بين الشرق والغرب، لذلك فهذا البحث يتطلب الإثراء والتعمق ويستوجب النقاش والتباحث من طرف كل الباحثين المهتمين بتاريخ الخليج العربي وساحل شر افريقيا، بحيث تشكل هذه الدراسة المنطلق والنواة لدراسات مستقبلية معمقة في هذا المجال التاريخي الهام والشيق.

الـــمـــلاحــــــق:

قائمة الملاحق:

الملحق رقم 01: رسالة من الديوان العثماني إلى قائد أسطول السويس بيري ريس يوم 05 نوفمبر 1552م.

الملحق رقم 02: رسالة من حاكم مدينة البصرة قباد باشا إلى حاكم مدينة بغداد وديار بكر يوم 05 نوفمبر 1552م.

الملحق رقم 03: رسالة من الديوان العثماني إلى أمير أمراء مدينة بغداد والتي يخبره فيها عن مختلف الأسلحة والأموال التي سوف تصله من طرف حاكم ديار بكر، عليه أن يسلمها بدوره إلى أمير أمراء مدينة البصرة قباد باشا.

الملحق رقم 04: رسالة من السلطان العثماني الى قباد باشا والي البصرة عام 1552م.

الملحق رقم 05: الرسالة التي أرسلها الديوان العثماني إلى الوزير محمد باشا لتحرير جزيرة البحرين عام 1559م، بعد حملة بيلربك الإحساء "مصطفى باشا" وغزوه لجزيرة البحرين التي يحكمها القائد العثماني مراد شاه.

الملحق رقم 06: رسالة من الديوان العثماني الى أمير الإحساء يبين له موافقته على بناء قلعة في ميناء عقاقير، نظرا لما سوف توفره هذه القلعة للبحرية العثمانية من استقرار وأمن وحماية ولسفن التجار المسلمين كذلك، ما سوف تدره من أموال ترجع بالفائدة على خزينة الدولة العثمانية.

الملحق رقم 07: رسالة من السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال الدون جوان الثالث عام 1544م.

الملحق رقم 08: رسالة من السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال الدون سيباستيان عام 1564م.

الملحق رقم 09: رسالة من القائد سلمان ريس الى السلطان سليم الأول يشرح فيها ظروف الصراع البحري بين الأسطول العثماني والبرتغالي بمياه جدة وعدن والبحر الأحمر عام 1517م.

الملحق رقم 10: رسالة من السلطان العثماني الى حاكم جزيرة البحرين بالخليج العربي أحمد خان حول مدافع أسطول حملة سيد علي ريس الذي تحطم في مياه المحيط الهندي.

الملحق رقم 11: وثيقة التقسيمات الإدارية الجديدة التي استحدثها النظام العثماني بالخليج العربي في ولاية البصرة عام 1572م.

الملحق رقم 12: رسالة من السلطان العثماني الى حاكم مدينة سورات بالهند رجب خان يطلب فيها منه الاحتفاظ بأسطول سيد علي ريس بسورات مع امكانية استرداده مرة أخرى.

الملحق رقم 13: رسالة من السلطان العثماني الى حاكم ايالة الحبشة في ساحل شرق افريقيا.

الملحق رقم 14: أمرية من السلطان سليمان القانوني بتعيين أوزدمير باشا واليا على امارة الحبشة عام 1555م.

الملحق رقم 15: رسالة من السلطان العثماني كرد على رسالة حاكم الحبشة عام 1582م حول الملك الحبشي البحر نجاشي وقائد جيشه ذوزماتش.

الوثيقة رقم 16: خريطة للدويلات والممالك الاسلامية في ساحل شرق افريقيا.

الملحق رقم 17: خريطة توضح معارك دولة اليعاربة ضد البرتغاليين عام(1656م-1730م).

الملحق رقم 18: تحرير اليعاربة لعمان الساحل من البرتغاليين انطلاقا من جلفار الى رأس الحد عام (1632م-1650م).

الملحق رقم 19: وثيقة معاهدة الهدنة بين العمانيين والبرتغاليين والمؤرخة في: 1648/10/30م.

الملحق رقم 01: رسالة من الديوان العثماني إلى قائد أسطول السويس بيري ريس يوم 05 نوفمبر 1552م[1].

التاريخ: 8 ذي القعده سنة 959 هـ

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: بيري رئيس

المحتوى: حكم من السلطان العثماني إلى بيري رئيس قبطان الهند يعرض فيه ما أنجزه بيري رئيس من حصار هرمز وفتح بعض القلاع التابعه للبرتغال، كما يذكر عدد السفن التي بحوز ته ثم يأمر السلطان العثماني قبطانهيو ي رئيس بأن يحسن التصرف فيما تحت يديه من الاسطول وأن يمكث في البصره في فصل الشتاء إذا أمكن كما يأمره بأن يبقى بعض قطع الاسطول في البصره إذا أمكنه ذلك، كما يخبره السلطان أنه أمر والي البصره قوباد باشا بأن يجهز اسطول بيري رئيس بما يحتاجه من زخائر و مؤن ورواتب حتى لا يكون جنود الاسطول في أزمه.

---

(1) Koguslar, 888, 487b-488.
نقلا عن: محمود محمود خليل، وثائق بحرية عن قابودان السويس والدور العثماني في مواجهة البرتغاليين(الخليج العربي-الجزيرة العربية-ولاية الحبشة-المحيط الهندي-المغرب العربي)، ج 01، الأكاديمية المصرية للتراث والتاريخ والفنون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010، ص 204، وأنظر كذلك: الكندري، المرجع السابق، ص 74.

[illegible]

ترجمة الوثيقة رقم 01:

وثيقة رقم (64)

الحكم الصادر إلى قبطان الهند بيرى رئيس

أرسل أمير أمراء البصرة وجزاير الحالي "قوباد باشا" خطاباً يخبر فيه بأنك وصلت لسواحل مدينة هرمز بأربعة وعشرين سفينة قادرغه وأربعة سفن باشدارده، وحاصرت قلعة الكفار الملاعين، وبينما كنت آتيا في الطريق، فتحت إحدى قلاع الكفار، وقتلت بعض محاربيها، واستخدمت الآخرين في أعمال التجديف على السفن، وأنك طلبت رواتب الجند الآتين معك بدءاً من نهاية ذي الحجة، وكيفما قلت فهو معلوم لدى.

فليكن وجهك أبيضاً .فقد كلفتك بهذه الخدمة نظراً لكفاءتك بكل صورة، واعتمادي الهمايوني على حسن تصرفك فلو كان تشتية الاسطول الهمايوني في البصرة ممكنة فعليك أن تشتى بها، وقد أرسلت حكماً همايوني إلى قوباد باشا بأن يجهز ز خائر ورواتب العسكر الذين معك، وألا يجعلهم في أزمة. لكن بعد فتح هرمز سيكون هناك احتمال بأن يلحق العدو الضرر بالاسطول والعسكر بسبب المكث في البصرة، فعليك أن تؤمن وصول الاسطول والعسكر سالمين مع حلول الموسم.

وبناء على العرض المرفوع من قوباد باشا بضرورة بقاء بعض قطع الاسطول في البصرة، ففي الأصل أن هذا الاسطول أرسل من أجل إنجاز تلك المصلحة، فبعد بحث مسألة هرمز، لو كان مناسباً ترك عشرة قطع والذهاب بالباقي عليك أن تفعل ذلك وأن ترفع عرضاً مفصلاً بذلك وكيفما يكون أمري الشريف، عليك أن تعمل بموجبه، وألا تغفل عن الأعداء الدناه وأن تحذر من فقد المهمات والعسكر، وأن تتشاور مع قوباد باشا وتبحث معه خصوص البقاء في البصرة. وكيفما يكون الأولى والأنفع عليك أن تعمل به، ولو كان المجئ لجانب مصر ضرورياً عليك أن ترفع عرضاً بذلك. خلاصة القول كيفما يكون المناسب في الدولة الهمايونية فلتعمل بمقتضاه.

الملحق رقم 02: رسالة من حاكم مدينة البصرة قباد باشا إلى حاكم مدينة بغداد وديار بكر يوم 05 نوفمبر 1552م [1].

(1) Koguslar, 888, 487b-488a. نقلا عن: الكندري، المرجع السابق، ص 73.

ترجمة الوثيقة رقم 02: رسالة من الديوان العثماني إلى بكلربك مدينة ديار بكر من أجل إرسال النحاس والرصاص والأموال إلى حاكم مدينة بغداد، الذي بدوره سوف يقوم بإرسالها إلى قباد باشا حاكم مدينة البصرة بالعراق(1).

وهذا أيضا أعطي للمذكور مصطفى في اليوم المذكور [٥ نوفمبر ١٥٥٢م]
الحكم [الموجه] إلى أمير أمراء دياربكر

أرسل قباد باشا حاليا رسالة يعرض علينا بأن قبودان الهند مع الأسطول السلطاني المرسل من مصر دخل ميناء هرمز بأربع عشرين قطعة قادرغه وثلاث سفن [من نوع] بارجه ، وتم بالفعل محاصرة القلعة المذكورة ، والعساكر القادمة مع الأسطول بحاجة إلى رواتبهم من بعد نهاية [شهر] ذي الحجة بطريق القرض .

والآن رسمنا بأنه عند وصول حكمنا الشريف بأن تخرج من خزينة دياربكر ٢٠٠٠٠ ألتون وتضعها في كيس (در كيسه) ، وأن ترسلها مع شخص أمين إلى أمير أمراء بغداد ، ليرسلها [من جانبه] إلى البصرة . وعليك أن تنبه على الشخص المرسل مع الذهب (التون) بأن يأتي بالأخبار الصحيحة من تلك النواحي عند الوصول ، وفي حالة عودة الأسطول السلطاني من جديد إلى مصر يحمل معه الذهب ، وفي حالة عدم خروجه يعود الذهب ويسلّم إلى خزينة دياربكر .

وإذا كانت خزينة دياربكر بحاجة إلى ذهب بدل [الكمية المذكورة] فعليك أن تعرض علينا ذلك ليتم إرسال عوضا عنه من الخزينة العامرة . كما صدر أمر في وقت سابق بإرسال بعض الرصاص والنحاس وبنادق (توفنك) وأسلحة ، وفي رسالة أمير أمراء البصرة أخبرنا بأن الأسلحة لم تصل بعد ، كما لم يصله بعد العشرة مدافع (ضربزن) والخمسين قنطار من الرصاص ، ونوّه بأن الأسلحة والرصاص ستستخدم في الجزائر وهناك حاجة [ماسة] لها .

وعليك أن توضح نوعية ومقدار الأسلحة المرسلة – إن كانت قد أرسلت – وتاريخ الإرسال ، وعليك أن تقيد ذلك في سجل (دفتر) وأن ترسل صورة من السجل إلي قباد باشا المشار إليه مع فرماننا الشريف وتسلمها للشخص القادم، وأن

(1) غوشلر 888، ص 489، نقلا عن: الكندري، المرجع السابق، ص 54.

ترسل صورة منه إلى ديواننا (سده سعادتمه) . وإذا لم يتم إرسال الأسلحة [بموجب] أمرنا الصادر فعجل في إيصالها ، كما [عليك أن] توصل الذهب بصورة أمينة وسالمة وأن تتجنب أخطار الطريق . وعليك أن ترسل خمسمائة قطعة من البنادق (توفنك) الموجودة أمانة في خزينة آمد إلى أمير أمراء بغداد ، ليقوم بدوره بإيصالها إلى أمير أمراء الجزائر والمدينة .

الملحق رقم 03: رسالة من الديوان العثماني إلى أمير أمراء مدينة بغداد يخبره فيها عن الأموال والأسلحة(المواد اللازمة)، التي سوف تصله من طرف حاكم ديار بكر، عليه أن يسلمها بدوره إلى أمير أمراء مدينة البصرة قباد باشا [1].

---

(1) Koguslar, 888, 487b-488. نقلا عن: الكندري، المرجع السابق، ص 75.

ترجمة الوثيقة رقم 03:

ا

وهذا أيضا أُعطي للمذكور مصطفى في اليوم المذكور [٥ نوفمبر ١٥٥٢م]
الحكم [الموجه] إلى أمير أمراء بغداد وأمير (سنجاق بك) وجعفر ناظر الأموال

أرسل حاليا قباد باشا رسالة يخبرنا بأن الأسطول القادم من مصر مع قبودان الهند جاء وحاصر مدينة هرمز ، وأنهم دفعوا مرتبات (علوفة) لغاية أواخر ذي الحجة ، وهم بحاجة إلى أموال .

والآن ضع ٢٠,٠٠٠ التون [أي ذهب] من خزينة ديار بكر إذا توفر المبلغ في كيس وأرسلها إلى بغداد ، هذا أمرنا الشريف الذي أُرسل إلى بكلر بك ودفتر دار ديار بكر .

وأمرنا بأنه إذا وصلت الأموال إلى بغداد ، وإذا جاء شخص من قبل أمير أمراء البصرة لطلب الذهب [أو الأموال] للعساكر الموجودة في الأسطول ، فعليك أن تخرجها من خزينة بغداد وترسلها أمينة وسالمة . والذهب القادم من ديار بكر فضعه مكان هذه [في الخزينة] ومثل ذلك عليك إرسال المعدات والمواد الغذائية وكل ما هو لازم ، ومن أجل إرسال المواد اللازمة إلى بغداد فقد أرسل حكما الشريف إلى بكلر بك ديار بكر .

الملحق رقم 04: رسالة من السلطان العثماني الى قباد باشا والي البصرة عام 1552م[1].

الوثيقة رقم: 66

دفتر المهمة – الديوان الهمايوني: رقم 888 ص 487 حكم 488

التاريخ: 18 ذي القعدة سنة 959 هـ

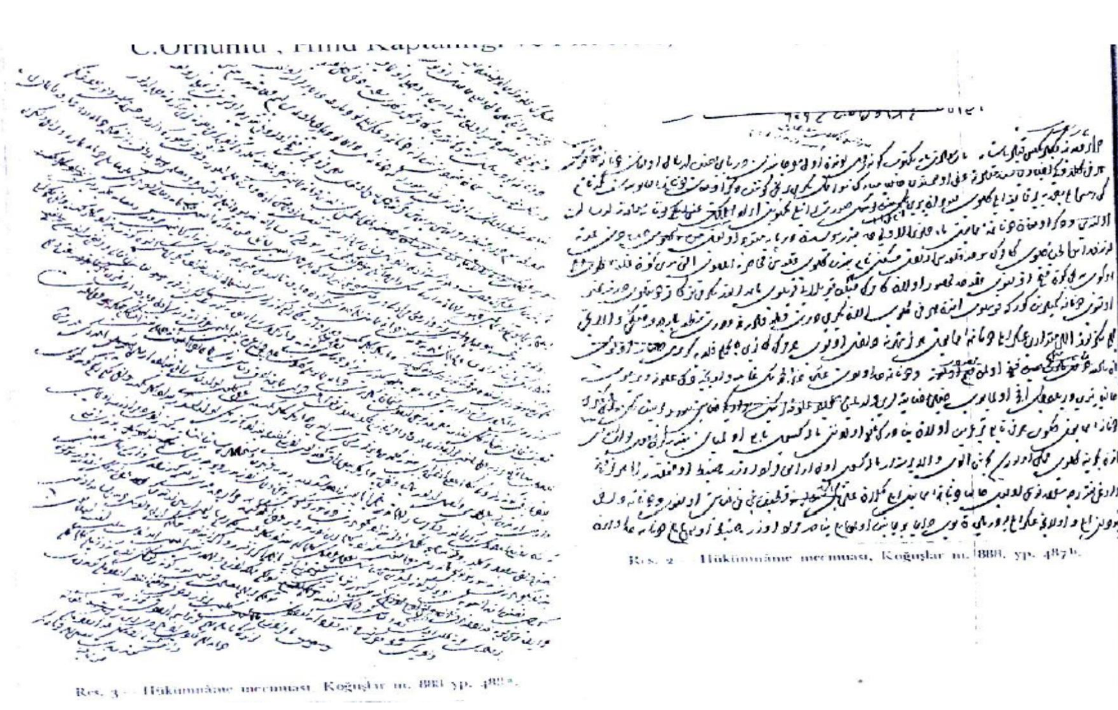
الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: أمير البصره

المحتوى: حكم من السلطان العثماني إلى قوباد باشا والي البصره يعرض فيه السلطان ما جاء على لسان قوباد باشا في خطابه السابق للسلطان عن أحوال رحله بيري رئيس ومعاركه مع البرتغاليين وسبيله في محاولة فتح هرمز، ثم يسأل السلطان والي البصره عن أحوال خزينته هل قادرة على صرف مرتبات لجنود اسطول بيري رئيس وهل في استطاعته تحمل أعباء المؤن والذخائر وكذلك يسأله هل وجود الاسطول في البصره في فصل الشتاء أفضل أمر رحيله أفضل على والي البصره أن يختار ما هو أفضل لمصلحة الدولة، كما يخبره أن والي ديار بكر سوف يرسل 20.000 قطعه ذهبيه إلى بغداد ومنها إليه من أجل النفقه، كما يخبره أن في حالة فتح هرمز على والي البصره أن يعين القائد على القادم مع الاسطول على سنجق القطيف، كما عليه اليقظه في حراسه ولايته من البرتغاليين وتجهيز البقسماط والذخائر للأسطول.

---

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 209.



Res. 2 – Hükümnâme mecmuası, Koğuşlar nr. 888, yp. 487b.

Res. 3 – Hükümnâme mecmuası, Koğuşlar nr. 888 yp. 488a.

ترجمة الوثيقة رقم 04:

وثيقة (66)

الحكم الصادر من أمير أمراء جزاير ومدنية البصرة "قوباد باشا"

أرسلت خطابا إلى الباب الذي مآبه السعادة عرضت فيه الآتي: وصلت إلى البصرة سفينة (قاليته) محمد باشا الذي حمل خطاب من "بيرى رئيس" يخبر فيه عن وصول الأسطول الهمايوني الذي أرسل من جانب مصر إلى بحر الهند إلى البصرة في 21 شوال مبارك جاء فيه أن الأسطول الهمايوني أبحر من ميناء السويس في شهر جمادي الأولى (959هـ)، ومر من جده إلى مدينة عدن ورأس الحد، ووصل إلى الميناء المعروف بـ"مسقط" الذي يعد قلعة حدودية للبرتغاليين، وحاصر بيرى رئيس القلعة، اطلق علها المدافع ست أو سبع أيام، وفي اليوم السابع فتحها، وهدم القلعة المتحصن داخلها الكفار، وأسر 128 من البرتغاليين الموجوديين داخلها، وقيدهم بالسلاسل، وسخرهم في اعمال التجديف على السفن، ثم توجه منها إلى هرمز حتى دخل الاسطول الهمايوني المكون من 24 سفينة "قادرغة"، وأربعة سفن بارجة وعلى متنه 850 جندي جميعهم محاربين ومسلحين لمدينة هرمز، التي تحصن الكفار في قلعتهما.

وا ٍن شاء الله تعالى من المقرر فتحها، وتقاضي العساكر الموجودين في الإسطول الرواتب حتى نهاية شهر ذي الحجة، والآن لا توجد أموال إضافية لأعطائها لهم، فهناك أزمة كبيرة في هذا الأمر.

والآن، بقدر ما تكون ذخائرهم ورواتبهم حتى يصل الاسطول الهمايوني إلى ولاية البصرة؟ فهل تسمح خزينة ولاية البصرة بتوفير ذخائر ورواتب هؤلاء العسكر المذكورين، وهل هناك خبر لدى أمراء تلك الديار عن مجيئ الاسطول الهمايوني، فبناء على اعتمادي الهمايوني على حسن التدبير والصبر الوفير فوضت رأيك الصائب في تجهيز كافة المهمات وأمرت بالآتي: عليك أن تتباحث الأمر مع قبطان الهند المشار إليه، عما إذا كان بقاء الإسطول في تلك الديار بعد انهاء مصلحة هرمز أفضل أم العودة لمكانه مع حلول الموسم أفضل، فكيفما يكون الأنسب، عليك أن تعمل به. لكن عليك اتمام التجهيز، وأن تظهر جميع أنواع المساعي بخصوص الهمايوني ولوازمه وعساكره، وأن تجهز الذخائر لإمكانية بقاء الجيش الآتي على متن الاسطول الهمايوني إلى البصرة. وألا تجعله يواجه الإحتياج أو يقع في أزمة.

وقد أرسلت حكمي الشريف إلى أمير أمراء ديار بكر ودفترداره بأنه يلزم إرسال 20.000 ذهبية إلى بغداد، وأرسلت حكماً شريفاً أيضاً إلى أمير بغداد فحواه: لو وصل الأسطول الهمايوني إلى البصرة قبل وصول الخزينة من ديار بكر، فلترسل الأموال من خزينة البصرة بطريق القرض، بدلاً من الأموال التي سترسل من ديار بكر. ولو تيسر فتح هرمز بعناية الله تعالى، عليك أن

تعين على دام عزه– الذي هو من أمراء السناجق المتناوبين في مصر، والقادم مع الأسطول الهمايوني– على سنجق القطيف بناء على عرضك، وأن تكلفه بإدارته وعرضت بأنه أخبرك بأن بعض المهمات العسكرية أرسلت إليه ولكن لم تصل بعد.

والآن جاء عرض من أمير أمراء ديار بكر أعلم فيه بأنهم أرسل المهمات التي صدر الأمر بإرسالها إلى بغداد. فسوف تصل. والآن لما صار لازماً إرسال بعض المهمات من ديار بكر، صدر الأمر بإرسالها إلى بغداد وأرسلت حكماً شريفاً أيضاً إلى أمير أمراء بغداد بألا يؤخر سواء المهمات العسكرية أو سائر اللوازم لك، وأن يرسلها إليك. وكنت قد طلبت بضرورة إرسال 400 جندي نوبتجي من إنكشارية بغداد وبناء على مجئ عرضك، حرر حكم شريف إلى أمير أمراء بغداد بناء على عرضك وأرسل إليك حيث كلف بتقييد 400جندي نوبتجي في جزاير، وإذا كان هناك جند كثيرين فليقيد 200 جندي، وليكلفهم بالمهام.

وختاماً، عليك إنجاز المهام في المملكة حتى لا تعطي الفرصة للعدو غفلة، وأن تجد وتسعى في حفظ وحراسة الولاية، وعندما يأتي الاسطول الميري، عليك أن تجهز البقسماط والزخائره. وألا تجعلوا يتعرض للأحتياج أثناء المسير. وأرسل إليك حكمي الشريف المحرر إلى قبطان الهند "بيري" دام عزه، عليك أن تعلمه سواء بالوصول إلى البصرة أو العودة مع حلول الموسم بعد انهاء المصلحة، فكيفما يكون الأنسب عليك أن تعمل به.

<u>الملحق رقم 05</u>: الرسالة التي أرسلها الديوان العثماني إلى الوزير محمد باشا لتحرير جزيرة البحرين عام 1559م، بعد حملة بيلربك الإحساء "مصطفى باشا"وغزو ه لجزيرة البحرين التي يحكمها القائد العثماني مراد شاه [1].

دفتر الأمور المهمة رقم 3 ، ص258 ، رقم الأمر 747

(1) الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 03، ص 258، رقم الأمرية 747، نقلا عن: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص 38.

ترجمة الوثيقة رقم 05:

ترجمة الوثيقة رقم 3 ، ص258 رقم الأمر 747 .

إلى الوزير محمد باشا :

فقد بلغني أن أمير الأحساء (محمد) قد خرج بعساكره قاصداً جزيرة البحرين بدون أمر مني في هذا وذلك بغرض الاستيلاء على قلعة الرئيس مراد حاكم البحرين مما دعا الرئيس مراد إلى الاستنجاد بالكفار والاستعانة بهم عليه وقد ترتب على ذلك استيلاؤهم علـــى ســـفن أهل الإسلام وإقامتهم في جزيرة أتالي وقد وصلتنا رسالة من المذكور بهذا الصدد وقد كنت أبلغت أمير البصرة بهذا العلم ، وقد صدر الأمر السامي بما هو أت :

إنشاء السفن وتجهيزها وإرسالها إلى هناك على وجه السرعة وسيصـــلك أمرنـــا إلـــى المالية بهذا الخصوص ومرسل طيه الرسالة التي جاءتنا بهذا الصدد من المذكور " والمشار إليه وقد أمرنا بما هو آت :

من أجل إتمام بناء السفن وتجهيزها بالمهمات والمعدات على أكمل وجه وأتم ســـرعة خذ من خزينة مصر مائتي ألف ذهب وأرسل منها مائة ألف إلى المذكور .

وقد صدر أمرنا كذلك إلى أمير رودس بفعل الشيء نفسه .

- دفتر الأمور المهمة رقم 3 ، ص258 ، رقم الأمر 747

الملحق رقم 06: رسالة من الديوان العثماني الى أمير الإحساء يبين له موافقته على بناء قلعة في ميناء عقاقير، نظرا لما سوف توفره هذه القلعة للبحرية العثمانية من استقرار وأمن وحماية لها ولسفن التجار المسلمين كذلك، ما سوف تدره من أموال ترجع بالفائدة على خزينة الدولة العثمانية[1].

دفتر المهمة رقم 3 ، ص381 ، حكم : 1129

دفتر المهمة رقم ٣ ، ص ٣٨١ ، حكم: ١١٢٨،١١٢٩

(1) دفتر الأمور المهمة رقم 03، ص 381، رقم الأمر 1129، نقلا عن: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص 40.

ترجمة الوثيقة رقم 06:

أمرنا إلى المشار إليه : أمير الأحساء .

فقد وصلنا دفتراً موثقاً من قبلك ذكرت فيه أن بناء قلعة في ميناء عقاير الواقعة بقــرب الأحساء أصبح من الأهمية والضرورة بمكان .

وذلك لقيام العرب الخارجين والمنشقين بالفساد في الأرض والإغارة علــى المــوانئ وسفن التجار القادمين إليها مما ترتب عليه إلحاق الضرر بالمال العام .

وبناء قلعة في المكان المذكور سيكون له أعظم الأثر في الحفاظ على المال العام ونشر الأمن وعمارة الأرض وبعد الإطلاع عليه أمرنا بما هو آت :

إن كان بناء قلعة في المذكور له من الفوائد ما ينفع ويعود بالصالح العــام ولا يترتــب عليه أي ضرر فقم بالبناء ، واحذر من أي وضع يخالف العهد والأمان .

- دفتر الأمور المهمة رقم 3 ، ص381 ، رقم الأمر 1129

الملحق رقم 07: رسالة من السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال الدون جوان الثالث عام 1544م، بخصوص الرد على طلب ملك البرتغال السابق مع سفرائه لربط علاقة صداقة مع الدولة العلية[1].

الوثيقة رقم: 76

الأرشيف البرتغالي لشبونه

التاريخ: أول شعبان سنة 951 هـ

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: الملك البرتغالي دون جوان

المحتوى: خطاب من السلطان العثماني إلى ملك البرتغال يعرض عقد الهدنه وشروطها وما حدث من إرسال الرسل والسفراء في ذلك الموضوع.

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 242.

ترجمة الوثيقة رقم 07:

وثيقة رقم (76)

رسالة السلطان سليمان القانوني إلى جون دوان الثالث

قدوة الأمراء العظام العيسويةسلًوة كبر اء الفهام في ملة المسيحية مصلح المصالح جماهير الطائفة النصرانية صاحب أذيال الحشمة والوقار (صاحب دلائل المجد والافتخار ملك البرتغال (D. Joao) الثالث ختمت عواقبه بالخير – التوقيع الرفيع الهمايون. أن ما أرسلتموه إلينا بيد سفيركم الأقدم (داوارد قتانيو Duarte Catanho) والذي تطلبون صداقتنا ومحبة فخامتنا وعلى أي وجه كان بالنسبة لي. فقد كنت جلوبت ما تطلبونه مفصلاً وقد أرسلته إليكم بواسطة سفيركم وبعد ذلك جاءنا أيضاً سفيركم (ديكومشنكو Diogode Mesguit) يعلمنا قبول أحكام الشروط التي كانت قد أرسلت مع سفير (داوارد قتانيو) وأن بعض الشروط التي كنتم ترضون بها فقد قبل والقسم الذي لم تكن ترضونها فإنها لم تقبل عندما أعدنا النظر إليها. وكل شيء قبلناه قد كتبناهوأرسلناه لكم مع سفيركم وا إذا أقيمت بيننا الصداقة بهذه الشروط التي وافقنا عليها تبعثون سفيركم المعتمد لديكم وقد بعثتم سفيركم (دوارد قتانيو) الموجود حالياً لدينا قد أعلن شروطكم التي رددتموها مراراً .ولكن هذه الشروط قد أدلى بها سفيركم السابق أيضاً . ولكن لم تقبل في حينه والآن لم تقبل أيضاً إذا كنتم قد أرسلتم سابقاً بمقتضى الأحكام الشريفة بقصد الصداقة فاعلمونا بها وفي حالة عدم قصد الصداقة فاعلمونا بها أيضاً حتى نتدارك الوضع فيما يدعو ذلك في الجانب الهندي. ولا تطلبوا ذهاب سفيركم وقد تبلغنا بذلك راجين علمكم.

تحرر في أول من شهر شعبان المعزز في الشهور سنة أحدى وخمسين وتسعمائة.

مقام

القسطنطينية المحروسة

الملحق رقم 08: رسالة من السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال الدون سيباستيان عام 1564م[1].

دفتر المهمة- الديوان الهمايوني: رقم 6 ص 166

التاريخ: ربيع الآخر سنة 972 هـ

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: الملك البرتغالي سبستيان

المحتوى: رساله من السلطان العثماني إلى الملك سبستبان يرد فيه على طلب الملك البرتغال بطلب الصلح مع الدولة العثمانيه، يذكر فيه إذا كان ملك البرتغال يريد الصلح والسلام فعليه رفع يده عن الحجيج والتجار العابرين في الأقطار والبحار الاسلاميه، كما عليه أن يرسل من يثق بهم إلى السلطان العثماني حاميلن رسالة تتضمن ذلك السلام الخاص بحماية التجار والحجاج.

وثيقة رقم(75)

خطاب السلطان العثماني إلى الملك البرتغالي سبستيان

جاءتنا رسائل من رجالنا وحكامنا في قلعة ديو ومن محافظي حدودنا في العراق العربي وفي سائر تلك الأنحاء يظهرون فيها رغبتهم في العيش في سلام وقد علمنا أن الحجيج والتجار القادمين من تلك النواحي بطريق البحر ، قد تعرضوا للعدوان فإذا كنتم تريدون الصلح، فأرفعوا أيديكم عن الحجيج والتجار ، بمجرد وصول رسالتنا السلطانية إليكم وأرسلوا رسلكم الذين تثقون فيهم إلينا برسالة تتضمن القرار الخاص بإنتظام الأمور في تلك الجهات.

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 239.

الملحق رقم 09: رسالة من القائد سلمان ريس الى السلطان سليم الأول يشرح فيها ظروف الصراع البحري بين الأسطول العثماني والبرتغالي بمياه جدة وعدن والبحر الأحمر عام 1517م(1).

الوثيقة رقم: 73

دفتر المهمه – الديوان الهمايوني: حكم رقم 8337

التاريخ: 25 ربيع الأول سنة 923 هـ

الراسل: سلمان باشا الريس

المرسل له: السلطان العثماني

المحتوى: خطاب أرسله سلمان الريس إلى حضر ة السلطان العثماني يقبل التراب بين قدميه ثم يشرح في الخطاب ما حدث في ميناء جده وما فعله الشريف أبو البركات شريف مكه وهروبه وما يمتلكه من قوات وبحاره وأحوال البلد وما حدث بها من تخبط وغلو الأثمان بسبب قدوم سفن البرتغاليين في باب المندب ثم كتب على جانب الوثيقه سطور عن الأسطول البرتغالي والصراع بين الأسطول البرتغالي والعثماني في جده وعدن والبحر الأحمر.

وقد جاءت تلك الوثيقه كمبرر من سلمان الريس إلى السلطان العثماني عن تأخيره في توليه حكم بندر جده موضحاً الأسباب تفصيلياً.

---

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 232.

ترجمة الوثيقة 09:

وثيقة رقم (73)

لائحة سلمان الريس

بعد الدعاء أرجو منكم ألا تجعلوا ما طلبناه منكم في طئ النسيان وألا تنسونا وبعد أن عرضنا على حضراتكم هذا، فلتأتي إلى ذاتكم القوية على وجه السرعة، وهذه هى غاية عبدكم الذليل، وأعظم أمنية يحظى بها خادمكم الداعي لكم باستمرار، وأنني أقبل تراب قدمكم الطاهر، ومن أجل ظبيق الأمر، فلقد أرسلنا إلى عتبة الدولة الشخص المسمى سلمان ر ئيس، مخبراً بأحوالنا على هذا الوجه، وقد خرج مسافراً في اليوم الحادي والعشرين من ربيع الأول المبارك جاء من أرض الحرب إلى الميناء في جده و أورد أخباراً على هذا النحو: حضرت أمس ووقت العصر 32 سفينة، وأرادوا الدخول إلى الميناء، وعندما حل المساء كادوا يقتربون من الساحل على وجه السرعة، ودخلوا إلى أماكن فسيحة جداً يستطلعون الأخبار. وقبل هذا وصلت سفن أسطول الشخص المسمى تركي يوسف والمكون من خمس وعشرين قطعة، وفي اليوم الثاني أرسلوا إلى الشريف أبو البركات أولاً مكتوب على الورق، وعندما رأى سفنهم لاذ الشريف أبو البركات بالهرب من جده وفر إلى الخارج، ووصل إلى رؤوس الجبل العالي، وأن ما فعله هذا ليس جيداً، وأسلمكم جده إلى أخيه وا ٍلى أفراد آخرين أو أشخاص آخرين كانوا هناك بمقتضى مرسوم شريف من السلطان.

وعندما وصل المرسوم الشريف السلطاني إلى الشريف نصب الأمير حسين أميراً على جده، وأخذ كل أمواله وأغرقه في البحر.

وأخذ من أمير المدينة ألفين أشرفي، ونصب أشخاصاً آخرين مرة أخرى وأخذ من أحدهم ألف أشرفي ومن الآخر خمسمائة أشر في أخرى.

والحاصل أننا نتمنى أن ينعم أفراد الشعب بالأمن والطمأنينه في ظل الدولة. لقد استغاث بنا المسلمون، وأرادوا المساعدة من سلطاننا المعظم الذي لا يقر هذا الظلم، وا ٍن القانون العثماني أيضاً لا يقبل هذا، رغم أن هذا الكلام قد جاء متأخراً ولكن فاضت به القريحة.

والآن يوجد في معيتنا ستمائة من المغاربة والبحارة العثمانيين وهذا عدد قليل جداً، ومما هو معلوم أن هذا البلد في حالة يرثى لها. فقبل أن يأتي هذا الكافر الملعون كانوا يبيعون قربة القمح بعشرين أشوفياً، وعندما علم بهذا الخبر، ارتفع إلى ثلاثين وأربعين وأخذ يرتفع يوماً بعد يوم. حتى أنتشر على ألسنة الشعب أنه وصل إلى مائة أشرفي. وأن هذا قد حدث بحكمة الله، إذ هبت ريح عاصفة على الميناء وجاءت إلى باب المندب سفن الكفار بخمس وأربعين سفينة

وأرسلوا مكتوباً آخر، ولقد فقدوا هناك ثلاث سفن وبدأ بإنشاء قلعة، وذهبت الأخرى إلى كمران، واخذت قراراً بالبقاء هناك وعملوا على المجئ من هناك إلى جده.

وبإعتبار حضراتكم ذوي القوة والسلطان، فقد اجتمع أهالي هذه الديار كبيرهم وصغيرهم، وجاءوا إلى هنا من الكفار والملاعين وقالوا لو ذهبت إلى هناك فإنك لا تجد أحداً يقاوم هؤلاء الكفرة هناك وأرسل مرة أخرى إلى عتبة الدولة الشخص المسمى برئيس وأخبر ناه بحالنا. والله رؤوف بالعباد والملوك.

السطور المسجلة على جانب الوثيقة فهى تقول:

لقد كتبنا هذا الخطاب عندما أتى الكفرة هذا اليوم وغداً، بتاريخ السادس والعشرين من ربيع الأول وقد جاءوا بثلاثين سفينة ورست في ميناء جده، وأحرقت في اليوم الذي جاءت فيه أر بعة سفن والقطع الأخرى المتخلفة وقواربهما وسفنهم الحربية الستة، وأحدهما كان لشاهي وأحدهما ليوسف التركي والآخر لحسين بك، وظلوا في عدن أربعة أيام كما أخذت خمسون سفينة أخرى من أمام ميناء عدن، وكما يعرف سلطان الدولة المعظم أننا تحمسنا ودافعنا عن الميناء، ولكن أطلقوا علينا المدافع واجبرونا على الخروج إلى الميناء، ولم نعرف أين نذهب أو نجئ، حتى جاء الينا شخص كان محبوساً عندهم، وقال أن الكافر قد أتى من الهند إلى حاكم عدن فاكرمه وقال له اذهب إلى جده، واستولى عليها فإنها فارغة الآن، وأرسل معه أربعة مرشدين وجاءوا إلى الميناء.

الملحق رقم 10: رسالة من السلطان العثماني الى حاكم جزيرة البحرين بالخليج العربي أحمد خان، بخصوص مدافع أسطول حملة سيد علي ريس الذي تحطم في مياه المحيط الهندي[1].

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: السلطان أحمد حاكم البحرين

المحتوى: رساله من السلطان العثماني إلى حاكم البحرين أحمد خان تعرض الرساله ما جرى من سيدي على قبطان الدولة العثمانيه في البحر الفارسي (الخليج العربي) وما جرى مع البرتغاليين، وما حدث من استوداع السفن والمدافع في بندر سورت عند رجب خان، لذا فإن السلطان يعرض على أحمد خان حاكم البحرين أن المدافع الموجوده في بندر سورت سوف تذهب إليه فإن شاء ردها إلى مصر وا ن شاء حارب بها أعداء الدين البرتغاليين، وتعرض الرساله لهجة الخطاب الذي أرسله السلطان وما يحمله من توبق وا جلال للأحمد خان حاكم البحرين.

---

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 227.

معدلت نهادمزك اسكنهم الله فى فراديس الجنان نامهٔ اعمالرى مثوبات غزوايله مشحون
اولوب ايام همايونلرى دائما كفار ايله فى سبيل الله غزايه مصروف اولوب جناب جلالت
مآبمزدخى انلرك طريقهٔ هدايت معتادلرينه سالك اولوب جمله اوقات طيبه مزبسط زمينده
شعار شرع مصطفوينك دوام وثباتى ايچون مبذول ومصروف اولديغى اجلدن خاطر
عاطر دريا فيضا نمزده اول دياره مستولى اولان كفار خاكسار ايله جهاد فى سبيل الله ايچون
كفايت مقدارى سفاين نصرت قرين ايله عساكر دريا مآثر ارسال اولنمق ان شاء الله
تعالى مصمم قلنمشدر وسزك دخى دين باينده جل اقدام وسعى واهتمامكز اولديغى سمع
شريف عالم آرامزه وصول بولوب آستانهٔ دولت آشيانمز جانبنه كمال اختصاص اوزره
اولدوغكز معلوم شريفمزدر اول طوبلر بروجانبه كوندرلمك وجه كوريلورسه وقتى ايله
ارسال ايليوب محروسهٔ مصره ايصال ايليه سز والامناسب كورلمزايسه ذكر اولنان طوبلر
كفار خاكسار ضلالت اثار ايله غزا وجهاد ايچون ترتيب اولنمشدر محفوظ پردهٔ حفظ
ايدوب عنايةالله ايله لشكر دريا مآثر اول جانبلره وارد قده آستانهٔ سعادتمز جانبنه اولان
اخلاص واختصاصكز مقتضاسنجه تسليم ايليه سز مأمولدر كه انواع خبرلر مبسر اولمش
اوله من بعد دخى اول جانبك احوالى سدهٔ سعادتمزه اعلام ايتمكدن خالى اولميه سز

﴿ بحرين حاكمى احمد خان طرفنه اصدار اولنان نامهٔ همايونك صورتيدر ﴾

والاجناب سلطنت مآب دولت نصاب سعادت انتساب ملكى الذات ملكى الصفات
فلكى العزمات مالك نواصى الملل سالك اقاصى الدول مؤسس قواعد العظمة والاجلال
مؤيد معاقد الدولة والاقبال ناصب رايات الدولة الشامخة صاحب آيات العزة الباذخة المحفوف
بصنوف لطايف الملك الاحد غياث الدولة والدنيا سلطنات احمد ادام الله تعالى معاليه
توقيع رفيع همايون واصل اولمجق معلوم اوله كه سالا بندر صورت حاكمى جناب امارتماب
ايالت نصاب رجب خان ادام الله تعالى معاليه عتبهٔ عليامزه كه مرجع سلاطين عاليمقدار
وملجأ خواقين ذوى الاقتدار در مكتوب كوندروب ومقدما محميهٔ مصردن بصره سمتلرينه
ارسال اولنان خاصه كيلريمزدن بعض محروسهٔ بصره دن قپودانمز سيدى على ايله مصر
جانبلرينه عزيمت اوزره ايكن دريا ده كفار خاكسار هزيمت آثارك كيلرينه مقابل اولوب
مابينلرنده خيلى جنك وقتال واقع اولوب بعده دريايه چيقدقلرنده بارادة الله تعالى روزكار
مخالف اولوب طوفان وباران اولمغله پراكنده دوشوب التى قطعه سى صورت بندرينه واروب
دريايه چيقمغه قابليت اولميوب آخر الامر انده يوزيلوب طوبلر قلعه ده حفظ اولندوغن
اعلام ايليوب واول جانبه متعلق هرنه ديمشلر ايسه علم شريفمز محيط اولدى اويله اولسه
جناب جلالت مآبمز آبا واجداد مغفرت مهادمزك انار الله براهينهم طريقهٔ ديانت معتاد وجادهٔ
شريعت ارشادلرينه سالك وذاهب اولوب ايام سعادت مآل وروزكار خيرانجام
فى سبيل الله تعالى تمهيد قواعد دين مبين وتشييد مبانىٔ شرع متين ايچون ومخالف دولتله
غزا وجهاده مصروف اولوب وسلاطين شرع آيين ايله ما بينده الفت ومصافات نتيجهٔ
دودمان خلافت اشيان وغيرت خاندان سلطنت بنيانمز اولوب وجناب جلالت مآبكز دخى
دائما دين مبين باينده وفور اقدامكز اولديغى سمع شريف عالم آرامزه وصول بولوب علم
شريفمز محيط اولدوغى اجلدن اول جوانبده واقع اولان كفار مذلت آثار ايله جهاد
فى سبيل الله ايچون سفاين نصرت قرين ايله عساكر دريا مآثر ارسال اولنمق خاطر عاطر

جهانبانمز

جهانبانمزده ان شاء الله تعالى مصمم قلندى اول طوبلر بروجانبه كوندرلمك رأى صواب
آراكزه وجه كوريلورسه وقتى ايله ايصال ايليوب محروسهٔ مصره كوندره سز والامناسب
كورلمز ايسه اول طوبلر كفار خاكسار ضلالت اثار ايله غزا وجهاد ايچون ترتيب
اولنمشدر ان شاء الله الاعز اول طائفهٔ ضلالت آثارك قلع وقمعلرى ايچون بارادة الله تعالى
دونانماى همايون ايله عسكر ظفر اثرمز ارسال اولنور غزا ايچون احضار اولنان طوبلرى
محفوظ پرده حفظ ايله بعناية الله لشكر فوز نصيب اول جانبلره وارد قده دين ودولت باينده
واقع اولان مظاهرت جميله كز مقتضاسنجه تسليم ايليه سز

﴿ صدر اعظم طرفلرندن اماسيه ده شاه طهماسبك وكلاسنه يازيلان جوابنامه نك ﴾
﴿ صورتيدر ﴾

افاخم خانان عظام عاليمقام اكارم كبراء فخام واجب الاكرام مراجع امراء ذوى القدر
والاحترام مجامع محامد وفضائل جوامع محاسن خصائل باذيان بنيان الدولة والاقبال ممهدى
اساس العزة والاجلال المخصوصون بوفور الطاف الملك المتعال المحفوفون بصنوف اعطاف
ذى الجلال معصوم خان صفوى وشاه قولى خليفه وبدر خان وسوندك قورچى باشى
ادام الله تعالى معاليهم الى يوم الحساب تحيات زاكيات مسكية النسمات كه روايح روح
افزاسندن مشام روحانيان معطر ودعوات خالصات عنبرية النفحات كه فوايح دلكشاسندن
دماغ ساكنان باغ جنان معنبر اوله اشرف اوان واسعد زمانده صفاى جاندن صدور
وخلوص جناندن ظهوريله قرين نسيم قبول اولوب محل اجابت وقبوله متصاعد وموصول
اوله تحف مجالس نفايس قلندقدنصكره ضماير مرايامظاهره انها واتبا اولنور كه آستان
عرش اشيان ودركاه عالیشان حضرت شاه كامران رفع الله تعالى شانه وخلد سلطانه
طرفندن تأسيس اساس اخلاص وتأييد بناء اختصاص ايچون طريق رسالت ايله وارد اولان
عمدة الخواص اغازيد مجده ايله بو محب بى اشتباه دولتخواه جانبنه اولان حب قديم وود
صميمكز ايجابيله ايجاد رسالهٔ اتحاد وتحرير صحيفهٔ مشحون الولاء والوداد قلوب مضمون
مكنونى در رمصافاتله مزين وفحواى محبت نمونى غرر موالاتله معنون ايمن احيان واحسن
اوانده وصول بولوب خلال مقال لآل مثالنده مندرج ومنتظم اولان مآرب وآمال وتفاصيل
احوال مفهوم ومعلوم اولوب اخبار صحت زهت فزودك ورودى سبب اضعاف حبور
وباعث اضعاف سرور واقع اولديغى آرا جهان آرايه مخفى ومستور اولميه محافظهٔ عهد
وامان اهم اركان اهل ايمان واقدم خصال ذوى الاحسان ايدوكى عالم وعاليانه آفتاب تابان
مثالى باهر وعيان اولوب حاجت دليل وبرهان ومتوقف كشف وبيان دكلدر بو بناى مؤكد
البنيانه بوجانبدن خلل ونقصان تجويزى ضمير آكاه وخاطر اولى الانتباهه خطور ايتمك
مقتضاى ذهن سليم وطبع مستقيمدن دور ومهجور اولوب احتمال خيالدر حضرت حق جل
وعلانك علو عنايتى وسرور انبيا ومفخر اصفيانك عليه وعلى آله واصحابه من الصلوات
ازكاها ومن التحيات اتماها هدايت سعادت غايتلرى ايله پادشاهمز اعز الله انصاره وضاعف
اقتداره حضرتلرينه اكناف ممالك وسبعهٔ الاطراف مسخر اولوب توسيع ولايت وتكثير
مملكت توفير خزاين وفتح مداينده كمال استغنا ونهايت استيفا اوزره اولوب دائما مراد سعادت
معتادلرى ظل ظليل حمايتلرنده كافهٔ مسلمين وجمهور موحدين آسوده حال اولوب فراغ
بال ايله عز واقبالرينه اشتغال اوزره اولمقدر معابد ومساجدى تعظيم وتوقير وطاعت
وعبادته اقبال واوامر الهى يه امتثالكز مسموع اولمغين تعلق خاطر همايون زياده اولمشدر عداوت

ترجمة الوثيقة رقم 10:

وثيقة رقم (71)

صورة الرسالة الهمايونية الصادرة إلى أحمد خان حاكم البحرين

عندما يصل التوقيع الرفيع الهمايوني للجناب العالى مآب السلطنة نصاب الدولة وانتساب السعادة ملكي الذات ملكي الصفات فلكي العزمات مالك نواصي الملل سالك أقاصي الدول مؤسس قواعد العظمة والإجلال مؤيد معاقد الدولة والإقبال ناصب رايات الدولة الشامخة صاحب آيات العزة البازخة المحفوف بصنوف لطائف الملك الأحد غياث الدولة والدنيا إلى السلطان أحمد أدام الله تعالى معاليه ليعلم أن حاكم بندر صورت رجب خان أدام الله تعالى معاليه صاحب الإمارة ونصاب الإيالة أرسل إلى عتبتنا العليا رسالة جاء فيها أن بعض سفننا الخاصة الهمايونية ذهبت من مصر المحمية إلى البصرة، وبينما كان قبطاننا سيدي على في طريقه من البصرة إلى مصر ببعض تلك السفن إذا به يقابل سفن الكفار المنحوسين المنهزمين في البحر وجرت بينهم معركة كبيرة، ولما واصل المذكور سيره في البحر بعد المعركة هبت بإرادة الله تعالى رياح مخالفة، وهاج البحر واضطرب وتشتت السفن، فوصلت ست سفن منها إلى بندر صورت، ولم تعد قادرة على الإبحار مرة أخرى، فترك القبطان المذكور المدافع التي فيها أمانة في قلعة صورت، وبهذا أخبرنا الخان المذكور بكل ما دار وا ٍن كان الأمر على ذلك فإن آباءنا وأجدادنا أصحاب الجلالة، غفر الله لهم وأنار براهينم قد اعتادوا طريق الدين وسلكوا طريق الإرشاد في سبيل الشريعة، وقاتلوا في سبيل الله من أجل تمهيد قواعد الدين وتشييد مباني الشرع المتين، وكان هناك ألفة بينهم وبين سلاطين الشرع، وقد وصل إلى مسامعنا أيضا أن جلالتكم أيضا وافرين الإقدام في سبيل الله، وقد عقدنا العزم على إخراج سفننا إلى البحر للجهاد في سبيل الله وقتال الكفار أصحاب المذلة، فإن رأيتم الوقت مناسب لإرسال تلك المدافع فليتم إرسالها إلى مصر المحروسة، وا ٍلا إن لم تروا هذا مناسبا فلتكن تلك هذه المدافع من أجل الجهاد والغزو وقتال الكفار أصحاب الضلال، وسنرسل بعون الله تعالى الأعز سففنا الهمايونية وجنودنا المظفرين بالنصر من أجل قمع وقلع تلك الطائفة الضالة، ولتقوموا بحفظ المدافع التي سيتم جلبها من أجل الغزو في مكان آمن، وعندما تصل جنودي أصحاب النصر إلى هذا الجانب بعناية الله، ليتم تسليمها لهم بموجب تصرفاتكم الجميلة الواقعة للدين والدولة .

الملحق رقم 11: وثيقة التقسيمات الإدارية الجديدة التي استحدثها النظام العثماني بالخليج العربي في ولاية البصرة عام 1572م[1].

الوثيقة رقم: 69

دفتر الرؤوس: رقم 225 ص 222

التاريخ: 27 ذي القعدة سنة 980 هـ

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: أمير البصره

المحتوى: تعرض الوثيقة التقسيمات الفرعيه لولاية البصره.

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 220.

وثيقة رقم (69)

قسطنطينية 27 ذي القعدة 980

هذه هي التغيرات في التقسيمات الفرعية للمنطقة التي نظمت طبقاً للعرض الذي قدمه بيلربي البصرة على باشا. وقد نظم العرض في 15 ذي القعدة.

لواء Liva الغراف وريعه سلم إلى حيدر بك hayder Bey بك المدينة Madina.

لواء المدينة وريعه أعطى إلى سعيد بك Said Bey بك الغراف لواء الرحمانية وريعه أعطى إلى محمد بك، بك حقاً؟

لواء حقا الواقع في بيدر بيك الحسا، وواردة أعطى إلى برويز بك Perwez Bey بك الرحمانية.

لواء طاشكوبري وريعه أعطى إلى سام بك Sam Bey الذي كان قد نقل من اللواء المذكور أعلاه (أي حقا).

لواء قجه قلعة وواردة سلم إلى حسين بك الذي كان قد نقل من قناحيا Kinahiyya.

لواء قناحيا وأعطى إلى ارسلان قائد Kapudan الرملة Remle.

لواء قين قنباد Kin Kinabad وايراده اعطى إلى سنان بك الذي يشغل الآن بك الحمار.

لواء الحمار في ولاية البصرة:

بيلربي البصرة وقد بعث رسالة يشير فيها على ان سنان الذي كان قبل ذلك قائد البصرة Kapudan اخذ على عاتقه خاص الحمار has بمبلغ يزيد على 200.000 اقجة بشرط أن تعطى المنطقة السالفة الذكر له. وأن الوالي الذي هو الآن اغا ازابلار Azaplar في اللواء المذكور أعلاه قد أخذ على عاتقه أن يلتزم الخاص has مقابل اكثر من 200.000 اقجة على شرط أن تعين له تلك المنطقة. وقد قدم بيلربي البصرة عرضاً اعطى فيه اللواء السالف الذكر في حينه وقانونياً إلى والي. وكان قد تسلم أمر يقضي بتسليم المنطقة وفقاً لتلك الشروط (المذكورة أعلاه).

اغالك Agalik Azeban الحمار قد أعطى إلى مظفر وهو أحد الجاويشية في البصرة، مع (15) أقجة.

لواء طرة الجزاير؟ Turr-I Jezayir قد سلم إلى حسين بك اغا Gonüllüler في قبان Guban.

وأن أغالك اللواء المذكور أعلاه قد سلم إلى أويس أغا üveys Agâ، أغا Azablar في جارور.

وأن أغالك أويس المذكور أعلاه قد أعطى إلى شرف Seref كتخدا Kethuda قلعة جارور.

وأن كتخدالك Kethudalik القلعة المذكورة أعلاه قد أعطى إلى شخص يدعى فروخ Ferruh وهو واحد من البولكباشي Bolükbasis المعسكرين في الرحمانية، مع (15) اقجة.

تراقي Terakk رداً على العرض المذكور أعلاه (أي عريضة عربي البصرة) فإن تراقيا قيمته 20.000 أقجة قد منح لعلي بك، المعدان Madan.

تراقي: رد على العرض المذكور أعلاه (عريضة بيلربي البصرة) فإن قيا قيمته 20.000 أقجة قد منح إلى علي بك، بك القطيف.

تراقي: رداً على العرض المذكور أعلاه (عريضة بيلربي البصرة) فإن أقيا قيمته 20.000 أقجة قد منح إلى حماد بك، بك أبو عربا؟

تراقي: رداً على العرض المذكور أعلاه (عرض بيلربي البصرة) فإن اقيا قيمته 20.000 أقجة قد منح إلى أحمد بك، بك صدر السويب.

تراقي: رداً على العرض المذكور أعلاه (عريضة بيلربي البصرة) فإن قيا قيمته 20.000 أقجة قد منح إلى أحمد بك، بك ذرئوك.

تراقي: رداً على العرض المذكور أعلاه (عرض بيلربي البصرة) فإن قيا قيمته 20.000 أقجة قد منح لي محمد جار يكوغلوبك Carikoglu حقا.

تراقي: رداً على العرض المذكور أعلاه (عرض بيلربي البصرة) فإن تراقيا قيمته 20.000 أقجة قد سلم إلى ابنه مراد بك، بك التهامية Tehemmiyye.

لواء الطويل Tavil قد سلم إلى زعيم صالح أحد زعماء حلب، والذي يعمل الآن في ولاية البصرة.

لواء الطويل Tavil قد سلم إلى زعيم صالح أحد زعماء حلب، والذي يعمل الآن في ولاية البصرة.

لواء الرملة، كان فيه سالياته Salyane قيمته 200.000 اقجة قد منح بضمنه الريع، إلى محمد بك الذي كان سنجق بك في الحسا وهو الآن يعمل في الدفتر دارلك defterdarlik.

لواء في الحسا مع سالياته. وهو محافظة سنجق في الحسا قد منح إلى فروخ بك، وهو الآن بك الرملة، مع نفس السالياته مثلما تسلم محمد بك.

لواء واقي Vaki المجاور إلى الجزاير قد منح إلى فرهاد أغا وهو متسلم لزعامة قيمته 50.000 أقجة في منطقة البصرة. جاويشيلك cavusluk البلاط الإمبراطوري: الزعيم المدعو عبدي Abdi والمتسلم لزعامة قيمتها 20.000 أقجة في حلب والذي قام بخدمة جيدة وكفوءة بجمع الضرائب في البصرة جعل عضواً في فصيلة الجاويشية.

الملحق رقم 12: رسالة من السلطان العثماني الى حاكم مدينة سورات بالهند رجب خان يطلب فيها منه الاحتفاظ بأسطول سيد علي ريس بسورات مع امكانية استرداده [1].

الوثيقة رقم: 59

فريدون بك: منشآت سلاطين، جـ1 ص 617، حكم رقم 618.

التاريخ: بدون

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: رجب خان حاكم بندرسورت في الهند

المحتوى: خطاب من السلطان العثماني إلى حاكم بندر سور ات الهندي رجب خان يشرح فيه ما حدث للأسطول العثماني بقيادة سيدي علي، وتشتيت بعض اسطولة وصراعه مع البرتغاليين وعدم إمكانية الرجوع بالأسطول عن طريق البحر، لذا يطلب السلطان من رجب خان بأن يحتفظ بالأسطول من أجل إرجاعه مره أخرى إذا تيسرت الأمور وأن ينتفع رجب خان بالمدافع الموجوده من أجل الجهاد ضد البرتغاليين الأعداء إذا تعذر إرسال المدافع إلى مصر كما يدعوه لمساعدة القوات العثمانيه العائده براً بقيادة سيدي علي.

كلمه خان هو لقب أطلق على ملوك الأتراك العثمانيين قديماً، كما أطلق على الأمراء في الولايات الشرقية وأمراء القرم.

---

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 186.

وثيقة رقم (59)

بندر صورت حاكمي رجب خان طرفنه وتيسير بيوريلان نامه همايون صورتيدر

صدر فرماناً لشريف لبعض الأسطول الهايوني بالتوجه لمنطقة البصرة فيما سبق، وبينما كان قدوة الأماجد والأكارم قبطاننا سيدي علي زيد مجده متوجهاً من البصرة إلى مصر لإعادة الأسطول إليها، تلاقت به سفن الكفار المقهورين في البحر، ونشبت بينهم الحر بـوا ٍستقر القتال، فجنحت ست قطع من أسطوله إلى الشاطئ، وخرجت إلى البحر تسع أخرى من نوع القادرغة، ولكنها تفرقت وتشتت في الطريق بـإرادة الله تعالى بسبب الطوفان، والأمطـاروا ٍنتهز الكفار الأذلاء الفرصة فطاردوا السفن حتى جنحت في آخر المطاف ست منها عند مدينة سورات ثم دخلت الميناء وقد إستمرت مراقبة الكفار الأشقياء للسفن في فرضة الميناء لمدة أربعة أشهر تقريباً .

والرجاء ألا تدخروا وسعاً في إرجاع سفن أسطولنا علماً بأننا لا نود أن يعود القبطان المذكور بالبحر، لأنالسفن ستسير تحت تهديد الكفار، وا ٍحتفظ بالمدافع في القلعة وعليك أن تحسن مساعدة العائدين براً، لقد صممنا إن شاء الله تعالى، على إرسال قدر كاف من السفن قريبة النصر، وعساكر البحرية، للجهاد في سبيل الله، ضد الكفار الأذلاء، الذين إستولوا على تلك الديار وأرسل تلك المدافع براً إلى مصر المحروسة في الوقت الذي تجده مناسباً، وا ٍذا لم تجد ذلك ملائماً، فإستعملا المدافع المذكورة في الفتح والجهاد ومحاربة الكفار الضالين الأذلاء.

الملحق رقم 13: رسالة من السلطان العثماني الى حاكم ايالة الحبشة في ساحل شرق افريقيا[1].

الوثيقة رقم: 51

دفتر المهمة – الديوان الهمايوني: رقم 33 ص 42 حكم رقم 48

التاريخ: 19 شعبان سنة 985 هـ

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: أمير الحبش

المحتوى: أمر من السلطان العثماني إلى أمير الحبش يأمره بضرورة إخباره عن أحوال المفسدين من أعوان ولاية الحبش.

---

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 165.

ترجمة الوثيقة رقم 13:

وثيقة رقم (51)

الحكم الصادر إلى أمير أمراء الحبش

جاء خطابك الذي أخبرت فيه بأنه لما ظهرت مفاسد ومساوئ بعضا من أمراء وأغوات ولاية الحبش تمت مجازاة المفسدين منهم بالعزل، ورفع عرضاً بهذا الخصوص للأستانة... ومهما قلت في هذا الخصوص فهو معلوملدى تفصيلاً .

والآن صدر أمري بـ: عندما يصلك حكمي هذا، عليك أن ترفع عرضاً بأحوال الذين أحدثوا المفاسد، ولم يؤدوا واجبهم المناطق به، وكيفما يصدر أمري بخصوصهم عليك أن تعمل بموجبه.

الملحق رقم 14: أمرية من السلطان سليمان القانوني بتعيين أوزدمير باشا واليا على امارة الحبشة عام 1555م[1].

الوثيقة رقم: 42

دفتر الرؤوس: رقم 213 ص 212 حكم 92

التاريخ: 15 شعبان سنة 962 هـ

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: أمير اليمن

المحتوى: أمر من السلطان العثماني إلى مصطفى باشا أمير اليمن بتعيين أوزدمير باشا والياً على إمارة الحبش وسواكن.

ترجمة الوثيقة رقم 14:

الحكم الصادر لامير امراء اليمن "مصطفى باشا"

بناء على تكليف أوزدمير باشا بولاية الحبش براتب سنوي قدره مليون وأربعمائة ألف آقجة، عليك أن توجه المشار إليه إلى سواكن وأن تكلفه بإدارتها، يبلغ إيراد سواكن خمسة عشر كيساً، يومياً .

---

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 140.

الملحق رقم 15: رسالة من السلطان العثماني كرد عن رسالة حاكم امارة الحبشة، بخصوص الملك الحبشي "البحر نجاشي"وقائد جيشه "ذوزماتش" عام 1582م[1].

الوثيقة رقم: 34

دفتر المهمة– الديوان الهمايوني: رقم 48 ص 4 حكم 10

التاريخ: 6 رجب سنة 990 هـ

الراسل: السلطان العثماني

المرسل له: أمير الحبش

المحتوى: أمر من السلطان إلى والي الحبش يأمره باليقظه والحرص واتخاذ اللازم لمعرفة أخبار العدو، كما يأمره التعاون مع من جاوره من الولاه مثل ولاية اليمن ومصر ويأمره أيضاً بالحافظ على أمن الولايه وصيانتها، وا رسال جواسيسه لمعرفة أحوال الأعداء الكفار.

---

(1) محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 117.

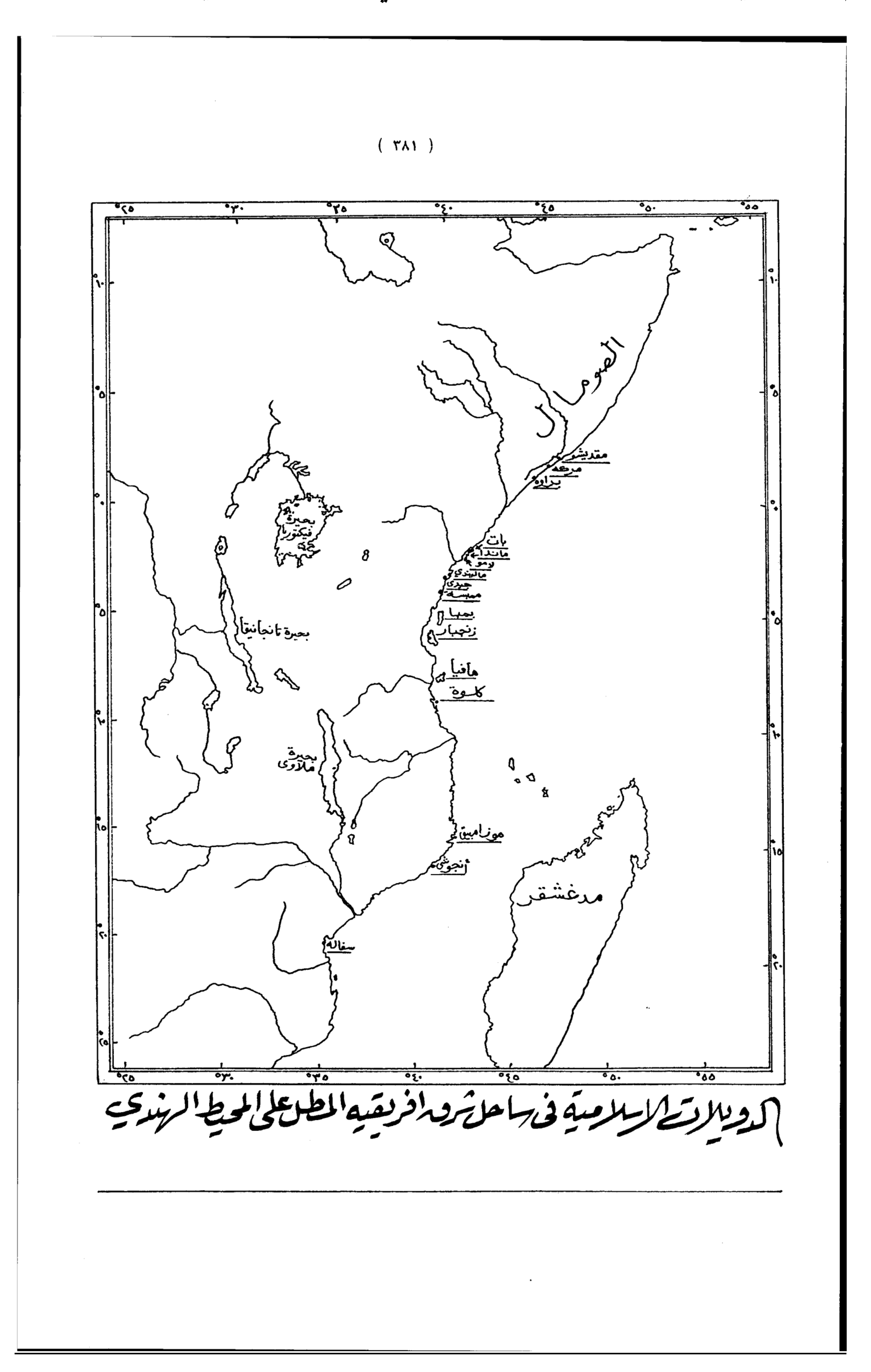
ترجمة الوثيقة رقم 15:

الحكم المرسل إلى امير أمراء الحبش

أرسلت خطاباً تخبر فيه أنه ما جاء الملعونين المعروفين بـ"بحر نجاشي" و "ذوزماتش" الذين هم في معية ملك الحبشة– نحو إيالة الحبش بجيش قوامه 30.000 من العسكر الكفار، وهجموا على القبيلة المعروفة باسم "دوربيته"، من القبائل المنقاده لنا، وقتلوا رجالهم، واغتنموا دوابهم وسلبوا أمتعتهم، جهزنا نحو 7.000 مقاتل من العسكر الفرسان وحملة البنادق ومن أهالي القبائل، وحملنا بالهجوم عليهم ودارت بيننا حرب طاحنة، بعون الله تعالى انتصرنا فيها على الكفار الدناه، وقتل في وطيس المعركة "كتخدا ذوزماتش" مع ستين من الكفار، واطلقنا نيران البنادق على الملعون المذكور وأصبنا سبعين منهم، وقطعنا رؤوس 25 أيضاً، وقتل "ذوزماتش" بنيران البنادق.

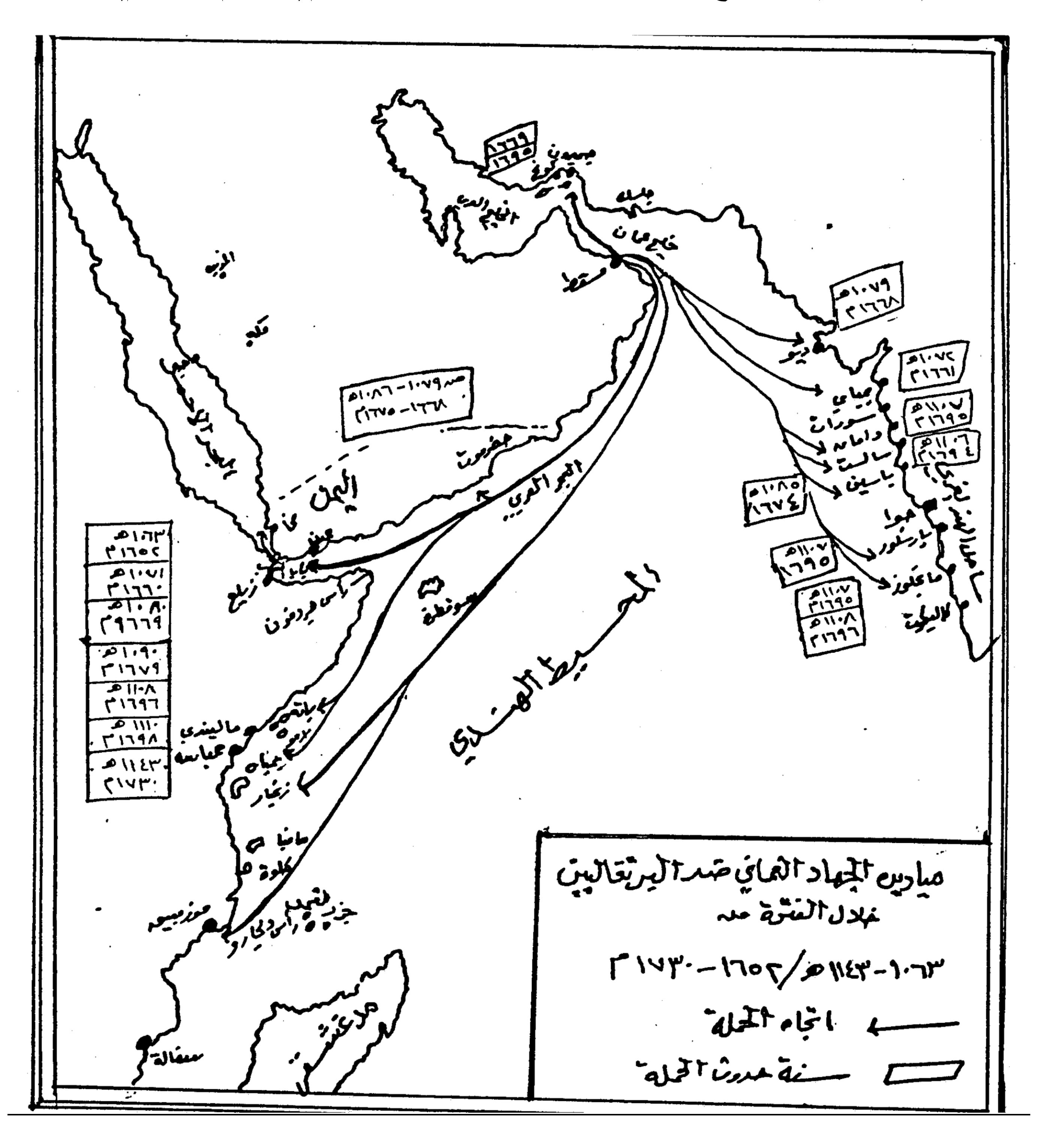
وبعد هذه الحرب أعاد الكفار تجهيز قواتهم، ومن المقرر مجيئهم إلينا بجيش جرار ومهما قلت في هذا الخصوص، فهو معلوم لدى، وبناء عليه أمرت بـ: عندما يصلك حكمي هذا عليك أن تستعلم من خلال الجواسيس أحوال وأطوار الكفار الدناه، ولو صار لديك خبراً عن تجهيزاتهم وتحركاتهم كهذه، عليك أن تكون متفق الرأي ومتحد الجهة مع عسكر أهل الإسلام بحسن التدبير والتجهيز، وأن تتحين الفرصة فإن محو وسحق وا إقتلاع وقمع عدو الأعداء هو من لزوم حمية الدين المبين فعليك أن تظهر هذا حتى لا يلحق العدو الاذى والضرر بأي مكان غلقة، وأن تكون على بصيرة ودارية في حماية الولاية.

الوثيقة رقم 16: خريطة للدويلات والممالك الاسلامية في ساحل شرق افريقيا[1].



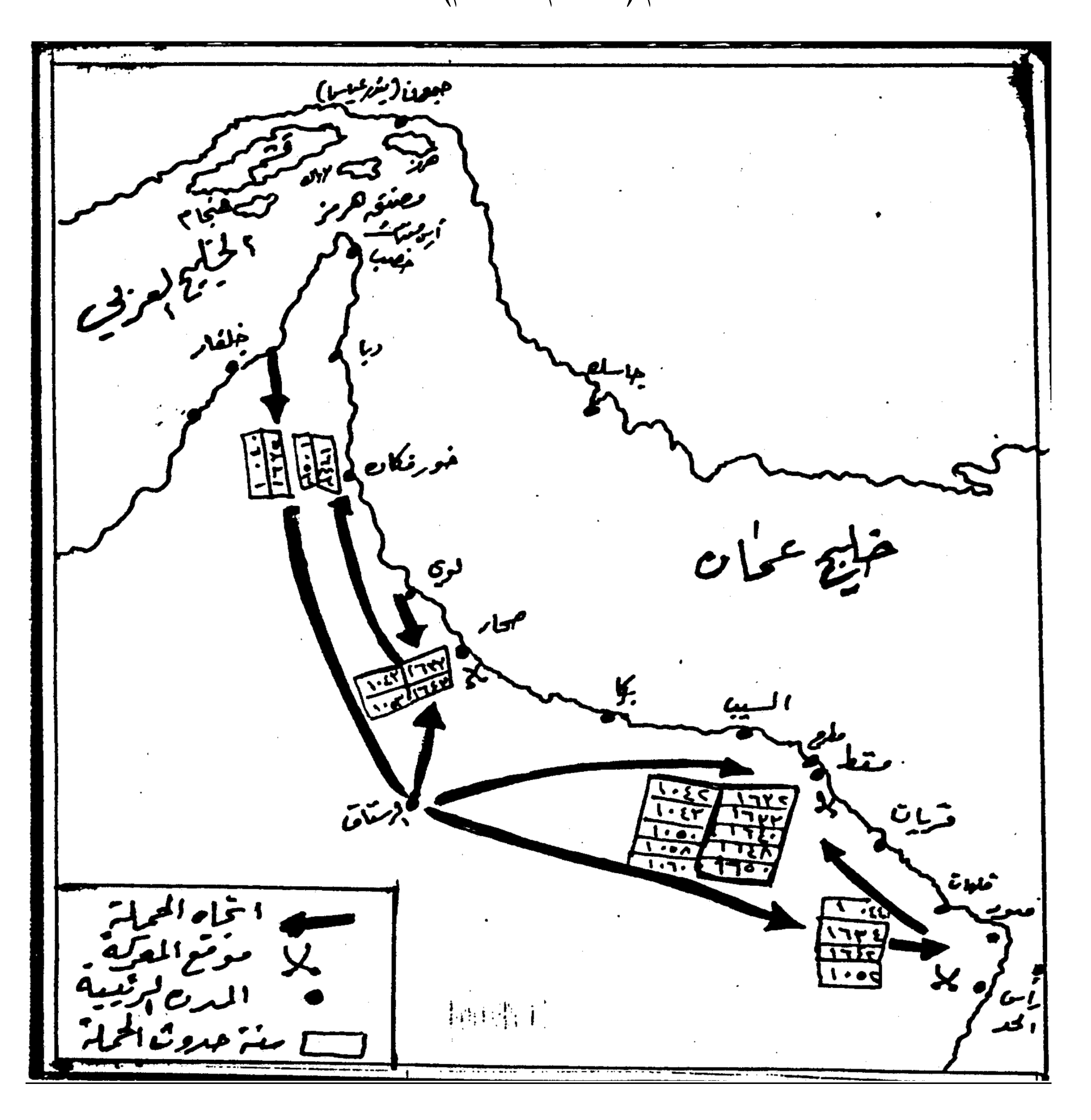
(1) نوال حمزة الصيرفي، المرجع السابق، ص 381.

<u>الملحق رقم 17</u>: خريطة توضح معارك دولة اليعاربة ضد البرتغاليين عام(1656م-1730م)(1).



(1) عبد الرحمان بن علي السديس، العمانيون والجهاد الإسلامي في شرق افريقيا(1624م-1711م)، أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1993، ص 525.

الملحق رقم 18: خريطة تحرير اليعاربة لعمان الساحل من البرتغاليين انطلاقا من جلفار الى رأس الحد عام (1632م-1650م)[1] .



(1) عبد الرحمان السديس، المرجع السابق، ص 523.

الملحق رقم 19: وثيقة معاهدة الهدنة بين العمانيين والبرتغاليين والمؤرخة في: 1648/10/30م[1].

(145)

Books of the Monsoons

Documents transmitted from India

Book 59

Fol. 88

1648 — October 30.

Articles of the Peace Treaty entered into between the Imam Nazar Ben Murszeti Bem Malique, and the Captain General of Mascate, Dom Juliãnes de Noronha.

On the thirteenth of the Moon of Hrale, which may God bring to a happy ending, 1058, and of the Era of the Portuguese 30th of October 1648, there being together on the shores of Reame the Xeque Sultan Ben Sefo Ben Malique el Morbi, General of the whole Military Force and the Ale of the Imam Rayete Ben Salemo and another Ale of the Imam Vily bin Adula Rotaqui, and the Xeque Sefo ben Aly Ben Sali el Basomy, all these being on the part of the Imam, and on the part of the Senhor Captain General and Comptroller of the Exchequer Valentim Corrêa, the Reverend Father Vicar of the Parish of the registry of this Fortress, Manuel Antunes, Manuel Varella, Captain of the Gate of the Marine men, Antonio Barbosa, a marine man, of this Fortress, the Xeque Sultan Ben Sefo with all the Authority and orders he holds from the Imam, and the

1.0

---

(1) من خلال تفحصنا لهذه الوثيقة التاريخية لاحظنا بأن لغة الوثيقة مكتوبة بالإنجليزية وليست مكتوبة بلغة الدولتين المتعاهدتين ومن المعروف بديهيا أن المعاهدات الدولية تكتب بلغة الأطراف أو الجهات أو الدول التي تربطها تلك المعاهدات أو الاتفاقيات مع بعضها البعض، لكن الوثيقة التي بين أيدينا لم تكتب لا بلغة دولة اليعاربة العمانيين وهي العربية ولا بلغة مملكة البرتغال وهي اللاتينية، اذن فهي مترجمة اما من اللغة العربية أو اللاتينية الى الانجليزية، نقلا عن: عبد الرحمان السديس، المرجع السابق، ص 479.

الــفـــهــــــرس:

1/فهرس الأعلام:

-أ-

-ب-

-ر-

-م-

-ن-

-هـ-

-ي-

2/فهرس الأماكن:

-أ-

-ح-

-د-

-ر-

-ز-

-س-

البيبليوغرافيا:

1/الأرشيف العثماني والبرتغالي:

أ/العثماني:

-الأرشيف العثماني، التشكيلات الإدارية لبيلربكيات الإحساء واليمن والبصرة، تصنيف كامل كابجي، دفتر الرؤوس المهمة، رقم 208.

-الأرشيف العثماني، تصنيف الدفاتر المدورة عن المالية، رمز MAD، رقم 17983.

-الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كابجي، البحرية، رقم 5628، عام 937 هـ/1531م.

-الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كابجي، دفتر الرؤوس المهمة.

-الأرشيف العثماني، طوب كابي سراي، رمز العلبة: E، رقم العلبة: 5466.

-دفتر الأمور المهمة، الوثيقة 32-39، الحكم 114، التاريخ 26 شوال 987 هـ، الموافق لعام 1579م.

-دفتر الأمور المهمة، الوثيقة 60، الحكم 580، التاريخ 26 جمادى الأول 994 هـ، الموافق لعام 1586م.

-مجموعة حكمنامة، دفتر الأمور المهمة.

-Koguslar, 888, 487b-488a.

ب/البرتغالي:

-ANTT, Carta Ormuz, FL.

-ANTT, FL, 88, carta d. Manuel de Lima To D. Joào De Castro, 23 June 1547.

-Carta Ormuz, FLS.

-Carta Simào Da Costa, The Governor Of Goa, 1536, ANTT, A.G, Vol V, Gav xv.

-D.F. Castro, Cronica Do Vice-rei De Joào De Castro, Lisbon, 1955.

-Simao Da Botelho, Cartes Tombo, FF. 76.

-The Arquivo Naciona da Torre do Tambo.

2/المصادر العربية والمعربة:

-ابن أحمد الكتبي محمد بن شاكر، فوات الوفايات والذيل عنها، تحقيق احسان عباس، ط01، دار صادر، بيروت، 1973.

-ابن الدبيع أبي الضياء عبد الرحمان بن علي، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، دار العودة، بيروت، 1983.

-ابن الدبيع أبي الضياء عبد الرحمان بن علي، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج02، القاهرة، 1976.

-ابن الدبيع عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عمر، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989.

-ابن اياس محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة، ج05، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1960.

-ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهم اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط01، تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

-ابن حوقل النصيبي أبي القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي، صورة الأرض، ج 01، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.

-ابن رزيق حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1977.

-ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، مسقط، 1978.

-ابن عراق، معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر، تحقيق محمد حميد الله، اسلام أباد، باكستان، 1973.

-ابن قيصر عبد الله بن خلفان، سيرة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1977.

-ابن لعبون حمد ابن محمد، تاريخ حمد ابن لعبون، ط01، مطبعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1938.

-ابن ماجد شهاب الدين أحمد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق ابراهيم خوري وعزة حسن، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971.

-ابن ماجد شهاب الدين أحمد، ثلاثة أزهار في معرفة البحار، تحقيق ثيودور شوموفسكي، ترجمة وتحقيق محمد منير مرسي، دار عالم الكتب، القاهرة، 1970.

-أحمد بن أحمد سليمان المهري، العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق ابراهيم خوري، ج01، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، 1970.

-أحمد بن أحمد سليمان المهري، المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر، تحقيق ابراهيم خوري، ج02، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980.

-الإحسائي عبد القادر محمد بن عبد الله، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، تحقيق حمد جاسر، ج01، الرياض، 1960.

-الادريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج01، ط01، عالم الكتب، بيروت، 1989.

-الأزكوي العماني سرحان بن سعيد، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، ط 04، وزارة التراث والثقافة، المطابع الذهبية، عمان، 2005.

-الجزيري عبد القادر بن محمد، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن اسماعيل، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

-الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، م3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

-الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

-الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط 02، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.

-الدوسري شعيب بن عبد الحميد، امتاع السامر بتكملة متعة الناظر، ط01، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1987.

-السالمي نور الدين بن عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج01، ط 02، تصحيح وتعليق ابراهيم أطفيش الجزائري الميزابي، مطبعة الشباب، القاهرة، 1961.

-السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج01، دار الجيل، بيروت، 1992.

-السمهودي نور الدين علي بن عبد الله، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق وتقديم قاسم السامر ائي، ج02، ط 01، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، المملكة العربية السعودية، 2001.

-السيابي سالم بن حمود بن شامس، اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1965.

-السيابي، عمان عبر التاريخ، ج 03، ط 05، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 2014.

-الشيلي جمال الدين أبي العلاوي، السنا الباهر بتكميل النور السافر عن أخبار القرن العاشر، معهد المخطوطات العربية، رقم المخطوط 699، القاهرة، د ت.

-الشيلي جمال الدين محمد بن أحمد، السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق ابراهيم المقحفي، مكتبة الارشاد، صنعاء، 2002.

-العيدروسي محي الدين عبد القادر بن الشيخ، النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق أحمد حالو ومحمد الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر للنشر، بيروت، ط01، 2001.

-القشقلندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق ابراهيم الابياري، ط02، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

-المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986.

-المغربي أبوا الحسن علي بن موسى بن سعيد، الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970.

-المغيري سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994.

-المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، 1987.

-المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر العبيد، الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، 1895.

-المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق عبد القادر عطا، ج04، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1974.

-الملواني يوسف، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، 1998.

-الموزعي القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد، دخول العثمانيين الأول إلى اليمن: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، منشورات المدينة، ط 01، بيروت، 1986.

-النهروالي قطب الدين محمد بن أحمد المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1967.

-بامخرة عبد الله الطيب بن عبد الله، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق محمد عبد العال أحمد، ج03، رقم المخطوط 167، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1980.

-بن أبي السرور محمد البكري الصديقي، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، مطبوعات مركز جامعة الماجد، دمشق، 1995.

-بن الحسين أبو القاسم يحي، أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1688.

-بن القاسم يحي بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، ج01، القاهرة، 1968.

-بن المطهر أبي جعفر عيسى بن لطف الله شرف الدين، روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق عبيد عطية حسن يوسف اللهيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2015.

-بن بخيت حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 2001.

-بن بسام عبد الله تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق ابراهيم الخالدي، ط01، شركة المختلف للنشر، الكويت، 2000.

-بن صالح بن عيسى ابراهيم، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، تحقيق حمد جاسر، ط01، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، المملكة العربية السعودية، 1996.

-بن عبد العزيز أحمد زين الدين المعبري الميليباري، تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، تحقيق وتعليق محمد سعيد الطريحي، ط01، مؤسسة الوفاء للنشر والتوزيع، بيروت، 1985.

-بن عبد لغني أحمد شلبي الحنفي المصري، أوضح الإشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، 1995.

-بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الإحسائي محمد، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، ج 01، مكتبة المعارف، الرياض، 1960.

-بن عبد الله السويديمحمد سعيد، ورود حديقة الوزراء بورود وزارة مواليهم في الزوراء: تاريخ العراق من سنة(1161هـ-1202هـ/1748م-1787م)، تحقيق وتقديم عماد عبد السلام رؤوف، دار الزمن للنشر، دمشق، 2012.

-بن علي الوزير عبد الله، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري-السابع عشر الميلادي(1045هـ-1090هـ/1635م-1680م)والمسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، دار الميسرة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.

-بن علي زين العابدين ابراهيم الحفظي، تاريخ عسير، تحقيق محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري، ط05، دن، القاهرة، 1992.

-بن محمد الغزى نجم الدين محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل منصور، ج 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.

-بن محمد الفارسي الإصطخري أبو اسحاق ابراهيم، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، ج 01، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1961.

-بن محمد بن عمر أبو الفداء اسماعيل، تقويم البلدان، باريس، 1840.

-بن محمد مراد عمر فاروق، تاريخ أبو الفاروق، ج 03، اسطنبول، 1328.

-ثريا محمد، سجل عثماني، ج 01، استانبول، 1311.

-جار الله بن العز بن فهد المكي، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط01، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 2000.

-خليفة حاجي، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 2017.

-دي ألبوكيرك ألفونسو، السجل الكامل لأعمال ألفونسو دي ألبوكيرك(الأعمال الكاملة)، ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ، م 01، المجمع الثقافي بأبوظبي، أبوظبي، 2000.

-سيد علي ريس، مرآة المماليك، دار سعادت، إقدام مطبعة سي، استانبول، د ت.

-مؤلف مجهول، السلوة في أخبار الكلوة، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1985.

3/المراجع العربية والمعربة:

-أباظة فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن(1872م-1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979.

-أباظة فاروق عثمان، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2003.

-أبو حاكمة أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية نشأة وتطور الكويت والبحرين، ترجمة وتحقيق محمد أمين عبد الله، ط01، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965.

-أبو زهرة محمد، الإمام زيد حياته وعصره وآراءه الفقهية، القاهرة، 1959.

-أحمد ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة شمس، القاهرة، 1978.

-أحمد محمد عبد العال، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة كما سجلها في مخطوط قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1980.

-أحمد محمد عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الإسكندرية، مصر، 1989.

-أحمد يوسف، الاسلام في الحبشة، مطبعة حجازي، القاهرة، 1935.

-أرسلان شكيب، تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

-أرنولد توماس، الدعوة الى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة للنشر، القاهرة، 1970.

-أرنولد ويلسون، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، د ت.

-أغلو خليل ساحلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي، اسطنبول، 2000.

-أفندي بجوي ابراهيم، تاريخ بجوي ابراهيم أفندي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول، م01، ط01، ترجمة وتقديم ناصر عبد الرحيم حسين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

-الأحبابي نايف محمد حسن، الموقف العربي والإقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج، رسالة ماجيستار (غير منشورة)، كلية الأداب، جامعة بغداد، العراق، 1988.

-الأحمدي سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1985.

-الأرقط عبد الحميد، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول(1588م-1629م)، مذكرة ماجيستار (منشورة)، جامعة الوادي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، 2015.

-البحراوي محمد عبد الطيف، فتح العثمانيين لعدن، ط01، دار التراث، القاهرة، 1979.

-البحراوي محمد عبد اللطيف، فتح العثمانيين لعدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر، ط01، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979.

-البراوي راشد، الرق الحديث في افريقيا البرتغالية، ط01، القاهرة، 1926.

-البطريق عبد الحميد، من تاريخ اليمن الحديث(1517م- 1840م)، معهد البحوث والدراسات العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969.

-البقمي نورة بنت عبد الله هلال، الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية دراسة تاريخية حضارية(1421م-1922م)، رسالة ماجيستار، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، المملكة العربية السعودية، 2015.

-الثقفي يوسف بن علي، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور، ط01، د ن، مكة، 1979.

-الجمل شوقي عطا الله، الصراع العربي البرتغالي في المحيط الهندي والتحرر الإفريقي، أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، ج01 مركز الدراسات والوثائق، الإمارات العربية المتحدة، رأس الخيمة، 1978.

-الجمل شوقي عطاء الله، تاريخ كشف افريقيا و استعمارها، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971.

-الجوهري يسرى، الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

-الحاتم عبد الله، خيار ما يلتقط من الشعر المنبط، ج01، د ن، دمشق، 1925.

-الحجري عامر، تاريخ العلاقات العمانية الإفريقية وبداية التواجد العماني في شرق افريقيا، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج 02، الدوحة، قطر، 1967.

-الحجي يعقوب يوسف، صناعة السفن الشراعية في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 1998.

-الحمدي صبري فالح، صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث، دار الحكمة للنشر والتوزيع، لندن، 2014.

-الحميدان عبد اللطيف ناصر، امارة آل شيب في شرق جزيرة العرب(1525م-1553م)، د ن، الرياض، السعودية، 1997.

-الحيمي الحسن بن أحمد، سيرة الحبشة، تحقيق مراد كامل، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1658.

-الخولي بديع جمعة أحمد، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، القاهرة، 1976.

-الدرورة علي بن إبراهيم، الاحتلال البرتغالي للقطيف(1521م-1572م)، ط01، المجمع الثقافي لإمارة أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ت.

-الدسوقي محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، منشورات دار الثقافة، القاهرة، 1976.

-الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الكتاب البيروتية، لبنان، 1982.

-الرومي أحمد البشير، معجم المصطلحات البحرية في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 1996.

-الريسي حسين بن علي، اليمن الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962.

-الزركلي خير الدين، الأعلام، ج01، ط09، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

-الساداتي أحمد، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضاراتهم، ج01، مكتبة الأداب، القاهرة، د ت.

-السبليطي محمد، الصراع الدولي في البحر الأحمر الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث، المنتدى الجامعي للنشر، صنعاء، اليمن، 2002.

-السعداوي.أ، "المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط: النتائج الديمغرافية"، قسم التاريخ، كلية الأداب بمنوبة، تونس، 1993.

-السعدون خالد، مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة 1971، ط01، دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2012.

-السلمان محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج(1507م-1525م)، مركز الشيخ زايد للتراث والتاريخ، العين، الامارات العربية المتحدة، 2000.

-السيد رجب حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1968.

-السيد محمود سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية: النشأة والازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الأداب، القاهرة، 2007.

-الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972.

-الشاطري محمد بن أحمد بن عمر، أوراق التاريخ الحضرمي، اليمن، د ن، 1972.

-الشامي أحمد عبد الحميد، العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العربي والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1996.

-الشناوي عبد العزيز محمد، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، ج02، بحوث مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، الدوحة، 1976.

-الشناوي عبد العزيز محمد، أوروبا مع مطلع العصور الحديثة، ج01، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969.

-الشناوي عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج 01، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1984.

-الشهاري محمد علي، الخروج من نفق الإغتراب وأحداث ثورة ثقافية في اليمن، دار الفارابي، بيروت، 1983.

-الشهرستاني محمد بن عبد الكريم أبي الفتح، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، مج 01، ط 02، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

-الصيرفي نوال حمزة يوسف، الجهاد الاسلامي في شرق افريقية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1987.

-الظاهري أبو عبد الرحمان بن عقيل، أنساب الأسرة الحاكمة في الإحساء، ط01، تقديم حمد بن جاسر، دار العلوم للنشر، الرياض، 1982.

-العابد صالح، عهد الحكم العثماني الأول والعراق في التاريخ، دار الحرية للنشر، بغداد، 1983.

-العسكري سليمان إبراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، ط01، مطبعة المدني، القاهرة، 1972.

-العقاد صلاح قاسم و زكرياء جمال، زنجبار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959.

-العقاد صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965.

-العقاد صلاح، دور العرب والفرس في مكافحة الإستعمار البرتغالي في الخليج-دراسة مقارنة، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 04، مسقط، 1980.

-العيدروس محمد حسن، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية، القاهرة، 1998.

-العيدروس محمد حسن، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي(1622م-1650م)، ط01، دار المنتدى للطباعة والنشر، أبوظبي، 1997.

-العيسي مي بنت عبد العزيز، الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى، ط01، دار الملك عبد العزيز للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، 1996.

-الفارسي عبد الله بن صالح، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1982.

-القادري لطف الله، الإنجازات العالمية للعرب والمسلمين في القرون المتأخرة، دار الفيصل الثقافية، السعودية، 2006.

-القاسمي خالد بن محمد، الوحدة اليمنية حاضرا ومستقبلا، د ن، بيروت، 1987.

-القشاعي موساوي فلة، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518م-1871م)، أطروحة دكتوراه دولة، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

-القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 05، دار الكتب الخديوية، مصر، 1915.

-الكيالي محمد عارف، الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 2001.

-المسري حسين، تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي، دن، بيروت، 1982.

-المعمري أحمد محمود، عمان وشرق افريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط 02، وزارة الثقافة والتراث، عمان، 2016.

-المؤذن عبد الرحمن و بن حادة عبد الرحيم، العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، ، ط 01، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرباط، د ت.

-الميداني محمود عصام، أعلام ومعالم عربيةوا إسلامية، ط 01، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996.

-النقيرة محمد عبد الله، انتشار الإسلام في شرقي افريقيا ومناهضة العرب له، دار المريخ للنشر، السودان، 1982.

-أمين محمد محمد، تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1978.

-أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، 1979.

-أورتايلي ايلبير، اعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسام شيخا، ط 01، مطابع الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2012.

-أوزبران صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي(1534م-1581م)، ترجمة عبد الجبار ناجي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1979.

-أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج01، ج 01، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988.

-ايفانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516م-1574م)، ترجمة يوسف عطا الله، ط01، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1988.

-باوزير سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، ط01، المطبعة السلفية، القاهرة، 1959.

-بن جمعة المرجبي حمد بن محمد، مغامر عماني في أدغال افريقيا(1840م-1905م)، ترجمة محمد المحروقي، منشورات الجمل، ط 02، بغداد، 2006.

-بن عثمان بن آل ملا عبد الرحمان، تاريخ هجر، ج02، مطابع الإحساء، المملكة العربية السعودية، 1992.

-بن علي محسن العبدلي أحمد فضل، هدية الزمان في أخبار ملوك لحج وعدن، بيروت، 1980.

-بوشرب أحمد، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، ط01، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

-ترمنجهام سبنسر، الاسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، ترجمة محمد عاطف النووي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974.

-جبري عمر، عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية(1497م-1554م)، مذكرة ماجيستار(غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2014.

-جلال أمنة حسين، علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز، رسالة ماجيستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1980.

-جمعة بديع محمد، الشاه عباس الكبير، ط 01، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.

-جي. كريكمان، التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق افريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 05، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1980.

-جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية، ط02، ترجمة يوسف كمال، تحقيق أشرف الوحش، دار الفظيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015.

-حافظ صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، عالم المعرفة، ط01، الكويت، 1982.

-حسن ابراهيم محمد، الإمام أحمد بن براهم الصومالي وفتوح الحبشة، رسالة ماجيستار، جامعة القاهرة، د ت.

-حسن حسن ابراهيم، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1957.

-حسين أمين، أحمد ابن ماجد ودوره في الملاحة البحرية في الخليج العربي، أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، الإمارات العربية المتحدة، ج 01، 1987.

-حنظل فالح، العرب والبرتغال في التاريخ، ط01، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1997.

-حوراني جورج فاضلوا، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958.

-خليل محمد محمود، وثائق بحرية عن قبودان السويس والدور العثماني في مواجهة البرتغاليين(الخليج العربي-الجزيرة العربية-ولاية الحبشة-المحيط الهندي-المغرب العربي)، ج01، الأكاديمة المصرية للتراث والتاريخ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010.

-د. أي. أريكو، المباني التاريخية الحربية في عمان منذ القرن السادس عشر، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 05، مسقط، 1980.

-دافيدسن بازل، افريقية تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965.

-دراج أحمد، وثائق دير صهيون بالقدس، مكتبة النهضة المصرية، ط01، القاهرة، 1980.

-دراج محمد، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512م-1543م)، أطروحة دكتوراه، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

-دراج محمد، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة وتعليق محمد دراج، نقلا عن يلماز أوزتونا، ط 01، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

-دفي جيمس، الإستعمار البرتغالي في افريقية، ترجمة الدسوقي حسنين المراكبي، القاهرة، د ن، 1964.

-دي أريكو أنريكو، المباني التاريخية في عمان منذ القرن السادس عشر، ترجمة هلال بن سعيد الشيباني، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 05، مسقط، 1980.

-دي بوشير غي، تشريح جثة الاستعمار، ترجمة ادوارد الخراط، دار الآداب، بيروت، 1968.

-دياب أحمد ابراهيم، العلاقات بين جدة وسواكن، مقال من كتاب دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج 02، د ن.

-ديل شارل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة وتحقيق أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، دار المعارف، القاهرة، 1948.

-ربيع حسين محمد و اسماعيل ليلى عبد الجواد، تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها سنة 1622م، د ن، القاهرة، 1998.

-رضون نبيل عبد الحي، الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، تهامة، جدة، دن، 1983.

-رمال غسان علي، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، ط01، جامعة أم القرى، جدة، 1985.

-رميص غانم محمد، قيام حكم سلالة اليعاربة وانهياره في عمان(1624م-1749م)، دراسة في التاريخ السياسي، رسالة ماجيستار(غير منشورة)، معهد البحوث والدراسات، بغداد، 1987.

-رويتي رودلف سعيد، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي(1791م-1856م)، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، البصرة، العراق، 1983.

-زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980.

-زكي عبد الرحمان، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965.

-س. بكنجهام، بعض الملاحظات عن البرتغاليين في عمان، ج06، حصاد ندوة الدراسات العمانية، عمان، 1980.

-س. بوكسر، ملاحظات جديدة عن الصلاة بين العمانيين والبرتغاليين، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج 06، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، 1980.

-س.ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله،ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1982.

-سالم سيد عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ط 01، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1933.

-سالم سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن(1538م-1635م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1992.

-شرف الدين أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، ط01، مطبعة السُّنّة المحمدية للنشر، القاهرة، 1963.

-شلبي أحمد، تاريخ عمان ونشاطها الداخلي من مطلع الإسلام حتى الأن، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج02، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1980.

-شهاب حسن صالح، عدن فرضة اليمن، ط01، مركز الدراسات والبحوث اليمني للنشر والتوزيع، صنعاء، 1990.

-شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره(1800م-1830م)، دار الكتاب العربي للنشر، الجزائر، 2010.

-صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة عبد الرزاق محسن بركات، ط 01، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000.

-عابدين عبد المجيد، بين الحبشة والعرب، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة، 1974.

-عبد الحسين فاضل محمد، عمان في عهد أحمد بن سعيد(1749م-1783م)دراسة في التاريخ السياسي، رسالة ماجيستار، جامعة بغداد، كلية العلوم والتربية، 1988.

-عبد الحليم رجب محمد، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، عمان، 1989.

-عبد الغني ابراهيم عبد العزيز بريطانيا وإمارات الساحل العماني "دراسة في العلاقات التعاهدية"، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1978.

عبد الغني ابراهيم عبد العزيز، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، منشورات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1982.

-عبد الكريم العاني عبد الرحمان، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ط 01، مسقط، 1981.

-عبد المجيد كريم، عثمانيون وسلفيون "حركة قاضي زاده بين محاربة التصوف والعودة الى عهود السلف"، مركز نماء للبحوث والدراسات، د ت.

-عبدواني صادق حسن، الدولة العمانية نشأتها وازدهارها، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج 02، عمان، 1980.

-علي الداود محمود، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1964.

-علي اليسار عائشة، دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقية(1624م-1741م)، ط01، دار القدس للنشر، بيروت، 1975.

-عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي(1516م-1922م)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996.

-عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

-عودة عبد الملك، السياسة والحكم في إفريقيا، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1959.

-غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288م-1916م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

-غيث فتحي، الاسلام والحبشة عبر التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998.

-فلسفي نصر الله، ايران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي(906هـ-1148هـ/1500م-1736)، ترجمة وتقديم محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1989.

-فهمي نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الغرب والشرق أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

-قاسم جمال زكريا، أثر الاستعمار الأوروبي في تفكيك الروابط بين الخليج وشرق افريقيا، مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، ج 02، الدوحة، 1976.

-قاسم جمال زكريا، استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد10، القاهرة، 1967.

-قاسم جمال زكريا، الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشوفات الجغرافية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1977.

-قاسم جمال زكرياء، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.

-قاسم جمال زكرياء، دولة البوسعيد في عمان وشرق افريقية(1744م-1861م)، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1968.

-قائمقامي جهانكير، مشكلة هرمز وبداية ظهور العلاقات بين ايران والبرتغال، د ن، د ت.

-قلعجي قدري، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965.

-ك.م. بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد الرزاق توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة، 1962.

-كامل المحامي محمود، اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968.

-كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليا نوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، دن، بيروت، 1987.

-كلو أندري، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.

-كورشون زكريا و القريني محمد، سواحل نجد والحسا في وثائق الأرشيف العثماني، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2003.

-كوندز أحمد آق و أوزتورك سعيد، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، مكتبة عمرو توران، المملكة العربية السعودية، 2008.

-ل. كوتلوف، دليل الجمهورية العربية اليمينة، د ن، موسكو، 1971.

-لقمان حمزة، تاريخ الجزر اليمنية، مطبعة يوسف وفيليب الجميل، بيروت، 1972.

-لوريمر جون جورج، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج05، مطابع علي بن علي، الدوحة، د ت.

-لونكريك ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط 06، مكتبة اليقظة العربية، رأس الخيمة، 1985.

-متولي محمد، حوض الخليج العربي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1970.

-محمد رمضان مصطفى، العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، ج01، ط01، دن، القاهرة، 1985.

-محمود حسن أحمد، الاسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.

-مصطفى شاكر، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1997.

-معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، ط 01، د ن، القاهرة، 1964.

-مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1980.

-نور علي أحمد، النزاع الصومالي الإثيوبي، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1978.

-نوفل سيد، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، ط2، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1961.

-هريدي محمد عبد اللطيف، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، 1989.

-هول ريتشارد، امبراطورية الرياح الموسمية، ترجمة كمال يوسف حسين، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط01، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 1999.

-هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة كمال الدسوقي وفاروق بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، 1964.

-وايدنر دونالد، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي فخري وشوقي الجمل، مؤسسة سجل العرب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1976.

-وندال فليبس، تاريخ عمان، ط02، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1983.

-ويلسون آرلوند، تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط 02، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، 1988.

-ي.هاد سونيا الألف كتاب في طلب التوابل، تر جمة محمد عزيز رفعت، نشر وطباعة مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957.

4/المجلات والمقالات العربية والمعربة:

-أبا الحسن علي عبد الله، <<الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق>>، الوثيقة، السنة 1984، العدد 03، السلسلة 01، البحرين.

-أبا الحسن علي، <<الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق>>، مجلة الوثيقة، السنة 1983، العدد 03، البحرين.

-أبا الحسن علي، <<صفحات من تاريخ البحرين من خلال الوثائق العثمانية>>، مجلة الوثيقة، السنة 1989، العدد 15.

-أبو عساف علي، <<طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم>>، مجلة دراسات تاريخية، السنة 1991، العدد 39-40، السلسلة 12.

-أحمد محمود حسن، <<التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب>>، مجلة المؤرخ العربي، السنة 1980، العدد 12.

-أحمد ياغي اسماعيل، <<سياسة مدحت باشا والي العراق العثماني اتجاه الخليج العربي>>، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية بعنوان الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، رأس الخيمة، 2001.

-التازي عبد الهادي، <<وثيقة لم تنشر عن البحرين>>، الوثيقة، السنة1981، العدد04، البحرين، 1981.

-التميمي عبد الجليل، <<مظاهر الاضطراب والإستقرار في الدولة العثمانية من خلال التعيين والتنحية في الوظائف العليا مثل الصدارة العظمى >>، سلسلة الآثار العثمانية، السلسلة 02، السنة 1999، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، زغوان.

-الجمل شوقي، <<المراكز العربية على ساحل إفريقيا الشرقي والجزر القريبة منه>>، الوثيقة، السنة 1996، العدد 29، سلسلة 15.

-الحمداني طارق، <<الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي>>، مجلة الوثيقة، السنة 1989، العدد 15، السلسلة 08، البحرين.

-الحمداني طارق، <<دور عرب عمان في اقصاء البرتغاليين من الخليج>>، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، السنة 1982، العدد 03.

-الحمدي صابر فالح، <<السياسة الإقتصادية للبرتغاليين في الخليج العربي وآثارها(1507م-1662م)، مجلة الوثيقة، السنة 2000، العدد 38.

-الداودي محمد علي، <<تاريخ العلاقات الهولندية في الخليج العربي>>، مجلة كلية الأداب، جامعة بغداد، السنة 1964، العدد 03.

-السالمي نور الدين بن عبد الله بن حميد، <<اللمعة المرضية من أشعة الاباضية>>، مجلة تراثنا، السنة 1983، العدد 18، عمان.

-السلمان محمد حميد، <<البصرة في مرحلة السيطرة البرتغالية على الخليج-دراسة في المصادر>>، مجلة آداب البصرة، السنة 2012، العدد 23، مجلد 02، جامعة دلمون، البحرين.

-الشاطر بصيلي عبد الجليل، <<الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال>>، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، السنة 1964، العدد 12، القاهرة.

-العباسي عبد الرحيم، <<منح رب البرية في فتح رودس الأبية>>، تحقيق فيصل عبد الله الكندري، مجلة الرسالة، السنة 1997، د ع، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت.

-العناني أحمد، <<البرتغاليون في البحرين وحولها>>، مجلة الوثيقة، السنة 1984، العدد 04.

-الغنام سليمان بن محمد، <<الوجود البرتغالي في عمان في المصادر العمانية>>، مجلة العرب، السنة 1977، العدد 11-12.

-الغول محمد، <<الصراع بين العرب والبرتغال في شرق افريقية>>، مجلة العربي، السنة 1962، العدد 44، الكويت.

-المعتصم سيد محمد، <<دول اسلامية في شرق إفريقيا>>، مجلة دراسات في الإسلام، السنة 1964، العدد 36، القاهرة.

-المعولي زياد بن طالب، <<العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق افريقيا>>، المؤتمر الدولي الإسلام في افريقيا، السنة 2006، العدد 10، جامعة افريقيا العالمية، ليبيا.

-الموهوبي عامر،<<عمان قبل وبعد الإسلام>>، السنة 1980، العدد 12، سلسلة تراثنا، وزارة التراث والثقافة، عمان.

-الهناني مبارك بن علي، <<العمانيون وقلعة ممباسة>>، ترجمة عبد المنعم عامر، مجلة تراثنا، السنة 1980، العدد 09، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط.

-أمين عبد الأمير، <<الانجازات السياسية والعسكرية والتجارية للبرتغال>>، مجلة الوثيقة، السنة 1988، العدد 13، البحرين.

-أمين عبد الأمين، <<نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية في أسيا-دراسة في عوامل تدهور وانحطاط الإمبراطورية البرتغالية>>، مجلة الوثيقة، 1988، العدد 13، السلسلة 07، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.

-أندرادي روي فيريرا، <<يوم سقطت هرمز>>،مذكرات القائد البحري روي فيريرا، الموسوعة البرتغالية، ترجمة عيسى أمين، إصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، البحرين، 1970، د.ع/1996.

-باتيبو، <<اسهام اللغة العربية في انماء الغة السواحلية وتطويرها>>، الاسلام اليوم، السنة 1984، العدد02، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم و الثقافة، الدار البيضاء.

-بن سعيد الهاشمي سعيد بن محمد، <<البحرية العمانية خلال القرنين 16م و17م>>، مجلة الخليج للتاريخ والأثار، السنة 2005، العدد 01، جمعية التاريخ والأثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.

-بوشرب أحمد، <<مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر>>، مجلة الوثيقة، السنة 02، العدد 04، 1984.

-بي سلفا نونو، <<صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين>>، الوثيقة، السنة 1986، العدد 08، السلسلة 04، المنامة.

-حريز سيد حامد، <<المؤثرات العربية في شرق إفريقيا>>، مجلة البحوث والدراسات العربية، السنة 1984، العدد11، القاهرة.

-رميض غانم محمد، <<الصراع البحري العماني البرتغالي في البحار الشرقية>>، مجلة الوثيقة، السنة 07، العدد 13، البحرين، 1988.

-رميض غانم محمد، <<معركة تحرير مسقط>>، مجلة الوثيقة، السنة 06، العدد 12، البحرين، 1988.

-شهاب فؤاد، <<الإستراتيجية العثمانية في الثلث الأول من القرن السادس عشر للميلاد>>، مجلة الوثيقة، السنة 1992، العدد 21.

-عاشور سعيد عبد الفتاح، <<بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى>>، مقال منشور في كتاب المؤلف بعنوان: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، لبنان، 1977.

-عامر محمود، <<المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية>>، مجلة دراسات تاريخية، السنة 2012، العدد 117- 118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا.

-عبد الحي رضوان نبيل، <<تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر الأبيض المتوسط>>، مجلة المؤرخ المصري، السنة 2009، العدد 20.

-عبد السلام عبد العزيز فهمي، <<مملكة هرمز المجد في نشأتها وازدهارها والعبرة في سقوطها واستسلامها>>، مجلة العربي، السنة 1974، العدد 184، الكويت.

-عبد العزيز محمد عوض، <<الإحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية>>، مجلة المؤرخ العربي، السنة 1986، العدد 29.

-عبد الله الكندري فيصل، <<الملاح والجغرافي بيري ريس1554م>>، مجلة رسائل جغرافية، السنة 1999، العدد 234، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، طباعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

-عبد الله الكندري فيصل، <<قانون نامة لواء القطيف عام 959 هـ/1552م>>، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، السنة 1997، العدد 15 و 16، تونس، زغوان.

-عثمان عبد الرزاق، <<البرتغاليون في شرق افريقيا>>، مجلة الوثيقة، السنة 07، العدد 14، مركز الوثائق التاريخية بالبحرين، 1989.

-علي طرخان ابراهيم، <<الاسلام والممالك الاسلامية في الحبشة>>، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، السنة 1959، العدد 08، القاهرة.

-غنام علي، <<البرتغاليون والدين في غزوهم للشرق>>، مجلة الخليج العربي، السنة 1988، العدد 03، مج 20، البصرة.

-كريم ابراهيم محمد، <<الحملة العثمانية على عدن 945هجرية-1538ميلادية- أسبابها ونتائجها>>، مجلة مركز بابل للدراسات التاريخية، د ت، العدد02، مج04، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم التاريخ.

-م.د حسين علي فليح، <<زنجبار دراسة تاريخية للوجود العماني في شرق افريقيا(1806م-1856م)>>، مجلة كلية التربية الأساسية، السنة 2010، العدد 64، الجامعة المستنصرية.

-م.م زهير قاسم محمد، <<الثورات الخليجية ضد الإحتلال البرتغالي في النصف الأول من القرن السادس عشر>>، مجلة سامراء، السنة 2008، العدد 09، المجلد 04، جامعة تكريت، كلية التربية، قسم التاريخ.

-ماهر سعاد، <<الإستحكامات الحربية بسلطنة عمان>>، مجلة دار الملك عبد العزيز، السنة 02، العدد 03، الرياض، 1982.

-محمد العابد صالح، <<تحرير ساحل عمان وانهيار الإمبراطورية البرتغالية في الشرق>>، مجلة آفاق عربية، السنة 1985.

-محمدين محمد محمود، <<علاقة الجزيرة العربية بشرق افريقية>>، مجلة دار الملك عبد العزيز، السنة 1976، العدد 02، المملكة العربية السعودية.

-مطر يحي، <<ملف زنجبار>>، مجلة العربي، السنة 2006، العدد 576، الكويت.

-ناصر الحميدان عبد اللطيف، <<دولة آل فضل في الإحساء والقطيف>>، مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة، السنة 1981، العدد 19، السلسلة 18.

-ناصر الحميدان عبد اللطيف، <<مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري في الجزيرة العربية>>، مجلة الدارة، السنة 1982، العدد 04، السلسلة 08، الرياض.

-ناصر الحميدان عبد اللطيف، <<نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية>>، مجلة كلية الأداب، جامعة البصرة، السنة 1981، العدد 17، العراق.

-ناصر الحميدان عبد اللطيف،<<التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية(1417م-1521م)>>، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، السنة 1980، العدد 16، السلسلة 14، العراق.

<u>5/المصادر الغربية:</u>

-Albuquerque Alfonso, The Commentaires of The Great Alfonso D'Albuquerque, Transe By Walter De gray Briche, Vol1, London, 1774.

-D. Lopes, Os Poretugueses en Marrocos in Historai de Portugal, IV, direct D. Pires barcelos, Portucalense Editora, 1931.

-De Alcasova Diogo, Letter of Diogo de Alcasova To The King Dom Manuel Conserning Diogo De Alcasova, Letter Of Diogo De Alcasova to The King Dom Maneul Concerning Sofala, Tr.By Theal, East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville, Oxford, 1962.

-De Farray Sousa Manuel, The History of The Discovery And Conquêt of India, Transe By Gohn Stevens, Vol1, Germany, 1971.

-De Gama Vasco, Journal Of The Firest Voyage Of Vasco de Gama(1497-1499), Tr. By Ravenstein, The East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville , Oxford, 1962.

-DE LA GRAVIERE JURIEN, Souvenirs D'un Amiral par le contre-amiral Jurien de la Graviere, Tome 01, Paris, Librairie De L. Hachette, 1860.

-Duarte Barbosa, The Book Of Duarte Barbosa, Trans To English by M.L. Dames, Volume 01, London, 1918.

-F. Alvarez, Narrative of The Portuguese Embassay in Abyssinia during the years (1520-1527), trans by F. stanly, London, 1881.

-F. Sousa, The Portuguese Asia or the History of the Discovery and conquest of Indai by the Portuguese (1695-1894), translated into English by Cap John Stevens, vol I, London.

-Francisco Alvarez, Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia(1520-1527), translated into English by Lord Stanley, New York, 1970.

-"Letters from Ale King of Malindi to the king (1500-1521) In Documents on the Poretuguese", Vol VI, Doc No 06.

-Livros das moncots do Riewomr : A 12th -18 century Swahili Letter from kilwa kislwani(being astudy) of flio from Goa Archives Africa and U, Bersec, babd, 1994.

-Monclaro Father, A Journey from Kilwa to pate in 1569, Tr.By Theal, East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville, Oxford, 1962.

-R.B Serjeant, The Portuguese of the South Arabian Coast, Librairie de Liban, Beirut, 1963.

-Safala , In The East African Coast(Select Documents),Tr By Theal, Edited By Freeman & Grenville,Oxford, 1962.

-The Voyage of Pedro Alvarez Cabral to brazil and Indai 1500, trd by Greenlee, East African Coast(Select Ducuments), Edited By Freeman & Grenville.

6/المراجع الغربية:

-A. Wilson, The persion Gulf, 3 ed, London, 1959.

-A.I. Salim, The Swahili Speaking peoples of Kenya Coast, Neirobi, 1973.

-B. Miles Samuel, The countries and Tribes of The Persian Gulf, London, 1966.

-BRAUDEL FERNAND, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'Epoque de Phillipe 02, Tome01, vol02, Paris, 1966.

-C. Boxer, Fort Jesues and the Portuguese in Mombasa for 1595-1927, London, 1961.

-C. Guillain, Documents Sur l'historie La Géographie et le Commerce de l'Afrique Orientale, VOL II, Paris, 1856.

-C.R. BOXER, PORTUGUESE CONGLUEST AND COMMERCE IN SOWTHERN ASAI, LONDON, 1985.

Cook M.A, A History of The Ottoman Empire, London, 1976.

-De Barros Joao, Da Asai, Tr. By Theal, The East African Coast(Select Ducuments), edited by Freeman & Grenville, Oxford, 1962.

-Edward Alpers, Ivory and slaves in East central Africa, London, 1975.

-F.C. DENVERS, The Portuguese in India, VOL 02, London, 1984.

-G.B. Badger, History of The Imams and Seyyids of Oman and Original Sources By Salil Ben Razik, from A.D 661-1856, London, 1871.

-G.P. BADGER, , History of Imams and Seyyids of Aman and Original Sources by Salil Bin Razik, London, 1871.

-Genesta Hamilton, In the Wake of Da Gama, London, 1955.

-George W.F Stripling, the ottoman turks and the arabs (1511-1574), Urbana, 1942.

-H. INALCIK, THE OTTOMAN EMPIRE, WEIDE FELD AND NICOLSON, LONDON, 1975.

-H.A. MAC MICHAEL, A history of The Arabs in The Sudan, Volume 01, Cambridge, 1922.

-Hamilton Alexander, A New Account of the Indies, VOL I, London, Edited By W. Fosger, 1930.

-Hammer Joseph, Histoire de l'empire ottoman depuis son origine jusqu a' nos jours, trad J.J.Hellert, tome 06, paris, 1836.

-J, Gray, History of Zanzibar From the Middle Age to 1856, London, Oxford Univ, 1962.

-J. Read, The Moors in Spain and Portugal, London, 1974.

-J.C. Wilkinson, The Origins of The AFLAJ of Oman, Journal of Oman Studies, VOL VI, 1983.

-Jones and Monroe, A History of Ethiopia, London, 1978.

-K.G. JAYNA, VASCO DA GAMA AND HIS SUCCESSORS(1460-1580), LONDON, 1974.

-KAMMERER ALBERT, La Mer Rouge l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité: Essai d'histoire et de géographie historique, vol 2, tome 01, Le Caire, 1949.

-MANTRAN ROBERT, Histoire de l'Empire Ottoman , Paris, Fayard, 1989.

-Marsh and kings North, An Introduction to the History of the East Africa, London, 1961.

-Miguel Castanhoso, The Portuguese Expedition to Abyssinia, R.S. whiteway, London, 1967.

-Orhonlu Cengiz, Habeş eyaleti Osmanh imparatorluğu'nun güney siyaseti, İstanbul Üniversitesi ,Edebiyat Fakültesi ,Yaymlar01, 1856.

-Orhonlu Cengiz, Hind Kaptanligi Ve Piri Reis, Belleten, XXXXIV, 1970.

-Ozbaran Salih, Osmanly Imparatorlugu Ve Hindistan Yollu, Tarih Der gisi, TD, XXXI, 1977.

-Ozbaran Salih, Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf, Ph.D. 243, Thesis, University of London, October, 1969.

-PRINS, A.H, The Swahili speaking peoples of Zanzibar and the East African Coast Arab-Swahili, London, 1961.

-R. Ricard, Les Portugais et le Sahara Atlantique, Tome 10, Paris, 1930.

-R.Coupland, East Africa and Its Invaders, London, 1938.

-R.S. Whiteway, The Rise of Portuguese Power in India (1497-1550), stanford university liberries, London, 1899.

-Reis Piri, Kitabi Bahriye, Ministry of Culture and Tourisme, Ankara, 1988.

-S. Ozbaron, Da Basra Korefezi Sahillerinde Osmanlilar Basra Beylerbey Liginin Kurulusu, 1971.

Strandes. J, The Portuguese Period in East Africa, translated by J.F Wallwork, edited and with topographical notes by J.S Kirkman, VOL 01, Nairobi, 1961.

-T. Gokbilgir, Rustem Pasa, Mad Ist, Milli Egatim Fasiniori, , IX, 1964.

-T. WILSON ARNOLD, The Persian Gulf An Historical Sketch From The Earliest Times to The Biginning of The Twentieth Century, Oxford, 1928.

-V. Godinho, Os Descobrimentos ea Economia Mundial, Lisbon, 1950, Vol 02.

-VEINSTEIN GILLES, Les Ottomans Variations sur une société d'Empire, Paris, EHESS, 2017.

-W.H. Schoff, The Perplus of The Erythrean Sea, New York, 1912.
-Wallis Budge, History of Ethiopia Nairobi and Abyssinia, Volume I, London, 1928.

7/المجلات الغربية:

-F. ARNOULET, « Epidémiologie du bassin Méditerranéen aux XVII et XIX, Siécles »: communication présentée 7é symposium international d'études ottomanes sur la société et l'Etat dans le Monde Ottoman publiée in R.H.M, Zeghouan, TUNIS, Sept 98.

-J. Aubin, les Princes D'ormuz de XIIIe au XVe siecle, in Journal Asiatique, 1953.

-J.C.Wilkinson, << Al Bahrain and Oman>>, Watheega, year 1984, N 05, July.

-J.C.Wilkinson, <<The Origins of the AFLAJ of Oman>>, VOL VI, Journal of Oman Studies, 1983.

-Kahle Paul, <<Piri Reis The Turkish Sailor and Geographer>>, The Magazine of Pakistan Historical Society, Pakistan, vol1, 1965.

-MOUSSAOUI EL KECHAAI FELLA, <<de l'Algérie Ottomane a' l'Algérie sous occupation française le fait sanitaire et démographique (1515-1881)>> , symposium international sur les relation historiques et culturelles Algéro-Turques (ULUSLARARASI YILLIK AFRIKA KONGRESI 01 OSMANLI D'AN GUNUMUZE TURKIYE CEZAYIR ILISKILERI) , Université d'Istanbul, 27 décembre 2011).

-S. Ozbaron, Osmanli umparatorlugu ve Hindistan Yolu, I.U.E.F. Tarih Dergisi Say, 31 Mart 1977, ist 1978.

-W. Caskel, "Ein Unekannt" dynasticin Arabien, Orients, Leiden, 1944.

8/دوائر المعارف الغربية:

-Encyclopedai Britanica, Prester John, William Benton Publisher, Vol 18, London, 1962.

فهرس الدراسة:

ملـــخــص الـــــدراســـــة:

إن هذه الدراسة المتواضعة هي عبارة عن مقاربة تاريخية جديدة لها أبعادها المتعددة ونتائجها المختلفة حيث أن ّ المتأمل في تاريخ الدولة العثمانية والعمانية من خلال هذا الإطار الزماني لموضوع هذه الدراسة التاريخية ما بين عام(1497م-1698م)، لا يلبث أن يلاحظ ملاحظة فريدة ومتميزة من نوعها، ألا وهي القوة القاهرة التي أبدتها البحرية العثمانية والعمانية أيضا بفرض سيطرتها البحرية والعسكرية والاقتصادية على مناطق جد هامة وا إستراتيجية من بحار العالم.

لكنها لم تظهر في بداية الأمر أهميتها بالبحار الشرقية والخليجية وساحل إفريقيا الشرقية، فكان التوسع والاحتلال البرتغالي على حساب البلاد الإسلامية من الناحية الدينية والاقتصادية والسياسية، سببا مباشرا في توجه الدولة العثمانية ثم دولة اليعاربة العمانيين من بعدها إلى تحرير هذه المناطق الاسلامية، تغيير الجيو-استراتيجية الدفاعية والهجومية(التوسعية) في مناطق مختلفة من العالم، باذلين بذلك جهودا كبيرة على المستوى العسكري والإداري والسياسي، في القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد.